

بہجۃ المجالس وأنس المجالس

ابن عبد البر

To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

أما بعد: فإن لأولى ما ابتدئ به كتاب وافتتح به خطاب، حمد الله على جزيل آلائه، وشكره لجميل بلائه، ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وعافب رسله، صلوات الله عليهم أجمعين، وسلام عليهم في العالمين وبركاته. والحمد لله الذي هدانا للإسلام، وفضنا على جميع الأنام، وجعلنا من أمة محمد نبيه عليه الصلاة والسلام.

وبعد: فإن أولى ما عني به الطالب، ورغب فيه الراغب، وصرف إليه العاقل همه، وأكد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب، مطالعه فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهي عن الدنيا والمحارم، ولا شيء أنظم لشمل ذلك كله، وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأتقف لنادره؛ من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الظريفة، من حكم الحكماء، وكلام البلغاء العقلاء: من أئمة السلف، وصالحى الخلف، الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم، آداب التزير، ومعاني سنن الرسول، ونوادى العرب وأمثالها، وأجوبتها ومقاطعها، ومبادئها وفصولها، وما حووه من حكم العجم، وسائر الأمم، ففي تقييد أخبارهم، وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائهم، واتباع آثارهم واقتفائهم.

وقد جمعت في كتابي هذا من الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والحكم البالغة، والحكايات الممتعة في فنون كثيرة وأنواع حمة، من معاني الدين والدنيا، ما انتهى إليه حظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي، ليكون لمن حفظه ووعاه، وأتقنه وأحصاه زيناً في مجالسه، وأنساً لمجالسه، وشحذاً لذهنه وهاجسه، فلا يمر به معنى في الأغلب مما يذاكر به، إلا أورد فيه بيتاً نادراً، أو مثلاً سائراً، أو حكاية مستطرفة، أو حكمة مستحسنة، يحسن موقع ذلك في الأسماع، ويخفف على النفس والطباع، ويكون لقارئه أنساً في الخلاء، كما هو زين له في الملاء، وصاحباً في الاغتراب، كما هو حلي بين الأصحاب.

وجمعت في الباب به منه المعنى وضده لمن أراد متابعة جلسه فيما يورده في مجلسه ولمن أراد معارضته

بضده في ذلك المعنى بعينه، ليكون أبلغ وأشفى وأمتع.

وقد قربته، وبوبته ليسهل حفظه، وتقرب مطالعته، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره، وتيمناً بآثاره.

وإلى الله أبتهل في حسن العون والتأييد لما يجب، والتسديد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة واحدة، يزيد الله بها هدىً، ويصرفه بها عن ردى".

ويروى عن عيسى الخياط، عن الشعبي، قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره، ما رأيت أن سفره قد ضاع.

قال محمد بن سلام الجمحي، عن ابن جعدبة، قال: ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط إلا تمثل فيه بيت شعر.

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه: كفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل.

وقال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة بن الزبير. فقيل له: ما أرواك للشعر! قال: وما روايتي من رواية عائشة له، ما كان يتزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا أرواحه، ودعوا ظروفه.

ولقد أحسن القائل، وقيل إنه منصور الفقيه: قالوا خذ العين من كل فقلت لهم في العين فضل ولكن ناظر العين حرفان في ألف طومار مسودة وربما لم تجد في الألف حرفين وروى عن مخلد بن يزيد، عن جابر بن معدان قال: كل حكمة لم يتزل فيها كتاب، ولم يبعث بها نبي، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسن الشعراء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر حكمة".

روى ابن نعيم، عن الحسن بن صالح، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خذ الحكمة ممن سمعتها، فإن الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم، كما أن الرمية قد تجئ من غير رام.

### باب أدب المجالسة وحق الجليس الصالح

أخبرنا عبد الله بن محمد بن يوسف، وأحمد بن عبد الله بن عمر، وخلف بن سعيد بن أحمد، وسعيد بن سيّد، ومحمد بن عبد الله بن حكيم، وأحمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ، واللفظ لسعيد بن سيّد، قالوا:

حدثنا محمد بن عمر بن لبانة، وسليمان بن عبد السلام، قالوا: حدثنا محمد بن أحمد العتيبي، عن أبي المصعب الزهري، عن عبد العزيز بن أبي حازم، وحدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا بكر بن حماد، قال: حدثنا مسدد: حدثنا أبو عوانة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قام من مجلسه، ثم رجع فهو أحقّ به" ورواه حماد بن سلمة عن سهيل، بإسناد مثله.

وحدثنا سعيد بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، وأحمد بن محمد، وأحمد بن قاسم قالوا: حدثنا قاسم، قال: حدثنا ابن وضاح، قال: حدثنا محمد بن مسعود، قال: حدثنا يحيى القطان، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم، وإذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحقّ من الأخرى".

وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، قال حدثنا أبو بكر محمد بن داسة قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي المولى عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه" قال: وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه، من غير أن يقيمه لم يجلس فيه. ومن حديث أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: مثله. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المجالس بالأمانة، وإنما يتجالس الرجال بأمانة الله عز وجل فإذا تفرقا فليستر كل منهما حديث صاحبه" وقال أبو البخترى: كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن ليوسع له.

ومن حديث سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يوسع في المجالس إلا لثلاثة: لذي علم لعلمه، ولذي سن لسنه، أو لذي سلطان لسلطانه".

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المجالس بالأمانة إلا ثلاثة: مجلس سفك فيه دم حرام، ومجلس استحلال فيه فرج حرام، ومجلس استحلال فيه مال حرام بغير حقه".

ومن حديث عمر بن عبد العزيز، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لكل شيء شرف، وإن شرف المجالس، ما استقبل فيه القبلة".

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا جلس إليك رجل، فلا تقوم حتى تستأذنه".

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا قام الرجل من مجلسه، فهو أحق به حتى ينصرف إليه، ما لم يودع جلساءه بالسّلام".

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يفرق واحد منكم بين اثنين متجالسين إلا بإذنهما، ولكن تفسحوا

وأوسعوا".

وقال أنس بن مالك: ما أخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركبتيه ولا قدميه بين يدي جليسي له قطّ، ولا تناول أحدٌ يده فتركها حتى يكون هو الذي يدعها.

وقال ابن شهاب: كان رجل يجالس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان لا يزال يتناول عن وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيء، وكان ذلك آذى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا نزع أحدكم عن أخيه شيئاً فليره إيّاه".

وحدث الحسن البصري: أن رجلاً تناول عن رأس عمر بن الخطاب شيئاً فتركه مرتين، ثم تناول الثالثة، فأخذ عمر بيده، فقال: أرني ما أخذت؟ وإذا هو لم يأخذ شيئاً!! فقال: انظروا إلى هذا، قد صنع هذا ثلاث مرات يريني أنه يأخذ من رأسي شيئاً ولا يأخذه، فإذا أخذ أحدكم من رأس أخيه شيئاً فليره إيّاه. قال الحسن: فهام أمير المؤمنين عن الملق.

وقال الحسن: لو أن إنساناً أخذ من رأسي شيئاً، قلت: صرف الله عنك السوء. وكان محمد بن سيرين: إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسه شيئاً، قال: لا عدمت نافعاً. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إذا أخذ أحدٌ عنك شيئاً، فقل: أخذت بيدك خيراً.

وقد روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: لأبي أيوب الأنصاري - وقد نزع عنه أذى - : "نزع الله عنك ما تكره يا أبا أيوب".

قال عمر بن الخطاب: فحسب المرء من العي أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه أن يجد على الناس فيما تأتيه، وأن يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه.

وعن عمر رضي الله عنه قال: إن مما يصفني وداد أخيك، أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسّع له في المجلس.

قال أيوب الأنصاري: من أراد أن يكثر علمه، فليجالس غير عشيرته.

روى سفيان بن عيينة، عن مالك بن معن، قال: قال عيسى صلى الله عليه وسلم: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله.

قال المدائني: أوصى يحيى بن خالد ابنه، فقال: يا بني إذا حدثك جليسا حديثاً، فأقبل عليه وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلا منه، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك.

وعن عبد الملك بن عمير، قال: قال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث خصال: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسّعت له وإذا حدث أقبلت عليه.

وذكر ابن مقسم، قال: سمعت الميرد يقول: الاستماع بالعين، فإذا رأيت عين من تحدّته ناظرةً إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع. وقد روينا هذا القول عن سهل بن عبادة.  
ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام، أنّه قال: "من كان له أخٌ في الله فأكرمه فإنما يكرم الله".  
وروينا عن ثعلب النحوي، أنّه قام لصديق قصده، وأنشده:

لئن قمت ما في ذاك منها غضاضةً  
عليّ وإنّي للكرام مذللّ  
على أنّها منّي لغيرك هحنةً  
ولكنّها بيني وبينك تجمل

ولغيره في هذا المعنى:

إذا ما تبدّى لنا طالعاً  
حللنا الحبا وابتدرنا القياما  
فلا تتكرنّ قيامي إليه  
فإنّ الكريم يجلّ الكراما

وروينا من حديث عائشة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: "أنزلوا النّاس منازلهم". قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إذا الرجل عند رجلٍ جالساً، فجاءه طالب حاجةٍ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه.

قال عمرو بن العاص: لا أملّ جليسي ما فهم عني، وإنما الملل لدناءة الرّجال. قال: الشّعبيّ في قوم ذكرهم: ما رأيت مثلهم أشدّ تنازلاً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدّث.  
روى الأصمعيّ عن العلاء بن جرير عن أبيه، قال: قال الأحنف بن قيس: لو جلس إليّ مائة لأحببت أن أتمسّ رضى كلّ واحد منهم.  
وقال عبد الله بن عباس: أعزّ الناس عليّ جليسي الذي يتخطّى النّاس إليّ، أما والله إنّ الذّباب يقع عليه فيشقّ عليّ. قال كشاجم:

وجليس لي أخي ثقةٍ  
يسرّك حسن ظاهره  
ويستر عيب صاحبه  
كأن حديثه خبره  
وتحمد منه محتضره  
ويستر أنّه ستره

و قال آخر:

جليس لي له أدب  
لو انتقدت خلانقه  
رعاية مثله تجب  
لبهرج عندها الذّهب

وعن ابن عباس، أنه قال: إني لأكره أن يطأ الرجل بساطي ثلاثاً فلا يرى عليه أثرى.  
وعنه أيضاً رضي الله عنه، أنه سئل: من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتى يفارقني.  
قال معاوية لعرابة الأوسى: بأي شيء استحققت أن يقول فيك الشماخ:

**رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين**

**إذا ما راية رفعت لمجد تلقأها عرابة باليمين**

فقال: عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبى يا أمير المؤمنين، فقال: عزمت عليك لتخبرني. فقال:  
ياكرامى جليسي، ومحاماتي على صديقي.  
فقال معاوية: لقد استحققت.

قال علي بن الحسين: ما جلس إليّ أحد قط، إلا عرفت له فضله حتى يقوم. قال أبو عبادة: ما جلس  
رجل بين يديّ، إلا مثل لي أي جالس بين يديه. روى عن عبد الله بن يزيد، وقد روى ذلك لأبي حازم،  
أنه قال: وطن نفسك على الجليس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك. وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم  
قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما، رجل وسع له في مجلس ضيق فتربع وتفتح،  
ورجل أهديت إليه نصيحة فجعلها ذنباً.

وقال مسعر بن كدام: رحم الله من أهدى إلى عيوي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملاء تقريع.  
قال الأحنف: لأن أدعى من بعد أحب إليّ من أن أقصى عن قرب.  
وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ما جلست مجلساً قط، أخاف أن أقام منه لغيري وقال البعيث بن حريث:  
وإن مكاني في الندى ومجلسي له الموضوع الأقصى إذا لم أقرب

**ولست وإن قربت يوماً ببائع خلاقى ولا ديني ابتغاء التّحّب**

**ويعتده قوم كثير تجارة ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي**

جلس رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، فقال: جلست إلينا على حين قيام، أفتأذن؟! كان  
يقال: إياك وكل جليس لا تصيب منه خيراً.

وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إياك وكل جليس لا يفيدك علماً.

كان يقال: من سرّه أن يعظم حلمه، وينفعه علمه، فليقل من مجالسته من كان بين ظهرانيه. وقال الحسن  
البصري: انتقوا الإخوان، والأصحاب، والمجالس.

وروى هشام بن عروة، عن محمد بن المنكدر، قال: كان يقال: خياركم أليكم مناكب في الصلاة،

وركناً في المجالس، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون.

تباعد كعب الأخبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين! إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله يأتيه من هو أثر عنده منك فينحيك فيكون نقصاً عليك.

وكان يقال: الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء. وعن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: رأيت مع مالك بن دينار كلباً، فقلت له: ما هذا؟ قال هذا خير من الجليس السوء.

قال زياد: إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس، فأدع مالي مخافة أن أدفع عمّا ليس لي.

وكان الأحنف إذا أتاه رجلٌ أوسع له، فإن لم يكن له سعة أراه كأنه يوسع له. طرح أبو قلابة لجليس له وسادة، فردّها فقال له: أما سمعت الحديث: "لا تردن على أخيك كرامته". قال ابن شبرمة لابنه: يا بني! إياك وطول المجالسة، فإنّ الأسد إنما يجترىء عليها من أدام النظر إليها. وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير لابنه: يا بني لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجرأ الناس على السباع، أكثرهم لها معانية. ومن هذا - والله أعلم - أخذ ابن المعتز قوله:

**فإن مات أغلته المنايا الطوائح**

**رأيت حياة المرء ترخص قدره**

**كذا تخلق المرء العيون اللوامح**

**كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله**

ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به خيراً كان أو شعراً، تتم له البيت الذي بدأ به، وتريه أنك أحفظ منه. فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلاّ منه.

قيل لداود الطائي: لم تركت مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلاّ كبيرٌ يتحفّظ عليك، أو صغيرٌ لا يوقرك. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لا تجالس عدوك، فإنه يحفظ عليك سقطاتك ويماريك في صوابك. قالت الخنساء:

**خيراً وهيهات فانظر ما به التماسا**

**إنّ الجليس يقول القول تحسبه**

كان يقال: رأس التواضع، الرضا بالدون من المجلس. وهذا يروى عن ابن مسعود أنّه قال: إن من التواضع أن ترضى بالدون من المجلس، وأن تبدأ بالسّلام من لقيت.

قال إبراهيم النخعي إنّ الرجل ليجلس مع القوم فيتكلم بالكلام، يريد الله به، فتصبيه الرّحمة فتعم من



حواله، وإنَّ الرجل يجلس مع القوم فيتكلم بالكلام يسخط الله به، فتصبيه السخطة فتعمُّ من حوله. كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً في مجلسه، فرفع رأسه إلى السماء ثم طأطأه ثم رفعه فسئل عن ذلك فقال: "هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون الله فتزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة كالقبة، فلما دنت منهم تكلم رجلٌ منهم بباطلٍ فرفعت عنهم ثم تلا: "ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون".

وفي حديث أبي هريرة عن النبيِّ عليه السلام، أنه قال: "ما جلس قومٌ مجلساً يقرءون فيه القرآن، ويذكرون السنن، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم، إلاَّ حفَّت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، فقليل له يارسل الله الرجل يجلس إليهم وليس منهم، ولا شأنه شأنهم، أتأخذ الرحمة معهم؟ قال: نعم، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم".  
أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ويقال إنها له: إن صحبنا الملوك تاهوا وعقوا=واستخفوا كبراً بحق الجليس

س وعدنا إلى عداد الفلوس

أو صحبنا النجار صرنا إلى البؤ

م ونملا به بطون الطروس

فلزنا البيوت نستخرج العل

كان يقال: ذوو المروءة والدين، إذا أحرزوا القوت لزموا البيوت. أنشد أبو عبد الله بن الأعرابي - صاحب الغريب -: لنا جلساءٌ ما نملّ حديثهم=ألباء مأمونون غيباً ومشهدا

وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدداً

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى

ولا ننقي منهم لساناً ولا يدا

بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة

وإن قلت أحياءٌ فلست مفنداً

فإن قلت أمواتٌ فلست بكاذب

ولهذا الشعر خير لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع، ذكرناه مع الأبيات في آخر كتاب "بيان العلم وفضله". ولمحمد بن بشير في هذا المعنى من قصيد له: فصرت في البيت مسروراً تحذني=عن علم ما غاب عني في الورى الكتب

فليس لي في أناسٍ غيرهم أرب

فرداً تخبرني الموتى وتتلق لي

ولا خليطهم للسوء مرتقب

لله من جلساءٍ لا جليسهم

ولا يلاقيه منهم منطقٌ ذرب

لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم

أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا

أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها

إن شئت من محكم الآثار يرفعها إلى النبيّ ثقاتٌ خيرةٌ نجب

أو شئت من عربٍ علماً بأولهم في الجاهلية تنبيني بها العرب

أو شئت من سير الأملاك من عجم تنبي وتخبر كيف الرأي والأدب

حتى كأني قد شاهدت عصرهم=وقد مضت دوتهم من دهرنا حقب

ما مات قومٌ إذا أبقوا لنا أدباً وعلم دينٍ ولا بانوا ولا ذهبوا

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: "كفارة ما يكون في المجلس من اللّغط أن تقول: سبحانك اللهمّ وبمحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك".

وفي حديثٍ آخر: "كفارة ما يكون في المجلس ألا تقوم حتى تقول: سبحانك اللهمّ وبمحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، يا ربّ تب عليّ واغفر لي، فإن كان مجلس لغوٍ كان كفّارته، وإن كان مجلس ذكرٍ كان كالطّابع عليه".

وقال حسان بن عطية: ما من قوم كانوا في مجلس لغوٍ فختموه بالاستغفار إلا كتب لهم مجلسهم ذلك استغفاراً كله.

وروي عن جماعةٍ من أهل العلم بتأويل القرآن، في قول الله عز وجل: "وسبح بحمد ربك حين تقوم"، منهم مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبمحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالوا: ومن قالها غفر له ما كان منه في المجلس. وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة. ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وبمحمده من كل مكانٍ ومن كل مجلس.

### باب حمد اللسان وفضل البيان

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظنّ أنّها تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة حتى يلقاه...". الحديث.

قال معاذ: قلت يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله".

وروي عن النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم أنه قال: "أفضل الصدقة صدقة اللسان، تدفع بها الكريهة، وتحقن بها الدم".

وقال عليه الصلاة والسلام: "أفضل الجهاد كلمة حقّ عند ذي سلطان جائر".

قال أبو عتبة الخولاني رحمه الله: ربّ كلمةٍ خير من إعطاء المال. وقال أبان ابن سليم: كلمة حكمة لك

من أخيك، خير لك من مالٍ يعطيك؟ لأنّ المال يطغيك والكلمة تهديك.

قالوا: خير الكلام ما دلّ على هدى، أو نهي عن ردّى.

ذكر عند الأحنف بن قيس: الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل فقال الأحنف: الكلام أفضل لأنّ الصمت لا يعدو صاحبه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيحٌ لعقولها. وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "رحم الله عبداً تكلم بخيرٍ فغنم، أو سكت فسلم". قال سعيد بن جبیر: رأيت ابن عباس رضي الله عنه في الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول: يا لسان قل خيراً تغنم، أو اسكت تسلم.

وقالوا السكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم. قال أعرابي: من فضل اللسان، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح. وقال عبد الملك بن مروان: الصمت نومٌ والثُّطق يقظة. قال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة ممثلة، أو بهيمة مرسله، أو ضالّة مهمله. كان يقال: الألسن خدم القرائح.

قال ربيعة الرأي: الساكت بين النائم والأحرس.

قالوا: إنما المرء بأصغريه: لسانه وقلبه.

كان يقال: اللسان ترجمان الفؤاد، واللسان حيّة الفم.

كان يقال: يجد البليغ من ألم السكوت ما يجد العبيّ من ألم الكلام.

وقالوا: المرء مخبوءٌ تحت لسانه.

وقال حسان بن ثابت: لساني وسيفي صارمان كلاهما=ويبلغ ما لا يبلغ السيّف مذودي وقال جرير:

**وليس لسيفي في العظام بقيّة ولا السيّف أشوى وقعةً من لسانيا**

وقال الخليل بن أحمد:

**أيّ شيء من اللباس على ذي السرو أبهى من اللسان البهيّ**

قال ابن سيرين: لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان، ولا شيء أزين على المرأة من الشحم.

قال الشاعر: وكائن ترى من ساكتٍ لك معجبٍ=زيادته أو نقصه في التّكلم

**لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلاّ صورة اللّحم والدّم**

قال أبو العتاهية:

## وللناس خوضٌ في الكلامِ وألسنٌ

## وأقربها من كلِّ خيرٍ صدوقها

وروى ابن عمر قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا". فتأولت طائفة هذا على الدم لأن السحر مذموم، وذهب الأكثر من أهل العلم، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن، وقد أوضحنا هذا في كتاب التمهيد والحمد لله.

وقد قال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله وقال: هذا - والله - السحر الحلال .

وقال علي بن العباس الرومي:

## وحديثها السحر الحلال لو أنه

## لم يجن قتل المسلم المتحرز

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب.

وقال الحسن: الرجال ثلاثة، رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله.

وكان يقال: في اللسان عشر خصال: أداة يظهرها البيان، وشاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل به القضاء، وناطقٌ يردّ به الجواب، وشافعٌ تقضى به الحاجات، وواصفٌ تعرف به الأشياء، وواعظٌ ينهى به عن القبيح، ومعزٌّ تسكن به الأحزان، وملاطفٌ تذهب به الضغينة ومونقٌ يلهي الأسماع. ونظر معاوية إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فأبعه بصره ثم قال متمثلاً:

## إذا قال لم يترك مقالاً لقائل

## مصيبٍ ولم يثن اللسان على هجر

## يصرف بالقول اللسان إذا انتحى

## وينظر في أعطافه نظر الصقر

ولحسان بن ثابت في ابن عباس:

## إذا قال لم يترك مقالاً لقائل

## بمنطلقات لا ترى بينها فصلاً

## شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع

## لذي إربة في القول جدّاً ولا هزلاً

في أبيات قد ذكرتها في باب ابن عباس من كتاب "الصحابة".

كان يقال: الجمال في اللسان.

قيل للأعرابي: ما الجمال؟ قال: طول الجسم، وضخم الهامة، ورحب الشّدق، وبعد الصّوت. قال حبيب:

" لسان المرء من خدم الفؤاد" وقال آخر: " والقول ينفذ ما لا ينفذ الإبر" قال امرؤ القيس: " وجرح

اللسان كجرح اليد" قال ابن أبي حازم:

## أوجع من وقعة السنان

## لذي الحجا وخزة اللسان

## باب ذم العي وحشو الكلام

قال أبو هريرة : لا خير في فضول الكلام.

وقال عطاء: كانوا يكرهون فضول الكلام.

وقال: بترك الفضول تكمل العقول.

وقال: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا مباحاً.

وقال: الصّمت صيانة اللسان، وستر العي.

وقالوا: العي الناطق أعياء من العي الساكت.

وقالوا: أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، وما ظهر معناه في لفظه.

وروى عبد الله بن عمر، أنّه قيل له: لو دعوت لنا بدعواتٍ فقال: اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا. فقال رجلٌ

لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أعوذ بالله من الإسهاب.

وقال شفي بن ماتع: من كثر كلامه كثرت خطاياها.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه.

قال يعقوب عليه السلام لبنيه: يا بني إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام.

قال ابن هبيرة: ما من شيء إلا وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً، إلا فضول الكلام.

قال الحسن: رحم الله عبداً أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام.

وكان يقال: أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب فقال:

على كثيرٍ دليلٌ

يحويه لفظٌ طويل

خير الكلام قليلٌ

والعي معنى قصير

وقال أبو العتاهية:

من منطِقٍ في غير حينه

م إذا اهتديت إلى عيونه

الصّمت أليق بالفتى

لا خير في حشو الكلام

وقال منصور الفقيه:

إذا ما نأيت وعند التداني

قليل الحروف الكثير المعاني

تعمد لحذف فضول الكلام

ولا تكثرن فخير الكلام ال

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وقد عزله: لم عزلتني: قال: بلغني أن كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.  
 تكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر الكلام، فأعجبته نفسه، وإلى جنبه أعرابي فقال له: يا أعرابي ما تعدون البلاغة فقال: قلة الكلام. قال: ما تعدون العي فيكم؟ فقال: ما كنت فيه منذ اليوم.  
 وأنشد الخشني - رحمه الله -: وما العي إلا منطق متتابع = سواءً عليه حقٌّ أمرٌ وباطله قالت العرب: لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق.  
 قال النمر بن تولب:

أعذني ربّ من حصرٍ وعيٍّ      ومن نفسٍ أعالجها علاجاً  
 ومن حاجاتٍ نفسي فاعصمني      فإن لمضمرات النفس حاجاً  
 وقال آخر:

عجبت لإدلال العيِّ بنفسه      وصمت الذي قد كان بالحقّ أعلماً  
 وفي الصمت سترٌ للعيِّ وإنّما      صحيفة لبّ المرء أن يتكلّمأ  
 قال بعض الحكماء: ليس شيء إلا إذا ثبتته قصر إلا الكلام، فإنك كلما ثبتته طال.  
 قالوا: أعي العيِّ بلاغة عيِّ، وأقبح اللحن لحنٌ بإعراب.  
 كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمّه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء.  
 ذمّ أعرابي رجلاً، فقال: هو من يتامى المجالس، أعي ما يكون عند جلسائه، أبلغ ما يكون عند نفسه.

## باب في اجتناب اللحن وتعلم الإعراب

### وذم الغريب في الخطاب

كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد، فتفقهوا في السنّة، وتعلّموا العربية.  
 وروي عنه رحمه الله أنه قال: رحم الله امرأً أصلح من لسانه.  
 وقال عليّ بن محمد العلوي:

رأيت لسان المرء رائد عقله      وعنوانه فانظر بماذا تعنون  
 ولا تعد إصلاح اللسان فإنّه      يخبر عما عنده ويبين  
 ويعجبني زيّ الفتى وجماله      فيسقط من عيني ساعة يلحن

كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللحن.

قال شعبة: مثل الذي يتعلم الحديث، ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له.

قال المأمون لأحد أولاده -وقد سمع منه لحناً-: ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده، ويزين بها مشهده، ويفلّ بها حجج خصمه. بمسكتات حكمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه. أو يسرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته، فلا يزال الدهر أسير، كلمته، قاتل الله الذي يقول:

إذا هو أبدى ما يقول من الفم

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه

زيادته أو نقصه في التكلم

وكائن ترى من صاحب لك معجب

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده

وقال الخليل بن أحمد:

لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيّ

لا يكون السرى مثل الدنيّ

هف عند القياس مثل العبيّ

لا يكون الألد ذو المقول المر

رو أبهى من اللسان البهيّ

أي شيء من اللباس على ذي السّ

ك من القول مثل عقد الهديّ

ينظم الحجة السنّيّة في السّل

أه مثل الصّدّا على المشرفيّ

وترى اللّحن بالحسيب أخي الهي

ر مقيماً والمسند المرويّ

فاطلب النّحو للحجاج وللشّع

قول تزهى بمثلته في النديّ

والخطاب البليغ عند جواب ال

ه فقادوا بعضه للنسيّ

وارفض القول من طغام جفوا عن

ء قضاءً من الإمام عليّ

قيمة المرء كلُّ ما يحسن المر

قال ثعلب: سمعت محمد بن سلام يقول: ما أحدث الناس مروءةً أفضل من طلب النّحو.

قال عبد الله بن المبارك، اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدريّ في الوجه.

وقال عبد الملك: اللحن هجنة بالشريف.

قال ابن شبرمة: إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في عينك من كان فيها كبيراً

فتعلم العربية، فإنها تجريك وتدنيك من السلطان. قال الشاعر:

والمراء تكرمه إذا لم يلحن

النحو يصلح من لسان الألكن

في كلّ ضدّ من طعامك يحسن

والنحو مثل الملح إن ألقيته

## وإذا طلبت من العلوم أجلها

## فأجلها منها مقيم الألسن

رأى أبو الأسود الدؤلي أعدالا للتجار مكتوباً عليها: لأبو فلان!! فقال: سبحان الله يلحنون ويرمجون.  
قال رجل للحسن البصري: يا أبو سعيد! فقال: كسب الدوانيق شغلك أن تقول: يا أبا سعيد.  
مر خالد بن صفوان بقوم من الموالي يتكلمون في العربية، فقال: لئن تكلمتم فيها لأنتم أول من أفسدها.  
وقالوا: العربية تزيد في المروعة.  
وقالوا: من أحب أن يجد في نفسه الكبر فليتعلم النحو.  
وقال أبو شمر: قارئ النحو إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله، والمقت من الناس.  
وقال الخليل يوماً: لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه، إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار إذا ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه.  
وروي عنه في هذا الخبر، أنه قال: من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يحتاج إليه.  
وروي أن هذه القصة عرضت مع أبي الهذيل وروي أنها عرضت لأبي عبيدة مع النّظام، والذي تقدّم أصحُّ إن شاء الله تعالى.  
وقال المأموني:

وأصرف الهمة في الصيد

موسومةً بالمكر والكيد

يريد عبد الله من زيد

سأترك النحو لأصحابه

إن ذوي النحو لهم همة

يضرب عبد الله زيدا وما

كتب غسان بن ربيع -المعروف بدماذ- إلى أبي عثمان النحوي المازني:

وأتعبت نفسي به والبدن

وكنت بباطنه ذا فطن

ء للفاء يا ليته لم يكن

من المقت أحسبه قد لعن

ل لست باتيك أو تأتين

على النّصب؟ قالوا: بإضمار أن

تفكرت في النحو حتى مللت

فكنت بظاهره عالماً

خلا أن باباً عليه العفا

وللواو بابٌ إذا جئته

إذا قلت هاتوا لماذا يقا

أجيبوا لما قيل هذا كذا



وروينا عن أبي حاتم السجستاني رحمه الله قيل: إنها له. والله أعلم.  
وقال آخر: إنما النحو قياسٌ يتبع=وبه في كل علم ينتفع

فإذا ما أبصر النحو الفتى  
واتقاه كل من جالسه  
وإذا لم يبصر النحو الفتى  
يقرأ القرآن لا يعرف ما  
يخفض الصوت إذا يقرؤه  
والذي يقرؤه علماً به  
ناظراً فيه وفي إعرابه  
مرّ في المنطق مرّاً واتسع  
من جليسٍ ناطقٍ أو مستمع  
هاب أن ينطق جيناً وانقمع  
فعل الإعراب فيه وصنع  
وهو لا علم له فيما أتبع  
إن عراه الشك في الحرف رجع  
فإذا ما عرف الحق صدع

أهما فيه سواء عندكم  
وكذاك الجهل والعلم فخذ  
ليست السنة فينا كالبدع  
منه ما شئت وما شئت فدع

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان، قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه،  
وهجا أصحابه فقال:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني  
لما سمعت كلاماً لست أعرفه  
تركت نحوهم والله يعصمني  
من التّقحّم في تلك الجراثيم  
حتّى تعاطوا كلام الزنج والروم  
كأنّه زجل الغربان والبوم

وقال عمّار الكلبى:

ماذا لقيت من المستعربين ومن  
إن قلت قافيةً بكرةً يكون لها  
قالوا الحنت فهذا الحرف منخفضٌ  
وحرّشوا بين عبد الله فاجتهدوا  
فقلت واحدةً فيها جوابهم  
ما كلّ قولي مشروخٌ لكم فخذوا  
حتّى أعود إلى القوم الذين غدوا  
قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا  
معنى يخالف ما قاسوا وما صنعوا  
وذلك نصبٌ وهذا ليس يرتفع  
وبين زيدٍ وطال الضرب والوجع  
وكثرة القول بالإيجاز تتقطع  
ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا  
بما غذيت به والقول يتسع

كأنني وهم في قوله شرع  
وبين قومٍ على الإعراب قد طبعوا  
وبين قومٍ حكوا بعض الذي سمعوا  
نار المجوس ولا تبنى بها البيع  
لكن بها الرّيم والرّبال والضّبع

فتعرفوا منه معنى ما أفوه به  
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم  
وبين قومٍ رأوا أشياء معاينةً  
إنّي ربيت بأرض لا يشبُّ بها  
ولا يطا القرد والخنزير تربتها

وقال أبو هفان:

وأن تلبس قوهياً  
فكن علجاً نبيطياً  
وأن تصبح مقلّياً  
وكن مع ذلك نحوياً

إذا ما شئت أن تحظى  
وأن تصبح ذا مالٍ  
وإن سرّك أن تشقى  
فكن ذا نسبٍ ضخمٍ

### باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة

قال المفضّل الصّبي لأعرابي: ما البلاغة؟ قال الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير حطل.  
وقيل للأحنف: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في استحكام الحجج، والوقوف عند ما يكتفى به.  
وقال خالد بن صفوان لرجل كثر كلامه: إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بحفّة اللسان، ولا كثرة  
الهديان. ولكنها إصابة المعنى القصد إلى الحجة.  
وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: لمحّة دالّة.  
وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: التقربّ من المعنى، والتباعد عن حشو الكلام، ودلالةٌ بقليل على  
كثير.

سئل عبيد الله بن عتبة: ما البلاغة؟ فقال: القصد إلى عين الحجة بتقليل اللفظ.  
وقال غيره: البلاغة معروفة الفصل من الوصل، وفرق ما بين المشترك والمفرد وفصل ما بين المقيد والمطلق،  
وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل.

وقيل لبعض اليونانية: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.  
وقيل لرجل من الروم: ما البلاغة؟ حسن الاقتصاد عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة.  
وقيل لرجل: ما البلاغة؟ فقال: حسن الإشارة، وإيضاح الدلالة، والبصر بالحجة، وانتهاز مواضع الفرصة.  
وسأل معاوية بن أبي سفيان صحاراً العبديّ: ما البلاغة عندكم؟ قال: الإيجاز. قال: ما الإيجاز؟ قال: أن:

تقول فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ، فقال معاوية. وكذلك تقول؟ قال: أقلني يا أمير المؤمنين. أنت لا تخطئ ولا تبطئ.

وقد روي مثل هذا المعنى للحجاج مع ابن القبيشري. فإله أعلم.

وقالوا: أبلغ الناس أحسنهم بديهة، وأمثلهم لفظاً.

قال خالد بن صفوان: خير الكلام ما ظرفت معانيه، وشرفت مبانيه والتذت به آذان سامعيه.

## باب من خطب فأريج عليه

قال الحرّ بن جابر، وكان أحد حكماء العرب -فيما أوصى به ابنه: وإياك والخطب فإنها مشوارٌ كثير العثار.

صعد عثمان بن عفّان رضي الله عنه على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال: أمّا بعد فإنّ أول كلّ مركبٍ صعب، وما كنا خطباءً، وسيعلم الله، وإنّ امرأً ليس بينه وبين آدم أب حيّ لموعوظ.

ويروى أن عثمان بن عفّان رضي الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه، فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال.

وروي في هذا الخبر: أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل.

وروي أنّ عثمان لما بويع، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال: وليناكم وعدلنا فيكم، وعدلنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم، فإنّ أعش يأتكم الكلام على وجهه.

وروي أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد، خطب الناس على منبر حمص فأرتج عليه، فقال: يا أهل حمص! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع، ثم نزل.

وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان، فقال: نحن إلى الفضل في الرأي، أحوج منا إلى الفضل في المنطق.

وأرتج على معن بن زائدة، وهو على المنبر، فضرب بيده ثم قال: فتى حرب لا فتى منابر.

صعد عبد الله بن عامر منبر البصرة، فحصر، فشقّ ذلك عليه، فقال له زياد: أيّها الأمير! إنك إن أقمت عامّة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك.

صعد عليّ بن أرطاة المنبر، فقال: الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم.

أرتج على خالد بن عبد الله القسريّ على منبر الكوفة، فقال: إنّ هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزب أحياناً،

ويسهل عند مجيئه، ويعسر عند عزوبه طلبه، وربما طلب فأبي، وكوبر فعصى، فالتأني لمجيئه أيسر من

التعاطي لأبيّه وهو يخلج من الجريء جناه، وينقطع من الذرب لسانه، فلا ينظره القول إذا اتسع، ولا

يكسره النطق إذا امتنع، وسأعود فأقول إن شاء الله.  
خطب رجل من الأزدي أقامه زياداً للخطبة على منبر البصرة، فلما رقى المنبر، وقال الحمد لله، أرتج عليه، فقال: قد والله هممت ألا أحضر اليوم، فقالت لي امرأتي: نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها، فأطعتها، فوقفت هذا الموقف، فاشهدوا أنها طالق. فقالوا له: انزل قبحك الله. وأنزل إنزالاً عنيفاً. وقد قيل: إن هذه القصة لوازع اليشكري، وفي ذلك قال الشاعر:

### وما ضررتني إلا أقوم لخطبةٍ وما رغبتني في مثل ما قال وازع

وذكر القهري عن أبيه قال: قام القلاخ بن حزن يوم عيد خطيباً، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أشهر. فليل له: إنما خلقها في ستة أيام فقال: أقبولوني، فوالله لقد ظننت أنني أفللت، وكنت أريد أن أقول في ست سنين.

صعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم قد فتحوا أسماعهم وشقوا أبصارهم، قال: نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم، فإن أول كل مركب صعب، وإذا يسر الله فتح قفل يسر.

خطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فحصر، فقال لقنوا موتاكم شهادة إلا إله إلا الله، فقالت أم الجارية: عجل الله موتك، ألهذا دعوناك؟! قيل لرجل من الوجوه: قم فاصعد المنبر فتكلم، فقام. فلما صعد المنبر حصر، فقال: الحمد لله الذي يرزق هؤلاء. وبقي ساكناً فأنزلوه وأصعدوا آخر، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه، وقعت عينه على رجل أصلع وحصر، فقال اللهم العن هذه الصلعة.

صعد عتاب بن زرقاء منبر أصبهان فحصر، فقال: والله لا أجمع عليكم عيًّا وبجلاء ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهي له وثمنها عليّ. وقد روي أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة، وأن عتاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه، فجعل يقول: أما بعد أما بعد...، وقبالة وجهه شيخ أصلع فقال: أما بعد يا أصلع، فوالله ما غلطني غيرك، عليّ به، فأتي به فضره أسواطاً.

وصعد آخر المنبر فقال: إن الله لا يرضى لعباده المعاصي، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقه لا تساوي مائتين وخمسين درهماً، فسُمي مقوم الناقة.

وهذا هو عبد الله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة.

ذكر عمرو بن شبة، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة، قال: ثم عزل ابن الزبير عبدة بن الزبير، واستعمل عبد الله بن أبي ثور حليف بني عبد مناف، فلقبه أهل المدينة مقوم ناقه الله، وغلت الأسعار فتشاءموا به، فعزله ابن الزبير.

صعد أعرابي المنبر فقال: أقول لكم ما قال العبد الصالح: "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيلاً

الرّشاد"، فقالوا له: هذا فرعون. فقال: قد والله أحسن القول.  
قال بزرجمهر: هيبة الزّلل تورث حصراً، وهيبة العاقبة تورث جبناً

## باب حمد الصمت وذم المنطق

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من صمت نجاً".  
وروي عن عقبة بن عامر، أنه قال: يا رسول الله فيم النّجاة؟ فقال: "يا عقبة أمسك عليك لسانك،  
وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك".  
وروي أنه من كلام لقمان والله أعلم.  
وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".  
وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ويل لمن يحدث الناس فيكذب ليضحكهم، ويل له، ثم ويل له".  
وعن عيسى عليه السلام، أنه قال: "لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله فتفتنوا قلوبكم".  
وبلغنا أنّ داود عليه السلام لقي لقمان بعد ما كبرت سنّه، فقال: ما بقي من عقلك؟ فقال: لا أنطق فيما  
لا يعنيني، ولا أتكلّف ما كفيته.  
وقال ابن مسعود: أنذركم فضول الكلام.  
وعن ابن مسعود وسلمان الفارسي، قالوا: أكثر الناس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوفاً في الباطل.  
وعن عطاء: فضول الكلام ما عدا تلاوة القرآن، والقول بالسنة عند الحاجة، والأمر بالمعروف، والنهي  
عن المنكر، وأن تنطق في أمر لا بدّ لك منه في معيشتك، أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته  
التي أملاها صدر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه، ثم تلا: "وإنّ عليكم لحافظين.  
كراماً كاتبين" و "عن اليمين وعن الشّمال قعيّذ، ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد".  
وعنه عليه السلام أنه قال: "البرّ ثلاثة المنطق والنظر والصّمت، فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا،  
ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير تفكّر فقد لها". قال بعض الشعراء:  
لست ممّن ليس يدري=ما هوانٌ من كرامه

ش على العين علامه

ض وإن رمت اكتتامه

ل وبالعلم ندامه

إنّ للنّصح وللغ

ليس يخفى الحبّ والبغ

ليس في أخذك بالفض

## وجواب الجاهل الصم

## ت وفي الصمت سلامه

وعن الأصمعي قال، قال أعرابي: السكوت صيانةٌ للسان وسترٌ للعبي. وقال أعرابي في رجل رماه بالعي: رأيت عثرات الناس في أرجلهم، وعثره فلان بين فكّيه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة".

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال".

وذكر الأصمعي قال، قال أعرابي: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها كان أسيراً في وثاقها. قيل لبكر بن عبد الله المزني: إنك تطيل الصمت؟ فقال: إن لساني سبع، إن تركته أكلني. وأنشد الخشني: لسان الفتى سبع عليه مراقب فإن لم يزع من غربه فهو آكله وقال الراجز:

## القول لا تملكه إذا نما

## كالسهم لا يرجعه رامٍ رما

وقال آخر:

## فداويته بالحلم والمرء قادر

## على سهمه ما دام في كفه السهم

قال هبيرة بن أبي وهب:

## وإن مقال المرء في غير كنهه

## لكالنبيل تهوى ليس فيها نصالها

قال أبو العتاهية: من لزم الصمت نجح من قال بالخير غنم اجتمع أربعة حكماء، فقال أحدهم: أنا على ردّ ما لم أقل، أقدر مني على ردّ ما قلت، وقال الآخر: لأن أندم على ما لم أقل، أحبّ إليّ من أن أندم على ما قلت، وقال الثالث: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، فإذا لم أتكلم بها ملكتها، وقال الرابع: عجبت ممن يتكلم بالكلمة، إن ذكرت عنه ضرته، وإن لم تذكر عنه لم تنفعه.

قال طرفة بن العبد:

## وإن لسان المرء ما لم تكن له

## حصة على عوراته لدليل

وقال منصور الفقيه:

## عليك السكوت فإن لم يكن

## من القول بدّ فقل أحسنه

## فربّتما فارقت بالذي

## تقول أماكنها الألسنة

وقال آخر:

أيُّها المرء لا تقولنَّ قولاً

لست تدري ماذا يجيئك منه

واخزن القول، إنَّ الصَّمتَ حكماً

وإذا أنت قلت قولاً فزنه

وإذا النَّاسُ أكثرُوا في حديثٍ

ليس ممَّا يزيّنهم فاله عنه

وقال أحيحة بن الجلاح: الصَّمتُ أكرم بالفتى= ما لم يكن عيُّ يشينه

والقول ذو خطلٍ إذا

ما لم يكن لبُّ يعينه

قال ابن مقسم، سمعت جحظة يقول: سمعت المأمون يقول: السخافة كثرة الكلام، وصحبة الأندال. أنشد ابن المبارك أحاً له كان يصحبه:

واغتم ركعتين زلفى إلى الل

ه إذا كنت فارغاً مستريحاً

وإذا ما هممت بالمنطق البا

طل فاجعل مكانه تسبيحاً

إنَّ بعض السكوت خيرٌ من النط

ق وإن كنت بالكلام فصيحاً

وقال أبو العتاهية:

ألا إنَّ بعد الذخر ذخراً تنيله

وشرُّ كلام القائلين فضوله

عليك بما يعينك من كلِّ ما ترى

وبالصَّمتِ إلّا عن جميلٍ تقوله

وله:

وحسبك ممَّن إن نوى الخير قاله

وإن قال خيراً لم يكذِّبه فعله

كان يقال: العافية عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الصمت، وجزء في الهرب من النَّاس.

كان يقال: من طول صمته، اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما لا يضره. وقال رسول الله صلَّى

الله عليه وسلّم: "إن من شرار النَّاس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم".

وقال الشاعر:

صمتٌ على أشياء لو شئت قلتها

ولو قلتها لم أبق للصُّلح موضعاً

وقال منصور الفقيه:

خرسٌ إذا سألوا وإن

قالوا: عييُّ أو جبان

فالعِيّ ليس بقاتل

ولربِّما قتل اللسان

كان يقال: اخزن لسانك كما تخزن مالك.

قال امرؤ القيس:

فليس على شيءٍ سواه بخزان

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

وقال آخر: لعمرك إن صمتك ألف عام= لأصلح من كلامك بالفضول

يبين صوابه لذوي العقول

فأمسك أو ترى للقول وجهاً

روينا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال:ها إن ذا أوردني الموارد.  
وقال ابن مسعود رحمه الله: إن كان الشؤم ففي اللسان، ووالله ما على وجه الأرض شيء أحقّ بطول  
سجن من اللسان.

أخذه الشاعر فقال:

أحقّ بطول سجنٍ من لسان

وما شيءٌ إذا فكرت فيه

كان يقال اللسان سبع عقور.

قال الشاعر:

إذا ساسه الجهل ليثاً مغيراً

رأيت اللسان على أهله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم".  
قال الله عزّ وجل: "ما يلفظ من قولٍ إلاّ لديه رقيبٌ عتيدٌ"، وقال: "وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين،  
يعلمون ما تفعلون".

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إنّ الله عند لسان كلّ قائل، فلينظر كلّ امرئ ما يقول".  
قال عمّار الكلبّي: وقل الحقّ وإلاّ فاصمتن=إنّه من لزم الصّمت سلم

من مقالٍ فيه عيٌّ وبكم

إنّ طول الصّمت زينٌ للفتى

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرءاً أمسك فضل لسانه، وبذل فضل ماله، وعلم أن كلامه  
محصيٌّ عليه".

قال الأصبحيّ: من كثر كلامه كثر خطاياها.

وقال أبو الدرداء: من فقه الرّجل قلّة كلامه فيما لا يعنيه.

وقال مالك بن دينار: لو كانت الصّحف من عندنا، لأقلنا الكلام.

قال الشاعر:

من أقعدته صروف الدّهر لم يقم

في نبوة الدّهر لي عذرٌ فلا تلم

وما تقصّر عن نيلٍ لها هممي

حصراً يقصّر بي عن كلّ مرتبةٍ



إن عابني عائبٌ بالصمت قلت له حبس الفتى نطقه خيراً من الندم

وقال معقر بن حمارٍ البارقى: الشُّعر لبّ المرء يعرضه=والقول مثل مواقع النَّبل وقال آخر:

والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر

لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، أطال الصمت، فقيل له: ألا تتكلم؟ فقال: الكلام صيرني في بطن الحوت.

قال عمر بن عبد العزيز: المخطوط التَّقِي يلجم لسانه، أخذه الحسن بن هانئ فقال:

جم فاه بلجام

إنما العاقل من أل

لك من داء الكلام

مت بداء الصمت خيرٌ

سئل عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- عن قتلة عثمان، فقال: تلك دماء كَفَّ اللهُ عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني.

وقال يزيد بن أبي حبيب المتكلم ينتظر اللعنة، والمتصنت ينتظر الرحمة. ويقال: شر ما طبع الله عليه المرء، خلق ديناً، ولسان بذي. وقالوا البذاء من النفاق.

وقال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لا خير في كثرة الكلام، واعتبر ذلك بالنساء والصبيان. إنما هم أبداً يتكلمون، لا يصمتون.

وقال الحسن لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم فكّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الجاهل من وراء لسانه.

قال نصر بن أحمد:

وكلّ امرئ ما بين فكّيه مقتل

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهل

إذا لم يكن قفلاً على فيه مقفل

وكم فاتح أبواب شرٍّ لنفسه

فذاك لسانٌ بالبلاء موكل

إذا ما لسان المرء أكثر هذره

فدبرٌ وميزر ما تقول وتفعل

إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً

قال صالح بن جناح:

إنّ البلاء ببعضه مقرون

أقلل كلامك واستعد من شرّه

حتى يكون كأنه مسجون

واحفظ لسانك واحتفظ من غيّه

وكلُّ فؤادك باللسان وقل له

إنَّ الكلام عليكما موزون

فزناه وليك محكماً في قلة

إنَّ البلاغة في القليل تكون

قال الألاحقي:

اخفض الصَّوت إن نطقت بليلاً

والتفت بالنَّهار قبل الكلام

قال آخر:

أرى الصَّمْت خيراً من كلامٍ بمأثمٍ

فكن صامتاً تسلم وإن قلت فاعدل

ولا تك في حقِّ الإخاء مفرطاً

وإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

ولا تعجلن يوماً بشراً تريده

وإذ ما هممت الدَّهر بالخير فاعجل

ألا إنَّ تقوى الله خير مغبَّة

وأفضل زاد الظَّاعن المتحمَّل

وقال آخر:

عودْ لسانك قول الصَّدق تحظ به

إنَّ اللِّسان لما عودت معتاد

وقال الحكماء: إذا تمَّ العقل نقص الكلام، فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجنة.

وقال عمرو بن العاص: زلَّة الرجل عظم يجبر، وزلَّة اللسان لا تبقي ولا تذر وقال أعرابي:

عثرات اللِّسان لا تستقال

وبأيدي الرِّجال تجزي الرِّجال

فاجعل العقل للسان عقلاً

فشراد اللِّسان داءً عضال

إنَّ ذمَّ اللِّسان مبقٍ على العر

ض وبالقول تستبان الفعـال

وقال غيره:

يموت الفتى من عثرة بلسانه

وليس يموت الرِّجل من عثرة الرِّجل

فعثرته من فيه ترمي برأسه

وعثرته بالرِّجل تيرا على مهل

وقال منصور الفقيه:

واخرس إذا خفيت أُمور

ر الحقَّ عنك عن الإجابة

فأقلَّ ما يجزي الفتى

بسكوته عزَّ المهابة

وقال محمود الوراق:

ولفظك حين تلفظ في جميع

ولا تكذب مقدِّمة لفظك

فزنه إن أردت القول وزناً

وقال آخر:

والأهدّ من أركان نبلك

بسوء اللفظ من قيلٍ وقال

ومن لا يملك الشفتين يسخو

كان يونس بن عبد الأعلى ينشد هذه الأبيات:

كلام واعي الكلام قوت

قد أفلح السآكت الصموت

جواب ما تكره السكوت

ما كل قول له جوابٌ

مستيقن أنه يموت

ياعجباً لامرئ ظلومٍ

### باب من مزدوج الكلام

الزوجة أحد الكاسيين، وقيل إصلاح المال أحد الكاسيين.

قلة العيال أحد اليسارين.

القلم أحد اللسانين.

الشيّب أحد العسرين.

اليأس أحد التّجحين. ويقال: تعجيل اليأس أحد الظّفرين.

حسن التّقدير أحد الكسيين.

اللبن أحد الجبنين.

كثرة العيال أحد الفقيرين.

المال أحد الجاهين.

الدّعاء للسّائل أحد العطاءين، وقيل: الرّد على السائل بالدّعاء إحدى الصّدقتين.

العجيزة أحد الوجهين. وقيل: الشّعر أحد الوجهين.

الشّحم إحدى الحسينين.

البياض أحد الجمالين. المرق أحد اللّحمين.

ملك العجين أحد الرّيعين. قال عمر بن الخطاب: املكوا العجين إنه أحد الرّيعين.

المبلّغ أحد الشّاتميين.

السامع للغيبة أحد المغتابين.

الراوية للهجاء أحد الهجّائين.  
 فصلٌ منه قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم لرجل أوصاه: "حافظ على العصرين".  
 والعصران: الصبح والظهر.  
 قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم: "من صلى البردين دخل الجنة".  
 البردان: الغداة والعشي.  
 وقال بعضهم: الأبردان: الغداة والعشي.  
 الأيهمان: السَّيل والحريق.  
 الأحران: الذهب والزَّعفران.  
 الأسودان: التَّمْر والماء.  
 الأطيبان: الأكل والجماع.  
 الأجوفان: الفم والفرج.  
 الأصغران: القلب واللسان.  
 الأكبران: الهمة واللُّب.  
 الأصمعان: الفهم الذكي والرأي الحازم.  
 الجديدان: اللَّيل والنَّهار وكذلك الملوان، وكذلك العصران، قال حميد ابن ثور الهلالي:

إذا طلبنا أن يدركا ما تيمّما

ولن يلبث العصران يوماً وليلةً

وقال أبو بكر بن دريد:

على جديدٍ أدنياه للبلَى

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا

وقال سليمان بن بَطّال:

إن لم يكن هذا يجيء به فذا

وتقلّب الملويين بينهما الرّدى

العمران: أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- هذا قول الأكثر.

كما قالوا: المَكْتَنان: مكّة والمدينة.

والقمران: الشمس والقمر.

قال الفرزدق:

لنا قمرها والنُّجوم الطَّوالع

أخذنا بآفاق السّماء عليكما

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر.  
وقال أبو عبيدة في قول قيس بن زهير.

### جزاني الزَّهْدُمان جزاء سوءٍ      وكنت المزمء يجزي بالكرامة

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض، وقال أبو عبيدة: الزهدمان: زهدمٌ وكردم.

قال أبو عمر: الحجة في هذا قول الله عزّ وجلّ: "ولأبويه"، فالأبوان الأب والأم.  
وقد قال قتادة: العمران: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز. والأول أشهر وأكثر.

### باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فقال له: من للصبيبة يا محمد؟ قال: النَّار.

قال الأعمش: احذروا الجواب، فإن عمرو بن العاص قال لعديّ بن حاتم: متى فقتت عينك يا أبا طريف؟ قال: يوم طعنت في استك وأنت مولّ يوم صفين.

شهد أعرابيّ بشهادة عند معاوية على شيء، فقال: كذبت. فقال: الكاذب والله مزمل في ثيابك. فتبسم معاوية وقال: هذا جزاء من عجل.

أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيه الخمر، فقال له معاوية: أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك في معرفته.

قال تميم بن نصر بن سيّار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟ قال: أما من طعامك وشرابك فلا. قال عبد الملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرها.

قيل لبعضهم: صحبت الأمير فلانا إلى اليمن، فما ولّاك؟ قال: قفاه.

قيل لأعرابي: صف لنا النخلة. فقال: صعبة المرتقى، بعيدة المهوى، مهولة المحتنى، رهيبية السلاح، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة الملمس، ضئيلة الظل.

دخل معن بن زائدة على المنصور، فأسرع المشي وقارب الخطر، فقال له المنصور: كبرت سنُّك يا معن؟ قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك مع ذلك لجلد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقية. قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

دخل عديّ بن حاتم على معاوية، وعنده عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله: يا عديّ متى ذهبت عينك؟

قال: يوم مثل أبوك هارباً، وضرب على ففاه مولياً، وأنا يومئذ على الحق، وأنت وأبوك على الباطل.  
 قال المهديّ لجرير بن زيد: يا جرير إني لأعدُّك لأمر. قال جرير: إن الله قد أعدَّ لك مني قلباً معقوداً  
 بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوداً على عدوك، إذا ما شئت.  
 قالت جارية ابن السَّمَّك له: ما أحسن كلامك إلا أنك تردده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه.  
 قالت: فيألى أن يفهمه من لم يكن فهمه بمله من فهمه.  
 قال الحسن لابن سيرين: تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب. فقال ابن سيرين: وأنت تفسر القرآن كأنك  
 شهدت التتريل.  
 قال رجل لعمر بن الخطاب: أهلكننا النوم: فقال: بل أهلكنم اليقظة.  
 مرت أمة بسعيد بن المسيب وقد أقيم ليضرب، فقالت: يا شيخ! لقد أقمت مقام الخزي. فقال: بل من  
 مقام الخزي فررت.

قال رجلٌ لعمر بن العاص لأتفرغنَّ لك. فقال: حيثنذ تقع في الشغل.  
 لقي الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال: القلوب معك، والسيوف  
 عليك، والنصر من الله.  
 قال رجل عند الحسن: أهلك الله الفخار. قال: إذا استوحش في الطريق. قيل للأصمعي: لماذا لا تقول  
 الشعر؟ قال: الذي أريده لا يواتيني، والذي يواتيني لا أريده، أنا كالمسنِّ أشحد ولا أقطع.  
 قيل لابن المقفع: مالك لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يواتيني لا أريده، والذي أريده لا يواتيني. قال: ابن  
 مناذر:

**لا تقل شعراً ولا تهتم به** **وإذا ما قلت شعراً فأجد**

قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال: إنك أشبه الناس بإبليس.  
 قال: وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن.  
 قيل لأعرابية من بني عامر: لقد أحسنت العزاء على ابنك. قالت: إن فقدته أيأسني من المصائب بعده.  
 ونعى إلى أعرابية ابن لها، فقالت: لقد نعيموه كريم الجدِّين، ضحوكاً إذا أقبل كسوباً إذا أدبر، يأكل ما  
 وجد، ولا يسأل عما فقد.  
 قال الأحوص للفرزدق: متى عهدك بالزنا؟ قال: مذ ماتت العجوز أمك.  
 قال أبو الزناد لابن شيرمة في مناظرته له: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شيرمة: ثم لم يعد إليكم.

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين.  
قال زهير:

**"ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم"** .. **"ومن لا يتّق الشتم يشتم"**

قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم.

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أين ترى عمك أبا لهب؟ قال: في النار، مفترشاً عمتك حمالة الحطب. وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس.

قال الرشيد لشريك القاضي: يا شريك! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال قوله تعالى: "وإنه لذكرٌ لك ولقومك"، فقال آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: "وكذب به قومك وهو الحق".

قال الرشيد لأبي الحارث جَمِيْرًا: أيسرك أن تخرا الغالية؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ والناس يتمنونها قال: أخاف أن يجتم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها.

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك، وتعمل لسانك في قومك.

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص، وكان رجل من قريش يشرب الخمر، فقال له أبو بكر: قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر. فقال: لا أو من به حتى يبرئ الأبرص.

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه، وقالوا: ما رأينا بعدك مثلك. فقال خيراً أم شراً؟ قالوا: لم نر بعدك إلا شراً منك. قال: لكني والله ما رأيت بعدكم شراً منكم، والله يا أهل الكوفة، إن حبكم لصلف، وإن بغضكم لتلف.

قال المنذر بن الجارود لعمر بن العاص: أي رجل أنت لو كانت أمك من عز قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمي في طول ليلتين، فما خطرت عبد القيس على بالي.

جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر عن أمه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة، من بني عترة، ثم أحد بني جلال، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت

وأنجبت. فإن كان لك جعل فخذة.

فاخر رجل من ولد أبي البخترى بن هشام رجلا من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعم العاقر وبئس المعقور، فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه، وشدها أبي برمح.

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من علي، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.

ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأتي في آخرهم برجل من تميم، فقال له يا حجاج! لئن كنا أسأنا في الدنيا، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أف هذه الجيف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي.

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر: أساءتك ولايتنا أم سرتك؟ قال: ساءتني لك وسرتني للمسلمين.

عاب أعرابي أباه فقال: إن عظيم حقاك علي، لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمت به إلي أمت. بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء، ولكن لا يحل لك الاعتداء.

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبت ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس، فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل يوم الحمل؟! قالت: رحمك الله، ذاك يوم نسي. قال: لا يوم أذكر منه على الدهر.

قيل لمعاوية بن سفيان، يوم صفين: إنك تقدم حتى نقول: إنك تقبل، وإنك أشجع الناس، وتأخر حتى نقول: إنك تفر، وإنك أجبن الناس. قال: أتقدم إذا كان التقدم غنما، وتأخر إذا كان التأخر عزما. سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها، فاستعان عليه بمولاة له، فقضى حاجته، فقال له رجل: استعنت بامرأة! فقال: إذا أعييت الأمور من أعاليتها طلبناها من أسافلها.

اشتكى عبد الله بن صفوان ضرسه، فأتاه رجل يعوده، وقال: ما بك؟ قال: وجع الضرس. فقال: أما علمت ما يقول إبليس؟ قال: لا. قال: يقول: دواؤه الكسر. قال: إنما يطيع إبليس أولياؤه. مرض رجل من الأعراب فعاده جاره فقال: ما تجد؟ قال: أشكو دماً لآلني وزكاماً أضرب بي. فقال: أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد شيء من الأمراض ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة، فأنشأ الأعرابي يقول:



أيحسدني إبليس دائنين أصبحا

بجسمي جميعاً دَملاً وزكاماً

فلبئتهما كانا به وأزیده

رخاوة فحل ما يطيق قياما

قال أبو جعفر المنصور لأبي جعونة العامريّ من أهل الشام: ألا تحمدون الله بأننا قد ولينا عليكم ورفع عنكم الطاعون؟! قال: لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون.  
قيل لبعضهم: أراك تكره الغزو، وما يكرهه إلا جبان أو متهم؟ فقال: والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة.  
عرض بعض القواد أصحابه، فمر به رجل معه سيف رديء، فقال له: ويحك ما هذا السيف؟! أما علمت أن الرجل بسيفه؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير، إنها مأمورة. قال هذا مما يقطع شيئاً.  
قيل لابن سيرين: من أكل سبع رطبات على الريق سبّحت في بطنه، فقال ابن سيرين: لئن كان هذا هكذا فيبغني للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح.  
قيل لابن السّمّك في زمن يزيد بن معاوية: كيف تركت الناس؟ قال: مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي.  
قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحقق قومك حين قالوا: "ربنا باعد بين أسفارنا" أما كان جمع الشمل خيراً لهم؟ فقال اليماني: قومك أحقق منهم، حين قالوا: "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو اتتنا بعذاب إليم"، أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.  
قال رجل للرقاشي: ما يجب على المؤمن في حق الله؟ قال: التعظيم له والشكر لنعمه، قال: فما يجب عليه في حق السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة. قال: فما يجب عليه في حق نفسه؟ قال: الاجتهاد في العبادة، واجتناب الذنوب. قال: فما يجب عليه في حق العامة؟ قال: كف الأذى وحسن المعاشرة. قال: فما يجب عليه في حق الخليط؟ قال: الوفاء بالمودة وحسن المعونة.  
قال بعض الجلّة لأعرابي من بني تميم يمازحه: يا أعرابي! من الذي يقول:

تميمٌ ببطن اللؤم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

فقال: لا أعرفه. ولكن أعرف الذي يقول:

أعض الله من يهجو تميماً

ومن يروي لها أبداً هجاءا

ببطن عجوزة وبأست أخرى

وأدخل رأسه من حيث جاء

دخل طفيليّ دار قوم بغير إذن، فاشتدّ عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيلي في الجواب، وقال له: والله لئن قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت. فقال صاحب المنزل: أمّا أنا فأخرجك من حيث

دخلت، وأخذ بيده فأخرجه.

قال الفرزدق لكثير - وقد أنشد: ما أشبه شعرك بشعري! أفكانت أمك أتت البصرة؟ فقال: لا ولكن أبي أتاهما، ونزل في بني دارم.  
قال المثقب العدي:

سمعت فقلت مرّي فانفذي  
ولم يعرق لها يوماً جبيني  
ولا أنا مخلفٌ من يرتجيني  
وليس إذا تغيب يأتليني  
محافظةً على حسبي وديني

وكلمة حاسدٍ من غير جرمٍ  
وعابوها عليّ ولم تعبني  
وما من شيمتي شتم ابن عمي  
وذو الوجهين يلقاني طليقاً  
بصرت بعيبه فكففت عنه

قال رجلٌ من بني عجل لأبي الروحاء الشاعر، بهمدان: ممن الرجل؟ قال: من العجم. قال العجلي: إنما الشعر للعرب، والحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى يتزو على أمه رجل من العرب. فقال أبو الروحاء: فكل من لم يقل الشعر من العرب، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس.  
قال مسكين الدارمي: وإذا الفاحش لاقى فاحشاً=فبهذا وافق الشنّ الطبق

كغراب البين ما شاء نعت  
رمح الناس وإن جاع نهق  
سرق الجار وإن يشبع فسق

إنما الفحش ومن يعتاده  
أو حمار السوء إن أمسكته  
أو غلام السوء إن جوعته

قال رجل لشريح القاضي: لشد ما ارتفعت فقال له شريح: هل ضرك ذلك؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك.

قيل لمزيد - وهو يحمل شيئاً تحت إبطه - : يا مزيد! ما هذا الذي تحت حضنك؟ قال: يا أحمق! ولم خبأته؟  
قال الفرزدق للحسن: يا أبا سعيد إني قد هجوت إبليس، أفتسمع؟ فقال له الحسن: اسكت، فإنك على لسانه تنطق.

قيل لأعرابي: أتمز الفارة؟ قال: إنما يهزها السنور. قال حمزة الكسائي: أتمز الذيب؟ قال: لو همزته أكلني.

سأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون، فقال: ما سنك؟ قال: عظيم. قال: لم أرد هذا، ولكن كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأزيد. قال: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال:

لو أتى علي شيء لأهلكني. فضحك المأمون. فقيل له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول؟ كم مضى من عمرك.

لقي رجل رجلاً ركباً، فقال له: أين تزل فقال له: حيث أضع رجلي.  
وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية، فلقيه بعد النحر، فقال: كيف وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً، أراد قول الشاعر: ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد=من اللؤم للضبي لحماً ولا دماً  
اجتمع ناس من الشعراء على باب عدي بن الرقاع الشاعر، فخرجت بنت له، فقالت: ما تريدون، قالوا: نريد أباك لنخزيه ونفضحه. فقالت:

### تجمّعت من كلّ أوبٍ وبلدةٍ على واحدٍ لا زلتم قرن واحد

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة - وكان كوفياً -: لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان. قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك. لو كنت اختنته لكان قد أتاك نصيبك.

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لخت. فقال: الجواد يعثر. قال المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.

وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يجمع من كلامكم، والفقر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرءاً أمر بخير. فقيل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.

سمع إياس بن معاوية - رحمه الله - يهوديا يقول: ما أحقق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون. فقال له إياس بن معاوية: أو كل ما تأكله تحدّثه؟ قال: لا. لأن الله يجعل أكثره غداء. قال: فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غداء.

جمع المأمون بين العتّابي وبين أبي قرّة النصراني، فقال لهما: تناظرا وأوجزا. فقال العتّابي لأبي قرّة: أسألك أم تسألني؟ فقال: سألني. قال: ما تقول في المسيح؟ قال: أقول إنه من الله عز وجل. فقال العتّابي: إن "من" تجيء على أربعة أوجه: فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ، والولد من الوالد على سبيل التناسل، والخل من الحلو على سبيل الاستحالة، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة، فهل عندك خامسة قال: لا، ولكني

لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول؟ فقال العتابي: إن قلت: إنه كالبعض من الكل جزأته، والباري لا يتجزأ، وإن قلت: إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانياً من الأولاد وثالثاً ورابعاً إلى مالا نهاية، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل، وإن قلت على سبيل الاستحالة، أوجبت فساداً، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال، وإن قلت: إنه كالخلق من الخالق، كان قولاً حقاً، وهو الحق الذي لا شك فيه. وصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج، فأراد أن يختبره، فقال: يا أبا إسحاق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار، بطيئة الانجبار. فأعجب ذلك أبا عبيدة.

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان: أيما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن.

سمع سوار القاضي الحجّاج بن أرطاة يقول: أهلكني حب الشرف، فقال: اتق الله تشرف. قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبد العزيز فييان، فقالا: إن أبانا توفي فترك مالا عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد أنت القائل:

حميد الذي أمجّ داره  
أخو الخمر ذو الشيبية الأصلع  
أتاني المشيب على شربها  
وكان كريماً فما ينزع

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررت، فأني سأجلدك؟ قال ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك تترع عنها. فقال: هيهات، أين تذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنّهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنّهم يقولون مالا يفعلون"؟ قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلت. ثم قال: ويحك يا حميد، كان أبوك صالحاً، وأنت رجل سوء. قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلُّ الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك مالا. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا مالهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك. قال: ما كان ليعود إليّ وقد خرج من عندي.

دخل الأحنف بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً، فقال: يا أحنف ما الشيء الملقف في البجاد؟ يعرض له بقول الشاعر:

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ  
فسرّك أن يعيش فجيء بزد  
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ  
أو الشيء الملقف في البجاد

## تراه يطوف في الآفاق حرصاً

## ليأكل رأس لقمان بن عاد

والشيء الملفف في البجاد: وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه، فقال: الشيء الملفف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين. وذلك أن قريشاً كانت تعبر بأكل السخينة. وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة وغلاء السعر.

## باب الأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منح والدٌ ولده خيراً من أدب حسن" وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: "ما نحل والدٌ ولده خيراً من أدب حسن".  
قال سليمان بن داود: من أراد أن يغيظ عدوه، فلا يرفع العصا عن ولده.  
وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: أكرم ولدك وأحسن أدبه.  
كان يقال: من أدب ولده أرغم أنف عدوه.  
قال الحسن: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر.  
قال الشاعر:

أدبٌ صالحٌ وحسنُ الثناء

خير ما ورثَ الرجالُ بنِيهم

راق في يومِ شدّةٍ أو رخاء

هو خيرٌ من الدنانيرِ والأور

الح لا تفنيان حتى البقاء

تلك تفنى والدّين والأدب الصّ

كنت يوماً تعدّ في الكبراء

إن تأدّبت يا بنيّ صغيراً

ت كبيراً في زمرة الغوغاء

وإذا ما أضعت نفسك ألفي

بأ وإذا كان يابساً بسواء

ليس عطف القضيبي إن كان رط

قال لقمان: ضرب الوالد للولد كالسماد للزرع.

قال بعض الحكماء: لا أدب إلا بعقل، ولا عقل إلا بأدب.

كان يقال: التجربة علم، والأدب عون، وتركه مضرّة بالعقل.

كان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.

قال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أنّ النار في الظلمة نور البصر.

قال الأصمعيّ: ما مطيئة أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب.

قال بزرجمهر: أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب.  
وقيل: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطى أعناق الرجال إليه: إن الأدب المترادف خير من النسب المتلاحف.  
كان يقال: الأدب من الآباء، والصلاح من الله.  
كان يقال: من أدب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً.

وقال الحجاج لابن القرية: ما الأدب؟ قال: تجرّع الغصة حتى تمكن الفرصة.  
ووصف أعرابي الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدين، وهو داعية إلى التوفيق،  
وسبب إلى السعادة وزاد من التقوى، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك  
بخطها من النافلة، وتزيد ذلك بصحة النية، وإخلاص النفس، وحب الخير، منافساً فيه، مبعضاً للشرّ نازعاً  
عنه، ويكون طلبك للخير، رغبة في ثوابه، ومجانبتك للشرّ رهبة من عقابه، فتفوز بالثواب، وتسلم من  
العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.

وقال أعرابي: الأديب من اعتصم بعزّ الأدب من ذلة الجهل، ولم يتورط في هفوة، وكان أدبه زلفى إلى  
الخطوة في دنياه وأخراه.  
قال منصور الفقيه:

ية للنوادر والغريب

أبي نواس أو حبيب

عة والعفاف هو الأديب

ليس الأديب أخوا الروا

ولشعر شيخ المحدثين

بل ذو التفضل والمرو

كان يقال: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه.  
الخطيئة:

عن الجهل يوماً لم تعظه أنامله

تؤدّبهِ روعات الردى وزلازله

هواك ولا يذهب بحقك باطله

إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى

ومن لم يؤدّبهِ أبوه وأمه

فدع عنك ما لا تستطيع ولا تطع

وقال آخر:

أدّبهِ الليل والنهار

من لم يؤدّبهِ والداه

وقال محمد بن جعفر: الأدب رياضة، والحزم كياسة، والغضب نار، والصخب عار.

قال ابن القرية: تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سدتّم، وإن كنتم أوساطاً رفعتّم، وإن كنتم فقراء استغنيتّم.

قال شبيب بن شبية: اطلبوا الأدب فإنه عونٌ على المروءة، وزيادةٌ في العقل، وصاحبٌ في الغربة، وحليةٌ في المجالس.

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله عزَّ وجل: "يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا"، قال: أدَّبوهم وعَلِّموهم.  
قال الشاعر:

ولا ينفَع التَّأديب والرَّأس أشيب

يقوم من ميل الغلام المؤدَّب

وقال آخر:

ر بالفتى المرزوق ذهنا

إنَّ الحدائِة لا تقص

فيفوق أكبر منه سنًا

لكن تزكَّى عقله

وقال آخر:

ولم يقسم على مرِّ السنين

رأيت الفهم لم يكن انتهابا

حوى الآباء أنصبه البنين

ولوأنَّ السنين تقاسمته

قال مصعب بن عبد الله الزُّبيري: قال لي رجل من أهل الأدب فارسيّ النسب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه، والحلواللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه، فإن لم تعط رباطة الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتك العلم وقراءة الكتب، فإن بها أدباً وعلماً قد قيّدته لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.  
قال سابق البربري:

وليس ينفَع بعد الكبرة الأدب

قد ينفَع الأدب الأحداث في مهلٍ

ولن تُلين إذا قومتها الخشب

إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت

قيل لعيسى عليه السلام: من أدّبك؟ قال: ما أدّبني أحدٌ، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.

قال بعض الحكماء: أفضل ما يورث الآباء الأبناء: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون، وأنشدوا:

وتتسبه إلى غلظ الطُّباع

ويعدم عاقلٌ أدباً فيجفو

## بمنزلة السلاح من الشجاع

## ومنزلة التأدب من أديب

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني لوعداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه؟ فقال الوليد: أما أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أما أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما تركاغاية لمختار. فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرغبة، ولا ينجوصاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية، قال: فعليكم إذاً بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكاً سدتهم، وإن كنتم أوساطاً رأستهم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم.

## باب ترويح القلوب وتنبيهها

قال عبد الله بن مسعود: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة مخافة السّامة علينا. وكان عليّ بن أبي طالب يقول: إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة. وقال عليّ رضي الله عنه: نَبّه بالتفكّر قلبك، وحاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك. قال أبو الدرداء: إني لأستحّم قلبي بشيءٍ من اللّهُو، ليكون أقوى لي على الحقّ. قال عبد الله بن مسعود: أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أكره عمى. وقال أيضاً: إنّ للقلوب شهوةً وإقبالاً، وفترةً وإدباراً، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها.

كان يقال: الملالة تفسخ المودّة، وتولّد البغضة، وتنغصّ اللّذة. قال أرسطو طاليس: ينبغي للرجل أن يعطي نفسه لذّها في النهار ليكون ذلك عوناً لها على سائر يومه. في صحف إبراهيم عليه السّلام: وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجمل، فإنّ هذه الساعة عونٌ له على سائر السّاعات.

قال عمر بن عبد العزيز: تحدثوا بكتاب الله تعالى، وتجالسوا عليه، وإذا مللتم فحديثٌ من أحاديث الرّجال حسنٌ جميل.

وقال بعض الحكماء من السّلف: القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء.

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو في نوم الضّحى، فقال: يا أبت إنّك لنائم، وإنّ أصحاب الحوائج لراكدون ببابك فقال: يا بني إنّ نفسي مطّيتي، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها.



قال الحسن البصري رضي الله عنه: حادثوا هذه القلوب، فإنها سريعة الدثور، وأفرعوها هذه النفوس فإنها طلعة، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شر غاية.  
 وقال غيره من العلماء: حادثوا هذه القلوب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد". قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: "تلاوة القرآن".  
 كان يقال: الفكرة مرآة المؤمن، تريه حسنه من قبيحه.  
 كان يقال: التفكر نور، والغفلة ظلمة.

## باب قولهم في وصف العيش

### وما تتمناه النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسمه، معه قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا".  
 كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب:

### والعيش شح وإشفاق وتأميل

### المرء ساعٍ لأمرٍ ليس يدركه

قال أبو يعلى: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا محمد بن حرب الزبدي، قال: حدثني أبي قال: قال زيادٌ لجلسائه: من أغبط الناس عيشاً؟ قالوا: الأمير وجلساؤه. فقال: ما صنعتُم شيئاً، إن لأعواد المنابر هيبية، وإن لفرع لجام البريد لفرعة، ولكن أغبط الناس عندي: رجل له دارٌ لا يجري عليه كراؤها، وله زوجة صالحة، قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإنه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره، وأفسدنا دينه ودنياه.

قال عمر: لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرهما، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوت سنة، ثم يجعل الباقي في الكراع والسلاح في سبيل الله.

وقال سليمان: إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه".

وليس في هذا معارضة لقول الله: "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض" لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه، ليصرفه الله عنه إليه فذلك التمني المكروه.

قال محمد بن سيرين: نهيتم عن الأمانيّ، ودللتم على ما هو خير منها لكم، سلوا الله من فضله.  
وقد ذكرنا في كتاب "التمهيد" معنى قوله عليه والسلام: "لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به"، عند  
قوله عليه السلام: "لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول: يا ليتني مكانه". قال المنصور  
لإسحاق بن مسلم العقيلي: ما بقي من لذاتك؟ قال جليس يقصر به طول ليلي، وزائر أشتهي من أجله  
طول السهر.

وقال غيره: زائر أشتهي به طول السهر ودابة أشتهي من أجلها طول السفر.  
قال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاث: سعة المنزل، وموافقة المرأة، وكثرة الخدم.  
قال عباية الجعفي: ما يسرُّني بنصيبي من التمني حمر النعم.  
قال عبد الرحمن بن أم الحكم: لذة العيش في زحف الأحرار إلى طعامك، وبذل الأشراف وجوههم إليك  
فيما تجد السبيل إليه، وقول المنادي: الصلاة أيها الأمير.  
قال قتيبة بن مسلم لو كيع بن أبي سود: ما السرور؟ قال: لواء منشور، وجلوسٌ على السرير، والسلام  
عليك أيها الأمير.

قيل لأمّ البنين: ما أحسن شيء رأيت؟ قالت: نعم الله مقبلةً عليّ.  
سأل قتيبة رجلاً: ما السرور؟ قال: الولد الصالح والمال الواسع.  
قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : لذة العيش ظفرك بمن تحبّ بعد امتناع، ولذة لا توجب عليك إثماً،  
وحقٌ وافق هوىً.

قيل لأبي حازم: ما اللذة؟ قال: الموافقة، ولا أنيس كالصاحب المواتي.  
وروى الرياشي عن الأصمعي قال: قال شبيب بن شيبه: عيش الدنيا في ثلاث: محادثة الإخوان، ومباشرة  
النسوان، وشم الصبيان.

قال بعض الحكماء: كثرة الالتفات سخف، ومجالسة الحمقى تورث التوك، وكثرة المنى تخلق العقل،  
وتفسد الدين، وتنفي القناعة.  
قال أبو العتاهية: لله أصدق والآمال كاذبةٌ=وجلّ هذي المنى في القلب وسواس ذكر عمرو بن بحر عن  
الأصمعي قال: قال بعضهم: الاحتلام أطيب من الغشيان، وتمنّيك الشيء أوفر حظاً للذة من قدرتك  
عليه.

قال عمرو بن بحر: كأنه ذهب إلى أن المال إذا ملك وجبت فيه حقوق، وخاف مالكة عليه الزوال،  
 واحتاج إلى الحفظ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه.  
ذكر المدائني قال: قيل لامرئ القيس: ما أطيب عيش الدنيا؟ فقال: بيضاء رعبوبة، بالطيب مشبوبة،

باللحم مكروبة.

وسئل الأعشى: أيّ العيش ألدّ؟ فقال: صهباء صافية، تمرّجها ساقية، من صوب غادية.

وسئل طرفة، فقال: مطعمٌ شهيّ، وملبسٌ زهّيٌّ ومركبٌ وطّيٌّ.

وقال غيره:

واختيالٌ على متون الجياد

أطيب الطيّبات قتل الأعداي

إنّ عند الكريم تزكوا الأيادي

وأيد حبوتهنّ كريماً

لبعض الحكماء: أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيته وضافت مقدرته، وبعدت همته.

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أيّ الأمور أمتع؟ فقال: مباحة حبيب، ومحادثه خدين، وأمان تقطع بها

أيامك. وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قيل له: أيّ شيء أكثر إمتاعاً؟ قال: المنى.

قال بعض الأعراب، ويروي لأبي بكر العرزمي: منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى= وإلاً فقد عشنا بها

زمناً رغدا

سقتك بها سلمى على ظمياً بردا

أمانيّ من سلمى عذاب كأنما

اجتمع عبد الله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام، عند الكعبة، فقال عبد الله: أحبّ ألا أموت حتى

تجيء إليّ الأموال وأكون خليفة.

وقال مصعب: أحبّ أن أليّ العراقيين -يعني الكوفة والبصرة- وأزوّج سكينه بنت الحسين وعائشة بنت

طلحة.

وقال عروة: لكنني أسأل الله الجنة. فصار عبد الله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة.

كان المتمني بالكوفة إذا تمنى يقول: أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة، وحفظ سفيان، وورع مسعر بن

كدام، وجواب شريك.

قال الأصمعيّ: قال لي بن أبي الزناد: المنى والحلم أخوان.

قال مالك بن أسماء: ولما نزلنا منزلاً طله الندى= أنيقاً وبستاناً من النور حالياً

منى فتمنينا فكنت الأمانيا

أجدّ لنا طيب المكان وحسنه

قال سلم الخاسر:

أسىّ وبعض المنى غرور

لولا منى العاشقين ماتوا

وفاز باللذة الجسور

من راقب الناس مات غمّاً

وقال منصور الفقيه:

مع ترك ما ينفعني

يا ليتني لم أكن

لو أن ليثاً نفعت

ما كان لي قولٌ سوى

وقال آخر:

فاستوى العيش وطابا

ذهب البرد وآبا

وقال آخر:

ومصطحجٌ يغدو عليّ ويطرق

وعرساً غيوراً فاحشاً وتطلق

لتجربةٍ منّا ولا هي تصدق

ولي من تمنّي النفس دنيا عريضةً

تملكني الأموال لا فقر بعدها

فقدت المنى لا نحن نلهو عن المنى

وقال آخر:

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا

وأكثر أفعال الليالي إساءةً

وأنشد نبطويه: الدهر يصدقنا وتكذبنا المنى=بعداها وتعزنا الآمال

خيلٌ مطهّمةٌ ولا أموال

وإذا المنيةً أقبلت لم تنهها

وقال آخر:

ف ليغنيان عن الغنى

فاشكر فقد نلت المنى

إنّ الفناعة والعفا

فإذا صبرت على المنى

وقال عبد الملك بن حبيب:

هينٌ على الرّحمن في قدرته

لعالمٍ أزرى على بغيته

وصنعتي أشرف من صنعته

صلاح أمري والذي أبتغي

ألفٌ من البيض وأقلل بها

زرياب قد يأخذها جملةً

قال آخر: مسيمات أيام الزّمان كثيرةٌ=ومحسنة الأيام في الدّهر أعلام

قصيرٌ وإن طالت ليالي وأيام

مضى مثل ما مرّت بعينك أحلام

وعيشك فيما تستخصّ وتصطفي

فصل بسرور النفس عيشك إنّه

قال بشار بن برد:

فلذّ لنا محمودها وذيّمها

ذكرنا أحاديث الزّمان الذي مضى

وقال آخر:

من راقب الموت لم تكثر أمانيه ولم يكن طالباً ما ليس يعنيه

قيل لرقبة بن مصقلة: أنت بعيد الدار من المسجد، وتنصرف بلا مؤنس؟ قال: إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل.  
قال ليبد بن أبي ربيعة:

واكذب النفس إذا حدتتها إن صدق النفس يزري بالأمل

وقال آخر:

رب من بات يمني نفسه حال من دون مناه أجله

قال يزيد على المنبر: ثلاث يخلقن العقل، وفيها دليل على الضعف: سرعة الجواب، وطول المنى، والاستغراق في الضحك.  
وقال الأحنف بن قيس: كثرة الأمانى من غرور الشيطان.  
قال حبيب:

من كان مرتع عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولاً

وقال آخر:

إذا تمنيت بت الليل مغتبطاً إن المنى رأس أموال المفاليس

وقال آخر: إذا حدتتك النفس أنك قادرٌ على ما حوت أيدي الرجال فكذب  
فإن أنت لم تفعل ومال بك الهوى إلى بعض ما منتك يوماً فجرّب  
قال أبو العتاهية:

إنما الفقر فضول التمني فانسها واستوهب الله ذكرا

قيل لسليمان بن عبد الملك: ما اللذة؟ قال: جليس ممتع أضع بيني وبينه التحفظ.  
قال الحجاج بن يوسف لحريم - وهو حريم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة المرّي - ما العيش؟ قال:  
الأمّن، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش. قال: زدي قال: والشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش.  
قال: زدي. قال: والصحة، فإني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش. قال زدي. قال: لا أجد مزيداً.  
قال أعرابي:

وما العيش إلا في الخمول مع المنى وعافية تغدو بها وتروح

وقال آخر:

كالغرض المنصوب للسَّهام

إنّ الفتى يصبح للأسقام

يقول: إنّي مدركٌ أمامي

أخطأ رامٍ وأصاب رام

في قابل ما فاتني في العام

قيل لرجل من الحكماء: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من كفى همّ الدنيا، ولم يهتم بالآخرة.

قال الشاعر:

طالما اغترّ بالمنى الجهلاء

لا تمنّ المنى فتغترّ جهلاً

قال آخر:

إنّ ليتاً وإنّ لواءً عناء

ليت شعري وأين مني ليت

### باب اختلاف الهمم في أنواع المال

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خير المال عينٌ ساهرةٌ لعين نائمة".  
وروي عنه عليه السلام أنه كان يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم، ويأمر المساكين باتخاذ الدجاج. قال مالك بن أنس -رحمه الله- : لما خرج مروان من المدينة مرّاً بماله بذي خشب، فلما نظر إليه قال: ليس المال إلا ما أسرجت عليه المناطق.

قيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: قنّ. قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غنّ. قيل فمائة من الإبل؟ قالت: منّ.

وأما قول امرئ القيس: لنا غنمٌ نسوّفها غزاراً= كأنّ قرون جلّتها العصيُّ فإنه أراد أنها كانت معزى، لوصفه قرونها بالعصي، وأما قوله:

وحسبك من غنى شبعٍ وريّ

فتملاً بيتنا إقطاً وسمناً

فإنه زعم بعضهم أن، الإقط لا يكون إلا من لبن البقر، وقالوا: المعزى أكثر لبناً، وأكثر سمناً وزيداً. قال المستورد: الذهب والورق حجران، إن تركتهما لم يزيدا، وإن أخذت منهما نفداً، والحيوان كالبقول إن أصابته الشمس ذوى، ولكن المال الأرض والماء.

قال ابن شهاب الزهريّ -رحمه الله- يخاطب أخاه عبد الله:

لعلك يوماً أن تجاب فترزقا

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها

وروى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في السَّيِّئَاءِ".  
 لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمرؤا الأرضين، كتب إليهم:  
 لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها في وجهها.  
 ولما بلغه أن عتبة بن غزوان وأصحابه بنوا باللبن كتب إليهم: وقد كنت أكره لكم ذلك، فإذا فعلتم  
 فعرضوا الحيطان، وأرفعوا السُّمك، وقاربوا بين الخشب.  
 باع رجل رجلاً أرضاً، فقال البائع: أما والله لقد أخذتها شديدة المؤونة قليلة المعونة -يعني الأرض-. فقال  
 المبتاع: والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق -يعني الدراهم.  
 قالوا إذا بعد المال عن موضع ربّه قلت فوائده.  
 قال الشاعر:

### سأبغيك مالاً بالمدينة أنني أرى عازب الأموال قلت فوائده

أوصى سهل بن حنيف، أحد بني عبد الرحمن بن عوف، وكانت أمه أنصارية فقال له: إنك أحب  
 إخوتك إليّ، وإني موصيك بوصية: اعلم أنه لا عيلة على مصلح، ولا مال مع الخرق، واعلم أن خير المال  
 العقل، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال، ولكنهم جمال، واعلم أن  
 الماشية إنما هي مال أهلها، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعته انتفعت بها، وإلا لم ترزءك  
 شيئاً. قال: فحفظت نصيحته، فكانت لي أنفع مما ورثت.

ذكر النخل والزّرع عند بعض الأشراف العقلاء فقال: شربنا النخل من فضول غلات الزرع، ولم نشتر  
 الزرع من فضول غلات النخل.

قال الليث بن سعد: لما فتحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال، فسألوا بعض  
 من كان معهم من الأسرى، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه، وقال:  
 من هذا جمعنا هذه الأموال نصيب الزيتون فيأتينا أهل البحر والبر، والصحراء والرمل، يتعاون منا  
 الزيتون، فمن ثمّ كثرت أموالنا.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن العاص: "هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يسلمك الله  
 ويغنمك وأرغب لك رغبة صالحة".

وروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث المقداد بن معدي كرب، وهو حديث صحيح، أنه قال  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده، وكان داود عليه السلام  
 يأكل من عمل يده".

وكان داود عليه السلام يعمل القفاف الخوص، وقيل كان نوح نجاراً، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلم.

وأجمع العلماء أن أشرف الكسب: الغنائم، وما أوجف الله عليه بالخيل والركاب، إذا سلم من الغلول. وقد سمي الله الجهاد تجارة منجية من عذابٍ أليم. قال بعض لصوص همدان:

ومن يطلب المال الممنع بالقنا  
متى تجمع القلب الذكي وصارماً  
يعيش مثرياً أو تخترمه المخارم  
وأناً حمياً تجتنبك المظالم  
وكننت إذا قوم غزوني غزوتهم  
فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم

### باب التجارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الكسب عمل اليد، وكلّ بيع مرور".

وعنه عليه السلام أنه قال: "أفضل الكسب كسب الصانع إذا صحّ".  
وقال عليه السلام: "التجار هم الفجار إلا من برّ وصدق".  
وقال عليه السلام: "التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة".  
وقال صلى الله عليه وسلم: "يا معشر التجار! إن بيعكم هذا يشوبه الحلف، فشوبوه بالصدقة". وقال صلى الله عليه وسلم: "الجالب مرزوقٌ والمحتكر ملعون".  
أو قال: "مذموم".

وقال صلى الله عليه وسلم: "تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في السّياء".  
وقال عليه السلام: "اللهم بارك لأمتي في بكورها".  
وروي عنه عليه السلام أنه قال: "من أشرط الساعة، أن يرفع العلم، ويقبض المال، ويظهر القلم، وتكثر التجارة".

وقال صلى الله عليه وسلم: "من استقالة أخوه المسلم في بيع باعه منه، فأقاله أقاله الله من عشرته يوم القيامة".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فرّقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين.

وقال عمر: بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك.



وقال ابن شهاب: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابيّ وهو يبيع مسوّمة فقال: "عليك بأول سومة، أو بأول سوم، فإن الرّيح مع السّماح".

قيل للزبير رحمه الله: بم بلغت هذا المال؟ قال: إني لم أرد ربحاً، ولم أشتري عيباً.

كان يقال: الأسواق موائد الله في الأرض، فمن أتاها أصاب منها.

قال خالد بن صفوان: في التّجار لؤم الطّبائع، وعيّ اللّسان، وموت القلب، وسوء الأدب، وقصر الهمة، والاشتغال على كل بليّة.

اشترى أعرابيّ جهلاً فندم عليه في شرائه، فجعل يصعد النظر فيه، ويصوبه ليجد ما يتوصّل به إلى ردّه فقال البائع: من طلب عيباً وجدّه.

يقال: الغبن في شيئين، في الرّداءة أو الغلاء، فإذا استجدت فقد سلمت من أحدهما.  
قال الراجز:

**ما أرخص الغالي إذا كان حسن**

وقال محمود الورّاق:

**فيكون أرخص ما يكون إذا غلا**

**وإذا غلا شيءٌ عليّ تركته**

قال معاوية - رحمه الله - لقوم: ما تجارتكم؟ قالوا: بيع الرقيق قال: بئس التجارة ضمان نفس، ومثونة ضرر.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا اشتريت بغيراً فاشتره ضخماً، فإن لم توافق كرمًا، وافقت لحماً. ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قومٍ يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال: غششتم. قال: وكيف متاعكم؟ قالوا: رديء قال: كذبتهم. قال: وكيف كثرته؟ قالوا: قليل. قال: حلفتهم.

كان عبد الله بن مسعود يقول: عجباً للتاجر كيف يسلم إن باع مدح، وإن اشترى ذمّ. قال سعيد بن المسيّب: إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصّياح، يعني - والله أعلم - من لا صناعة له إلّا النداء لغير صلاة محترساً بالليل وبراحاً بالنهار. ونحو هذا عن الفضيل بن عياض، وزاد كالملاحين ودوهم، ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل. قال ابن عباس: من اشترى ما لا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه. قال المغيرة بن حبياء:

**ولا كلُّ أصحاب التّجارة يربح**

**وما كلُّ حينٍ يصدق المرء ظنّه**

ولابن شهاب الزُّهري:

وقد يصلح المال اليسير الموفِّق

ألا كلُّ من يهدي له البيع يرزق

ولمنصور الفقيه:

عساك بصبرك أن نظفري  
كساك الدَّبِيقِيَّ والتُّسْتري  
فما إن يبيع ولا يشتري

بنيَّتِي لا تجزعي واصبري  
فلو نال يوماً أبوك الغنى  
ولكن أبوك ابتلي بالعلوم

### باب الرزق

قال الله عزَّ وجلَّ: "نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدُّنيا" الآية.

وقال: "والله فضَّل بعضكم على بعض في الرِّزق".

سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُول: اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِزَوْجِي رَسُولَ اللَّهِ، وَبِأَبِي أَبِي سَفِيَانَ، وَبِأَخِي مَعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعَوْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَعْلُومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ".  
وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَبِي اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ".  
وقال عليه السلام: "اسْتَرْزُقُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ".

وقال عليه السلام: "وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَا يَكْرَهُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، خَذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ".

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: "لَا تَكْثُرْ هَمُّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا يَقْدَرُ يَكُنْ، وَمَا تَرَزَّقُ يَأْتِكَ".  
قال الشاعر:

كفاحاً وتجلبه عليك الجوالب

فإنك ما يقدر لك الله تلقه

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنْ رُوحَ الْقَدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي، أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ".

أنشد ابن أبي الدنيا:

فقد كذبت نفسه وهو آثم

ومن ظنَّ أنَّ الرِّزْقَ يأتي بحيلة

وأخر يأتي رزقه وهو نائم

يفوت الغنى من لا ينام عن السرى

بكذِّ وللأرزاق في الناس قاسم

فما الفقر في ضعف احتيالٍ ولا الغنى

وأرضى بحكم الله ما الله حاكم  
وفي سعةٍ والعرض مني سالم

سأصبر إن دهرٌ أناخ بكلكلٍ

لقد عشت في ضيقٍ من الدهر مدّة

وقال جعفر بن محمد: إني لأملق فأناجر الله بالصدقة فأربح.

وقال عروة بن الزبير: العاقل من إذا رزق ما لا نظر فيه، فإنه لا يدري لعله يكون آخر رزقه.

ومما يروي لعلّي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه نظر:

صمّاء ملمومةٍ ملسٍ نواحيها  
حتّى يؤدّي إليه كلُّ ما فيها  
لسهّل الله في المرقى مراقبها  
إن هي أنته وإلا سوف يأتيها

لو كان صخرةٍ في البحر راسيةٍ

رزق لعبدٍ يراه الله لانفلقت

أو كان تحت طباق السبع مطلبها

حتّى تؤدّي الذي في اللوح خطّه

وأنشده ابن الأعرابي:

ولا العطايا لذي عقلٍ ولا أدب  
يوماً وجدت إليه أقرب السبب  
يجدي عليك ولو حاولت من كذب  
وقد أناخ عليها الدهر بالعجب  
فتحاً وما الصبر إلا عند ذي الأدب  
فيه لنفسك راحاتٌ من التعب  
من اللجين لكان الصمت من ذهب

الحمد لله ليس الرزق بالطلب

إن قدر الله شيئاً أنت طالبه

وإن أبى الله ما تهوى فلا طلبٌ

وقد أقول لنفسي وهي ضيقةٌ

صبراً على ضيقة الأيّام إن لها

سيفتح الله أبواب العطاء بما

ولو يكون كلامي حين أنشره

وقيل لعلّي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم؟ قال: كما قسّم بينهم أرزاقهم.

ولسريح بن يونس المحدث:

أتعبت نفسك حتّى شفك التعب  
أقصر فرزقك لا يأتي به الطلب  
له الولاية والأرزاق والذهب  
بادي الخصاصة لم يعرف له نشب  
فإنه يرزق لا عقلٌ ولا حسب

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً

تسعى لرزق كفاك الله مؤنته

كم من سخيّفٍ ضعيفٍ العقل نعرفه

ومن حصيفٍ له عقلٌ ومعرفةٌ

فاسترزق الله مما في خزائنه

وقال آخر:

مهذب الرأي عنه الرزق منحرف  
كأنه من خليج البحر يخرّف

كم من قوي قوي في قلبه  
وكم ضعيف ضعيف الرأي تبصره  
أنشد أبو حاتم عن الأصمعي:

إنك إن تقدر لك الحمى تحم  
كيف توقيك وقد جفّ القلم

يا أيها المضمّر همّاً لا تهمّ  
ولو علوت شاهقاً من العلم  
قالوا: المقادير تبطل التقدير، وتنقض التدبير.  
قال الشاعر:

فليس يحلّه إلا القضاء

إذا عقد القضاء عليك عقداً

وقال ابن المعتز:

يتبع الآمال كالباعي المضلّ  
بيد المقدار فاصبر واتكل  
مدّة العمر ومن وقت الأجل

يا مكلّ العيس في ديمومة  
إنّ مفتاح الذي تطلبه  
فرغ الله من الرزق ومن

وقال أبو العتاهية:

لألتمس الرزق من عنده  
ولم يقو حيّ على ردّه

وفدت إلى الله في وفده  
إذا ما قضى الله أمراً مضى

قال المفضل الضبيّ: قيل لأعرابي من أين معاشكم؟ قال: من أزواد الحاجّ. قلت: فإذا صدروا فبكي، ثم قال: لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش. ثم قال: أتفهم؟ قلت: نعم، فقال:

والأجديد ناضراً ثم ينهج  
على منهج ثم استقلّوا فأدلجوا

هل الدهر إلا ضيقة فتفرّج  
أرى الناس في الدنيا كسفرٍ تتابعوا

فقال البربري:

إنما الظاعن مثل المقيم  
مصحّح الجسم مقلّ عديم  
ذلك تقدير العزيز العليم  
ما ضرّ من يرزق ألا يريم

يا أيها الظاعن في حظّه  
كم من لبيب عاقل قلب  
ومن جهول مكثّر ماله  
حظك يأتيك وإن لم ترم

كان يقال: بكرّوا في طلب الرزق، فإن النّجاح في التّكبير.  
قال أبو هريرة: إذا سأل أحدكم الله الرزق فلينظر كيف يسأل، فإن الله يرزق الحلال والحرام، ولكن ليقل  
اللهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني.

قالوا: الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبّب ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب. وقلت أنا  
الرزق رزقان. فرزق تطلبه، ورزق يأتيك عفواً.  
قال عروة بن أذينة أو بكر بن أذينة، وهو الصحيح:

إني لأعلم والأقدار نافذة  
أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني  
أسعى إليه فيعييني تطلبه  
ولو قعدت أتاني لا يعينني

وقال آخر:

توكّل على الرّحمن في كلّ حاجة  
ولا تؤثرنّ العجز يوماً على الطلب  
ألم تر أن الله قال لمريم  
إليك فهزّي الجذع يساقط الرّطب  
ولو شاء أن تجنيه من غير هزّها  
جنته ولكن كلّ شيء له سبب

وقال آخر:

ما يغلق الله باب الرّزق عن أحد  
إلاّ سيفتح دون الباب أبوابا

وقال بكر بن حماد:

النّاس حرصى على الدّنيا وقد فسدت  
فمن مكب عليها لا تساعده  
لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمت  
وإنما أدركوها بالمقادير  
لو كان عن قدرةٍ أو عن مغالبةٍ  
طار البزاة بأرزاق العصافير

وقال آخر:

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله  
ويحرم الرّزق من لم يؤت من تعب  
وإنني واجدٌ في النّاس واحدةً  
الرّزق أروغ شيءٍ عن ذوي الأدب

ولعلي بن هشام:

المرء يسعى ويسعى الرّزق يطلبه  
وربّما اختلفا في السّعي والطلب  
حتّى إذا قدر الرّحمن جمعهما  
للاتّفاق أذاك الرزق عن كتب

وقال آخر:

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه  
قال بعض الحكماء: الحلال يقطر قطراً والحرام يسيل سيلاً.  
قال الغزال:

طالب الرزق الحلال لا يقر  
في الحرِّ والبرد وأوقات المطر  
إنَّ الحلال وحده لا يختمر  
ما إن رأينا صافياً منه كثر  
قال الناشئ:

إذا المرء أحمى نفسه كلَّ شهوةٍ  
فما باله لا يحتمي عن حرامها  
لصحة أيامٍ تبيد وتنفد  
لصحة ما يبقى له ويخلد  
وقال آخر:

إنَّ الحرام غزيرةٌ حلباته  
قال أكثم بن صيفي: من فاته الرزق فبالعاقبة ظفر.  
قال منصور الفقيه:

أرزاقنا مقسومةٌ وهكذا آجالنا  
وله أيضاً:

ما ضيَع الله خلقاً  
الله يرزق من لا  
فاجعل سكوتك لله  
وكلُّ بؤسي ونعمي  
فأنتقي أن أضيعا  
يطيعه والمطيعا  
ونجواك جميعا  
سيفنيان سريعاً  
وقال آخر:

ياربِّما جاءني مالا أوَّمَّله  
لو زاد في الرزق حرصٌ أو مطالبةٌ  
وربِّما خاب مأمولٌ ومنتظر  
ما كان من قد يطيل الكدَّ يفتقر  
ولأبي يعقوب إسحاق بن حسن الخريمي:

أَقْلَى عَلَيَّ اللُّومُ يَا أُمَّ مَالِكٍ

فلم يؤت من حرصٍ على المال طالبه

فوالله ما قصرت في وجه مطلبٍ

أرى أن فيه مطلباً فأطالبه

ولكن لهذا الرزق وقتٌ موقتٌ

يقسمه بين البرية واهبه

وأسهرني طول التفكير إنني

عجبت لأمرٍ ما تقضى عجائبه

أرى فاجراً يدعى جليداً لظلمه

ولو كلف التقوى لكنت مضاربه

وعفاً يسمي عاجزاً لعفاهه

ولولا التقى ما أعجزته مذهبه

وأحمق مصنوعاً له في أموره

يسوده إخوانه وأقاربه

على غير حزم في الأمور ولا تقى

ولا نائلٍ جزلٍ تعدّ مواهبه

فليس لعجز المرء أخطأه الغنى

ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

ولكنه قبض الإله وبسطه

فمن ذا يجاربه ومن ذا يغالبه

أنشدي خلف بن قاسم، قال: أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيدلاني، قال: أنشدنا علي بن سليمان الأحفش:

قد يرزق الخافض المقيم وما

شدّ بعنسٍ رحلاً ولا قتباً

ويحرم الرزق ذو المطية والرِّ

حل ومن لا يزال مغترباً

وقال محمود الوراق:

قيامه من مات في موته

وإخمال ما شاع من صوته

ترى المرء يجزع من فوت ما

لعلَّ السَّلامة في فوته

ويفنى ولم تفن آماله

وإعمال سوف إلى ليته

وكم أزعج الحرص من راغب

إلى الصَّين والرِّزق في بيته

ولأبي الأسود الدؤلي أو المرزومي:

وعجبت للدُّنيا وحرفة أهلها

والرِّزق فيما بينهم مقسوم

والأحمق المرزوق أعجب ما أرى

من أهلها والعاجز المحزوم

ثم انقضى عجبي لعلمي أنه

رزقٌ موافٍ وقته معلوم

وقال آخر:

ليس بالعقل يطلب المرء رزقاً  
وأصيل من الرجال نبيل  
كم رأينا من أحمقٍ مرزوق  
سدَّ عنه الحرمان كل طريق

وقال آخر:

الرزق يأتي قدراً على مهل  
والمرء مطبوعٌ على حبِّ العجل

وقال آخر:

يا راكب الهول والآفات والهلكة  
من غير ربك في السبع العلى ملكاً  
أما ترى البحر والصياد تضربه  
يجرُّ أذياله والموج يلطمه  
حتى إذا راح مسروراً بها فرحاً  
أتى إليك به رزقاً بلا تعب  
لطفاً من الله يعطي ذا بحيلته  
لا تعجلنَّ فليس الرزق بالحركة  
ومن أدار على أرجائها فلكه  
أواجه ونجوم الليل مشتبكة  
وعقله بين عينه كلكل السمكة  
والحوت قد شكَّ سفود الردى حنكة  
فصرت تملك منه مثل ما ملكه  
هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

وقال أبو العتاهية:

طال همِّي بغير ما يعنيني  
ولو أني كففت لم أبغ رزقي  
أحمد الله ذا المعارج شكراً  
وطلابي فوق الذي يكفيني  
كان رزقي هو الذي يبغيني  
ما عليها إلا ضعيف اليقين

وقال آخر:

لعمرك ما كلُّ التعطلِّ ضائرٌ  
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى  
وإن ضقت فاصبر يكشف الله ما ترى  
ولا كل شغلٍ فيه للمرء منفعه  
عليك سواءً فاعتنم لذة الدَّعه  
فياربِّ ضيقٍ في جوانبه سعه

وقال آخر:

هونٌ عليك فإن الأمر مقدر  
والرزق والخلق والآجال قد قسمت  
وكلَّ شيءٍ من الأشياء مسطور  
وأحكمتها وزمتها المقادير



منها ولو كثرت منه التدابير  
وذا غضارة عيش وهو محبور  
لولا غناه لعافته الخنازير  
ولا تكلف أمراً فيه تغيير

فليس يقدر مرءٌ صرف واحدة  
كم من رأيناه ذا مالٍ وذا سعة  
لا يعرف الله جهلاً خاطئاً حمقاً  
لم يركب الهول في قفرٍ ولا لجج

وما تقدّم منه فيه تفكير  
علامةٌ بأمر الناس تحرير  
شرقاً وغرباً وما في ذلك تقصر  
فيه العلوم وما تحوي القماطير  
يحظى بها رجلٌ إلاّ الدنانير

لكن أتاه الغنى حتى أناخ به  
وأخرُ رجلٌ ناهيك من رجلٍ  
قد جال في الأرض حتى لم يدع أفقاً  
وقد تكملت الآداب واجتمعت  
ولم تفتنه من الأشياء واحدة

كان يقال: إذا لم يرزق الإنسان ببلدة فليتحول إلى أخرى.

قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول بلغني أنّ عمر بن الخطاب قال: من كان له رزقٌ في شيء فليلزمه.  
قال وقال مالك: سمعت أهل مكة يقولون: ما من أهل بيت فيهم اسم محمدٍ إلا رزقوا ورزق خيراً.  
قال العكّي:

أبناء أسفارٍ مقلّينا  
خفضاً من العيش ولا لينا  
ما أمّلوه للمقيميننا  
يقسمها الله فيعطينا

ياربّ فتينٍ ذوي غربةٍ  
ما أدركوا في طول تطوافهم  
وسهلّ الله بتوفيقه  
وإذا الأرزاق مقسومةٌ

ولسهل الورّاق:

وما منهما إلاّ عجبٌ شؤونه  
على أنّه فيها قليلٌ سكونه  
على رزقه ذاك السكون يعينه  
ويكمد حتى تستهلّ جفونه  
ولا ريب إلاّ أنّ دهرأ يخونه  
مكاسب ما خفت بهنّ يمينه

أرى اثنين في الدنيا وشتان ما هما  
أخو حركاتٍ في المكاسب معدم  
وأخرٍ مثري ذو سكونٍ كأنما  
ألا ربّما يأسى اللبيب لما يرى  
كريمٌ جفاه دهره فهو ضائعٌ  
ووغدٌ لنيم الطبع تحوي يمينه

فذاك على إقتاره ذو تجمل  
وإذا مقرّفُ جعد البنانِ ضنينه  
إذا غاص في ذا مفكرٍ طاش عقله  
ولم يدر ما أسبابه وفنونه  
جدودٌ وفيها للمفكرِ عبرةٌ  
طويلٌ بها وسواسه وشجونه  
ولولا اعتصام المرء بالعلم إنه  
نجاةٌ لأهليه لساعتِ ظنونه  
وما كان ربّي عزّاً ربّيجائرٍ ولكنّه علمٌ عجيبٌ يصونه  
شهدت بأن الله عدلٌ قضاؤه  
وإني بدين الموقنين أدنيه

وقال آخر:

وقد يحرم الله الفتى وهو عاقلٌ  
ويعطي الفتى مالاً وليس بذى عقل  
وذلك عدلٌ من حكومة ربنا  
يجود ويعطي وهو ذو النائل الجزل

وقال آخر:

لا تعذلي لم أقصرّ ويك في الطلب  
أَيّ البلادِ وأَيّ الأرضِ لم أجب  
هذا وفيّ خلالٌ كلّها سببٌ  
إلى الغنى غير أن الرزق لم يجب  
والله أحمد في رزقي فما صرفت  
عني المكاسب إلا حرفة الأدب

وقال الوليد بن عبيد البحرّي:

وآيسني علمي بالألّا تقدّمي  
مفيدي ولا مزرٍ على تأخري  
ولو فانتني المقدور مما أرومه  
بسعي لأدركت الذي لم يقدر

## باب الحرص والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة.

كان يقال: شدة الحرص من سبل المتالف.

وقال الأحنف: آفة الحرص الحرمان، ولا ينال الحريص إلا حظه.

كان الحسن البصري يقول: ما بعد أملٍ إلا ملّ عمل.

كان يقال: من أطال الأمل ألمات العمل.

قال بعض الحكماء: الإنسان لا ينفك من الأمل، فإن فاته الأمل قوي على المنى.

قال: والأمل يقع بسبب، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه.

من كلام الحكماء: الرزق مقسوم، والحريص محروم، والحسود مغموم، والبخيل مذموم.  
قال الخليل بن أحمد: الحرص من شرّ أذاة الفتي=لا خير في الحرص على حال

هان على ابن العمّ والخال

من بات محتاجاً إلى أهله

وقال غيره: الحرص مفسدة، والبخل مبغضة، والعجلة خطأ، والرفق يمن، والبذاء شؤم.  
وقال آخر:

لك رزقٌ وسوف تستوفيه

أيها الدائب الحريص المعنى

س وأسخطهم بما يرضيه

فاسأل الله وحده ودع النّا

ه وإن كان فوق ما يكفيه

لا ينال الحريص شيئاً فيكفي

وقال محمود الوراق:

وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعاً

وقلة هم المرء تدعو إلى النقص

وإن اعتقادهم للخير جامعٌ

وقال أيضاً:

وانظر إليه بعين الماقت القالي

لا تحمدنّ أبا حرصٍ على سعةٍ

عن السُّرور بما يحوي من المال

إنّ الحريص لمشغول بشوقته

وقال محمود الوراق أيضاً:

ق بطول الرّواح والدّلج

علام يشقى الحريص في طلب الرّزّ

قد أدمن القرع ثم لم يلج

يا قارع الباب ربّ مجتهدٍ

لم يشق من قرعه ولم يهج

وربّ مستولجٍ على مهلٍ

فأخرهم أول الفرّج

فاطو على همّ كشح مصطبرٍ

وقال آخر:

أعجلني عن بلوغه الأجل

يا أيها النّاس كان لي أملٌ

أمكنه في حياته العمل

فليتق الله ربّه رجلٌ

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل:

ومختلجٍ من دون ما كان يأمل

وبالغ أمر كان يأمل دونه

وكان يتمثل أيضا:

قد يوافق بالمنيات السحر

لا يغرّنك عشاء ساكن

كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية:

أذل الحرص أعناق الرجال

تعالى الله يا سلم بن عمرو

أخذه أبو الفتح الملقب بكشاحم فقال:

وفي القنوع الشرف الشامخ

بالحرص في الرزق يذل الفتى

قال أبو عمر: وشعر أبي العتاهية الذي فيه هذا البيت الذي أعجب المأمون:

تصرفهنّ حالا بعد حال

نعى نفسي إليّ من اللبالي

ومالي لا أخاف الموت مالي

فما لي لست مشغولا بنفسي

ولكنني أراني لا أبالي

لقد أيقنت أنّي غير باقٍ

أذل الحرص أعناق الرجال

تعالى الله يا سلم بن عمرو

أليس مصير ذلك إلى زوال

هب الدنيا تساق إليك عفواً

وشيكاً ما تغيّره اللبالي

فما ترجو بشيءٍ ليس يبقى

قال: فلما بلغ سلماً الخاسر قول أبي العتاهية، قال:

يزهد الناس ولا يزهد

ما أفتح التزهيد من واعظٍ

أصحى وأمسى بيته المسجد

لو كان في تزهيده صادقا

يكتنز المال ويسترفد

إن رفض الدنيا فما باله

والرزق عند الله لا تنفد

يخاف أن تنفد أرزاقه

يسعى له الأبيض والأسود

الرزق مقسومٌ على من ترى

ولأبي العتاهية شعر في عروض شعره هذا وقافيته أوله:

وفي بذل الوجوه إلى الرجال

أتدري أيّ ذلٍّ في السؤال

شعر حسن جيد في معناه قد ذكرته في باب القناعة من هذا الكتاب.

قال زياد بن أبي سفيان: اثنان يتعجلان النَّصب ولا يظفران بالبغيّة: الحريص في حرصه، ومعلم البليد ينيو عنه فهمه.

قال داود الطائي: يا ابن آدم ارتحلك الحرص فأنساك أجلك، ونصب لك أملك ورب حريص محروم،

وواحد مذموم.

قال مسلم بن قتيبة: في إفراط الحرص مذلة قبل إدراك الطلبة.

كانوا يقولون: أول دناءة الحرص ، تأميل البخل.

قال محمود الوراق: أراك يزيدك الإثراء حرصاً=على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال آخر:

الحرص داءٌ قد أضرب بمن ترى إلا قليلاً

كم من عزيز قد رأي ت الحرص صيره ذليلاً

فتجنب الشهوات واح ذر أن تكون لها قتيلاً

فلرب شهوة ساعة قد أورت حزنًا طويلاً

وقال آخر:

كم إلى كم انت للحرص وللامال عبد

ليس يجدي الحرص والشغ ل إذا لم يك جد

ما لما قد قدر الل ه من الأمر مرد

وقال محمود الوراق:

لا ينفع الجد والتشمير والحذر خط الكتاب فلا ورد ولا صدر

تستعجل النفس آمالاً لتبلغها كأنها لا ترى ما يصنع القدر

وقال آخر:

كلنا نأمل مداً في الأجل والمنايا هن آفات الأمل

وقال آخر:

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلة ما بعدها متحوّل

فساخط أمر لا يبدل غيره وراض بعيش غيره سيبدل

وبالغ أمر كان يأمل غيره ومختلج من دون ما كان يأمل

وقال محمود الوراق:

الحرص عونٌ للزمان على الفتى

والصبر نعم العون للأزمان

لا تخضعنَّ فإنَّ دهرَكَ إن رأى

منك الخضوع أمده بهوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "أحرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإياك واللّو، فإن اللّو يفتح عمل الشيطان".  
ولأبي عبد الله الصُّوري:

لَمَّا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحُوا

وهِمَّةَ الْإِنْسَانِ مَا يَجْمَعُ

قَنَعْتَ بِالْقَوْتِ فَنَلْتَ الْمَنَى

وَالْفَاضِلَ الْعَاقِلَ مَنْ يَقْنَعُ

وَلَمْ أَنْفَسْ فِي طَلَابِ الْغَنَى

عَلِمًا بِأَنَّ الْحَرَصَ لَا يَنْفَعُ

ولبكر بن حمّاد:

الناس حرصى على الدُّنيا وقد فسدت

فصفوها لك ممزوج بتكدير

في أبيات ذكرتها في باب "ذكر الدُّنيا" من هذا الكتاب.

### باب الطمع واليأس

كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يستعيد بالله من طمعٍ في غير مطمع، ومن طمعٍ يقود إلى طبع.  
قال عمر بن الخطاب: ما شيء أذهب لعقول الرجال من الطمع.  
وفي حديث آخر أن عمرًا وابن الزبير قالوا لكعب: ما يذهب العلم من صدور الرجال بعد أن علموه؟  
قال: الطمع، وطلب الحاجات إلى الناس.  
وقال كعب: الصِّفَا الرَّلَّالُ الَّذِي لَا تَثَبَّتْ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ: الطمع.  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.  
قال عمرو بن عبيد: في المؤمن ثلاث خلال: يسمع الكلمة التي تؤذيه فيضرب عنها صفحاً كأن لم يسمعها، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه، ويقطع أسباب الطمع من الخلق.  
قال أبو العتاهية:

أطعت مطامعي فاستعبدتني

ولو أنني قنعت لكنت حراً

ولإسحاق الموصلي: اللؤم والذلُّ والضراعة والفاقة في أصل أذن من طمعا قال ابن المبارك رضي الله عنه: ما الذلُّ إلا في الطمع.

وقال غيره: ويح من غرّه الطمع، وتمادى به الولع.  
وقال أبو العتاهية:

أذلّ الحرص والطمع الرقابا

وله أيضاً:

للطامعين وأين من لا يطمع

إن المطامع ما علمت مذلة

وقال محمود الوراق:

مصارعها بين أيدي الطمع

وما زلت أسمع أن النفوس

وقال بعض الحكماء: قلوب الجهال تستعبد بالأطماع، وتسترق بالمنى، وتنال بالخدائع.  
قال محمد بن أبي حازم:

فأوتني إلى كنفٍ وديع

جعلت غنيمة الأطماع يأساً

بلا رحلٍ يشدُّ ولا نسوع

فتلك مطية الإقبال غفلاً

وقال آخر:

والرزق يصحب والأرزاق تتسع

اليأس عمّا بأيدي الناس مكرمة

لا تجز عنّ على ما فات مطلبه=ها قد جزعت فماذا ينفع الجزع

بعض المراد وإن الشقوة الطمع

إن السعادة يأسٌ إن ظفرت به

أتى رجلٌ إلى خالد بن عبد الله القسريّ، فقال: أتكلم بجرأة اليأس، أم بهيية الأمل؟ قال بل بهيية الأمل.  
فسأله حاجةً فقضاها.

وقال الهمداني:

نصيبني من الشيء الذي أنا آمله

فلا الحرص يغنيني ولا اليأس ما نعي

وقال محمود الوراق:

واليأس أحمد مرجو من الطمع

حدّثت باليأس عنك النفس فانصرفت

ألا أعلّ نفسي منك بالخدع

فكن على ثقةٍ أني على ثقةٍ

ومن لساني فصل إن شئت أو فدع

محوت ذكرك من قلبي ومن أذني

وساء منتجعاً لو رمت منتجعي

إنّ الذي ببلاد الصّين أقرب لي

فليس يدنيك مني أن تكون معي

إذا تباعد قلبي عنك منصرفاً

وقال آخر:

ولا تلبث الأطماع من ليس عنده من الدين شيءٌ أن تميل به النفس

كان بشر بن الحارث ينشد هذه الأبيات كثيراً متمثلاً بها:

المرء يزرى بلبه طمعه  
والناس إخوان كل ذي نشبٍ  
وكل من كان مسلماً ورعاً  
كما المريض السقيم يشغله  
والدَّهر فاعلم كثيرةً خدعه  
قد جاع عبدٌ إليهم ضرعه  
يشغله عن عيوبهم ورعه  
عن وجع الناس كلهم وجعه

وقال آخر:

الله أحمد شاكراً  
أصبحت مسروراً معاً  
خلواً من الأخران خفاً  
ونفيت باليأس المنى  
فبلاؤه حسنٌ جميل  
ففى بين أنعمه أجول  
الظهر يغنبنى القليل  
عني فطاب لي المقيل  
والناس كلهم لمن  
خفت مؤونته خليل

## باب ذم السؤال

### وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال

روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عمر بن الخطاب عطاءً، فقال عمر: يا رسول الله أعطه من هو أفقر مني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف إليه، ولا سائل له فخذ، وما لا فلا تتبعه نفسك".

قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً ولا يرد شيئاً أعطيه. قال ثوبان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تسألوا الناس" قال: فما سألت أحداً شيئاً بعدها، فكان سوطه يسقط من يده، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه.

ومن حديث مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطائه فردّه، فقال له: "لم رددته؟" فقال: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا ألا يأخذ من أحد شيئاً؟ فقال رسول



الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم: "إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك". فقال عمر: والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيءٌ من غير مسألة إلا أخذته. قال أبو الدرداء: إنَّ أحدكم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أنَّ الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً، وإنما يرزق بعضهم من بعض، فإذا أعطي أحدكم شيئاً فليقبله، فإن كان غنياً فليضعه في أهل الحاجة من إخوانه، وإن كان إليه فقيراً فليستعن به على حاجته ولا يردَّ على الله رزقه الذي رزقه. قال عبد الله بن عمر: ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله، فإن كان غنياً عاد به على أخيه، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم". وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "للسائل خدوشٌ أو كدوحٌ يكدح بها الرجل وجهه إلا أن يسأل ذا سلطان". وروي عنه عليه السلام، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال "إذا دخل السائل بغير إذنٍ فلا تطعموه".

وقال عليه السلام: "من كان لا بدَّ سائلاً الصالحين، أو ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بدأً". وقد أشبعنا هذا الباب وأوضحنا معانيه في كتاب "التمهيد" والحمد لله.

رفع الواقدي -رحمه الله- إلى المأمون رقعة، فوقع فيها المأمون: إنك رجلٌ فيك خلّتان: سخاءٌ وحياءٌ، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف درهم. فان كنا أصبنا إرادتك فذاك، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك، وأنت حدثني وأنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن أنس، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال للزبير "يا زبير! إن مفاتيح الرزق، بإزاء العرش، يتزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثر كثر له، ومن قلَّ قلَّ له". قال الواقدي: فقلت له: يا أمير المؤمنين! قد نسيت هذا الحديث، فكان تذكارك إياي له أعجب إليّ من الجائزة.

قال أبو العتاهية:

فما تعطيه أكثر من نواله

وحنَّ إلى المكارم باحتياله

ولو كانت تحيط بكلِّ ماله

أبثُّهم المكارم في عياله

إذا ما المرء صرت إلى سؤاله

ومن عرف المحامد جدَّ فيها

ولم يستغلَّ محمداً بمالٍ

عيال الله أكرمهم عليه

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضي الله عنه:

وكسبه الحلّ باحتياله

تعفّف المرء عن سؤاله

لمن يواريه من عياله

وسعيه في الصلاح عيش

من يبلغها منتهى كماله

مروءةً وبالغ بها

صيانة الوجه من جماله

ومن يصن وجهه يزنه

وذلة الوجه في ابتذاله

رضي الفتى بالقضاء عزّه

ولأبي دلف العجلي:

فما شيءٌ أمرٌ من السؤال

بلوت مرارة الأشياء طرّاً

وأصعب من معاداة الرّجال

ولم أر في الخطوب أشدّ هولاً

وقال أعرابي:

وأنت صحيحٌ لم تخنك الأصابع

علام سؤال الناس والرّزق واسع

وفي العيش أوطارٌ وفي الأرض مذهبٌ عريضٌ وباب الرّزق في الأرض واسع

وخلّ سؤال الناس فالله صانع

فكن طالباً للرّزق من رازق الغنى

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألتني الناس فامتعت عليهم، ولكنني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست. فقال للمستملي: أنصتهم لي. فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم، وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك". والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء.

أشخص المنصور سواراً القاضي من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافهه فيه، فمر بواسط، وفيها يحيى بن سعيد الأنصاري يتولى القضاء، فدلّ عليه، فقال له: ألك حاجة إلى أمير المؤمنين؟ قال: نعم يعفيني من القضاء. فقال سوار للمنصور إذ قدم عليه، وكلمه فيما أراد: يا أمير المؤمنين! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم. قال: هيه. قال: يحيى بن سعيد تعفنيه من القضاء. قال: قد أعفيتها. فلما انحدر سوار مرّ بواسط، فقال ليحيى بن سعيد: قد أعفاك أمير المؤمنين. فقال: لا جزاك الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا

يقتاتون هذه الست مائة درهم في كل شهر.  
كأنه أراد أن يعرض ولا يحقق.

كان الحسن البصري رحمه الله يقول: لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمق أو مرء، وقد ذكرنا من رأى قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب "التمهيد" والحمد لله.  
قال مطرف بن الشخير: إذا كانت لأحدكم إليّ حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها، فإني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة.  
وقد روي عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك، وتمثل: ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله=عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

رجح السؤال وخفّ كل نوال

وإذا السؤال مع النوال وزنته

لبعض الكتاب إلى عبد الله بن طاهر:

أنّ الخصاصة لا تداوى بالمنى

ولقد علمت وإن نصبت لي المنى

ولئن أبيت لأحملنّ على القضا

فلئن وفيت لأنهنّ بشكركم

فأنجز له عبد الله بن طاهر عدته.

قال الحسن بن عبيد البغدادي:

بقيت وأنت في الدنيا ذليل

صن الوجه الذي إن لم تصنه

على مرعى له غبّ وبيل

وعش حراً ولا يحملك ضرّ

يديل اليسر من عسرٍ مديل

فليس الرأي إلاّ الصبر حتّى

بلى ولكل طالعة أقول

أليس لكلّ أفلة طلوع

وكان أبان بن عثمان رحمه الله يتمثل:

وما أوّمل غير الله من أحد

مالي تلالاً ولا استطرفت من نشبٍ

عند السؤال لغير الواحد الصمد

إني لأكرم وجهي أن أوجهه

من التعرّض للمنانة النكد

عزّ القناعة والإيمان يمنعي

والله أكرم مأمولٍ لبعده غد

رضيت بالله في يومي وفي غده

قال أبو العتاهية:

وفي بذل الوجوه إلى الرجال  
ويستغني العفيف بغير مال  
فلا قرّبت من ذلك النوال  
يكون الفضل فيه عليّ لالي

سائلاً ما رحموه

قلّأولو أمهلنتا لم يقلل

وقال عبد الصمد بن المعدّل في حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة، قالت له امرأته لو أتيتك فسألتك، فقال:

وهان عليها أن أهان لتكرما  
فقلت سليه ربّ يحيى بن أكثما

مع الحرص لم يغنم ولم يتموّل  
وصائن عرضي عن فلانٍ وعن فل

حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

رزقاً له جرت عن الحكمة  
متلك محتاج إلى الرّحمه  
في يده النعمة والنّقمه

والعجز أن يرجو الإنسان إنسان  
إن كان عندك بالرحمن إيمان  
فكيف إن كان بعد المطل حرمان

أتدري أيّ ذلّ في السؤال  
يعزّز على التّترّه من رعاه  
إذا كان السؤال ببذل وجهي  
معاذ الله من خلقٍ دنيّ

وقال أيضاً:

لو رأى الناس نبياً

ولأبي دلف أو لعبد الله بن طاهر:

أعجلنتا فأتاك عاجل برّنا

تكلفني إذلال نفسي لعزّها  
تقول: سل المعروف يحيى بن أكثم

وقال مسلم بن الوليد:

أقول لمأفون البديهة طائر  
سل الناس إنّي سائل الله وحده

قال حبيب:

وما أبالي وخير القول أصدقه

قال محمود الوراق:

يا أيّها الطالب من مثله  
لا تطلب الرّزق إلى طالب  
وارغب إلى الله الذي لم يزل

وقال يونس:

إنّ الوقوف على الأبواب حرمان  
حتى تأمل مخلوقاً وتقصده  
عطاؤه لك إن أعطاكه ضعةً

في كلِّ يومٍ له في خلقه شان

ثق بالذي هو يعطي ذا ويمنع ذا

قال محمود الوراق:

إنَّ السُّؤالَ فعدَّ عنه قليهثمننَّ لكلِّ عطيَّةٍ أو مال

فيه لعزته تغير حال

والحال تقعد بالكريم فما ترى

وقال أيضاً:

من كلِّ طالب حاجةٍ أو راغب

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا

قد بالغوا في قبح وجه الحاجب

غالوا بأبواب الحديد تمنعاً

بادي الضراعة طالباً من طالب

فاطلب إلى ملك الملوك ولا تكن

وقال النمر بن تولب:

وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

لا تغضبني على امرئ في ماله

وقال عبيد بن الأبرص:

وسائل الله لا يخيب

من يسأل الناس يحرموه

وقال النمر بن تولب

وإلى الذي يهب الرغائب فارغب

ومتى تصبك خصاصةً فارج الغنى

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لمدحك من أعطاك والعرض وافر

وإنَّ أحقَّ النَّاسِ إن كنت مادحاً

وقال سلم الخاسر:

ومن المرؤة غير خال

وفتى خلا من ماله

وكفالك مكروه السُّؤال

أعطاك قبل سؤاله

قال قيس بن عاصم: إياكم والمسألة، فإنها آخر كسب الرجل.

دخل أعرابيُّ على داود بن مزيد المهلبي، فقال: إني لم أصن وجهي عن مسألتك، فصن وجهك عن ردِّي، وضعني من كرمك بحيث وضعتك من أملي فيك، قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك. قال: والله لئن جاوزت قدري فما بلغت قدرك.

قال أبو الفرج البيهقي:

فكن عزيزاً إن شئت أو فهن

ما الذلُّ إلاَّ تحمُّل المنن

وقال آخر:

أمن بيت الكلاب طلبت عظماً

لقد حدثت نفسك بالمحال

وقال آخر:

لعن الله نائلاً ترتجيه

من يدي من تريد أن تقتضيه

أيّ فضلٍ لصاحب الفضل من بع

د تقاضيه وابتذال الوجوه

إنما الفضل والسّماح لمن يع

طيك عفواً وماء وجهك فيه

أيّها الدائب الحريص المعنى

لك رزقٌ وسوف تستوفيه

فسل الله وحده ودع النّاء

س وأسخطهم بما يرضيه

أن ترى معطياً لما منع الل

ه ولا مانعاً لما يعطيه

وقال آخر:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً

فخالل مثل حسان بن سعد

فتى لا يرزأ الإخوان شيئاً

ويرزؤه الخليل بغير كدّ

وقال آخر:

ولست بسائل الأعراب شيئاً

حمدت الله إذ لم يأكلوني

وقال أعرابي:

إنّ المسائل للرجال مذلةٌ

تفنى منافعها ويخلد عارها

وقال آخر:

يبيت يراعي النّجم من سوء حاله

ويمسي ليس يملك درهما

ولا يسأل المثريين ما في رحالهم

ويصبح ضاحكاً متبسّماً

ولا يسألن من كان يسأل مرّةً

ولو مات هزلاً عفّةً وتكرّماً

وإن كثرت أمواله وتدرهما

وقال ربيعة الرّقبي:

ولا تسأل الناس ما يملكون

ولكن سل الله واستكفه

وإن كانت الأرض في كفه  
كريمًا يزودك عن عرفه  
إلى أصله وإلى صنفه  
فإنّ المنية من خلفه

ولا تخضعنّ إلى سفلةٍ  
فإنّ اللّئيم وإنّ خلته  
ويرجع محصول أخلاقه  
وكل مقلّ وذو ثروةٍ

وقال محمود الوراق:

لم يزل يعرف الغنى واليسارا  
وكثير الوضيع يكسب عارا  
فالق بالذلّ إن لقيت الكبارا  
إنّما الذلّ أن تجلّ الصغارا

اسأل العرف إن سألت كريماً  
فقليل الشرف يكسب مجداً  
وإذا لم يكن من الذلّ بدّ  
ليس إجلالك الكبير بذلّ

وقال أيضاً:

وطالب الحاجات من ذي النوال  
فإنّما الموت سؤال الرّجال  
أشدّ من ذلك لذلّ السّؤال

يا أيها المتعب بزل الجمال  
لا تحسبنّ الموت موت البلى  
كلاهما موتٌ ولكنّ ذا

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق:

ولكن رأيت الفقر شرّاً سبيل  
وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل  
فللموت خيرٌ من سؤال سؤل  
فلا تلق إنساناً بوجه ذليل

بخلت وليس البخل منّي سجيّةً  
لموت الفتى خيرٌ من البخل للفتى  
فلا تسألن من كان يسأل مرّةً  
لعمرك ما شيءٌ لوجهك قيمةً

وقال ابن المعتز:

فقام للنّاس مقام الذّليل  
فالبخل خيرٌ من سؤال البخيل

ياربّ جودٍ جرّ فقر امرئٍ  
فاشدد عرى مالك واستبقه

وقال أعرابي لص:

أطوف بحبلٍ ليس فيه بعير  
وبعران ربّي في البلاد كثير

وإنّي لأستحيى من الله أن أرى  
وأن أسأل المرء اللّئيم بعيره

وفي التمهيد أبيات في هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها ها هنا.

## باب انتظار الفرج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انتظار الفرج بالصبر عبادة".  
ويروى لأبي محجن الثقفي:

عسى فرجٌ يأتي به الله إنه  
له كل يومٍ في خليقته أمر  
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى  
له فرجاً ممأً ألح به الدهر  
إذا اشتدَّ عسرٌ فارح يسراً فإنه  
قضى الله أن العسر يتبعه اليسر  
وقال الأضبط بن قريع:  
لكل ضيقٍ من الأمور سعه  
والمسى والصُّبح لا بقاء معه  
وقال آخر:

كن عن همومك معرضاً  
وكل الأمور إلى القضا  
وابشر بخيرٍ عاجلٍ  
تنسى به ما قد مضى  
فلربَّ أمرٍ مسخَطٍ  
لك في عواقبه الرضا  
كان يقال: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو.  
قال الشاعر:

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى  
منك يوماً لما له أنت راج  
إن موسى مضى ليطلب ناراً  
من ضياء رآه واللَّيل داج  
فأتى أهله وقد كَلَّم الل  
ه وناجاه وهو خير مناج  
وكذا الأمر كلما ضاق بالنَّا  
س أتى الله فيه ساعةً بالانفراج  
وقال منصور الفقيه:

"وما عسرٌ لمنتظر الفرج" وقال بشار:

خليلي إن الصبر سوف يفيق  
وإن يساراً في غدٍ لخليق  
وما خاب بين الله والناس عاملٌ  
له في النقي أو في المحامد سوق  
ولا ضاق فضل الله عن متعففٍ  
ولكن أخلاق الرجال تضيق



وقال آخر:

ترجع إلى روحٍ رطيب  
الدَّهر من فرجٍ قريب

روح فؤادك بالرضا  
لا تياسن وإن ألح

وقال آخر:

ولا كلُّ مسعى فيه للمرء منفعه  
عليك سواءً فاغتمم لذة الدَّعه  
ألا ربَّ ضيقٍ في عواقبه سعه

لعمرك ما كلُّ التَّعطُّل ضائرٌ  
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى  
وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى

وقال آخر:

وهو للأمر كاره  
حيث تأتي المكاره

ربِّما خيرٍ لامرئٍ  
ربِّ خيرٍ أتاك من

وقال أحمد بن محمود، وقيل إنها لأحمد بن صالح:

وضاق لما به الصِّدر الرَّحيب  
وأرست في أماكنها الخطوب  
وقد أعى بحيلته الأريب  
يمنّ به اللطيف المستجيب  
فموصولٌ بها الفرج القريب  
له إحسانه ولنا الذُّنوب

إذا اشتملت على النَّاس الخطوب  
وأوطنت المكاره واطمأنت  
ولم تر لانفراج الضيق وجهاً  
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ  
وكلُّ الحادثات إذا تناهت  
ومولانا الإله فخير مولى

وقال الشاعر:

نوائب هذا الدَّهر أم كيف يحذر  
وما لا يرى ممأً يقى الله أكبر

لعمرك ما يدري الفنى كيف يتقى  
يرى الشئء ممأً يتقى فيخافه

وقال منصور الفقيه:

وكادت لهنّ تنوب المهج  
فعند التَّناهي يكون الفرج

إذا الحادثات بلغن المدى  
وحلّ البلاء وقلّ الوفا

وقال آخر:

بالضيق في لجاج تهوى إلى لجاج  
بالله إلا أتاه الله بالفرج  
يأتي به الله في الروحات والدلاج  
فاطلب لنفسك باباً غير مرتجع

فسل الرحمن رزقاً في دعه  
فسيغني الله كلاً من سعه

والمال ما بين موقوفٍ ومختلج  
في كل وجه مضيقٍ وجه منفرج  
وقد يخيب أبو الروحات والدلاج  
وأضيق الأمر أدناه من الفرج

بأحداث تضيق بها الصدور  
يدور به القضاء المستدير

نعم وتهون الأمور الصعاب  
تضيق المذاهب فيها الرحاب  
فلا لهم يجدي ولا الإكتئاب  
فلم ير من ذلك قدرٌ يهاب  
فعوفيت وانجاب عنك السحاب  
ولا أرق العين منه الطلاب  
أتيح له بعد يأسٍ إياب  
علاه من الموج طام عباب

واصبر على الدهر إن أصبحت منغمرًا  
فما تجرّع كأس الصبر معتصمًا  
لا تياسن إذا ما ضقت من فرج  
وإن تضايق بابٌ عنك مرتجع

قال أبو العتاهية في نفي حاجب موسى الهادي:

ما ترى عند نفي منفعه  
إن يكن أمسك عنا نبيله

وقال أبو العتاهية:

الناس في الدين والدنيا ذوو درج  
من صاق عنك فأرض الله واسعة  
قد يدرك الرأقد الهادي برقدته  
خير المذاهب في الحاجات أنجحها

وقال آخر:

سأصبر للزمان وإن رمانني  
وأعلم أن بعد العسر يسراً

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه، وقيل إنها لسهل الوراق، والله أعلم:

سيفتح بابٌ إذا سدّ باب  
ويتسع الحال من بعد ما  
مع الهم يسران هون عليك  
فكم ضقت ذرعاً بما هبته  
وكم بردٍ خفته من سحب  
ورزقٌ أتاك ولم تأتته  
وناء عن الأهل ذي غربة  
وناج من البحر من بعد ما

إذا احتجب النَّاسُ عن سائلٍ

فما دون سائلٍ ربِّي حجاب

يعود بفضلٍ على من رجاه

وراجيه في كلِّ حينٍ يجاب

فلا تأسَّ يوماً على فائتٍ

وعندك منه رضاً واحتساب

فلا بدَّ من كونٍ ما خطَّ في

كتابك تحبِّي به أو تصاب

فمن حائلٌ دون ما في الكتاب

ومن مرسلٌ ما أباه الكتاب

في أبياتٍ قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب.

وقال محمد بن يسير:

إنَّ الأمور إذا انسَدَّتْ مسالكها

فالصَّبْرُ يفتق منها كلَّ ما ارتتجا

لا تيأسَنَّ وإن طالَّتْ مطالِبَةٌ

إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا

أخلق بذِي الصَّبْرِ أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال محمد بن حازم الباهلي:

هوِّنْ عليك فكلَّ الأمر ينقطع

وخلَّ عنك عنان الهمّ يندفع

فكلُّ همٍّ له من بعده فرجٌ

وكلُّ أمرٍ إذا ما ضاق يتَّسع

إنَّ البلاء وإن طال الزَّمان به

فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

وقال آخر:

رأيت الأمر يبعد بعد قربٍ

ويدنو الأمر بالقدر المسوق

فلا تفرح بأمرٍ إن تدانى

ولا تيأس من الأمر السَّحيق

وقال ابن المبارك:

ما أقرب الأشياء حين يسوقها

قدرٌ وأبعدها إذا لم تقدر

وقال آخر:

إن يكن يومي تولَّى سعده

وتداعى لي بنحسٍ ونكد

فلعلَّ الله يقضي فرجاً

في غدٍ من عنده أو بعد غد

وقال آخر:

أحسن الظنَّ بمن قد عودك

حسناً أمسٍ وسوَّى أودك

كان بالأمس سيكفيك غدك

إن رباً كان يكفيك الذي

قال العبسي: خرجت حاجاً فضاقت صدري، فجعلت أقول:

على الذلِّ له أصلح

أرى الموت لمن أمسى

فإذا هاتف من ورائي يقول:

يرى الهمَّ به برح

يا أيُّها المرء الذي

ففكر في ألم نشرح

إذا ضاقت بك الصدر

وقال آخر:

وقول الله أصدق كلِّ قيل

رأيت العسر يتبعه يسار

فقد أيسرت في دهرٍ طويل

فلا تجزع وقد أعسرت يوماً

فإن الله يأتي بالجميل

ولا تظنن بربك ظنَّ سوءٍ

ذكر الطحاوي قال: حدثنا أحمد بن أبي عمران، قال: حدثنا أبو النصر أحمد بن حاتم، قال: حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال: استعمل الحجاج أبي علي بعض أعماله فنقم عليه فتوارى أبي عنه في بادية قومه وأنا معه، فبينما أنا في سحر من الأسحار إذ مرَّ راكب وهو يقول:

إن في الصبر حيلة المحتال

صبر النفس عند كلِّ ملمٍ

يكشف غمًّاؤها بغير احتيال

لا تضق في الأمور ذرعاً فقد

ر له فرجةٌ كحلّ العقال

ربما تجزع النفوس من الأم

قال: فقلت: ما ذاك؟ قال: مات الحجاج. فوالله ما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقوله مات الحجاج أم بقوله: فرجة.

قال العطوي:

يبلى ويصبر والأشياء تنتهج

مستشعر الصبر مقرونٌ به الفرج

جاءتك تضحك عن ظلماتها السرج

حتى إذا بلغت مقدر غايتها

منه المطامع فالمغرى به يلج

فاصبر ودم واقرع الباب الذي طلعت

ففي إرادته الغمَّاء تنفرج

يقدر الله فارح الله وارض به

وقال هلال بن العلاء الرقي:

نيا تكن سبلاً فجاجا

هون عليك مصائر الدُّ

لا تضجرنَّ بضيقه

يوماً فإنَّ لها انفراجاً

وقال آخر:

كلوا اليوم من رزق الإله وأبشروا

فإنَّ على الرحمن رزقكم غداً

وقال منصور الفقيه:

يامن يخاف أن يكو

ن ما يخاف سرمداً

أما سمعت قولهم

إنَّ مع اليوم غداً

وقال أبو العتاهية:

هي الأيام والغير

وأمر الله منتظر

أتياأس أن ترى فرجاً

فأين الله والقدر

### باب الجد والحد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد".

قال أكتهم بن صيفي: جدك لا كدك.

قال أشجع السلمي:

فليجهد المتقلب المحتال

سبق القضاء بكل ما هو كائن

قالوا: أسعد الناس: من كان القضاء له مساعداً، وكان لذلك أهلاً، وأشقى الناس: من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا، ولم يثق بأحد لسوء ظنه، ولا وثق به أحد لسوء فعله.

قال أبو الأسود الدؤلي:

حتى يزيّن بالذي لم يعمل

المرء يحمد سعيه من جدّه

يرمي ويقذف بالذي لم يفعل

وترى الشقيّ إذا تكامل حدّه

أنشد ابن الأعرابي:

فانهض بجدّ في الحوادث أو ذر

الجدُّ انهض بالفتى من عقله

ويجدُّ ثم يحدُّ غير مقصر

فلقد يجد المرء وهو مقصر

وقال يزيد بن محمد المهلب:

وإذا حددت فكلُّ شيءٍ ضائر  
والسيف في يده فنعم الناصر

وإذا حددت فكلُّ شيءٍ نافعٌ  
وإذا أتاك مهلبٌ في الوغى

قال أبو يعقوب الخزيمي، وإسمه إسحاق بن حسان:

إن الجدود قرينات الحماقات

لا تنتظرن إلى عقلٍ ولا أدب

وقال خراش بن زهير:

إذا أوهن الناس الجدود العوائث

وكانت قريشٌ يفلق الصخر جدُّها

وقال الحارث بن حلزة:

ك النوك ما لاقيت جدًّا  
ل الرزق ممَّن عاش كدًّا

عش بخيرٍ لا يضر  
والنوك خيرٌ في ظلا

وقال آخر:

مقاديرٌ يساعدها الصواب  
ذهابٌ لا يقال له ذهاب

فعش في ظلِّ أنوك حالفته  
ذهاب المال في حمدٍ وأجر

قيل لزيد: ما الحظُّ؟ قال: من طال عمره، ورأى في عدوه ما يسره فهو ذو حظ.

وكان يقال لا حظًّا إلا ما أشخص عنك ما تكره، وجلب إليك ما تحب.

قال محمد بن أبي حازم الباهلي:

نال الغنى من غير كدِّه  
فكلُّهم يسعى بجدِّه

لا تعجبن لأحمقٍ  
ولعاقلٍ ما يستقلُّ

وقال امرؤ القيس:

وبالأسقين ما كان العقاب

وقاهم جدُّهم ببني أبيهم

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

بأغنى في المعيشة من فتيل  
وهيئات الحظوظ من العقول

وما لبَّ اللبيب بغير حظِّ  
رأيت الحظَّ يستتر عيب قوم

ولحسان أو لابنه عبد الرحمن:

من الناس إلا ما جنى لسعيد

وإنَّ امرءاً يمسي ويصبح سالمًا

وقال أعرابي:

تزوّد من أعمالها لسعيد

وإنّ الذي ينجو من النّار بعدما

ولبعض أهل عصرنا:

يساعده السّعد همّاً عليه

أرى همم المرء ما لم يكن

إذا الله لم يقض رزقاً إليه

وقد يعجز المرء ذو الإحتيال

وقال صالح بن عبد القدوس:

لكن جدودٌ بأرزاقٍ وأقسام

وليس رزق الفتى من حسن حيلته

يرمي فيرزقه من ليس بالرّامي

كالصيّد يحرمه الرّامي المجيد وقد

ولرجل من بني قريع أو للمعلوط، وقيل: إنّها لحاتم الطائي:

فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وبليد

متى ماير الناس الغنيّ وجاره

ولكن أحاط قسّمت وجدود

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى

وصعلوك قوم باد وهو حميد

وكائن رأينا من غنيّ مذمّم

ومحروم جمع المال وهو جليد

ومعطى ثراء المال من غير قوّة

وقال حبيب الطائي:

ولوّد وأمّ العلم جدّاء حائل

أبا جعفر إنّ الجهالة أمّها

وله أيضاً:

ولكنكم حورفتم في المكارم

فإنّي ما حورفت في طلب الغنى

احتاج أبو الأسود الدؤلي إلى جار له يستقرض منه، وكان حسن الظنّ به، فاعتلّ عليه ودفعه، فقال أبو الأسود:

فكلّ قريب لا ينال بعيد

فلا تطمعن في مال جارٍ لقربه

تروح بأرزاقٍ عليك جدود

وفوض إلى الله الأمور فإنّما

يعيش بجدّ عاجزٌ وبليد

ولا تشعرنّ النفس بأساً فإنّما

وفي نحو هذا لبعض أهل عصرنا:

فنيل الغنى بين التّجشّم والكذّ

تجشّم جسيم الهول في طلب المجد

ذر الكذّ فيما رمته المنع بالجدّ

ودع قول ذي جهل يرى العجز راحةً

وقال آخر:

تطلبت حتى لم أجد متطلباً وبالجد يسعى المرء لا بالتطلب

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس: جنت لك ثمرة العلم أن صرت به أهلاً للقتل. فكتب إليه بزرجمهر: أما ما كان معي الجد فقد كنت أنتفع بثمرة العلم، والآن إذ ولّى عني الجد، فقد أنتفع بثمرة الصبر.

قال سابق البربري:

والناس في طلب المعاش وإنما بالجد يرزق منهم من يرزق

ولو أنهم رزقوا على أقدارهم ألفيت أكثر ما ترى يتصدق

ما الناس إلا عاملان فعامل قد مات من عطشٍ وآخر يغرق

وقال البحترى:

ألا ليت المقادر لم تقدّر ولم تكن الأحاطي والجدود

فتعلم أينما يغدو ويمسي له هذي المواكب والعبيد

وقال حبيب الطائي:

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدي الفتى في دهره وهو عالم

وقال ابن دريد:

لا ينفع العلم بلا جد ولا يحبطك الجهل إذا الجد علا

وقال الحسين بن أحمد:

بالجد أجدى على امرئ طلبه ومن يطل حرصه يطل تعبته

وقال آخر:

عش بجدّ وكن هبنقة القي ي نوکاً أو شيبية بن الوليد

عش بجدّ ولا يضرك نوک إنما عيش من ترى بالجدود

هبنقة القيسي اسمه يزيد بن ثروان، وكنيته أبو نافع، أحد بني قيس بن ثعلبة، وهو الذي شرد له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين، فقليل له: لم هذا؟ قال: فأين فرحة الوجدان؟ وأنشدني محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه:

لا تشرهنّ إلى دنيا تملكها قومٌ كثيرٌ بلا عقلٍ ولا أدب



من الإرادة في مرٍّ ومنقلب  
لا بالعقول ولا بالعلم والحسب  
على التمكن عند البغي والطلب  
رأيت من ذا وهذا أعجب العجب

ولا تقل إنني أبصرت ما جهلوا  
فبالجدود هم نالوا الذي ملكوا  
وأيسر الجدُّ نحوي كلِّ ممتنعٍ  
وإن تأملت أحوال الذين مضوا

وقال إبراهيم بن المهدي:

ويحرم الرزق من لم يؤت من تعب  
الرزق أروغ شيءٍ عن ذوي الأدب  
الرزق والنوك مقرونان في سبب  
الرزق أولى به من لازم الجرب

قد يرزق المرء لم تتعب رواحله  
مع أنني واجدٌ في الناس واحدةً  
وخلةٌ قلَّ فيها من يخالفني  
يا ثابت العقل كم عانيت ذا حمقٍ

وقال آخر:

إلا تزيدت حرفاً فيه لي شوم  
أنى توجه فيها فهو محروم

ما ازددت في أدبي حرفاً أسر به  
إن المقدم في حذف بصنعته

وقال آخر:

عليّ وأني بالمكارم مغرم  
ولكنني أسعى إليها فأحرم

كفى حزناً أن الغنى متعذّرٌ  
فوالله ما قصرت في نيل غايته

وقال آخر:

مال بل قسمةً لهم وجدود  
زق ومنهم محارفٌ مجدود

ليس عن حيلة الرّجال أصابوا ال  
منهم العاجز المرجى له الرّ

قال بشار بن برد:

صادف حظاً من سعي بجدّ

ما ضر أهل النوك ضعف الكدّ

وقال البحتري:

مفيدي ولا مزرٍ على تأخري  
بسعي لأدركت الذي لم يقدر

وأيسني علمي بالأ تقدّمي  
ولو فاتني المقدور ممّا أرومه

وقال الصابي:

إذا جمعت بين امرأين صناعةً  
وأحببت أن تدري الذي هو أحذق  
فلا تتأمل منهما غير ما به  
جرت لهما الأرزاق حين تفرّق  
فحيث يكون النوك فالرزق واسعٌ  
وحيث يكون الحذق فالرزق ضيقٌ

### باب المال حمداً وذماً

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قلب الشيخ شابٌ في حب اثنتين: طول الحياة وكثرة المال".

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نعم المال الصالح للرجل الصالح".  
وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن الدينار والدرهم أهلكما من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم".  
وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال".  
وقال أيضاً: "إن أحساب أهل الدنيا التي إليها ينتمون: المال".  
وقال عليه السلام: "ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المال، والسرف لدين المؤمن".

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة: يا بني عليكم بالمال واصطناعه، فإنه منبهةٌ للكريم، ويستغنى به عن اللئيم.

قال الحسن البصري: لكل أمة وثن يعبدونه، وصنم هذه الأمة الدينار والدرهم.  
وقال الحسن: إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل ماله، فانظر فيم أنفقته، فإن الخبيث ينفق في السرف.

قال أبو ذرٍّ أموال الناس تشبه الناس، وعن أبي ذرٍّ أيضاً: إنما مالك لك، أو للوارث أو للجائحة، فلا تكن أعجز الثلاثة.

قال أكثم بن صيفي: من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره.  
قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفَّ به وجهه، ويؤدِّي به أمانته، ويصل به رحمه.  
قالوا للمسيح: يا روح الله أخبرنا عن المال، فقال المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال: إما أن يكسبه من غير حله، وإما أن يمنعه حقه، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه.  
قال الخطيئة: ولست أرى السعادة جمع مالٍ=ولكنَّ التَّقِيَّ هو السَّعيد وأنشد ابن الأعرابي:

المال يغشى رجالاً لا طباخ لهم  
كالسَّيل يغشى أصول الدُّندن البالي

وهذا البيت في شعر لعمار الكلي أوله:

كأنها حلٌّ أو خطُّ تمثال  
وربّما ساد جيس القوم بالمال

قف بالعوير على أبلاء أطلال  
الفقر يزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ

وفيه يقول:

لا بارك الله بعد العرض في المال  
ولست للعرض إن أودى بمحتال

أصون عرضي بمالي لا أدنسه  
أحتال للمال إن أودى فأجمعه

الجيس: اللئيم. وقوله: لا طباخ لهم: أي لا قوة ولا طاقة، قاله الخليل.

وقال فضالة بن زيد العدواني: وما العيش إلا المال فاحمد فضوله=ولا تملكنه في الضلال فتندم

توجّهت من أرضٍ فصيحٍ وأعجم  
بنفعٍ ومن يستغنٍ يحمد ويكرم  
بما في يديه من متاعٍ ودرهم

إذا جلّ خطبٌ صلت بالمال حيثما  
وهابك أقوامٌ وإن لم تصبهم  
ويعطي الذي يبغى وإن كان باخلاً

وقال لبيد:

وما المال إلا مضمرات ودائع

وما البرُّ إلا مضمراتٌ من التقى

وقال حاتم الطائي:

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصّدْر  
ويبقى من المال الأحاديث والذّكر

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى  
أماويّ إنَّ المال غادٍ ورائح

وقال الشماخ:

مفاقره أعفٌ من القنوع

لمال المرء يصلحه فيغني

وقال المتلمس:

وضربك في البلاد بغير زاد  
ولا يبقى الكثير مع الفساد

لحفظ المال أيسر من بغاه  
قليل المال تصلحه فيبقى

وقال آخر:

واسرع المشي إليه  
سلمّ الناس عليه  
فقد البرُّ لديه

واطلب المال بحرصٍ  
كلُّ من كان غنياً  
وإذا كان فقيراً

وثياب المرء أعوانٌ

له بين يديه

وقال آخر:

إذا قلَّ مال المرء قلَّ صفاؤه

وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لا يدري وإن كان حازماً

أقدَّامه خيرٌ له أم وراؤه

إذا قلَّ مال المرء لم يرض عقله

بنوه ولم يغضب له أولياؤه

فإن مات لم يفقد ولم يحزنوا له

وإن عاش لم يسرر صديقاً بقاؤه

وقال أبو اليقظان: ما ساد في الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة.

وقال محمد بن مناذر:

رضينا قسمة الجبار فينا

لنا حسبٌ وللتقفي مال

وقال المعلوط:

وماسودَّ المال الدنيء ولا دنا

لذاك ولكنَّ الكريم يسود

وقال عروة بن الورد:

ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقترأ

من المال يطرح نفسه كلَّ مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب غنيمةً

ومبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح

هذان البيتان أنشدتهما ابن قتيبة لأوس بن حجر، وخالفه حبيب وغيره فأنشدهما لعروة.

وقال عروة بن الورد:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر

وصار على الأذنين كلاً وأوشكت

صلوات ذوي القربى له أن تنكراً

وقال منصور الفقيه:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه

وهي نعله أو باع في السوق خفّه

ولم يك مأموناً على مال جاره

إذا ما رآه خالياً أن يلفّه

وقال الفرزدق:

والمال بعد ذهاب المال يكتسب

قال إبراهيم النخعي: إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال.

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي الفقيه:

أحبُّ إليَّ من الرِّائثِ  
وأوثر نفسي على الوارثِ

ويقصر دون مبلغهنَّ مالي  
ومالي لا يبلِّغني فعالي

ومطعمه فالخير منه بعيد  
لأهرب ممَّا ليس منه محيد  
وقيل إذا أخطأت أنت رشيد  
يسرُّ صديقٌ أو يساء حسود

فإذا أنفقتَه فالمال لك

فلا أجر في الدُّنيا ولا الحمد دائم  
على حسن ما أخرت منه لنادم

ذهابٌ لا يقال له ذهاب

أشدُّ من المال الذي أنت طالبه

قال جعفر من محمد رحمهما الله: من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه بلا مال، وآنسه بلا أنيس، وأعزه بلا عشيرة.

قال محمود الوراق:

د غنىٌ يدوم بغير مال  
ده العشائر بالقتال

أعاذل عاجل ما أشتهي

سأحبس مالي على حاجتي

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

أرى نفسي تتوق إلى أمورٍ

فنفسى لا تطاوعني لبخلٍ

وقال أعرابي:

إذا ما الفتى لم يبلغ إلا لباسه

يذكرني صرف الزَّمان ولم أكن

فلو كنت ذا مال لقرَّب مجلسي

فذرني أجول في البلاد لعلَّه

وقال آخر:

أنت للمال إذا أمسكته

وقال قيس بن عاصم:

سأودع مالي الحمد والأجر كلَّه

فرحت بما قدَّمت منه وإنني

كان يقال: شر مالك ما لزمك إثم مكسبه، وحرمت لذة إنفاقه.

قال الشاعر:

ذهاب المال في حمدٍ وأجرٍ

وقال آخر:

وحفظك مالا قد عنيت بجمعه

هاك الدليل لمن أرا

وأراد عزًّا لم توطَّ

لطانٍ وجاهاً في الرجال  
في عزِّ طاعة ذي الجلال  
معاصي له في كلِّ حال

ومهابةً من غير سل  
فليعتصم دخوله  
وخروجه من ذلَّة ال

وقال النمر بن تولب:

إنَّ الجلوس مع النساء قبيح  
والفقر فيه مذلَّة وفضوح

خاطر بنفسك كي تصيب رغبةً  
فالمال فيه تجلَّة ومهابةً

وقال آخر:

تحمقه الأقوام وهو لبيب

ويزري بعقل المرء قلة ماله

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

ل وجهل غطى عليه النعيم

ربَّ حلم أضاعه عدم الما

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

قد يكثر المال والإنسان مفترق

العيش لا عيش إلا ما فنعت به

وقال أمية بن أبي الصلت:

وأحسن تدبيراً له حين يجمع

إذا اكتسب المال الفتى من وجوهه

معيشته فيما يضر وينفع

وميز في إنفاقه ما بين مصلح

به الذخر زاداً للتي هي أنفع

وأرضى به أهل الحقوق ولم يضع

لأولاد سوء حيث جاءوا وأرضعوا

فذاك الفتى لا جامع المال ذاخراً

وقال كثير:

صنيفة نعى أو خليل توامقه

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه

فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

بخلت وبعض البخل حزم وقوة

وقال محمود الوراق:

ولم أر مثل المال أرفع للنذل

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى

ولم أر عزاً لامرئٍ كعشيرة

ولم أر عزاً لامرئٍ كعشيرة

إذا عاش بين الناس من عدم العقل

ولم أر من عدم أضّر على الفتى

وقال آخر:

وقد يسود غير السيد المال

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب

وقال محمود الوراق:

إذا استعرضت بالعقل ضلّ لها العقل

أرى دهرنا فيه عجائب جمّة

وإن كان لا أصل هناك ولا فصل

أرى كلّ ذي مال يسود بماله

وأنوك مخبولاً له الجاه والنبل

وأخر منسوباً إلى الرأى خاملاً

ولكنّ ذا المال الكثير له الفضل

وما الفضل في هذا الزمان لأهله

فقولهم قولٌ وفعلهم فعل

فشرّف ذوي الأموال حيث لقيتهم

ومما ينسب إلى محمود، وأظنها لغيره وهو أبو عبد الرحمن العطوي:

في الأمر بالبذل واذكر ذلّة العدم

دع الرياء لمن لجّ الرياء به

رأى الممات عليه أكرم الكرم

ومت على الدرهم المنقوش موت فتى

الذكر يبقى وتنفى لذّة النعم

وعدّ عن ذا وعن هذا وقولهم

فإن أبيت فجرّب واشق بالنّدم

لولا غناك لكنت الكلب عندهم

وقال أبو العتاهية:

والناس حيث يكون المال والجاه

### باب جامع القول في الغنى والفقر

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، واعمل بما افترض الله عليك

تكن أعبد الناس، واجتنب ما حرّم الله عليك تكن أروع الناس".

وقال عليه السلام: "ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس".

وفي الحديث المرفوع: "الفقر أزين للمؤمن من الغدار، وعلى حدّ الفرس".

وقد أتينا معنى الفقر والغنى، والمقدار المحمود في ذلك عند العلماء بدلائل السنن، وأقاويل السلف، بما فيه

كفايةً وتبصرةً وشفاءً لما في الصدور في موضعه من كتاب "بيان العلم" والحمد لله.

قال أوس بن حارثة: خير الغنى القناعة، وشرّ الفقر الضّراعة.

قال فضيل بن عياض: إنما الفقر والغنى بعد العرض على الله.  
أنشدنا الرياشي:

ما شقوة المرء بالإقتار تقتره      ولا سعادته يوماً بأكثار  
إنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ      والفوز فوز الذي ينجو من النَّارِ  
قال جعفر بن محمد: العز والغنى يجولان في الأرض، فإذا أصابا موضعاً يدخله التَّوَكُّلُ أوطناه.  
كان يقال: الشكر زينة الغنى، والعفاف زينة الفقر.  
وقالوا: حقُّ الله واجب في الغنى والفقر، ففي الغنى العطف والشكر، وفي الفقر العفاف والصبر.  
كان يقال: سوء حمل الغنى يورث مقتاً، وسوء حمل الفاقة يضع شرفاً.  
كان يقال: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.  
أنشدنا الرياشي:

وبينا الفتى في الفقر إذ صار في الغنى      وبيننا الفتى في البؤس إذ صار في الخفض  
كذاك صروف الدهر تلعب بالفتى      فنبرم أحياناً وتسرع في النقص  
وقال آخر:

قد أنطقت الدرهم بعد عيٍّ      أناساً طالما كانوا سكوتاً  
فما عادوا على جارٍ بخيرٍ      ولا رفعوا لمكرمة بيوتاً  
كذاك المال ينطق كلَّ عيٍّ      ويترك كلَّ ذي حسبٍ صموتاً  
وقال آخر:

نطقت مذ استفتت المال حتى      كأنك عالمٌ ذلق اللسان  
وشجعت الذي قد كان قدماً      يسميكَ الجبان ابن الجبان  
وقال محمود الوراق:

الفقر في النفس وفيها الغنى      وفي غنى النفس الغنى الأكبر  
وقال حماد الراوية: أفضل بيت من الشعر قيل في الأمثال:  
يقولون يستغني ووالله ما الغنى      من المال إلا ما يعفُ وما يكفي  
ولمحمود الوراق أيضاً:

صاحب اليسر يرقب العسر والمع      سر في دهره يراقب يسرا



ليس خلقٌ له على الله حقٌ  
لا يحابي الغنيَّ فيما أتاه  
إنما حقه على الناس طراً  
لا ولا يظلم الذي مات فقراً

يمنع الله عبده نظراً من  
ليس من بخله ينقص ذا الفق  
ه ويسنى له العطيّة مكرراً  
ر ولم يعط ذا الغنى المال قسراً

قال عبد الله بن الأهم: من ولد في الفقر أبطره الغنى.

كان يقال: حصلتان مذمومتان: الاستطالة مع السخاء والبطر مع الغناء.

كان يقال: لا تدع على ولدك بالموت، فإنه يورث الفقر.

قال أعرابيٌّ من باهلة:

سأعمل نصّ العيس حتى يكفني  
فللموت خيرٌ من الحياة يرى لها  
غنى المال يوماً أو غنى الحدثنان  
على الحرِّ بالإقلال وسم هوان  
كأنّ الغنى في أهله بورك الغنى  
بغير لسانٍ ناطقٍ بلسان

وقال يحيى بن حكم الغزال، وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره:

إذا كنت ذا ثروة من غنى  
وحسبك من نسب صورة  
فأنت المسودّ في العالم  
تخبّر أنك من آدم

وللغزال أيضاً:

إنّي حلبت الدّهر أصناف الدّرر  
وعلقماً حيناً وأحياناً صبر  
فمرةً حلوّ وأحياناً مقر  
وجلُّ ما يسقيكه الدّهر كدر  
فلم أجد شيئاً من الفقر أمرّ  
ألا ترى أكثر من فيها يفرّ

مخافة الفقر إلى نارٍ سقر وقال آخر:

لعمرك إنَّ القبر خيرٌ من الفقر  
لمن كان ذا يسرٍ وعاد إلى عسر

ولعروة بن الورد:

دعيني للغنى أسمى فإنّي  
وأحقرهم وأهونهم عليهم  
رأيت الناس شرُّهم الفقير  
وإن أمسى له كرمٌ وخير  
بياعده الخليل وتزديره  
حليلته وينهره الصّغير

وتلقي ذا الغنى وله جلالٌ

يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليلٌ عيبه والعيب جمٌ

ولكن للغنى ربٌ غفور

وقال آخر:

رأيت الناسَ لما قلَّ مالي

وأكثرت الغرامة ودَّعوني

فلما أن غنيت وثاب و فرى إذا هم لا أب لك راجعي

وقالوا: بقدر ما يعطى الغنى من الإيسار، يعطى من الإجلال، وبقدر ما يتزل بالفقير من فقر يذهب بماؤه وتتضع منزلته، حتى يتهمه من كان يأمنه، ويسيء به الظن من كان يثق به. ومحاسن الغني مساوية الفقير، إذا كان جواداً قالوا: مبذر، وإن كان لسناً قالوا: مهذار، وإن كان شجاعاً، قالوا: أهوج، وإن كان حليماً صموتاً، قالوا: عيٌّ بليد، وكل شيء هو للغنى مدح هو للفقير ذم.

قال الشاعر:

لعمرك إنَّ المال قد يجعل الفتى

سنيئاً وإنَّ الفقر بلمرء قد يزري

فما رفع النَّفس الدَّنيئة كالغنى

ولا وضع النَّفس الكريمة كالفقر

وقال حبيب:

لا تتكري عطل الكريم من الغنى

فالسَّيْل حربٌ للمكان العالي

وللمغيرة بن حبناء:

وما الفقر يزري بالرجال ولا الغنى

ولكن قلوب القوم للقوم تقدح

وقال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدَّرب دونه

وأيقن أنا لاحقان بقيصرنا

فقلت له: لا تبك عينك إنَّما

نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وقال أبو العتاهية:

أجلك قومٌ حين صرت إلى الغنى

فكلُّ غنيٍّ في العيون جليل

إذا مالت الدُّنيا إلى المرء رعبت

إليه ومال النَّاس حيث يميل

وليس الغنى إلا غنى زين الفتى

عشيَّة يقرى أو غداة ينيل

وقال الصَّلتان العبدي:

إذا قلت يوماً لمن قد ترى

أروني السَّرى أورك الغنى

وقال ابن سعدان:

فإنَّك لا تدري أن تصبح أم تمسي  
يكون الغنى والفقر من قبل النَّفس

تقنَّع بما يكفيناك والتمس الرِّضا  
فليس الغنى عن كثرة المال إنما

وقال بكر بن أذينة:

ومن غنيٍّ فقير النَّفس مسكين

كم من فقيرٍ غني النَّفس نعرفه

وقال محمود الوراق:

وجرَّبت حالي على العسر واليسر  
ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

لبست صروف الدَّهر كهلاً وناشئاً  
فلم أر بعد الدِّين خيراً من الغنى

ولحمود الوراق:

عيب الغنى أكثر لو تعتبر  
على الغنى إن صحَّ منك النَّظر  
ولست تعصي الله كي تفتقر

يا عائب الفقر ألا تزجر  
من شرف الفقر ومن فضله  
أنَّك تعصي كي تنال الغنى

وفي رواية أخرى:

ولست تعصي الله كي تفتقر

أنَّك تعصي الله ترجو الغنى

وقال آخر:

فإنَّ الغنى للمنفقين قريب

ولا تعدني الفقر يا أمَّ مالك

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "يقول الله يا ابن آدم أنفق أنفق عليك". وقال بعض الحكماء في ذم الغنى: طالب الغنى طويل العناء، دائم النَّصب، كثير التعب، قليل منه حظُّه، خسيس منه نصيبه، شديد من الأيام حذره، ثم هو بين سلطان يرعاه، ويفغر عليه فاه، وبين حقوق تجب عليه، يضعف عن منعها، وبين أكفاء وأعداء ينالونه ويحسدونه ويغيغون عليه، وأولاد يُملونه ويودون موته، ونوائب تعتريه وتحزنه.

وقال بشر بن المعتمر المتكلم:

أعيا الطَّبيب وحيلة المحتال

وإذا الجهول رأيتَه مستغنياً

وقال الخليل بن أحمد:

وأقبح البخل بذى المال

مأسمج النَّسك بسأل

هان على ابن العمّ والخال  
أزرى به من رقة الحال

من كان محتاجاً إلى أهله  
ماوقع الإنسان في ورطة

قيل لبعض الحكماء: ما بالنا نجد من يطلب المال من العلماء أكثر ممن يطلب العلم من ذوي الأموال؟ قال:  
لمعرفة العلماء بمنافع المال، وجهل ذوي الأموال بمنافع العلم.  
قال الشاعر:

وإنّ الغنى فيه العلا والتجمل

ألم تر أنّ الفقر يزرى بأهله

قال أحيحة بن الجلاح:

إنّ الغنى من استغنى عن الناس

استغن عن كلّ ذي قربي وذي رحم

لباس ذي إربة للدّهر لبّاس

والبس عدوك في رفق وفي دعة

## باب الدين

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله مقبلاً غير مدبر،  
أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: "نعم. إلاّ الدين، بذلك أخبرني جبريل".  
وعنه عليه السلام أنه قال: "صاحب الدين محبوسٌ عن الجنة بدينه".  
وقال عليه السلام- "بعد أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين"-: "من ترك مالا فلورثته، ومن ترك  
ديناً فعلي".

كان يقال: لا همّ إلاّهمّ الدّين، ولا وجع إلاّوجع العين. وقد روى هذا القول عن النبي صلى الله عليه  
وسلم من وجه ضعيف.

قال عمر بن الخطاب: إياكم والدّين، فإنّ أوله همٌّ وآخره حرب.

قال جعفر بن محمد: المستدين تاجر الله في الأرض.

قال عمر بن عبد العزيز: الدّين وقرُّ طالما حملة الكرام.

قال عمرو بن العاص: من كثر صديقه كثر دينه.

قيل لمحمد بن المنكدر: أتحمُّ وعليك الدين؟ قال: الحج أقضى للدين. يريد الدعاء فيه والله أعلم.

كان يقال: الدّين رقّ، فلينظر أحدكم أين يضع رقه.

كان يقال: الأذلة أربعة: النّمّام، والكذّاب، والفقير، والمديان.

كان يقال: حرّية المسلم كرامته، وذله دينه، وعذابه سوء خلقه.

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعينة، فإذا حلت دراهمه ركب حمراً  
يقال له شارب الريح، فيقف على غرمائه فيقول:

بنو عمنا أدوا الدّراهم إنّما      يفرّق بين النّاس حبّ الدّراهم

وقال آخر:

فما شأن ديني إذ يحلّ عليكم      أرى النّاس يقضون الدّيون ولا يقضى  
لقد كان ذاك الدّين نقداً وبعضه      لمرضٍ فما أدّيت نقداً ولا عرضاً  
ولكنّما هذا اللّذي كان منكم      أمانيّ ما لاقت سماءً ولا أرضاً  
فلو كنت تتوين القضاء لدينا      لأنسأت لي بعضاً وعجّلت لي بعضاً

قال أبو عثمان المازني: سمعت معاذ بن معاذ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون عامر:

طمعت بليلي أن تريع وإنّما      تقطّع أعناق الرّجال المطامع  
وداينت ليلي في خلاءٍ ولم يكن      شهودٌ على ليلي عدولٌ مقانع

وقال آخر أنشده ابن الزبير:

ألا ليت النّهار يعود ليلاً      فإنّ الصّبح يأتي بالهموم

حوائج ما نطيق لها قضاءً      ولادفعاً وروعات الغريم

كان يقال: الدّين همّ بالليل وذل بالنّهار، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل في عنقه ديناً.

وقال آخر:

إنّ القضاء سيأتي دونه زمنٌ      فاطو الصّحيفة واحفظها من الفار

قال كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة:

قضى كلّ ذي دينٍ فوفى غريمه      وعزّة ممطولٍ معنيّ غريمها

أنشدنا الصولي لسليمان بن وهب متمثلاً:

من النّاس إنسانان ديني عليهما      مليّان لو شاءا لقد قضيانني  
خليليّ أمّا أمّ عمرو فمنهما      وأمّا عن الأخرى فلا تسلاني

## باب الاقتصاد والرفق

قال الله عزّ وجلّ: "ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" وقال: "والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا".

فهذا أدب الله تعالى.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ما عال من اقتصد".

كان يقال: ثلاثٌ من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك، والابتداء بالسلام.

كتب بعض الصالحين إلى بعض إخوانه: كل مارده العقل، وناله الفضل فجميلٌ حسن.

قال عبد الله بن عباس الهدي الصّالح، والسّمّت الحسن، والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إن الله يحبُّ الرفق في الأمر كله".

قال عليه السلام: "ما كان أرفق قط في شيء إلاّ أزاله، ومن حرم الرفق حرم الخير".

وقال صلى الله عليه وسلّم: "ما أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا إِلَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ وَلَا أَرَادَ بِهِمْ شَرًّا إِلَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الْخُرْقَ".

قال عمر بن الخطاب: لا يقل مع الإصلاح شيء، ولا يبقى مع الفساد شيء.

قال المتلمّس:

**وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "الرفق يمن، والخرق شؤم".

سئل بعض العلماء عن السكينة، فقال: هي السكون عما الحركة فيه، والعجلة لا يحمدها الله ولا يرضاهها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "الأناة من الله، والعجلة من الشيطان".

لسهل بن هارون في يحيى بن خالد:

**منوعٌ إذا ما منعه كان أحزما**

**عدوُّ تلاد المال فيما ينوبه**

وقال آخر:

**نجاةٌ ولا تتركب ذلولا ولا صعبا**

**عليك بأوساط الأمور فإنّها**

وقال آخر:

**لا تسألنّ إن سألت شططا**

**لا تذهبنّ في الأمور فرطا**

**وكن من الناس جميعاً وسطا**

قال أعرابي للحسن: يا أباسعيد علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً. قال له الحسن: أحسنت، خير الأمور أوسطها.

قال محمود الوراق:

في النائبات لمن أراد معولاً  
بعرى الغنى فجعلتها لي معقلاً  
جاوزته واخترت عنه منزلاً  
فيكون أرخص ما يكون إذا غلاً

إنِّي رأيت الصبر خير معولٍ  
ورأيت أسباب القنوع منوطةً  
فإذا نبا بي منزلٌ لا يرتضي  
وإذا غلا شيءٌ عليّ تركته  
لبعض المتأخرين من البخلاء يوصي ابنه:

وخفت من أن تبوء بغير مال  
يفوتك كلُّ يومٍ في اعتدال  
وكثراً وقلل في العيال  
من الأشياء هذا الشيء غال  
لربّ المال من ذلّ السؤال

إذا ما كنت في بلدٍ غريباً  
فلا تبسط يديك وكلّ قليلاً  
وذنبٌ عن الذّراهم كلّ حينٍ  
وقل في كل شيءٍ تشتهيه  
فترك المال للأعداء خيرٌ

روينا عن نصر بن علي الجهضمي، قال: دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأطنب، فقلت: يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي في الرفق. فقال هاته يا نصر، فقلت:

أخرج للذراء من خدرها  
قد يخرج الحيّة من جحرها

لم أر مثل الرفق في لينه  
من يستعن بالرفق في أمره

قال سابق:

وإذا يسافر فالترفق أوفق  
لم يلقها إلا الذي يترفق

إنّ الترفق للمقيم موافق  
لو سار ألف مدجج في حاجةٍ

## باب السفر والاختراب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السفر قطعةٌ من العذاب، فإذا قضى أحدكم مهمته من سفره فليعجل الرجوع إلى أهله".

وزاد بعضهم في هذا الحديث "السفر قطعة من العذاب، فاقتطعوه بالدُّجَّة".  
 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تلقوا الحاجَّ ولا تشيعوهم.  
 قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سافروا تصحَّوا وتغنموا".  
 وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "مامات ميت بأرض  
 غربةٍ إلا قيس له من مسقط رأسه إلى منقطع أثره في الجنة".  
 ومن حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "موت الغريب شهادة".  
 ومن حديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "من مات غريباً مات شهيداً".  
 وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله، فأينما وجدت الخير فأقم واتق  
 الله".

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه -ومنه من يرفعه - قال: من سعادة المرء أن تكون زوجته  
 موافقة، وأولاده أبراراً، وإخوانه صالحين، ورزقه في بلده الذي فيه أهله. مكتوبٌ في التوراة: ابن آدم  
 أحدث سفراً أحدث لك رزقاً.  
 قالت العرب: من أجذب انتجع.

قيل لأعرابيٍّ أين متلك؟ قال: بحيث يتزل الغيث.  
 من أمثال العامة: البركات مع الحركات.  
 وقالوا: ربما أسفر السَّفر عن الظَّفر.

قال البحري: وإذا الزَّمان كساك حَلَّةٍ معدمٍ=فالبس لها حلال التَّوى وتغرَّب وقال زهير:

ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقه

ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرِّم

وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى

مصارع مظلومٍ مجرماً ومسحبا

وتدفن منه الصَّالحات وإن يسيء

يكن مأساء النَّار في رأس ككببا

وقال آخر:

إنَّ الغريب بأرضٍ لا عشير بها

كبائع الرِّيح لا يعطى به ثمنا

وقال سابق:

لا ألفينك ثاويًا في غربةٍ

إنَّ الغريب بكلِّ سهم يرشق

وقال آخر:



فلم أر عزَّ المرء إلاَّ عشيرةً

وقال آخر:

ولم أر ذلاً مثل نأبي عن الأهل

إني الغريب فما ألام على البكا

وقال آخر:

إنَّ البكا حسنٌ بكلِّ غريب

يجازى بالذي تجد القلوب

ويأنس بآبن بلدته الغريب

وصادفني غريباً فالتقينا

وكلُّ مساعدٍ فهو القريب

وقال آخر:

تغرَّبت عن أهلي أوَّمل ثروةً

فلم أعط آمالي وطلَّ التَّغرُّب

فما للفتى المحتال في الرِّزق حيلةٌ

ولا لجدودٍ جدَّها الله مذهب

وقال كعب بن زهير:

فقرِّي في بلادك إنَّ قوماً

متى يدعوا بلادهم يهونوا

وقال آخر:

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرًا

بل المقام على خسفٍ هو السَّفر

قالوا: ترك الوطن أحد اليسارين.

قال الشاعر:

وما الموت إلاَّ رحلةٌ غير أنَّها

من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وقال آخر:

لقرب الدَّار في الإقتار خيرٌ

من العيش الموسَّع في اغتراب

وقال آخر:

ومهمةٌ فيها السَّراب يسبح

يدأب فيه القوم حين يصبح

كأنَّما ثوروا بحيث أصبحوا

اللَّيل أخفى والنَّهار أفضح

قالوا: إذا كنت في غير بلدك، فلا تنس نصيبك من الذل.

وأنشدوا:

إنَّ الغريب له استكانةٌ مذنبٍ

وخضوع مديانٍ وذلٌّ مريب

وقال آخر:

إذا كنت في قومٍ عداءٍ لست منهم

فكل ما علفت من خبيثٍ وطيبٍ

وقال آخر:

إنَّ الغريب وإن أقام ببلدٍ

يهدى إليه خراجها لغريب

وقال آخر:

غريبٌ يقاسي الهمَّ في أرضٍ غريبةٍ

فياربَّ قَرَّبَ دار كلِّ غريب

قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه، ونفد شربه.

قال النمر بن تولب:

إذا كنت في سعدٍ وأمك منهم

غريباً فلا يغررك خالك من سعد

فإنَّ ابن أخت القوم مصغى إنأوه

إذا لم يزاحم خاله بأبٍ جلد

قالت العرب: ليس بينك وبين بلاد نسب، خير البلاد ما حملك.

وقال آخر:

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به

ولا يكون له في الأرض آثار

وقال آخر:

سل الله الإياب من المغيب

فكم قد ردَّ مثلك من غريب

سلَّ الهمَّ عنك بحسن ظنِّ

ولا تئأس من الفرج القريب

قال بعض العقلاء: أعرف بيتاً قد بيَّت أكثر من مائة ألف رجل في المساجد، وفي غير أوطانهم، وهو:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى

تمش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

قال خالد بن صفوان: في السفر ثلاثة معان: الأول الغرم، الثاني القدرة، والثالث الرحيل.

كان يقال: فقد الأحبة غربة.

قال الشاعر:

إذا مامضى القرن الذي أنت فيهم

وخلفت في قرنٍ فأنت غريب

وقال لبيد بن ربيعة:

لعمرك ما يدريك إلا تظنياً

إذا رحل السفار من هو راجع

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال علي بن الجهم:

زح ماذا بنفسه صنعا  
بالعيش من بعده ولا انتفعا  
عدل من الله كل ما صنعا

وذري الشهور فإنهن قصار

وارحم بناتك إنهن صغار

رضيت من الغنيمة بالإياب

وهاجك منهم قرب المزار  
إذا دنت الديار من الديار

ومات الهوى لما أصببت مقاتله

كما سرّ المسافر بالإياب  
أميراً بالسكينة والصواب  
غنياً عن مطالبة السحاب

يجوب بلاد الله حتى تموّلا  
مهامه أخرى عيسه متقلّلا  
ولكن مضى قدماً وما كان مبسلاً  
لمن جاءه يرجو نذاه مؤمّلاً

يارحمنا للغريب في البلدانّا

فارق أحبابه فما انتفعوا

يقول في نأيه وغربته

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته -وقيل إنه الحطيئة- :

عدّي السنين لغيبتي وتصبري

فأجابته:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا

فأقام وترك سفره.

قال امرؤ القيس:

وقد طوّفت في الآفاق حتّى

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

طربت إلى الأصبية الصغار

وكل مسافر يزداد شوقاً

وقال جرير:

ولما التقى الحيان ألقيت العصا

وقال آخر:

سررت بجعفر والقرب منه

وكنت بقربه إذ حلّ أرضي

كممطور ببلدته فأضحى

وقال آخر، وحكى صاحب البيان أنه لمضرس الأسد:

مقلّ رأى الإفلال عاراً فلم يزل

إذا جاب أرضاً أو ظلاماً رمت به

ولم يثنه عمّا أراد مهابةً

فلمّا أفاد المال جاد بفضله

وقال آخر، وهو الأحمر بن سالم المزني:

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى

كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

وقال آخر:

إذا نحن أبنا سالمين بأنفسٍ

كرامٍ رجت أمراً فخاب رجأؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إنَّها

تؤوب وفيها ماؤها وحيائها

وقال آخر:

رجعنا سالمين كما بدأنا

وما خابت غنيمة سالمينا

وماتدرين أيُّ الأمر خيرٌ

أما تهوين أم ما تكرهينا

قال عوف بن محمّل: عادت عبد الله بن طاهر إلى خراسان، فدخلنا الرُّيِّ في السحر فإذا قمرية تغرد على فنب شجرة، فقال عبد الله: أحسن والله أبو كبير في قوله:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضرٌ

وغصنك ميأدٌ ففيم تنوح

ثم قال: يا عوف أجزها. فقلت: شيخ كبير، وحملت على البديهة، وهي معارضة أبي كبير، ثم انفتح لي شيء، فقلت:

أفي كلِّ عامٍ غربَةٌ ونزوح

أما للنوى من ونيةٍ فتريح

لقد طلح البين المشتُّ ركائبِي

فهل أرينَّ البين وهو طليح

وأرقتني بالرَّيِّ نوح حمامةٍ

فنحت وذو الشَّجْو القريح ينوح

على أنَّها ناحت ولم تذر عبرةً

ونحت وأسراب الدُّموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما

ومن دون أفرخي مهامه فيح

وذكر تمام الخير.

كان يقال: من لم يرزق ببلدة فليتحول إلى أخرى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "الأرض أرض الله، والعباد عباد الله، فحيث وجد أحدكم رزقه، فليترك الله وليقم".

قال عبد الله بن أبي الشَّيْب:

أظنُّ الدَّهر قد آلا فبراً

بألاً يكسب الأموال حرّاً

لقد قعد الزَّمان بكلِّ حرٍّ

ونقّض من قواه المستمرّاً

أباه فحارب الأحرار طراً  
لأعناق الدُّجى برّاً وبحراً  
إذا ما جيب درع اللّيل زراً  
ووجها للمنيّة مكفهرّاً  
يحلُّ به المحلّ المشمخرّاً  
أضاء له الدُّجى خيراً وشرّاً

شرُّ الرفيق رفيقٌ غير مأمون

فليس حرّاً على عجزٍ بمعذور  
فأبل عذراً بادلاجٍ وتهجير  
حتّى يباشرها منه بتغيير

د نجفى وتقطع منّا الرّحم  
فإنّا سواءٌ ومن قد يتم

أيا أملي خبر متى أنت راجع  
إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

وطول سعيٍ وإدبارٍ وإقبال  
عن الأحبّة لا يدرون ما حالي  
لايخطر الموت من حرصى على بالي  
إنّ القنوع الغنى لا كثرة المال

كأنّ صفائح الأحرار أردت  
فأصبح كلُّ ذي شرفٍ ركوباً  
فهتّك جيب درع اللّيل عنه  
يراقب للغنى وجهاً ضحوكاً  
فيكسب من أقاصي الأرض كسباً  
ومن جعل الظلام له قعوداً

وقال آخر:

لا تصحبنّ رفيقاً لست تأمنه

أنشد نبطويه:

خاطر بنفسك لا تقعد بمعجزة  
إن لم تنل في مقامٍ ماتطالبه  
لن يبلغ المرء بالإحجام همّته

قالت بنت الأعشى:

أرانا إذا أضمرتكَ البلا  
إذا غبت عنا وخلفتنا

وقال آخر:

وقالت وعيناها تفيضان عبرةً  
فقلت لها تالله يدري مسافرٌ

وقال آخر:

حتّى متى أنا في حلٍّ وترحال  
ونازح الدّار لا أنفك مغترباً  
بمشرق الأرض طوراً ثمّ مغربها  
ولو قنعت أتانى الرّزق في دعةٍ  
أنشد الأصمعي لحاجب الفيلى الشكري:

بترحل من أرضها فمودع  
قالت وغرب العين منها يدمع  
في الأرض تخفضك البلاد وترفع  
بمضيمة في المصر لم يترعرعوا  
وصغيرة تبكي وطفل يرضع  
ماكان من شيء نجوع ونشبع  
وكفى بحسن معيشة من يقنع  
مما تخلف عندنا ما ينفع  
وقربينا الأدنى يعزُّ ويقطع  
فيصيبنا الأمر الجليل المفظع  
ويذلنا أعداؤنا ونضيّع  
فمتى تؤوب إلى الصغار وترجع  
كاد الفؤاد لقولهم يتصدع  
أن ليس يعدو يومه من يجزع

لما رأته بنتي بأني مزعم  
ورأت ركابي قرّبت لرحالها  
أبتا أتركنا وتذهب تائهاً  
فيضيع صبيتك الذين تركتهم  
فيهم صغيرٌ ليس ينفع نفسه  
إننا سنرضى ما أقمت بعيشنا  
والله يرزقنا فنرضى رزقه  
إننا إذا ما غبت عنا لم نجد  
تجفو موالينا ويعرض جارنا  
ونخاف أن تلقاك وشك منية  
فنصير بعدك ليس يرفع بيتنا  
هذا الرحيل وأمرنا ماقد ترى  
فحنقت من قول الصغار بعبرة  
وأجبتها صبراً بنية واعلمي

وقال الغزال:

فآب وأودى حاضرون كثير

فينزلها والطير منه تطير  
ويهلك بعدي آمنون حضور  
على مثل حالي لا يكاد يحور  
وعظمي مهيضٌ والمكان شطير  
لذو كبدٍ حرّي عليك حسير

وترمي النوى بالمقترين المراميا

وكم ظاعنٍ قد ظنَّ أن ليس آيباً

وإنَّ الذي أعظمته من تغرُّبيلي وإنَّ أعظمت ذلك يسير

رأيت المنايا يدرك العصم عدوها

وعليّ أمضي ثم أرجع سالماً

جعلت أرجيها إياي ومن غدا

وكيف أبالي والزمان قد انقضى

وإنّي وإن أظهرت مني تجلداً

وقال آخر:

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم

فأكرم أخاك الدهر ما دمتما معاً

كفى بالممات فرقةً وتنائياً

وقال الراجز:

إنَّ فراخاً كفرأخ الأوكر

بأرض بغداد وراء الأجرس

تركثهم كبيرهم كالأصغر

عجزاً عن الحيلة والتشمر

ذكرى لديهم مثل طعم السكر

ووجدهم بي مثل وجد الأعور

بعينه إذ ذهبتم لم يبصر

التشمر: الاكتساب، شمرت لأهلي: أي اكتسبت لهم، وتشَّمر الشجر إذا أورك.

قال أبو الفتح البستي:

لئن تنقلت من دارٍ إلى دارٍ

وصرت بعد ثواءٍ رهن أسفار

فالحرُّ حرٌّ عزيز النفس حيث ثوى

والشمس في كلِّ برج ذات أنوار

وقال غيره:

كفى حزناً أنني مقيمٌ ببلدةٍ

وأنت بأخرى ما إليك سبيل

خرج الشافعي الفقيه رضي الله عنه في بعض أسفاره، فضمَّه الليل إلى مسجدٍ فبات فيه، وإذا في المسجد قوم عوامٌ يتحدثون بضروب من الحنا وهجر المنطق، فتمثل:

وأزَلني طول النوى دارٍ غربةٍ

إذا شئت لاقيت امرأةً لا أشاكله

قال شريك: كان يقال: إن أنجى النَّاس من البلايا والفتن، من انتقل من بلدٍ إلى بلد.

قيل لبعضهم: أيُّ سفرٍ أطول؟ فقال: من كان في طلب صاحبٍ يرضاه، أودرهم حلالٍ يكسبه.

قال حاتم الطائي:

إذا لزم النَّاس البيوت وجدتهم

عماءً عن الأخبار خرق المكاسب

قال محمد بن أبي حازم الباهلي:

كم المقام وكم تعتافك العلل

ما ضاقت الأرض في الدنيا ولا السُّبل

فارحل فإنَّ بلاد الله ما خلقت

إلا ليسلك منها السُّهل والجبل

إن ضاق لي بلدٌ يَممت لي بلداً

وإن نبا منزلٌ بي، كان لي بدل

وإن تغير لي عن ودّه رجلٌ

أصفى المودّة لي من بعده رجل

لم يقطع الله لي من صاحبٍ أملاً

إلا تجدد لي من صاحبٍ أمل

الله قد عودَ الحسنى فما برحت  
يمسي ويصبح بي عمرٌ أدافعه

منه لنا نعمٌ تنترى وتتصل  
برزق ربِّي حتى ينفد الأجل

وقال بعض المتأخرين من المغاربة، وتنسب إلى المتنبي، ولا تصح له:

رأيت المقام على الإقتصاد  
وعجزٌ بذى أدبٍ أن يضيق  
وما غرب الرزق عن رائدٍ  
إذا ما الأديب ارتضى بالخمول  
وفي الإضطراب وفي الإغتراب  
وشرُّ الضراغم ضرغامَةٌ  
وإن صارمٌ قرٌّ في غمده  
ولو يستوي بالنهوض القعود  
إذا النار ضاق بها زندها  
فدع موطناً واغد مسترزقاً  
ولا تفن عمرك خوف الفراق  
يطلن البكا عند شحط النوى  
فكم ترحة من أسى فرقةٍ  
إلى كم تحمل ضيق المعاش  
على حالة فوتها خيرها  
بلا حاسدٍ لي ولا حامدٍ  
فلا شرٌّ مني يخاف العدو  
جب الأرض شرقاً وحب غربها  
عساك تنال الغنى أو تموت  
فإن يكن الفقر حتماً عليك

قنوعاً به ذلّة للعباد  
به عيشه وسع هذي البلاد  
ولا سيما حسن الإرتياد  
فلاحظ في الأدب المستفاد  
منال المنى وبلوغ المراد  
طوى شبلة وهو في الغيل هاد  
حوى غيره الفضل يوم الجلاذ  
لما ذكر الله فضل الجهاد  
ففسحتها في فراق الزنّاد  
كذا الرزق غادٍ إلى كلِّ غاد  
لبيض ملاحٍ وسمرٍ خراد  
ويأسين كلِّ الأسى في البعاد  
تعود سروراً بحسن المعاد  
وتصبر والصبر صعب القيادة  
وضيق المعيشة سقم الفؤاد  
قليلة خير كماء الثّمد  
ولا خير يرجوه أهل الوداد  
إلى كلِّ فج عميقٍ وواد  
وعذرك في ذاك للناس باد  
فكابده في غير ناديك ناد



بعين الخساسة عين الأعادي  
فليس عليك سوى الإجتهد

فللموت أهون من أن تراك  
فإن لم تتل مطلباً رمته

وقال آخر:

إلا سيذكر بعد الغربة الوطناً  
وغائب الموت لا يؤوب

مامن غريبٍ وإن أبدى تجلده  
وقال عبيد بن الأبرص:  
وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوب

### باب التحول عن مواطن الذل

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه" قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال: "يتعرض من البلاء لما لا يطيق".  
قال أوس بن حجر:

وأحر إذا حالت بأن أتحوّلاً

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها

وقال المتلمّس:

والحرُّ ينكره والفيل والأسد

إنَّ الهوان حمار البيت يألفه

ولا يقيم بدار الذلِّ يألفها=إلا الذلّ ليلان غير الحيّ والوتد

وذا يشجُّ فما يأوي له أحد

هذا على الخسف مربوطٌ برمته

وقال مالك بن الرّيب:

إيكم وإلّا فأذنوا ببعاد

فإن تتصفونا آل مروان نقترّب

وكلُّ بلادٍ أوطنت كبلادي

ففي الأرض عن دار المذلة مذهبٌ

وقال المغيرة بن حنّاء:

تحوّل عنها واستمرت مرأته

ومثلى إذا ما الدار يوماً نبت به

ولا أرام الشيء الذي أنا قاده

ولا أنزل الدار المقيم بها الأذى

فبعها بدار أو بجارٍ تجاوره

إذا أنت لم ترغب بدارٍ نزلتها

أنشد أبو عبيد عن الأصمعي:

ولم تك مكبولاً بها فتحوّل

إذا كنت في دارٍ يهينك أهلها

وقال الزبير بن عبد المطلب:

صوتي إذا ما اعترتني سورة الغضب

ولا أقيم بدارٍ لا أشدُّ بها

وقال آخر:

إنَّ الأَقاصي قد تدنو فتألف

لا تأسفنَّ على خلِّ تفارقه

فيها مجالٌ لذى لبٍّ ومنصرف

في النَّاسِ متبدلٌ والأرضُ واسعةٌ

وقال قيس بن الخطيم:

يعيش بها الفتى إلاَّ بلاء

ومابعض الإقامة في ديارٍ

وقال المغيرة بن حنبل:

وفي الأرض عن دار الأذى مترحرح

وفي الدَّهرِ والأَيَّامِ للمرءِ عبرةٌ

وقال معن بن أوس:

وفي الأرض عن دار القلى متحوّل

وفي النَّاسِ إن رثت حبالك واصلٌ

وقال عبد الصمد بن المعدل ، ويروى لغيره:

فكلُّ بلادٍ وطن

إذا وطنٌ رابني

وقال أبو العتاهية:

وللمضايق أبوابٌ من الفرج

من عاش قضى كثيراً من لبانته

في كلِّ وجهٍ مضيقٍ وجهٍ منفرج

من ضاق عنك فأرض الله واسعةٌ

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

فهرعن من بلدٍ إلى بلد

هممٌ تقاذفت الخطوب بها

وقال آخر:

وفي الأرض عمَّن لا يواتيك مرحل

وقال حبيب بن أوس الطائي :

لديباجتيه فاغترب تتجدد

وطول مقام المرء في الحيِّ مخلقٌ

إلى النَّاسِ إذ ليست عليهم بسرمد

فإني رأيت الشمس زيدت محبةً

وقال ابن المعتز:

فإن مات أغلته المنايا الطوائح

رأيت حياة المرء ترخص قدره

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله

وقالاً أبو الفتح البستي:

وطول الماء في مستقره

وقال أبو الفتح الشدوي:

إذا ما الحرُّ هان بأرض قومٍ

وقد هنا بأرضكم وصرنا

وقال محمود الوراق:

وإذا نبا بي منزلٌ لا يرتضي

وقال آخر:

وإذا الديار تنكرت عن حالها

ليس المقام عليك حقاً واجباً

وقال بشار بن برد:

وكنت إذا ضاقت عليّ محلةٌ

كذا تخلق المرء العيون اللوامح

يغيّره لوناً وريحاً ومطعماً

فليس عليه في هرب جناح

لقى في الأرض تذروه الرياح

جاوزته واخترت منه منزلاً

فدع الديار وأسرع التحويلاً

في منزلٍ يدع العزيز ذليلاً

تيممت أخرى ما عليّ تضيق

له في النقى أو في المحامد سوق

ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقال آخر: إذا كنت في دارٍ وحاولت رحلةً فدعها وفيها إن رجعت معاد وقال آخر:

والناس صنفان محرومٌ ومغبوط

فالأرض واسعةٌ والرّزق مبسوط

فإن رزقك عند الله مخطوط

وماخاب بين الله والناس عاملٌ

ولا ضاق فضل الله عن متعففٍ

خلط فهذا زمانٌ فيه تخليط

ولا تقم ببلادٍ لا انتفاع بها

ولا تكن غرقتريضي بغير رضی

وقال جواس الكلبي:

لم يحرم على متن الطريق

قطعي الخرق بالمروخ الحروق

وإذا العليج أغلق الباب دوني

وكفاني جفاء من يزدريني

وقال آخر:

اصبر على حدث الزمان فإنما

وإذا خشيت تعذراً في بلدة

إنَّ المقام على الهوان مذلةٌ

وقال يحيى بن حكم الغزال:

وإنَّ مقامي شطر يومٍ بمنزلٍ

وقد يهرب الإنسان من خيفة الردى

وقال المتنبى:

إذا لم أجد في بلدة ما أريده

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته:

إنَّ الفتى كلَّ الفتى من رأى

اهرب عن الذلِّ وعجل فما

لو جرحت رأسي يدا منصفٍ

ولي حين رحلت من إشبيلية:

وقائلةٌ مالي أراك مرحلاً

تتكّر من كنا نسرُّ بقربه

وحقَّ لجارٍ لم يوافقه جاره

بليتٍ بخفضٍ والمقام ببلدةٍ

إذا هان حرٌّ عند قومٍ أتاهم

ولم تضرب الأمثال إلا للعالم

وقال ابن حازم، أو ابن بسام:

وإن نبا منزلٌ بحرٌّ

لا يلبث الحرُّ في مكانٍ

الحرُّ حرٌّ وإن تعدّت

والنذل نذلٌ وإن تكني

فرج الشدائد مثل حلِّ عقاب

فاشدد يدك بعاجل الترحال

والعجز أضعف حيلة المحتال

أخاف على نفسي به لكثير

فيدركه ما خاف حيث يسير

فعندي لأخرى عزيمةٌ وركاب

هو انه أقبح ما قد رأى

أقربه من كلِّ من أبطأ

لما تمنيت بأن أبرأ

فقلت لها: صه واسمعي القول مجملاً

وعاد زعافاً بعدما كان سلسلاً

ولا لاء مته الدار أن يترحلاً

طويلاً لعمرى مخلقٌ يورث البلا

ولم ينأ عنهم كان أعمى وأجهلاً

ولا عوتب الإنسان إلا ليعقلاً

فمن مكانٍ إلى مكان

ينسب فيه إلى هوان

عليه يوماً يد الزمان

وصار ذا منطقٍ وشان

فاسترزق الله واستعنه

فإنه خير مستعان

وقال أبو الفتح:

متى رفضتني دار قوم تركتها

وإن لم يكن منها ومن أهلها بد

وقال حبيب:

لا يمنعك خفض العيش في دعة

نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن نزلت بها

أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان

وقال ابن أبي حبيش:

يا نازلاً ببطليوس إذا ظفرت

يوماً يداك بيوم البين فاستبق

ولا تقم ببلاد لا يعاد بها ال

مرضى وعجل على ما فيك من رmq

إنَّ المقام بأرض لا يزار بها

ولا يعاد أخو الشكوى من الحمق

### باب التوديع والفرق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في مسيره إلى العمرة، فقال: "يا أخي لا تنسنا من دعائك".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه، فإن الله جاعل له في دعائهم بركة".

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلاً يقول: استودع الله دينك، وأمانتك، وخواتم عملك.

قال الشعبي: السنة إذا قدم رجل من سفر، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه، إذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتنم دعائهم.

ودع شعبة بن الحجاج رجلاً خارجاً إلى الحج فقال له: أما إنك إن لم تعدد الحلم ذلاً، ولا السفه شرفاً، سلم حجك.

ودع عبد الله بن المبارك رجلاً، فقال:

فراق حياة لا فراق ممات

ونحن ننادي أن فرقة بيننا

وقال إبراهيم الموصلي:

ويشف من أهل الصَّقاء غليل  
وكادت عيونٌ للفراق تسيل  
إذا ما الخليل بان عنه خليل  
أوانس لا يودى لهنّ قتيل  
وأعولت لو أجدى عليك عويل

تقضت لباناتٌ وجدّ رحيل  
ومدّت أكفٌ للوداع تصافحت  
ولا بد للإلفين من ذمّ لوعةٍ  
فكم من دمٍ قد طلّ يوم تحمّلت  
غداة جعلت الصَّبْر شيئاً نسيته

وقال محمد بن مقسم، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن مقسم:

ويوم الرّحيل لنفسٍ رحيل  
غليلٌ بقلبي وحرزٌ طويل  
فإن كان لا كان زاد الغليل  
ما قد وصفت عليه دليل  
ويبنى إذا غاب عنه الخليل

فراق الأحبّة داءٌ دخيلٌ  
سمعت ببيّنك فاعتادني  
أهذا ولم يك يوم الفراق  
وأيقنت أنّي به تالفٌ  
حياة الخليل حضور الخليل

وقال آخر:

والأخرى بالبكا بخلت علينا  
بأن أقررتها بالوصل عينا  
بأن غمّضتها يوم التقينا

بكت عيني غداة البين حزناً  
فجازيت التي جادت بدمع  
وجازيت التي جادت بدمع

وقال الزبير بن بكار: شيعني إسحاق بن إبراهيم و قال:

وفقدك مثل افتقاد الدّيم  
أفارق منك وكم من كرم

فراقك مثل فراق الحياة  
عليك السّلام فكم من وفاءٍ

وقال آخر:

ولا على ذي صبايةٍ عطفوا  
وكم دموعٍ عليهم تلف  
تعرفهم والوصل مؤتلف

ودّع أحبّاه فما وقفوا  
كم كبدٍ قطعوا بينهم  
كأنهم لم يجاوروك ولم

وقال آخر:

وطرفها في دموعها غرق

لم أنس يوم الرّحيل موقفها

وقولها والركاب واقفة

تركتني هكذا وتنطلق

وقال آخر:

ليس شيء من الفراق وإن كا

ن أخو الوجد والهأ كلفا

أحرق من وقفة المشيع للقل

ب يريد الرجوع منصرفا

وقال آخر:

أقول له حين ودعته

وكل بعشرته مبلس

لئن رجعت عنك أجسامنا

لقد سافرت معك الأنفس

وقال آخر:

من يكن يكره الفراق فإني

أشتهيه لموضع التسليم

إن فيه اعتناقة لوداع

وانتظار اعتناقة لقدم

وقال آخر:

صاح الغراب بوشك البين فارتحلوا

وقربوا العيس قبل الصبح واحتلموا

وغادروا القلب ما تهذا لواجه

كأنه بضرام النار مشتعل

وفي الجوانح نار الحب تقذفها

أيدي النوى بزناد الشوق إذ رحلوا

لما أناخوا قبيل الصبح غيرهم

ورحلوا وسارت بالدمى الإبل

وقلبت من خلال السجف ناظرها

ترنو إليّ ودمع العين منهمل

وودعت ببنان عقده عنم

ناديت: لا حملت رجلاك يا جمل

ويحيى من البين ماذا حل بي وبهم

من نازل البين حل البين وارتحلوا

يا راحل العيس عرج كي نودعهم

يا راحل العيس في ترحالك الأجل

إني على العهد لم أنقض مودتهم

يا لبيت شعري لطول البين ما فعلوا

أنشدني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال أنشدني أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن الصّيدلاني،

قال: أنشدني أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأحفش:

سقياً ورعياً وإيماناً ومغفرة

للباقيات علينا حين نرتحل

بيكي علينا ولا نبكي على أحد

أنحن أغلظ أكباداً أم الإبل

وقال آخر:

أحجاج بيت الله في أي هودج  
أبقى نحيل الجسم في أرض غربة  
وقال عمر بن أبي ربيعة:

هاج القريض الذكر  
على بغالٍ شحج

وفي أي خدرٍ من خدوركم قلبي  
وحاديكم يحدو بقلبي مع الركب

لما غدوا فانشمروا  
قد ضمهن السقر

فيهن هندا لبيتي  
حتى إذا ما جاءها

ما عمرت أعمر  
حتف أتاني القدر

وقال آخر:

أيا عجباً ممن يودع إلفه  
هممت بتوديع الحبيب فلم أطق  
وينظر إليه في قول الآخر:

يمدّ يداً نحو الفراق فيسرع  
فودّعه بالقلب والعين تدمع

ودّعا طرفي فقالت له

بالدمع أستودعك الله

وقال حبيب

مالبيوم أول توديعي ولا الثاني  
حسب الفراق بأن الدهر ساعده  
وماظنّ النوى يرضى بما صنعت

البين أكثر من شوقي وأحزاني  
فصار أملك من روعي بجثمانني  
حتى تشافه بي أقصى خرسان

وقال آخر:

أهدى إليه سفرجلاً فتطير  
خوف الفراق لأن شطر هجائه

منه وظل مفكراً مستعبراً  
سفرٌ وحق له بأن يتطيراً

وقال آخر:

أقيم وتظعنين وأنت روعي  
لئن كان الفراق غداً فإني  
تعالى بعد فرقتنا لنبكي

وهل جسدي يعيش بغير روح  
سأحمل لا أشك إلى ضريحي  
فإني نائح أبداً فنوحي



وقال أبو الشيص، وهو محمد بن عبد الله بن رزين:

مافرَّق الأحباب بع  
والناس يلحون غرا  
وما على ظهر غرا  
ولا إذا صاح غرا  
وما غراب البين إلا  
د الله إلا الإبل  
ب البين لمأ جهلوا  
ب البين تطوى الرِّحل  
ب في الدِّيار ارتحلوا  
ناقة أو جمل

أنشدنيها عبد الوارث عن قاسم عن أبي خيثمة لأبي الشيص.  
وقال العلوي علي بن محمد:

ولقد نظرت إلى الفراق فلم أجد  
ياساعة البين الطويل كأنما  
وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه:  
لعمري لئن شطت بعثمة دارها  
أروح بهم ثم أغدو بمثله  
وقال حبيب:

يوم الفراق لقد خلقت طويلا  
لو جاء مرتاد المنية لم تجد  
قالوا الرِّحيل فما شككت بأنها  
لم تبق لي جلدًا ولا معقولا  
إلا الفراق على النفوس دليلا  
نفسى عن الدنيا تريد رحيلًا

وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف، فرأيت احتصاره، قال الحارث بن وعله، وتنسب إلى العتّابي كلثوم بن عمرو، وهي أبيات كثيرة أولها:

ماغناء الحذار والإشفاق  
غرّ من ظنّ أن يفوت المنايا  
ويد الحادثات رهنّ بمرّا  
كم صفيين متعا باتفاق  
قلت للفرقدين والليل ملق  
ابقيا ما بقيتما سوف يرمي  
وشأبيب دمك المهرق  
وعراها قلائد الأعناق  
ت من العيش مصرّات المذاق  
ثم صارا من بعده لافتراق  
سود أكنافه على الآفاق  
بين شخصيكما بسهم الفراق

لست تبقيين لي ولست بباق  
فألذني أحررت سريع اللحاق  
كن دوام البقاء للخلاق  
بعد ما قد ترين كان التلاقي

عيناى حتى تؤذنا بذهاب  
فقد الشباب وفرقة الأحباب

وإن أنا أظهرت العزاء قصير  
فدونك أحوال أرى وشهور

ما لم تفرق بيننا الأخلاق  
فسنلتقي وسيحفظ الميثاق

ولكل ملتقيين منه فراق

لما تولت وذاقت حرقه البين  
وإنما ودعت وحيأ بعينين  
إيماءة خنلت عنها الرقيبين

بعود بشامة سقى البشام

أشغل من مات عن جميع الأنام

هوئي ذا عليك واقني حياء

أينا قدمت حمام المنايا

لا يدوم البقاز للخلق ل

إن قضى الله أن يكون تلاق

وقال آخر، وهو نبطويه:

شيطان لو بكت الدماء عليهما

لم يبلغا المعشار من حقيهما

وقال الغزال:

وإن رجائي في الإياب إليكم

وإن كنت تبغين الوداع فبالغي

وقال آخر:

ليس الفراق وإن جزعت بضائر

إن لم يحل حدث المنية بيننا

والدهر يجمع بين كل مفارق

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين:

مدت إلى البين أطرافاً مخضبة

وودعتني وما هممت ولا نطقت

بلى لقد أومات نحوي بإصعبها

وقال آخر:

أتذكر إذا تودعنا سليمانى

يريد: تشير إلينا بمسواكها مودعة.

وقال أبو عوانة: كنت أجالس أبا العتاهية فأراد الخروج إلى مكة فودعني وقال:

إن نعش نجتمع وإلا فما

قالت أعرابية لابن لها، وقد ودعته وهو يريد سفراً: امض مصاحباً مكلوفاً، لا أشمت الله بك عدواً، ولا أرى محبيك فيك سوءاً.  
ودع أعرابي رجلاً، فقال كبت الله لك كل عدوٍ إلا نفسك، وجعل خير عملك، ما ولى أجلك. بيت  
قديم:

سوى فرقة الأحباب هيبة الخطب

وكل مصيبات الزمان وجدتها

قال محمد بن عبد السلام الحشني:

إذا كان من بعد الفراق تلاق  
ولم تمر كف الشوق ماء مآق  
بذات اللوى من رامة وبراق  
بكأس سقانيها الفراق دهاق

كأن لم يكن بينك ولم تك فرقة  
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي  
ولم أزر الأعراب في خبت أرضهم  
ولم أصطحب في البيد من قهوة النوى

وقال آخر:

خليلاً إذا أفنيت دمعي بكى ليا  
تلاق ولكن لا إخال تلاقيا

خليليّ إلتبكي لي أستعن  
كأن لم تكن بينك إذا كان بعده

قالوا: كم بين لوعة الفراق وفرح التلاق.

### باب الزيارة والعيادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من زار أخاً له في الله، أو عاده، خاض الرحمة حتى يرجع وقال الله عز وجل له: طبت ممشاك وتبوات من الجنة مثلاً"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم الزائر فأكرموه" وقال حاكياً عن الله عز وجل: "وجبت محبتي للمتزاورين في والمتحابين في".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي هريرة: "ياأبا هريرة زرعياً تزدد حباً". أخذه الشاعر فقال:

وإن شئت أن تزدد حباً فزد غباً

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً

أنشدني أبو عثمان سعيد بن سيد، لعبد الملك بن جهور الوزير:

إذا زرت الحبيب عزره غباً

وقد قال الرسول وكان برأ

إذا ما زرته مقهً وحباً

وأقلل زور من تهواه تزدد

ولعلي بن أبي طالب الكاتب:

إني رأيتك لي محباً  
فهجرت لا لملاية  
إلا لقول نبينا  
ولقوله من زار غباً  
والتي حين أغيب صباً  
حدثت ولا استحدثت ذنباً  
زوروا على الأيام غباً  
منكم يزداد حباً

قال خارجة بن زيد النحوي: دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له، فوجدته جالساً بالأرض، فألقى إليّ وسادة، فقلت له: إني قد رضيت لنفسي مارضيت لنفسك. فقال: إني لا أرضى لك في بيتي ما أرضى لنفسي، واجلس حيث تؤمر، ففعل الرجل في بيته يكره أن تستقبله.  
قال بشار:

لا تجعلن أحداً عليك إذا  
وصل الخليل إذا شغفت به  
فذاك خيرٌ من مواصلة  
لكن يملك ثم تدعو باسمه  
أحبيته وهويته رباً  
واطو الزيارة دونه غباً  
ليست تزيدك عنده قرباً  
فيقول: ها، وطالما لبني

وقال آخر:

عليك بإقلال الزيارة إنَّها  
فإنني رأيت الغيث يسأم دائماً  
تكون إذا ما دامت إلى الهجر مسلماً  
ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكاً

قال قيس بن سعد بن عبادة: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً، فوقف ببابنا.  
قال ابن المعتز:

وقفه في الطريق نصف الزيارة

وقال آخر:

وحظك زورة في كل عام  
موافقة على ظهر الطريق

سلاماً خالياً من كل شيء  
يعود به الصديق على الصديق

كان يقال: امش ميلاً وعد عليلاً، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال، وزر في الله.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فيمن قبلكم رجل يزور أخاً له في الله بقريه أخرى، فأرصد الله على مدرجه ملكاً، فلما انتهى إليه قال له: أين تريد؟ قال: أريد قرية كذا. قال: وما حاجتك فيها؟ قال:

زيارة أخ لي في الله. قال: وهل غير ذلك؟ قال: لا قال: فهل عليك من نعمة تربيتها، أو تشكرها؟ قال: لا ، إلا أنه أحبني في الله فأحبيته فيه. قال: فإني رسول الله إليك، مخبرك أنه يحبك كما أحببت فيه". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ثم أذن لي فيها فزوروها فإنها تذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا".

كان سفيان بن عيينة يقول: لا تعمل الأقدام في الزيارة إلا إلى أقدارها، وينشد:

كرم المزور ولا يعاب الزائر

فضع الزيارة حيث لا يزرى بها

وقال العباس بن الأحنف:

من عالج الشوق لم يستبعد الدار

يقرب الشوق داراً وهي نازحة

إن المحب إذا لم يستزر زار

أزورك لا أكافئك بجفوتكم

وقال الأحمس:

إذا لم يزر لا بد أن سيزور

وماكنت زواراً ولكن ذا الهوى

أتيت عدواً بالبنان يشير

أزور على أن لست أفقد كلما

وقال آخر:

إذا لم يكن في ودّه بمريب

فإني لزوار لمن لا يزورني

وما دار من أبغضته بقريب

ومستقرب دار الحبيب وإن نأت

وقال آخر:

إذا اشتملت على الودّ القلوب

رأيت تباعد الإخوان قريباً

ضنين في مودته مريب

وليس يواصل الإمام إلا

وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

وشطّ بليلي عن دنو مزارها

دنت بأناس من تناء زيارة

لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

وإن مقيمت بمنقطع اللوى

وأما قول قرم بن مالك:

فأقعد لا أزور ولا أزار

علام إوايم البخلاء فيها

قال بعضهم: إن معناه علام أستوحش من الناس، وتأول من ذهب هذا المذهب في قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام، أي لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة. وقال آخرون: في قولهم: لولا

الأوام هلك الأنام، أي لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به هلك الناس، ولبعض أهل العصر:

أزور خليلي ما بدا لي هسه  
وقابلني منه البشاشة والبشر  
فإن لم يكن هسٌ وبشٌ تركته  
ولو كان في اللقيا الولاية واليسر  
وحقُّ الذي ينتاب داري زائراً  
طعامٌ وبرٌ قد تقدّمه بشر

### باب العيادة أيضاً

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عائد المريض في محرقة الجنة".  
وقال عليه السلام: "عائد المريض يخوض الرحمة، فإذا قعد عنده غمرته".  
قال مالك: أو نحو هذا.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حقَّ المسلم على المسلم أن يسلمَّ عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض ويشمته إذا عطس، ويشيع جنازته إذا مات ويحييه لطعامه إذا دعاه".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل العيادة أخفها".  
وذكر أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن الحجاج -يعني بن أرطاة- عن المنهال عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: "من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته، فقال: أسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات شفي".  
قال الشاعر:

إن كنت في ترك العيادة تاركاً  
حظي فإني في الدعاء لجاهد  
ولربما ترك العيادة مشفقاً  
وأتى على غلِّ الضمير الحاسد

وقال آخر:

إذ امرضنا أتيناكم نعودكم  
وتذنبون فنأتىكم فنعتذر  
وقال عبد الله بن مصعب الزبيري:

مالي مرضت فلم يعدني عائداً  
منكم ويمرض كلكم فأعود  
فسمي عائد الكلب.

ولجعفر بن حذار الكاتب:

إنَّ العيادة يومٌ بين يومين  
واقعد قليلاً كلحظ العين بالعين

لا تبرمن مريضاً في عيادته

يكفيك من ذلك تسأل بحرفين

وللشافعي الفقيه رضي الله عنه وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه، فلمسوا جبينه، وقالوا له: أنت بخير ونحو هذا، فقال:

أقول لعائدي وشجعوني

وغيرهم فتور حمى جيني

تعزوا بالتصبر عن أخيكم

فضجوا بالبكاء وودعوني

فلم أدع الأئين لقل سقمي

ولكنني ضعفت عن الأئين

سأصبر للحمام وقد أتاني

والأ فهو آت بعد حين

وإن أسلم يمت قلبي حبيب

وموت أحبتي قلبي يسوني

قال المدائني: سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثقت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائداً له ومادحاً، وكان جاره فأنشده:

أقول غداة أتانا الخبير

ودس أحاديثه هينمه

لك الويل من مخبر ماتقول؟

أبن لي وعد عن الجمجمه

فقال خرجت وقاضي القضا

ة منفكة رجله مؤلمه

فقلت وضاق علي البلاد

وخفت المجلة المعظمه

فغزوان حر وأم الوليد

إن الله عافى أبا شبرمه

جزاء لمعروفه عندنا

وما عتق عبد له أو أمه

قال: وفي المجلس جاز ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: يا أبا معمر! رحمك الله من غزوان وأم الوليد؟ قال: ستوران في البيت فاستر علي.

## باب الحجاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ولي من أمور الناس شيئاً فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته، وخلته وفاقته".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رفع حاجة ضعيف إلى ذي سلطان لا يستطيع رفعها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة".

حجب معاوية أبا الدرداء يوماً وحبسه عند بابه، فقيل له: يا أبا الدرداء! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد.

قال عبد العزيز بن زرارة الكلبي: دخلت على معاوية بن صخر=على حين يئست من الدخول

وما نلت الدخول عليه حتى

وأغضيت الجفون على قذاها

فأدركت الذي أملت منه

حجب أعرابي عند باب سلطان فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الصيدلاني،

قال: حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدني بعض أصحابنا:

في كل يوم لي ببابك وقفة

فإذا جلست وغبت عنك فإنه

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه، فأبطأ إذنه، فقيل حجبك أمير المؤمنين؟ فقال: لا عدت

من قومي من إذا شاء حجب.

قال معاوية لحضين بن المنذر: يا أبا ساسان كأنك لا تحسن إذنك. فأنشأ يقول:

كل خفيف الرأي يمشي مشمراً

ونحن الجلوس الماكثون رزاة

قال زياد لحاجبه: يا عجلان! إنني ولّيتك ما وراء بابي، وعزلتك عن أربعة: طارق الليل فشر ما جاء به،

وخبر رسول صاحب الثغر فإنه إن تأخر ساعة أبطل عمل سنة، وهذا المنادي الصلاة وصاحب الطعام فإن

الطعام إذا أعيد عليه التسخين فسد.

قال مروان لابنه عبد العزيز - حين ولّاه مصر - يا بني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم، فتكون

أنت تأذن وتحجب، وأنس من دخل عليك بالحديث فينسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا أشكل عليك

الأمر، فإنك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها.

كان يقال: لا تقم على باب حتى تدعى إليه.

أقام رجل على باب كسرى سنة، فلم يؤذن له، فقال له الحاجب: اكتب كتاباً وخفّفه أوصله لك. فقال:



لا أزيد على أربعة أسطر، فكتب في السطر الأول: الأمل والضرورة أقدماني عليك، وفي السطر الثاني: ليس مع العدم صبر على الطلب، وفي السطر الثالث: الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء وفي السطر الرابع: إما نعم مثمرة، وإما لا مؤتة. فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف درهم، فانصرف بستة عشر ألف درهم.

قال أشجع بن عمر السلمي، في باب محمد بن منصور بن زياد:

على باب ابن منصور  
علامات من البذل  
جماعات وحسب الباء  
ب فضلا كثرة الأهل

وقال بشار بن برد:

يسقط الطير حيث ينتثر الحب  
وتغشى منازل الكرماء  
وقال حبيب:

إن السماء ترجى حين تحتجب  
وقال آخر:

يزدحم الناس على بابه  
والمشرب العذب كثير الزحام  
وقال عبيد الله بن عكراش:

وإني لأرثي للكريم إذا غدا  
على طمع عند اللئيم يطالبه  
وأرثي له من وقفة عند بابه  
كمرثيتي للطرف والعج راكمه  
كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجواد له حجاب  
فما فضل الجواد على البخيل  
فأجابه عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجواد قليل مال  
ولم يعذر تعلل بالحجاب  
وقال البحري:

أتيتك للتسليم لا أنني امرؤ  
طلبت بإتيانك أسباب نائلك  
فألقيت بواباً ببابك مغرماً  
بهدم الذي أوطأته من فضائلك  
وقد قيل قدماً حاجب المرء عامل  
على عرضه فاحذر جنابة عاملك  
وكن عالماً أن لست من بعد راجعاً  
إليك ولو كان الهدى من رسائلك

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز:

يا عمر بن عمر بن الخطاب

يدفعه البواب بعد البواب

قال بعض الأكاسرة لحاجبه: لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث: عني يكره أن يطلع عليه، أو بخل فيكره أن يدخل عليه من يسأله، أو ريبة. وقد نظم هذا كله محمود الوراق فقال:

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابه

ظننت به إحدى ثلاثٍ وربّما

فقلت به مسٌّ من العيِّ قاطعٌ

فإن لم يك عيُّ اللسان فغالبٌ

فإن لم يكن هذا ولا ذا فريبةٌ

وله أيضاً:

لولا مقارفة الرّيب

أو لا فعيّ فيك أو

فاكشف لنا وجه العتا

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى في أقل نظم، فقال:

وطول الحجاب مخبّرٌ

فإذا الفتى لم يستبن

وأرفع من هذا قول زهير:

الستّر دون الفاحشات وما

قصد إبراهيم بن المهدي بن يحيى بن خالد فحجبه، فكتب إليه إبراهيم:

إني أتيتك للسلام ولم

فحجبت دونك مرتين وقد

وقال آخر:

سأترك باباً تملك إذنه

وإن كنت أعمى عن جميع المسالك

فلو كنت بواب الجنان تركتها

وقال محمود الوراق:

سأترك هذا الباب ما دام إذنه

وما خاب من لم يأتيه متعمداً

وما جعلت أرزاقنا بيد امرئ

إذا لم أجد يوماً إلى الإذن سلماً

وقال آخر:

على أي باب أطلب الإذن بعدما

وفي معنى هذا قول الفرزدق:

وكان يجير الناس من سيف مالك

وقال آخر:

ولست بمتخذ صاحباً

ويلزم إخوانه حقه

وقال أبو تمام:

هش إذا نزل الوفود ببابه

وإذا رأيت صديقه وشقيقه

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مسعدة:

ما لك قد حلت عن وفائك واس

ما لي في حاجة إليك سوى

إني إذا الباب تاه صاحبه

لستم ترجون للحساب ولا

لكن لدينا تكون بهجتها

قد كان وجهي لديك معرفة

كتب أبو مسهر إلى أبي جعفر محمد بن عبدكان، وكان قد حجب على بابه:

وحولت رجلي مسرعاً نحو مالك

كعهدي به حتى يخف قليلاً

ولا فاز من قد نال منه وصولاً

حمى بابه من أن ينال دخولا

وجدت إلى ترك المجيء سبيلاً

حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

يقيم على بابه حاجبا

وليس يرى حقهم واجبا

سهل الحجاب مهذب الخدام

لم تدر أيهما أخو الأرحام

تبدلت يا عمرو شيمة كدره

تسهيل إذني فإنها عسره

لم يك عندي لتركه نظره

يوم تكون السماء منفطره

سريعة الإنقضاء منشره

فالיום أضحي باباً من النكرة

تأذن عليك لي الأستار والحجب  
والله ما ردّ إلاّ الحديث والأدب

إني أتيتك للسلام أمس فلم  
وقد علمت بأني لم أردّ ولا

فأجابه محمد بن عبد كان:

قال ابن أوسٍ ففي أشعاره أدب  
إنّ السماء ترجى حين تحتجب

لو كنت كافات بالحسنى لقلت كما  
ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً

وقال منصور الفقيه:

وليس لي بالعذاب  
على اتّصال اجتنابي

إن الحجاب عذابٌ  
كلّاً فلا تعدلوني

وله أيضاً:

ومن حاجبٍ فاجعلوه رفيقاً  
فيأتي صديقاً ويمضي صديقاً

إذا كان لا بدّ من حجةٍ  
يخاطب من جاءه بالجميل

### باب المصافحة وتقبيل اليد والفم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "تصافحوا يذهب الغل".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إذا التقى المسلمان وتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات الشجر".  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم، إذا صافح رجلاً لم يترع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي  
يترع يده من يده.

قال أبو مخلد: المصافحة تجلب المحبة.

كان يقال: تحية المؤمنين المصافحة والسلام.

قال الشاعر:

ودُّ فيزرعه التّسليم واللّطف

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم

لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بني قريظة، وأرادوا التزول على حكم سعد بن معاذ وكان قد  
تخلف بالمدينة لجرح أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فلما قدم عليه قال للأنصار: "قوموا  
إلى سيّدكم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "من سرّه أن يمثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار".

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرم القاصد إليه إذا كان كريم القوم، أو عالمهم، أو من يستحقّ البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم.  
قال ابن المسيّب البغدادي جار ابن الرومي:

عليّ وإني للكرام مذللّ

ولكنّها بيني وبينك تجمل

أقوم وما بي أن أقوم مذلةً

على أنّها منّي لغيرك هجنةً

كان يقال: تقبيل اليد إحدى السجديتين.

تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبّلها، فقبضها، فتناول رجله فقال: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه!! دخل عقّال بن شبّة على هشام بن عبد الملك، فأراد أن يقبّل يده فقبضها، وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلع، ومن العجم إلا خضوع.

قال الحسن: قبلة يد الإمام العدل طاعة.

كان يقال: قبلة الرّجل زوجته الفم، وقبلة الوالد ولده الرأس، وقبلة الأمّ الولد الخدّ، وقبلة الأخت الأخ العنق.

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة وقبلة الرجل أخاه دين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "العينان تزنيان وزناهما النظر، و الفم يزني وزناؤه القبل، واليد تزني وزناؤه اللمس، ويصدّق ذلك كله الفرج أو يكذبه".

قال الهيثم بن عديّ قال لي صالح بن حيّان: من أفقه الشعراء؟ فقلت: اختلف في ذلك. فقال: أفقه الشعراء وضّاح اليمن، حيث يقول:

وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

وأعلمتها ما أُرخص الله في اللّم

إذا قلت هاتي ناويليني تبسّمت

فما نولت حتى تضرّعت عندها

## باب الرسول صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن الأنباري عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الرّسول والرّسيل والرّسالة سواء.  
وينشد هذا البيت على وجهين:

بسرّ ولا أرسلتهم برسول

لقد كذب الواشون ما بحث عندهم

ويروى برسيل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أبردتم إليّ بريداً، أو بعثتم رسولا، فليكن حسن الوجه، حسن الاسم، وإذا سألتهم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرجل الصالح يجيء بالخبر الصالح، والرجل السوء يأتي بالخبر السوء".

أنشد أبو حازم القاضي ببغداد:

ن إليه كلاهما يسندان

وأنا عن النبي حديثا

نبتغي من ذوي الوجوه الحسان

واحد في الحاجات يأمرنا أن

م وهذان فيك مجتمعان

ثم في الفال حبه حسن الاس

ك كما جاء عنه لا يصدقان

ومعاذ الإله أن يلفيا في

كان عبد الملك بن مروان إذا ولّى رجلاً البريد، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال: إن كذبه يشكك في صدقه، وشره يحمل على كتمان الحق، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه. قالوا: الرسول قطعة من المرسل.

قال عمرو بن العاص: ثلاثة دالة على صاحبها: الرسول على المرسل، والهدية على المهدي، والكتاب على الكاتب.

لما قال عمر بن أبي ربيعة:

ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

من رسولي إلى الثريا فإني

في أديم الخدين ماء الشباب

هي مكنونة تحير منها

بين خمس كواعب أنراب

أبرزوها مثل المهاة تهادي

عدد القطر والحصى والتراب

ثم قالوا تحبها؟ قلت بهراً

قال له ابن أبي عتيق: والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري. فارتحل من المدينة حتى أتى مكة، فصادف الثريا في الطواف. فقالت له: يا ابن أبي عتيق! ماجاء بك، وليس هذا أوان الحج؟ فقال: أبيات لعمر. فقالت أنشدني. فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها. فقالت: أدى الله أمانتك، فقد أديت. قال: فضرب راحلته ورجع.

قال صالح بن عبد القدوس:

فأرسل حكيماً ولا توصه

إذا كنت في حاجة مرسلأ

فشاور لبيباً ولا تعصه

فأرسل حكيماً ولا توصه

أمضى ولا أنفع من درهم

نعم رسول الرَّجُل المسلم

فلا ترسل سوى حرٍّ نبيل

لطالبا على قدر الرَّسول

من طبقٍ يهدي وهذا الدرهم

يكنى أبا درهمٍ فتمت

لم تحظ نفسي بما تمننت

وإن باب أمر عليك التوى

سمع الخليل بن أحمد رجلاً ينشد بيت صالح هذا:

إذا كنت في حاجةٍ مرسلًا

فقال: هو الدرهم.

وقال آخر:

وما أرسل الأقوام في حاجةٍ

يأتيك عفواً بالذي تشتتهي

ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا:

إذا كنت متخذاً رسولاً

فإن النُّجْح في الحاجات يأتي

وقال الراجز:

ما مرسلٌ أنجح فيما نعلم

وقال منصور الفقيه:

أرسلت في حاجةٍ رسولاً

ولو سواه بعثت فيها

## باب الهدية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الهدية رزقٌ من رزق الله، فمن أهدي إليه شيءٌ فليقبله ولا يرده، وليكافئ عليه".

وقال صلى الله عليه وسلم: "تهادوا فإن الهدية تذهب السخيمة، وتزيل وحر الصدور ولا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة"، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، ويثيب عليها أفضل منها. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أهدي إلي ذراع لقبلت، ولو دعيت لكراع لأجبت".

قال رجل لأبي ذر: فلان يقرئك السلام. فقال: هدية حسنة، وحمل خفيف.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة.

وقد حدثنا ابن صاعد، قال: حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب، حدثنا أبو عتاب الدَّلال، وحدثنا عثمان بن عبد الرحمن، حدثنا الزُّهري، عن عبد الله بن وهب بن زعمه عن أم سلمة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "الهدية تذهب السَّخيمة". قيل: وما السَّخيمة؟ قال: "الإحنة تكون في الصُّدور".

وعن الهيثم بن عديّ، قال: كان يقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استعطف السُّلطان، ولا سلبت الشَّحناء، ولا دفعت المغارم ولا توقِّي المخذور، ولا استعمل المهجور. يمثل الهدية والبرّ.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها".

قال أبو إسحاق الصَّابي:

### رويت في السنّة المشهورة البركه أن الهدية في الجلاس مشتركة

كان يزيد بن قيس الأرحبيّ، والياً لعلّي رضي الله عنه، فأهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما وترك ابن الحنفية، فضرب عليّ رحمه الله على جنب ابن الحنفية وقال:

### وما شرُّ الثلاثة أمّ عمرو بصاحبك الذي لم تصبحينا

روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال للقرابات: "تزاوروا ولا تجاوروا، وتهادوا فإن الهدية تثبت المروءة وتستلُّ السَّخيمة".

أصبح عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف، فأنكر ذلك. فقالوا له: إنه يوم نيروز قال: فنيروز لنا إذاً كل يوم.

قال أبو عمر: كان هذا منه رضي الله عنه - إن صحّ - قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال - مال المسلمين.

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين يوماً ومعني خبيص، فقلت: قولوا له: يونس بالباب. فقال - وأنا أسمع - قولوا له: قد نام. فقلت: إن معني خبيصاً. قال: كما أنت حتى أخرج إليك.

قال الشاعر:

### هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا

### وتزرع في الضمير هوى ووداً ويكسوهم إذا حضروا جمالا

قال أبو عوانة: قلت للأعمش: يا أبا محمد! إن عندي بطة سمينة، أفتكون عندي في الدار؟ قال: وما تصنع بعنائي؟! ابعث بها إلى الدار.

قال الشاعر:



إنّ الهدايا لها حظٌ إذا وردت

وقال آخر:

أحظى من الإبن عند الوالد الحذب

ما من صديقٍ وإن أبدى مودته

إذا تلثم بالمنديل منطلقاً

يوماً بأنجح في الحاجات من طبق

لم يخش صولة بوابٍ ولا غلق

لا تكذبنّ فإنّ الناس قد خلقوا

لرغبةٍ يكرمون الناس أو فرق

أمّا الفعال فعند النجم مطلعته

والقول يوجد مطروحاً على الطُرق

وقال آخر:

أهدى إليه حبيبه أترجّةً

خوف التبدّل والتلون إنّها

فبكى وأشفق من عيافة زاجر

لونان باطنها خلاف الظاهر

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل، وكتب معها:

نعلٌ بعثت بها لتلبسها

تمشي بها قدمٌ إلى المجد

لو كان يحسن أن أشركها

خدّي جعلت شراكها خدّي

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أكرمك الل

ه بشيءٍ فكن له ذا قبول

لا تقسه إلى ندى كفك الغم

ر ولا نيلك الكثير الجزيل

واغتفر قلة الهدية مني

إن جهد المقلّ غير قليل

أو لم إسحاق بن إبراهيم الموصلي وليمة، فأهدى إليه إخوانه هدايا، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان مطيب، وكتب إليه رقعة فذاك أخوك عنده، لولا أن البضاعة تقصر لجزت السابقين إلى برّك، وكرهت أن تطوى صحيفة البرّ ولا حظّ لي فيها، فوجهت إليك بالمتبدأ به ليمنه وبركته، والمختوم به لطيبه ونظافته، جراب ملح وجراب أشنان هدية من يحتشم إلى من لا يغتنم، وكتب أسفل الرقعة:

هديتي تقصر عن همّتي

وهمّتي تعلو على مالي

وخالص الودّ ومحض الهوى

أحسن ما يهديه أمثالي

بعث رجل إلى دعبل بأضحية، فكتب إليه دعبل:

بعثت إلينا بأضحية

وكنت حريّاً بأن تفعلنا

كأنك أُر عيتها حرماً

فسبحان ربك ما أعدلاً

قال قتادة: يعرف سخف الرجل في سخف هديته. قال ذلك في نعل أهديت إليه.  
ولي في هذا:

والنوك واللؤم فيها يظهران معا

أبدى نذالته فيها لمن سمعا

سخافة المرء تدرى في هديته

إن اللئيم إذا أهدى هديته

ولخلف الأحمر:

على ما كان من بخلٍ ومطل

وسدوا دونها باباً بقفل

وعشر دجائج بعثوا بنعل

وعشر من رديء المقل خشل

على نعل فدق الله رجلي

تغيم سماؤهم من غير وبل

ولكنّ الفعال فعال عكل

سقى حجّاجنا نوء الثرياً

هم جمعوا النعال وأحرزوها

إذا أهديت فاكهة وشاة

ومسواكين طولهما ذراع

فإن أهديت ذاك لتحملوني

أناس يأنفون لهم رواء

إذا انتسبوا ففرغ من قريش

وقال آخر في جار له أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً:

ولا أبرئك من الغش

كأنما جئت من الحش

عبّاس ما وجهك بالهش

لم تهد لي نعلًا ولا مقلة

ولمنصور الفقيه - يداعب صديقاً يكنى أبا النصر ويسمى فتحاً، قدم من الحج - شعرٌ حسن النظم مليح  
المعنى، رأيت إيراده لحسنه:

يؤمّون مصر من أرض الحرم

لعشر ليالٍ توالت حرم

أحقاً تقولون؟ قالوا: نعم

وقلبي ممّا به يضطرم

سألت الحجيج وقد أقبلوا

فقلت لهم بعد إيناسهم: أفتح بمكة أم قد قدم؟

فقالوا: ترحّل من قبلنا

فقلت بحرمة من زرتم؟

فأقبلت في صرخة منهم

أعدّد آلاءه والجفون  
مسايفيح بالدّمع والدّمع دم  
فصادفني صالحٌ عبده  
فقال: فديتك لم تلتدم؟  
وماذا دعاك إلى ما أرى  
فقلت: الحذار على ذي الكرم  
أبى نصرٍ البحر من جوده  
إذا المزن ضنّت بصوب الدّيم  
فقال: ألم يأت من جمعةٍ  
فقلت كذبت فأين الأدم؟  
وأين القفاف الحسان القدود  
وأقداح جيشان تلك السّلم  
وأين النّعال وأين الفراء  
وأين القديد قديد الطّباء  
وأين الملوّز مثل العنم  
فقال: وحقّك ما جاءنا  
بشيءٍ سوى نفسه فاغتم  
قدوم صديقك واستهده  
حديث الوفود وفود الأمم  
إلى البيت يشهدك أخباره  
عجائب عربهم والعجم  
فقلت: ألا ليت أخباره  
وناقله خلف قافٍ ولم

ولخلف بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة في جار له غاب ثم قدم، ولم يهد له، وكانت بينهما مصافاة:

أتانا أخٌ من غيبةٍ غاب أشهراً  
وكنّت إذا ما غاب أنشده الرّكبا  
فجاء بمعروفٍ كثيرٍ فدسّه  
كما دسّ راعي السّوء في حضنه الوطبا  
فقلت له: هل جنّنتي بهديّةٍ  
فقال: بنفسي. قلت: آثر بها الكلبا  
هي النّفس لا آسى عليها وإن نأت  
ولا أتمنّى الدّهر يوماً لها قربا  
إذا هي أوفت من ثمانين قامّةً  
فلا السّهل لقّاه الإله ولا الرّحبا

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه في يوم نيروز وسهماً وديناراً ودرهماً، وكتب إليه:

لا زلت كالورد نضير الميسم  
في عزّ دينارٍ ونجح درهم  
ونافذاً مثل نفوذ الأسهم

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصايي إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطربلاًباً على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه:

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا  
لكنّ عبدك إبراهيم حين رأى  
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد  
في مهرجانٍ عظيمٍ أنت تعلية  
سموّ قدرك عن شيءٍ تساميه  
أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وأهدى شمس المعالي إلى عضد الدولة سبعة أقلام، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك سبعة أقلام  
مرهفات كأنها ألسن الحيّ  
وتفاءلت أن ستحوى الأقاليم  
م لها في البهاء حظٌ عظيم  
ات قد جاز حدّها التقويم  
م بها كلُّ واحدٍ إقليم

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: كانت الهدية فيما مضى هدية، أما اليوم فهي رشوة. وقال كعب الأحبار: قرأت في ما أنزل الله على بعض أنبيائه: الهدية تفقأ عين الحكيم. وقال الشاعر:

إذا أتت الهدية باب قومٍ  
تطابت الأمانة من كواها

### باب الجار

قالت عائشة: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيّهما أهدى؟ قال: "إلى أقربهما باباً".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن جارٌ حتى يأمن جاره بوائقه" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".  
كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من جارٍ سوءٍ، عينه ترعاني، وقلبه لا ينساني.  
مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس لعالمٍ وأنعاه عليه قرابته وجيرانه.  
وقال عكرمة: أزهد الناس في عالمٍ جيرانه.  
قال رجل لسعيد بن العاص: والله إنني لأحبُّك. فقال له: ولم لا تحبني ولست بجارٍ لي ولا ابن عم.  
كان يقال: الحسد في الجيران، والعدواة في الأقارب.  
روى يحيى بن يحيى الباجي، قال حدثني محمد بن الفضل المكي. قال حدثني أبي عن إبراهيم عن عبد الله، قال: مرَّ مالك بن أنسٍ بقينةٍ تعني شعر مسلم:

أنت أختي وأنت حرمة جاري  
إنَّ للجار إن تغيبَ غيباً  
وحقيقٌ عليّ حفظ الجوار  
حافظاً للمغيب والأسرار

مسبل أم بقي بغير ستار

ما أبالي أكان للباب سترٌ

فقال مالك: علموا أهليكم هذا ونحوه.

وعن مالك، أيضاً، قال مالك بن أنس، قال أبو حازم: كان أهل الجاهلية أحسن حواراً منكم، فإن قلتهم: لا. فبيننا وبينكم قول شاعرهم:

وإليه قبلي تنزل القدر

ناري ونار الجار واحدة

ألا يكون لبيته ستر

ما ضرَّ جاراً لي أجوره

حتى يوارى جرتي الخدر

أعمى إذا ما جرتي برزت

قال أبو عمر: هذا الشاعر مسكين الدارمي.

وقال آخر: أقول لجاري إذ أتاني معاتباً=مدلاً بحق أو مدلاً بباطل

إليك فما شرِّي إليك بواصل

إذا لم يتصل خيري وأنت مجاوري

قال الأصمعي: ومن أحسن ما قيل في حسن الجوار:

إن الكرام خيار النَّاس للجار

جاورت شيبان فاحلولى جوارهم

من كلام عليّ رحمه الله: الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق، أخذه الشاعر فقال:

وقبل الطريق النهج أنس رفيق

يقولون قبل الدار جارٌ مجاورٌ

وقال آخر:

لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم

وقال آخر:

ولم يعرفوا جاراً هناك ينغص

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي

بجيرانها تغلو الديار وترخص

فقلت لهم كفوا الملام فإنها

قال الحسن البصري رحمه الله: إلى جنب كل مؤمن، منافقٌ يؤذيه.

وقال بشّار بن بشر الجاشعي:

وإني لمشغوّة لدى اغتياها

وإني لعفٌّ عن زيارة جرتي

زؤوراً ولم تأنس إليّ كلابها

إذا غاب عني بعلها لم أكن لها

ولا عالماً من أي جنس ثيابها

ولم أك طلاباً أحاديث سرّها

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك. قال عليّ للعباس رضي الله عنهما: ما بقي من كرم أخلاقك؟ قال: الإفضال على الإخوان وترك أذى الجيران. كان يقال: ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكنه الصبر على الأذى.

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه: يا سائلي عن حسينٍ=وقد مضى أشكاله

كف الأذى واحتماله

أقل ما في حسينٍ

قال الحطيئة:

بمقصي في الجوار ولا مضاع

لعمرك ما المجاور في كليبٍ

يد الخرقاء مثل يد الصنّاع

هم صنعوا لجارهم وليست

ويأكل جارهم أنف القصاع

ويحرم سرُّ جارتهم عليهم

وقال الحسن بن عرفطة:

ولا مثل جار السوء يكره جانبه

ولم أر مثل الجهل يدعو إلى الردى

وقال آخر:

ولا محالة من شتم وألقاب

لا يأمن الجار شرّاً في جوارهم

ومثل هذا قول الآخر:

ولا أتعلّم ألقابها

أجل العشيرة إمّا حضرت

وقال حاتم الطائي ويروى لغيره:

ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

أيا ابنة عبد الله وابنة مالكٍ

أكيلاً فإنّي لست آكله وحدي

إذا ما عملت الزّاد فاتّخذي له

أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي

بعيداً قصياً أو قريباً فإنني

خفيف المعني بادي الخصاصة والجهد

وكيف يسيغ المرء زاداً وجاره

وقال غيره:

كأنّ دار اغترابي عندهم وطني

سقياً ورعيّاً لأقوامٍ نزلت بهم

علمت أنّهم من حيلة الزّمن

إذا تأملت من أخلاقهم خلقاً

وقال ابن حبناء:

له مركبٌ فضلٌ فلا حملت رجلي  
فلا كنت ذا زادٍ ولا كنت ذا رحل  
عليّ له فضلاً بما نال من فضلي

إذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي  
ولم يك من زادي له نصف مزودي  
شريكين فيما نحن فيه وقد أرى

ويروى لحاتم الطائي.

تذاكر أهل البصرة من ذوي الآداب والأحساب في أحسن ما قاله المولدون في حسن الحوار من غير  
تعسف ولا تعجرف، فأجمعوا على بيتي أبي الهندي وهما:

غريباً عن الأوطان في زمنٍ محل  
وبرُّهم حتّى حسبتهم أهلي

نزلت على آل المهلب شاتياً  
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم

### باب الضيف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليلة الضيف حق واجب".  
وقد أوضحنا في كتاب "التمهيد" معنى هذا الحديث وغيره في الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن  
ندب إليها؟ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة،  
والضيافة ثلاثة أيام، وما زاد فهو صدقة، ولا يجلب أن يثوي غيره حتى يجره". قيل للأوزاعي: رجل قدم  
إلى ضيفه الكامخ والزيتون، وعنده اللحم والعسل والسمن؟ فقال: هذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر.  
قال أبو ذؤيب:

خبز الشعير وعندي البرُّ مكنوز

لا درّ درّى إن أطعمت نازلهم

قال نافع: كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث، ويقول بعد الثلاث: أمسكوا عنا  
صدقتمكم، ويقول لي: أنفق من عندك.

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه: أي آيات العرب في الضيافة أحسن؟ فاختلفوا وأكثروا، فقال  
معاوية: قاتل الله أبا النجم حيث يقول:

طويلٌ سنا ناري بعيدٌ خمودها

لقد علمت عرسي فلانة أننى

سوى منبت الأطناب شبّ وقودها

إذا حلّ ضيفي با لفلاة ولم أجد

وقالوا: أحسن شيء في الضيافة قول مسكين الدارمي:

طعامي الضيف والرحل رحله

أحدثه إن الحديث من القرى

وقال العلوي صاحب الزنج:

يستأنس الضيف في أبياتنا أبداً

ولخالد عيين، وإنما قيل له خالد عيين لأنه كان يتزل أرضاً بالبحرين: يقال لها عيين:

أيها الموقدان شبا سناها

فليس يعلم خلق أينا الضيف

إن للضيف طارفي وتلاذي

وقال عوف بن الأحوص.

ومستبج يغشى الغداة ودونه

رفعت له ناري فلما اهتدى لها

فلا تسأليني وأسألني عن خليقتي

تري أن قدري لا تزال كأنها

من الليل بابا ظلمة وستورها

زجرت كلابي أن يهر عقورها

إذا رد عافي القدر من يستعيرها

لدى الغرث المقرور أم يزورها

وقال حسان بن ثابت:

يغشون حتى ما تهر كلابهم

وقال أبو الطحان القيني

وقد عرفت كلابهم ثيابي

وقال المرار الحملي:

ألف الناس فما يهجمهم

وقال امرؤ القيس:

أعرف الحق ولا أجهله

ما يرى كلبى إلا آيساً

وقال حاتم الطائي:

من عسيف يبتغي الخير وحر

وكلابي أنس غير عقر

إن رأي خابط ليل لم يهر

وشق على الضيف الغريب عقورها

قليل على من يعتريها هريرها

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه

فإن كلابي قد أقرت وعودت

وقال يعقوب الخريمي:



ويخضب عندي والمحلُّ جديب  
ولكنَّما وجه الكريم خصيب

وخيرهم لطارقٍ إذا أتى  
صادف زاداً وحديثاً ما انتهى

له منك أبكار الحديث وعونه

إذا ما أتاني بين ناري ومجزري  
وأبذل معروفٍ له دون منكري

فقرؤا أضيافهم لحماً وحر

فإنه أراد لحماً دبت عليه الوحرة، وهي دويبةٌ كالعظاية خضراء إذا اجتمعت تلتصق بالأرض: الجمع: وحر، ومنه قيل وحر الصدر، كما قيل للحقد ضبٌّ، ذهبوا به إلى لزوقه بالصدر التزاق الوحرة بالأرض، يقال: لحم وحر، إذا دبت عليه الوحرة. ولبن فئر إذا وقعت فيه الفأرة.

وقال رجل من بني فقعس، وهو الحارث بن يزيد، يمتدح نفسه بجدمة الضيف:

لضيفي وإني إن ركبت لفارس

وما شيمةٌ لي غيرها تشبه العبد

يصلُّون الصلَّةَ بلا أذان

بما يصلح المعدة الفاسده

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى

وللشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

إنك يا ابن جعفر خير الفتى

وربَّ نضوٍ طرق الحيّ سرى

إنّ الحديث جانبٌ من القرى

وقال سهل الوراق:

وضيفك قابله بِّبرك وليكن

وقال آخر:

سلي الطارق المعترّ يأمّ مالك

أبسط وجهي؟ إنّه أولّ القرى

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في جوابه معاوية.

أما قول الشاعر:

بئس عمر الله قوماً طرقوا

لعمر أببك الخير إني لخدم

وقال المقتع الكندي:

وإني لعبد الضيف مادام نازلاً

وما امتدح به ذم بضده، قال الشاعر:

تراهم خشية الأضياف خرساً

وقال حماد عجرد:

وجدت أبا الصلّت ذا خبرة

## تخوف تخمة أضيفه

وقال عمرو بن الأهمم التميمي المنقري من أشرفهم، وكان شاعراً محسناً، يقال: كأن شعره حلقٌ منشرة، وله صحبة:

ذريني فإنَّ الشُّحَّ يا أم مالك  
ذريني وحظِّي في هواي فإنني  
ومستنبح بعد الهدوء أجبته  
فقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً  
أضفت ولم أفحش عليه، ولم أقل: للأحرمة الفناء يضيق  
لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها  
وقال آخر:

وطريد ليل ساقه سغبٌ  
أوسعت جهد بشاشةٍ وقرى  
ثم اغتدى ورداؤه نعمٌ  
وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت:  
قومٌ إذا نزل الغريب بأرضهم  
وهنا إليّ وقاده برد  
وعلى الكيم لضيفه الجهد  
أسديتها وردائي الحمد  
ردؤه رباً صواهل وقيان

## باب المعروف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلُّ معروف صدقة".  
قال أبو جري الهجيمي: يارسول الله أوصني. فقال: "لا تحقرنَّ شيئاً من المعروف أن تأتيه، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقى، ولو أن تلقي أحاك ووجهك منبسطةً إليه".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا طلبتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه".

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلكم على شيءٍ يحبُّه الله ورسوله؟" قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: "المعروف والتَّعابن للضعيف".

قال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تمسسه النار. قالوا: وما هو يا روح الله؟ قال: المعروف.  
قال عبد الله بن عباس: ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه.

قال زيد بن علي بن حسين: ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه ولا كلُّ من رغب فيه يقدر عليه ولا كلُّ من قدر عليه يؤذَن له فيه، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن تمت السعادة للطالب والمطلوب منه.  
قال ابن عباس: المعروف أئمن زرع، وأفضل كثر، ولا يتم إلا بثلاث خصال: بتعجيله وتصغيره وستره.  
فإذا عجل هني، وإذا صغر فقد عظم، وإذا ستر فقد تمَّ.  
قال زهير:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه  
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وقال آخر:

إنَّ ابتداء العرف مجدٌ باسقُ  
والمجد كلُّ المجد في استتمامه

إنَّ الهلال يروق أبصار الورى  
حسناً وليس كحسنة لتمامه

أنشد الزبير بن بكار:

أبل من شئت ثقله  
عن قليل لفعله

ضاع معروف واضع ال  
عرف في غير أهله

قال القاسم بن معن، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة: ما السخاء؟ قال: التأني للمعروف. قال فما البخل؟ قال: الاستقضاء على الملهوف.

قال ابن عباس لا يزهّدنك في المعروف كفرٌ من كفر، فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه.

كان يقال: في كل شيء سرفٌ إلا في المعروف.

قال حبيب:

وإذا امرؤٌ أهدى إليك صنيعاً  
من جاهه فكأنها من ماله

كان يقال: لا يزهّدنك في المعروف دمامة من يسديه إليك، ولا ينيو بصرك عنه، فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظره، وإن لم يكن أهله فكن أنت أهله.

قال الشاعر:

ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه  
فحلواً وأمّا وجهه فجميل

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر:

حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقَ الْمَصْنَعِ

لِلَّهِ أَوْ لَذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْ أَوْدَعِ

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً

فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا

فقال عبد الله بن جعفر: هذان البيتان ييخّلان الناس، لا. ولكن أمطر المعروف إمطاراً، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً. كان يقال: من أسلف المعروف كان ربحه الحمد. قال عمرو بن العاص: في كل شيء سرفٌ إلا في ابتناء المكارم أو اصطناع معروف، أو إظهار مروءة. وكان يقال: كما يتوخّى للوديعه أهل الأمانة والثقة، كذلك ينبغي أن يتوخّى بالمعروف أهل الوفاء والشكر.

كان يقال: إعطاء الفاجر يقوِّيه على فجوره، ومسألة اللئيم إهانة للعرض، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصنّيعه عند الكفور إضاعة النعمة، فإذا هممت بشيء من هذا، فارتد الموضع قبل الإقدام على الفعل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ، كَمَا أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي نَجِيبٍ".

مكتوب في التوراة: افعل إلى امرئ السوء خيراً يجزك شراً. كان يقال: صاحب المعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكئاً. قال الشاعر:

لَهَا مِنْجَدٌ حَزَنٌ وَمَنْحَدْرٌ سَهْلٌ

إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ تَنْبِيَةٌ

يُودُّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يَنْبِيْلُهُ

كان الحجاج بن يوسف يقول: خير المعروف ما أنعشت به الكرام. كان يقال: من لم يرب معروفه فكأنه لم يصطنعه. كان يقال: أحي معروفك بإماتته.

كتب أرسطو طاليس إلى الإسكندر: املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك، وأعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف، وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل.

كان يقال: اتق أن يسدّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمنّ، فإن المنّ يفسد الصنّيعه والكفر يحوها،

والشكر يحوها والشكر يجلب النعمة.

قال الشاعر:

ليس الكريم بما أسدى بمنان

أفسدت بالمنّ ما أوليت من حسن

وقال الحسن بن هانئ:

منك المعروف من كدره

فامض لا تمنن عليّ يداً

قال معاوية ليزيد: يا بني اتخذ المعروف منالا عند ذوي الأحساب تشتمل به مودتهم، وتعظم في أعينهم، وتكف به عاديهم، وإياك والمنع، فإنه ضد المعروف.

كان يقال: حصاد من يزرع المعروف في الدنيا، اغتباط في الآخرة.

ذم أعرابي رجلاً، فقال: كان سمين المال، مهزول المعروف.

قال الزهيري: من زرع معروفاً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد ندامة.

قال الشاعر:

وزارع الشرّ منكوسٌ على الرأس

من يزرع الخير يحصد ما يسرُّ به

وقال الراجز:

موفراً يوماً إذا ما أراد

من يزرع الخير يحصد حصاده

قال بشر بن أبي خازم:

وأيدي الندى في الصالحين فضول

وقال الحطيئة:

لا يذهب العرف بين الله والناس

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

وقال عبد الله بن مبارك رضي الله عنه:

تحملها شكورٌ أو كفور

يد المعروف غنمٌ حيث كانت

وعند الله ما كفر الكفور

ففي شكر الشكور لها جزاءٌ

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف.

ولابن دريد وقيل إنه أنشدها:

فما اسطعت من معروفها فتزود

وما هذه الأيام معارةٌ

تموت ولأما يحدث الله في غد

فإنك لا تدري بأية بلدةٍ

قال بزرجهمر: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر، واحتسب فيه الأجر، وارتهن فيه الشكر، واسترقّ فيه الحرّ.

جمع كسرى مرابته وعيون أصحابه، فقال لهم: على أي شيء أنتم أشد ندامة؟ قالوا: على وضع المعروف في غير أهله، وطلب الشكر ممن لا يشكره.  
قال الشاعر:

وزهدني في كل خيرٍ منعته  
إلى الناس ماجرت من قلة الشكر  
وقال آخر:

الناس من شاكرٍ للعرفٍ محتملٍ  
فابسط يد الجود تحمل بعض نائلها  
ومن كفورٍ لما أوليته زمر  
وإنما الناس والمعروف كالغرر  
وقال آخر:

ومن يجعل المعروف في غير أهله  
يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر  
قال المهلب: عجبت لمن يشتري الممالك بماله، ولا يشتري الأحرار بمعرفه.  
وقال: ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام فأكرم حرّاً تملكه.  
قال المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته  
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
قال عبد مناف: دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان.  
قال الشاعر:

من لم يؤدبه الجمي  
ل ففي عقوبته صلاحه  
وقال محمود الوراق:

فكرت في المال وفي جمعه  
وكان ما أنفقت في أوجه ال  
هو الذي يبقى وأجزى به  
ومن فساد العرف إحصاؤه  
فانشر إذا أوليت عرفاً وإن  
فكان ما يبقى هو الفاني  
برّ بمعروف وإحسان  
يوم يجازى كل إنسان  
وذكره في كل إبان  
أوليته فاستر بنسيان

## باب الشكر

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من أولى معروفاً فلم يجد إلا الثنا فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره".

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من أهدى إليهِ معروف، فقال لفاعله: جزاك اللهُ خيراً فقد أبلغ في الثناء".  
سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رضي اللهُ عنها تنشد لليهودي:

ارفع ضعيفك لا يحرك بك ضعفه

يجمزك أو يثني عليك وإن من

أنتى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال: "قاتله اللهُ ما أحسن ما قال!، من لم يجد إلا الدعاء والثناء فقد كافاً".

وفي رواية أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أنشدي شعر ابن الغريض اليهودي حيث قال: إن الكريم" فأنشده:

إنَّ الكريم إذا أراد وصالنا

لم يلف حبلِي واهياً رثَّ القوي

أرعى أمانته وأحفظ غيبه

جهدي فيأتي بعد ذلك ما أتى

أجزيه أو أنتى عليه فإن من

أنتى عليك بما فعلت فقد جزى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أنه للغريض اليهودي وهو الغريض بن السموع بن عادياء اليهودي، من ولد الكاهن هرون بن عامر بن ساعر، وأما أهل الأخبار، فاختلفوا في قائله، فقيل: هو لورقة بن نوفل، وقيل هو لزهير بن جناب الكلبي، وقيل: لعامر بن الجنون وقيل ليزيد بن عمرو بن نفيل، ومنهم من قال: إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن نوفل البيتان الأولان، والصحيح فيها وفي الآيات غيرها أنهما للغريض اليهودي والله أعلم.  
قال ابن أبي الدنيا: أنشدي الحسين بن عبد الرحمن:

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلةً

أعلى من الشكر عند الله في الثمن

إذا منحتكها مني مهنةً

شكراً على صنع ما أوليت من حسن

وقال آخر في يحيى بن خالد البرمكي:

طلبت ابتغاء الشكر فيما فعلت بي

فقصرت مغلوباً وإنِّي لشاكر

لقد كنت تعطيني الجزيل بديهةً

وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر

فأرجع مقنوطاً وترجع بالتي

لها أولٌ في المكرمات وآخر

ومما أنشده الرياشي:

**شكري لفضلك فانظر في عواقبه تعرف بفضلك ما عندي من الشكر**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها، وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر، وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبته حتى يغفر له".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل".  
وقال: "أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم لعباده، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير".  
وفي التفسير: "اعملوا آل داود شكراً". قالوا: الطاعات كلها شكر، وأفضل الشكر الحمد.  
وفي قوله في نوح عليه السلام: "إنه كان عبداً شكوراً"، وقالوا: كان لا يقوم ولا يقعد، ولا يلبس ثوباً، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله، فأثنى عليه الله بذلك.  
مكتوب في التوراة: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعم إذا شكرت، ولا مقام لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير.

قال أبو نخيلة: شكرتك إن الشُّكر حبلٌ من التُّقى=وما كلُّ من أوليته نعمةً يقضي

**وأحييت من ذكري وما كنت خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض**

قال حذيفة بن اليمان: ما عظمت نعمة الله على أحد إلا ازداد حقَّ الله عليه عظماً.  
قال عروة بن الزبير: من لم يعرف سوء ما يبلى لم يعرف خير ما يولى.  
قال جعفر بن محمد: ما أنعم الله على عبد نعمةً فعرّفها بقلبه وشكرها بلسانه فما يبرح حتى يزداد.  
قال ابن عباس: لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه مثله.  
قيل لسعيد بن جبیر: الجوسى يوليني خيراً فأشكره؟ قال: نعم قال أوس بن حجر: وقيل: إنه لأبي يعقوب الخريمي:

**سأجزيك أو يجزيك عني ربنا وحسبك مني أن أودَّ وأحمدا**

ولأبي المعافي يعقوب بن إسماعيل بن رافع، مولى مزينة في بكار بن عبد الله الزبيري:

**إنني أنثي بما أوليتني  
لن يرضع حسن بلاء من شكر  
إنني والله لا أكفركم  
أبدأ ما صاح ديك في السحر**

وقال آخر:

**فلو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ  
لعزّة ملكٍ أو علوِّ مكانٍ**



لما ندب الله العباد لشكره

فقال اشكروني أيها الثقلان

وقال آخر:

سأشكر عمرا ما تراخت منيَّتي

أيادي لم تمنن وإن هي جلَّت

فتى غير محبوب الغنى عن صديقه

ولا مظهر الشكوى إذ النعل زلَّت

وقال آخر:

رأى خلَّتِي من حيث يخفى مكانها

فكانت قذى عينيه حتَّى تجلَّت

وقال آخر:

لئن طببت نفساً عن ثنائي فإنني

لأطيب نفساً من نذاك على عسري

فلست إلى جدواك أعظم حاجةً

على شدّة الإعسار منك إلى شكري

قال عمر بن عبد العزيز: ذكر النعمة شكر.

قال جعفر بن محمد: من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة.

قال الشاعر:

إذا أنا لم أعرف لذي الفضل فضله

ولم ألم الخبّ اللّئيم المذمّمَا

ففيم عرفت الخير والشرّ باسمه

وشقّ لي الله المسامع والفما

وقال آخر:

والكفر مخبئةٌ لنفس المنعم

وقال آخر:

وماتخفي الصنّيعه حيث كانت

ولا الشكر الصّحيح من السّقيم

وقال العتاي:

فلو كان للشكر شخصٌ يرى

إذا ما تأملّه الناظر

لمتّله لك حتّى تراه

فتعلم أنّي امرؤٌ شاكر

وقال آخر:

وإنك إن ذوّقتني ثمر الغنى

حمدت الذي تجنيه من ثمر الشكر

وإن يفن ما أعطيتني اليوم أو غداً

فإنّ الذي أعطيك يبقى على الدّهر

وقال آخر:

لأشكرنك معروفاً هممت به  
إن اهتمامك بالمعروف معروف  
ولا ألومك إن لم يمضه قدرٌ  
فالرزق بالقدر المحتوم مصروف

قال سليمان التيمي: إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم. قالوا: كل شكر وإن قل، ثم لكل نوال وإن جل. كانت هند بنت المهلب تقول: إذا رأيتم النعمة مستبدرة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال. وقال أبو النواس:

أنت امرؤٌ أوليتني نعماً  
أوهت قوى شكري فقد ضعفاً  
لا تجدثن إلي عارفةً  
حتى أقوم بشكر ماسلفاً

وقال البحري:

من لا يقوم بشكر نعمة حبه  
فمتى يقوم بشكر نعمة ربه

أنشد المبرد لمحمود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً  
علي له في مثلها يجب الشكر  
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلته  
وإن طالت الأيام واتصل العمر  
إذا سرَّ بالسراء عمَّ سرورها  
وإن مسَّ بالضراء أعقبها الأجر  
ومامنهما إلا له فيه نعمةً  
تضيق بها الأوهام والبرُّ والبحر

قال أبو العباس المبرد: هذا معنى لطيف، يقول: إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه، فيجب أن يحمد على التوفيق، ثم يجب في الحمد الثاني ما يجب في الحمد الأول أبداً إلى حيث لا نهاية، ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

إذا أنت لم تزد على كل نعمةٍ  
قد آتاكها شكراً فليست بشاكر

ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلي في هذا المعنى:

فكيف بشكر ذي نعم إذا ما  
شكرت له فشكري منه نعمه

قال رجل من قريش لأشعب الطمع: يا أشعب! أحسنت إليك فلم تشكر! فقال: إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر.

قالوا: لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه.

قال الشاعر: إذا الشافع استقصى لك الجهد كله=وإن لم تنل نجحاً فقد وجب الشكر وقال آخر:

والحمد شهد لا يرى مشتاره  
يجنيه إلا من نزع الحنظل

وقال آخر:

دنوت للمجد والساعون قد بلغوا  
جهد النفوس وشدوا دونه الأزرا  
وساوروا المجد حتى مل أكثرهم  
وعانق المجد من وفي ومن صبرا  
لا تحسب المجد تمراً أنت أكله  
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال جعفر بن محمد: مامن شيء أسرُّ إلي من يد أتبعها أخرى، لأنَّ مع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل.

### باب في طلب الحاجات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيِّه ما شاء".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لله عبادةً خلقهم لحوائج النَّاس، هم الآمنون يوم القيامة".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اطلبوا الخير عند حسان الوجوه".

قال الشاعر:

أنت وصف النبيِّ إذ قال يوماً  
اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم: إنِّي أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك.

قال يونس رحمه الله:

أنزلت بالحرِّ إبراهيم مسألةً  
أنزلتها قبل إبراهيم بالله

فإن قضى حاجتي فالله يسرها  
هو المقدِّرها والأمر والنَّاهي

إذا أبى الله شيئاً ضاق مذهبه  
على الكبير العريض القدر والجاه

وقال أبو العتاهية:

خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبد الله بن طاهر:

لنا حاجةٌ والعذر فيها مقدّمٌ خفيفٌ معناها مضاعفة الأجر

فإن تقصنها فالحمد لله ربنا وإن تكن الأخرى ففي أوسع العذر

على أنه الرّحمن معطٍ ومانعٌ وللرزق أسبابٌ إلى قدرٍ تجري

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر:

فسلها تجدني موجباً لقضائها سريعاً إليها لا يخالطني فكر

شكورٌ بإفضالي عليك بمثلها وإن لم تكن فيما حوته شكر

فهذا قليلٌ للذي قد رأيتَه لحقك لا منٌّ من لديّ ولا فخر

قال معاوية يوماً لعمر بن العاص: لي إليك حاجة. قال: ولي إليك حاجة يا أمير المؤمنين. قال: تمب لي الوهط. قال: هو لك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: اذكر حاجتك قال: ترده علي.

قال جعفر بن محمد: حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما، إن أعطاه شكر من لم يعطه، وإن منعه ذم من لم يمنعه. قال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها، ولا تطلبوها في غير حينها، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان.

كان يقال: إذا طلب العاقل إلى كريم حاجة انقضت، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنح.

كان يقال: إذا أحببت أن تطاع، فلا تسل مالا يستطاع.

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصّعق:

إنك إن كلفنتني ما لم أطق ساءك ما سرّك مني من خلق

قال رجل للأحنف: أتيتك في حاجة لا تزروك ولا تنكوك. قال: إذا لا تقضى، أمثلي يؤتي فيما لا يرزأ ولا ينكأ.

قال رجل للعباس بن محمد، أو لعبد الله بن عباس: أتيتك في حاجة صغيرة، قال: فاطلب لها رجلاً صغيراً. قيل لآخر: أتيتك في حاجة. قال: اذكرها، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها.

كان يقال: لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته، ولا تستعن بكذاب، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة.

قال ابن المقفع: الحاجة يعترى صاحبها الخيفة من مكانين: الاستقبال بما قبل وقتها، والثاني حتى تفوت، وأنشد:

وقد يفوت أناساً بعض ما طلبوا      عند التَّائِي فكان الحزم لو عجلوا

قال أبو فزارة الغاضري: أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة، فلكل أحد في الله عوض من كل أحد، وليس لأحد من الله عوض بأحد. سأل رجل مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير حاجة، فقال: من كانت له إلي حاجة فليكتبها في رقعة، فإني أرغب بوجودكم عن مكروه السؤال. كان يقال: لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رءوس المكايل والموازين. قال العرزمي وروى لأبي الأسود الدؤلي:

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً      فلقاؤه يكفيك والتَّسليم

وإذا طلبت إلى لئيم حاجةً      فألحَّ في رفقٍ وأنت مديم

وقال آخر:

لا تطلبنَّ إلى لئيم حاجةً      واقعد فإنك قائماً كالقاعد

ياخادع البخلاء عن أموالهم      هيهات تضرب في حديدٍ باردٍ

وقال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أطلب حاجتي أم قد كفاني      حياؤك إن شيمتك الحياء

كريمٌ لا يغيِّره صباحٌ      عن الفعل الجميل ولا مساء

إذا أتى عليك المرء يوماً      كفاه من تعرُّضه التَّناء

وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز:

أذكر الضُّرَّ والبلوى التي نزلت      أم أكتفي بالذي بلَّغت من خبري

وقال آخر:

كفالك مذكراً وجهي بأمرِي      وحسبي أن أراك وأن تراني

وقال آخر:

أروح بتسليمٍ عليك وأغتدي      وحسبك بالتَّسليم مني تقاضيا

كفى بطلاب المرء ما لا يناله      عناءً وباليأس المصرَّح ناهيا

وقال آخر:

تخلّ لحاجتي واشدد قواها  
إذا أرضعتها بلبان أخرى  
فقد أمست بمنزلة الضياع  
أضرتّها مشاركة الرضاع

وقال آخر:

ولا تستعيننّ في حاجة  
فينسى الذي كنت كلفته  
بمن يبتغي حاجةً مثلها  
ويبدأ بحاجته قبلها

وقال آخر:

وإذا يصيبك والحوادث جمّة  
حدثُ حداك إلى أخيك الأوثق

وقال أبو العتاهية:

اقض الحوائج ما استطع  
فلخير أيام الفتى  
ت وكن لهم أخيك فارح  
يوم قضى فيه الحوائج

وقال الحارثي:

وما روضةً علويةً أسديّةً  
سقاها الندى في غفلة الدهر نوعها  
بأحسن من حرّ تضمّن حاجةً  
لحرّ فأوفى بالنجاح وبالرفد  
منمنمةً زهراء ذات ثرى جعد  
فنوارها يهتز كالكوكب السعد

قال عمر بن أبي ربيعة:

إنّ لي حاجةً إليك فقالت  
بين أذني وعاتقي ما تريد

كان يقال: من بكر يوم السبت في حاجة، كان حقاً على الله قضاؤها.

قال بشار بن برد:

بكرًا صاحبيّ قبل السحور  
إنّ جلّ النجاح في التّبكير

قالوا: من صبر على حاجة ظفر بها ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

اصبر على مضض الإدلاج في  
السفر  
وفي الرّواح إلى الحاجات والبكر

لا تضجرنّ ولا يعجزك مطلبها  
فالنّجح يتلف بين العجز والقصر

للسَّبرِ عاقبةٌ محمودة الأثر  
واستصحب الصَّبرِ الإِفازَ بالظَّفَرِ

إني رأيت وفي الأيام تجربةً  
وقلَّ من جدَّ في شيءٍ يطالبه

وقال محمد بن بشير:

فالسَّبرُ يفتق منها كلَّ ما ارتتجا  
إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا  
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

إنَّ الأمور إذا انسَدَّت مسالكها  
لا تياسنَّ وإن طالَّت مطالبةُ  
أخلق بذِي الصَّبرِ أن يحظى بحاجته

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة فلم يقضها له، وسألها غيره فقضاها إليه فكتب هذه الأبيات:

تولَّى سواكم أجرها واصطناعها  
ونفسٌ أضاق الله في الخير باعها  
عصاها وإن همَّت بسوءٍ أطاعها

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي  
أبى لك كسب الحمد رأيٍ مقصراً  
إذا هي حنَّته على الخير مرَّةً

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل. قال مؤرق العجلي: سألت ربي حاجة عشرين سنة، فما انقضت لي ولا يئست منها. قال أبو العتاهية:

ياناً عليه وربِّما صعبت  
كم من يدٍ لا تتال ما طلبت  
ضاقت عليه الدُّنيا بما رحبت

في النَّاسِ من تسهل المطالب أح  
ما كلُّ ذي حاجةٍ بمدرَكها  
من لم يسعه الكفاف معتدلاً

وقال القطامي:

وقد يكون مع المستعجل الزَّلَل

قد يدرك المتأنِّي بعض حاجته

كان بنو يربوع يوصون أولادهم، فيقولون: استعينوا على الناس في حوائجكم بالثقل فذلك أنجح لكم. قال أبو نواس:

من النَّاسِ إلاَّ المصبجون على رجل

ولن يدرك الحاجات من حيث ينبغي

وقال أشجع السلمي:

من له وجةٌ وقاح  
وغدوٌّ ورواح

ليس للحاجات إلا  
وابتكارٌ ودوامٌ

جدة عني والسراح  
وعلى الله النجاح

إن تكن أبطأت الحا  
فعليّ الجهد فيها

وقال آخر:

لأخي الحاجات عن طلبه  
مات ما أمّلت من سببه

هيبة الإخوان قاطعة  
فإذا ماهبت ذا أملٍ

وقال آخر:

لا ترض معجزةً وأنت قدير

طلب الحوائج كلّها تغرير

وقال دعبل بن علي الخزاعي:

إليك إلا بحرمة الأدب  
غير ملحّ عليك في الطلب

جنّتك مستشفعاً بلا سبب  
فاقض ذمامي فإنني رجلٌ

وقال آخر:

وأخو الحوائج وجهه مملول

من عفّ خفّ على الصديق لقاءه

وقال آخر:

صلب الحوائج كلها تغرير

وإذا هممت فأمض همك إنما

اختلف أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع في حاجة زماناً فلم يقضها له، فكتب إليه:

جنّت في حاجةٍ تقول غدا  
عندك ما عشت حاجةً أبدا

أكلّ طول الزمان أنت إذا ما  
لا جعل الله لي إليك ولا

وقال آخر وأظنه محمود الوراق:

وما شيمي موافقة الثقات  
فراراً من مؤونات العدات  
سؤالك حاجةً حتى الممات

وذي ثقةٍ تبدّل حين أثرى  
فقلت له عتبت عليّ ظلماً  
فعد لمودّتي وعليّ نذرٌ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف:

سأصرف نفسي حين تبغى المكارم  
ونصفك محبوب ونصفك نائم

لئن عدت بعد اليوم إنني لظالمٌ  
متى ينجح الغادي إليك لحاجةٍ

وقال الصلتان العبدي:



وحاجة من عاش لا تنقضي  
وتبقى له حاجة ما بقي

نروح ونغدو لحاجاتنا  
تموت مع المرء حاجاته

وقال أبو العتاهية:

إلى حاجة حتى تكون له أخرى

متى تنقضي حاجات من ليس واصلاً

وقال آخر:

ء إذا صادفت هوى في الفؤاد

إنما تتجح المقالة في المرء

سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع، فعوتب في ذلك، فقال: لأن يحمر وجهي مرة خير من أن يصفر وجهي مراراً.

قال منصور الفقيه:

مطلوبة فما ظلم

من قال لا في حاجة

يقول لا بعد نعم

وإنما الظالم من

وقال آخر:

فإن نعم دين على الحر واجب

إذا قلت في شيء نعم فأتمه

لئلا يقول الناس إنك كاذب

وإلا فقل لا تسترح وترح بها

وقال أبو العتاهية:

حاجة في الصدر منه تعتلج

لا يزال المرء ما عاش له

ثم يأتي الله منه بالفرج

رب أمر قد تضايقت به

وقال آخر:

ك ما أخطأت في منعي

لئن أخطأت في مدحي

بواد غير ذي زرع

لقد أحللت آمالي

وقال آخر:

كرائم من رب بهن ضنين

قد تخرج الحاجات يأم مالك

وقال أشجع السلمي:

بنجحها وامتنع المنهج

قد خرجت حاجات أهل الحجا

مني إلى حاجته أحوج

وليس فيهم رجل واحد

تدخل في الحاج ولا تخرج  
بكل ما أكرهه ملهج  
ويسبق في الحاجة من يدلج

يريبني أني أرى حاجتي  
أقول إذا أفلقتني عاذل  
قد يدرك الأمر أناة الفتى

## باب السلطان والسياسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع عليهم ومسؤول عنهم، والمرأة راعية على مال زوجها وهي مسؤلة عنه".  
وقال عليه السلام: "الإمام العدل لا تكاد تردُّ دعوته".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المقسطون يوم القيامة على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين لا يفزعون إذا فزع الناس".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلُّ أميرٍ لم يحط رعيته بالتَّصحيحه لم يرح رائحة الجنة" قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا يصلح هذا الأمر إلاَّ شدةً في غير عنف، ولين في غير ضعف.  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لن يقيم أمر الناس إلا امرؤٌ حصيف العقدة بعيد الغور، لا يطَّلع الناس منه على غوره، ولا يخاف في الله لومة لائم.  
وعن عمر رضي الله عنه قال أيضاً: لا يقيم أمر الله إلاَّ رجلٌ يتكلم بلسانه كله، يخاف الله في الناس، ولا يخاف الناس في الله.  
لعلي بن أبي طالب في أول كتاب كتبه: أما بعد، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشترى، وبسطوا الجور حتى اقتدي.  
قال مجاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه، ضاعت الأمور.  
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الملك والدين أخوان، لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أس، والملك حارس فما لم يكن له أس فمهذوم، وما لم يكن له حارس فضائع.  
قال عبد الله بن مبارك:

منه بعروته الوثقى لمن دانا

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا

في ديننا رحمةً منه ودينانا

كم يدفع الله بالسلطان معضلةً

## لولا الخلافة لم تأمن لنا سبلٌ

## وكان أضعفنا نهياً لأقوانا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمّ أحد على سلطانه، ولا يجلس على تكرمة إلا بإذنه".  
كان يقال: شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء، وشر العلماء أقرهم من الأمراء.  
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يديه، ورغبه فيما يد غيره، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده، فهو يحسد على القليل، ويتسخط على الكثير.  
ولّي عليّ بن أبي طالب عمّ المختار بن أبي عبيد عكبرا، وقال له بين يدي أهلها: استوف منهم خراجهم، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة. ثم قال له: رح إليّ، قال: فرحت إليه، فقال لي: قد قلت لك بين أيديهم ما قلت، وهم قومٌ خدع، وأنا الآن أمرك بما إن قبلته وإلا أخذك الله به دوني، وإن بلغني خلاف ما أمرتك به عزلتك، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا تضربن رجلا منهم سوطاً في طلب درهم، ولا تقمه في السجن في طلب درهم، فإننا لم نؤمر بذلك، ولا تستعر لهم دابة يعملون عليها، فإن أمرنا أن نأخذ منهم العفو.

قال عمرو بن العاص لابنه: يا بني!! احفظ عني مأوصيك به، إمام عدل خير من مطر وبل، وأسدّ حطوم خيرٌ من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.  
رسالة أردشير بن بابك إلى الملوك بعده.

من أردشير ملك الملوك، إلى الملوك الكائنين بعده: الخراج عمود المملكة بكنفه تعيش الرعية، وتحفظ الأطراف والبيضة، فاحتاروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة، من ذوي العقل والحكمة، وكفّوهم بسني الأرزاق يجموا أنفسهم من الارتفاق، فما استغزر بمثل العدل، ولا استتر بمثل الجور.  
ومن كلام الفرس في هذا الباب: لا ملك إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

ومن قولهم أيضاً: مثل الملك الذي يأخذ أموال رعيته ويحجف بهم، مثل من يأخذ الطين من أصول حيطانه، فيطين به سطوحه فيوشك أن تقع عليه البيوت.  
ومن كلامهم أيضاً، وينسب إلى أرسطاطاليس: العالم بستانٌ سياحه الدولة، الدولة سلطان تحيه به السنة، السنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكتفهم المال، المال رزق يجمعه الرعية، الرعية عبيدٌ يتعبدهم العدل، العدل مألوفٌ وهو صلاح العالم.

قال عبد الملك بن عمير: كان مكتوباً في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زوايا بقلم جليل: الوالي شديدٌ في غير عنف، لئِن في غير ضعف، العطية لأربابها والأرزاق لأوقاتها، البعوث لا تجمر،

الحسن يجازى بإحسانه، والمسيء يؤخذ على يديه. فكان كلما رفع رأسه قرأه.  
قال قتيبة بن مسلم: ملاك الأمر في السلطان: الشدة على المذنب، واللين للمحسن، وصدق القول.  
قال أشجع بن عمرو السلمي:

### لا يصلح السلطان إلا شدةً تغشى البريء بفضل ذنب المجرم

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك: يا أمير المؤمنين! ما السياسة؟ فقال: هيبة الخاصة مع شدة عففتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف منها. قال مسلمة بن عبد الملك: ما حمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم.

قال معاوية لابنه يزيد: أعط من أتاك صادقاً بما تكره، كما تعطي من أتاك بما تحب، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه.

قيل لأنو شروان: إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له. فقال: اصطناعتنا له نسبه.

قال أبو جعفر المنصور: الذي عليّ للرعية أن أحفظ سبلهم، فينصرفون آمنين في سبلهم ولا يصدّون عن حجهم، وقضاء نسكهم، وأن أضبط ثغورهم، وأحصنّها من عدوهم وأن أختار قضائهم، وأعزل بالحق كيلاً يصل ظلم بعضهم إلى بعض، وأن أرفع أقدار فقهاءهم وعلماهم، وأكف جهالهم عن حكماهم.

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: صف لي الفتنة حتى كأني أراها رأي العين. فكتب إليه: لو كنت شاعراً لوصفتها لك في شعري، ولكنني أصفها لك بمبلغ رأيي وعلمي، الفتنة تلتح بالنجوى، وتتج بالشكوى، فلما قرأ كتابه، قال: إن ذلك لكما وصفت، فخذ من قبلك بالجماعة، وأعطهم عطايا الفرقة، واستعن عليهم بالفاقة، فإنها نعم العون على الطاعة، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله.

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس، لحكيم من حكماء مملكته: أي الملوك أحزم؟ قال: من غلب جدّه هزله، وقهر لبّه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخذله رضاه عن خطئه، ولا غضبه عن كيده. لما أراد عمرو بن العاص المسير إلى مصر، قال له معاوية: إني أريد أن أوصيك. قال: أجل. فأوص. قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.

قال بعض الحكماء: الرعية للملك كالروح للجسد، فإذا ذهب الروح فني الجسد. وروى الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال عمر بن الخطاب: دلّوني عن رجل أستعمله فقد أعياني

أمر المسلمين. قالوا له: عبد الرحمن بن عوف، قال لهم: ضعيف، قالوا له: فلان. قال: لا حاجة لي به. قالوا: فمن تريد؟ قال: رجل إذا كان أميرهم كان كائنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كان كائنه أميرهم. قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم.

قال أبو عمر: والربيع بن زياد هذا، كان فاضلاً جليلاً في قومه، ولأه معاوية خراسان، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه، فلما بلغه قتل معاوية حجر بن عدي، قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل، فرعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات. كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم: قلوب الرعية خزائن ملوكها، فما أودعوها فليعلموا أنه فيها. قال الإسكندر لأرسطاطاليس: أوصني. قال: فانظر من كان له عبيد فأحسن سياستهم فولّه الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فولّه الخراج.

وقال بعض الحكماء: لا تصغر أمر من جاء يحاربك، فإنك إن ظفرت لم تحمد وإن عجزت لم تعذر. قيل لكسرى ذي الأكتاف، وكان ضابطاً لمملكته: بم ضببت ملكك؟ قال: بثمان خصال، لم أهزل في أمر ولا نهي، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً، وولّيت للغنى لا للهوى، وعاقبت للأدب لا للغضب، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة، وملاّمتها محبة من غير جرأة، وأعطيتها القوت، ومنعتها الفضول. قال عبد الملك بن عمير: سمعت زياداً وهو يخطب، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسطان الله الذي ملكنا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسننا، ولكم العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ومحض ودنا بمناصحتكم، ومهما قصرت فيه من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث: لست محتجباً عن ذي حاجة ولو أتاني طارقاً لبليل، ولا مجمراً لكم جيشاً، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبانة، فادعوا الله لأئمتكم بالصلاح، فإنهم ساستكم المذنبون وكهفكم الذي إليه تأوون، فإن تصلحوا يصلحوا، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فيشتد عيظكم، ويطول حزنكم، ولا تدركو حاجتكم، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شراً لكم، نسأل الله أن يعين كلاً على كل.

كان يقال: ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال: تأخير العقوبة عند الغضب، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه، والعمل بالأناة فيما يحدث له، فإن له في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان: المسارعة إلى الطاعة، وفي الأناة انفساح الرأي وإيضاح الصواب. كان يقال: من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلا سابق قضاء لا يملك.

ذكر المبرّد قال: كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قد رتبهم لمشورته فقصّروا في الرأي، دعا الذين قد وكلهم في أرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: يخطئ أهل مشورتك فتعاقبنا نحن. فيقول: نعم. إنهم لم

يخطئوا إلا بتعلق قلوبهم بأرزاقهم فإذا اهتموا لحاجتهم أخطأوا.

قال بعض الحكماء لبعض الملوك: أوصيك بأربع خصال ترضى بهن ربك، وتصلح معهن رعيتك: لا يغرّك ارتقاء السهل إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدن وعداً ليس في يديك وفاؤه، واعلم أن الأمور بغتاتٌ فيبادر، واعلم أن الأعمال جزاء، فأثّق العذاب.

قال زياد: كمال الرأي شدة في غير إفراط، ولين في غير إهمال.

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب، فقال: إني أجد في الإنجيل: لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يلتمس الحلم، ولا ينبغي له أن يكون جائراً ومن عنده يلتمس العدل. سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام أن يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس، فقال: إذا استعمل منهم الهين البر الحنّ.

وفي خبر آخر: علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم، وأن يتزل الغيث في أوانه، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم، ويتزل عليهم الغيث في غير أوانه.

قال معاوية لابن الكوّاء: صف لي الزمان، فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح، وإن تفسد يفسد. خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفتان من أمّتي إذا صلحا صلح الناس، الأمراء والعلماء".

قال الأحنف بن قيس: كلّ ملك غدور، وكلّ دابة شرود، وكل امرأة خثون.

قال الأعور السلمي: يا معشر بني سليم أنذركم السلطان فإنه أصبح صعباً حنوطاً يغضب كما يغضب الصبي، ويفترس كما يفترس الأسد.

قال عبد الملك بن مروان: لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجنذب أن أقتله، وإن الحجاج اليوم ليكتب إليّ بقتل فتام من الناس فما أحفل بذلك.

قال بعض الولاة لأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً، فقال وأنت فاعمل به، فما توعّدك الله به أشدّ مما توعّدني به.

قيل لملك زال عنه ملكه: لم زال عنك مملك؟ قال: لمدافعتي عمل اليوم إلى غد.

قال ابن شبرمة: من أكل من حلوائهم انحطّ في أهوائهم.

قال كسرى لوزيره: إياك أن تدخل عليّ كثيراً فأملك فتثقل عليّ حوائجك، ولا تطل الغيبة عني فأنساك.

قال بعض الحكماء: من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم.

قال ابن المعتز: أشقى النَّاسِ بالسُّلطانِ صاحبه، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً.  
قال الشاعر:

إِنَّ الملوكِ بلاءٌ حيثما حلُّوا      فلا يكن لك في أفنائهم ظلُّ<sup>١</sup>  
وما تريد بقومٍ إن هم سخطوا      جاروا عليك وإن أرضيتهم ملُّوا<sup>٢</sup>  
وإن مدحتهم ظنُّوك تخذعهم      واستنقلوك كما يستنقل الكلُّ<sup>٣</sup>  
فاستغن بالله عن أبوابهم أبداً      إنَّ الوقوف على أبوابهم ذلُّ<sup>٤</sup>

قالوا: السلطان كالنار، من تباعد منها لم ينل من دفعها شيئاً، ومن تقرب منها أحرقتة.  
ذكر أعرابي الملوك فقال: الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه، شاهده يظهر حبك، وغائبه  
يبتغي غيرك.

قال المأمون: لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان.  
قال أبو قردودة:

إني نهيت ابن عمَّارٍ وقلت له      لا تأمن أحمر العينين والشَّعره  
إنَّ الملوك متى تنزل بساحتهم      يطر بثوبك من نيرانهم شرره

وقال آخر:

إذا ضحك الأمير إليك فاعلم      بأنَّ ضميره لك مستقيم  
ولا تحفل بضحك من كفيٍّ      فكلُّ النَّاس ضحكهم سقيم

قال العباس بن محمد المنصور: يأمر المؤمن إنما هو سيفك ودرعك، فادرع بدرعك من شكرك واحصد  
بسيبك من كفرك.

قالوا: لا تغتر بالأمر إذا غشك الوزير.

ومنهم من قال: لا تتق بالأمر إذا خانك الوزير.

جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس من عليّ. فقال رجل يأمر المؤمنين إنا نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من  
موتاكم. فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبه فقال: رجل فاستوص به خيراً.

كان يقال: إذا نزلت من الوالي بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخنا والملق، ولا تكثرن له الدعاء في كل  
كلمة، فإن ذلك يشبه الوحشة، وعظمه ووقره في الناس.

قال الشعبي: أحطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع: حدثني بحديث يوماً فقلت: أعدده عليّ فقال: أما  
علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد وقلت له حين أذن لي عليه: أن الشعبي فقال: ما أدخلناك حتى عرفناك.

وكنيت عنده رجلاً، فقال أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين. وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه. فقال: إنا نكتب ولا نكتب.

وهذا الخبر عندي غير صحيح، لأن المحفوظ عن الشَّعبي أنه قال: ما استعدت حديثاً قط. ولا تشبهه سائر الحكاية أخلاق الشعبي.

قال الشعبي: قال لي عبد الملك جنبي ثلاثاً وأورد عليّ ما شئت، لا تطرني في وجهي، فأنا أعلم بنفسي، وإياك أن تغتاب عندي أحداً، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً. وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما. قال عبد الله بن عباس، قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب - يدينك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثاً: لا يجدنّ عليك كذباً، ولا تغتابن عنده مسلماً، ولا تفتشين له سرّاً. فقليل له: يا ابن عباس كل واحدة خير من ألف، فقال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.

قال عمر بن الخطاب لهني إذ ولاه الحمي: يا هني اضمم جناحك، واتق دعوة المظلوم. قال الفرزدق:

**طان أعمى ما دام يدعى أميراً**

**قل لنصرٍ والمرء في دولة السُّل**

**واستوى بالرجال كان بصيراً**

**فإذا زالت الولاية عنه**

قال المهلب لابنه: يا بني اخفض جناحك واشتدّ في سلطانك، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن. كان يقال: ثلاثة من عازهم رجعت عزّته ذلاً، السلطان والوالد والعالم. كان يقال: أربعة تشتد معاشرتهم المتواني، والفرس الجموح، والسلطان الشديد المملكة والعالم. بصق عبد الملك يوماً فقصر بصاقه، فوقع فوق البساط، فقام رجل من المجلس بمسحه بثوبه. فقال عبد الملك: أربعة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والضيف، والدابة. وأمر للرجل بصلة. كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عامل له: إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرمة. فكتب إليه عمر: حصّن مدينتك بالعدل، ونقّ طريقها من الظلم. قال معاوية بن أبي سفيان: من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل.

قال محمد بن كعب القرظي: قال لي عمر بن عبد العزيز: صف لي العدل يا ابن كعب. قلت: بخٍ بخٍ، سألت عن أمر عظيم. كن لصغير الناس أباً، ولكبيرهم ابناً، وللمثل منهم أحاً، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين.



كان يقال: ليس شيءٌ أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته.  
قال زياد لابنه عبيد الله يا بني: إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له، واصفح صفحاً جميلاً، ولا ترين متهالكا عليه، ولا منقبضاً عنه.  
قال مالك: قيل لأبي الدرداء: يردُّك معاوية، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال اللهم غفراً. من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد.  
قال معاوية: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.  
قال معاوية يوماً، وقد ذكر من كان قبله: أما أبو بكر فهرب عن الدنيا، وهربت عنه. وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابته منه، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها.  
قال أبو عمر رضي الله عنه: سكت عن عليّ، وأنا أقول: وأما عليّ فأصابته الدنيا منه ولم يصب منها. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إني لأستعمل الرجل، وأدع خيراً منه، وذلك أني أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً، وأشد جراً، وأصبر على الجوع والعطش. وقد روي هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.  
كان يقال: يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه. قال المهلب: خير الولاية من كان في رعيته كأنه غائب عنها، وهو شاهد فيها وكان المحسن في أيامه آمناً والمسيء خائفاً.  
وقال بعض الحكماء الناس يحبون سلطانهم على الدّين، والتواضع ولين الجانب، وينقادون لشدة الطّيش.  
قال أبو العتاهية:

رضيت ببعض الذلِّ خوف جميعه  
وكنت امرءاً أخشى العقاب وأتقى  
ولو أنني عاندت صاحب قدرة  
فهل من شفيع منك يقبل توبتي  
وقال الحسن بن سهل :

فرضت عليّ زكاة ما ملكت يدي  
فإذا ملكت فجد وإن لم تستطع  
وقال آخر:

ليس في كلِّ ساعةٍ وأوان  
تتهياً صنائع الإحسان

## فإذا أمكنت فبادر إليها

## حذراً من تعذر الإمكان

كان زياد إذا أتى بصاحب زلة، أحرَّ عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة الزيادة في العقوبة. صعد عبد الملك المنبر، فقال في خطبته: يا معشر رعيتنا سألتمونا سيرة أبي بكر وعمر، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر، ولكن نسأل الله أن يعين كلاً على كل. تعرَّض رجل للحسن بن سهل، فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنت إليَّ عام كذا فقال الحسن: مرحباً بمن توسل إلينا بنا. وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية: أحب الناس إلي، من له عندي يد ثم أحبهم إلي بعده من لي عنده يد.

قال الشعبي: دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن. قال المأمون: تحتل الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال: القدح في الملك، وإفشاء الأسرار، والتعرض للحرم.

روى ابن دريد، عن ابن أخي الأصمعي، عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء أنه دخل على سليمان بن علي، فسأله عن شيء فصرفه عنه، فغضب سليمان بن علي فخرج أبو عمرو وهو يقول:

## أنفت من العار عند الملوك

## وإن أكرموني وإن قرَّبوا

## إذا ما صدقتهم خفتهم

## ويرضون مني بأن يكذبوا

قيل للعتابي: لم لا تخدم الأمير؟ أو لا تكتب للأمير، فقال: لأني رأيتني يعطي رجلاً ألف مثقال بلا حصلة، ويرمي آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب، فلا أدري أي الرجلين أكون عنده، مع أن الذي أعطي في ذلك، أكثر من الذي آخذ - يريد مهجته - وركوب الغرر فيها معه، والعتابي هو القائل:

## تلوم على ترك الغنى باهليَّة

## زوى الدَّهر عنها كلَّ طرفٍ وتالد

## رأت حولها النسوان يرفلن في الكسى

## مقلَّدةً أجيادها بالقلائد

## يسرُّك أني نلت ما نال جعفرٌ

## من الملك أو ما نال يحيى بن خالد

## وأنَّ أمير المؤمنين أغصني

## مغصَّهما بالمرهفات البوارد

## ذريني تجنني ميتتي مطمئنةً

## ولم أتجشَّم هول تلك الموارد

## وإنَّ كريمات المعالي مشوبةٌ

## بمستودعاتٍ في بطون الأساود

وقال الغزال:

فحاذر صولة الزمن  
بحسن الرأي والظن  
رماه الناس باللعن  
د منسوباً إلى الأذن  
سقوط العين والأذن  
وتكسى كسوة الحزن  
ن حين تزول لم تكن

وإن أعطيت سلطاناً  
أخو السلطان موصوفاً  
فساعة ما يزاوله  
ويصبح رأيه المحمو  
وتبصر في مطيته  
وتسترخي مفاصله  
كأن بشاشة السلطان

وقال إدريس بن مقيم الإشبيلي:

يعيذني الله من قرب السلاطين  
أو قلت ديناً فلا ديناً لمفتون

قالوا تقرب من السلطان قلت لهم:  
إن قلت دنيا فلا دنيا لمتحن

قيل لأعرابي: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من لم يعرف السلطان ولم يعرفه السلطان، وكان في كفاف وغنى.

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم، وترك معاشرتهم.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم، فقال: ماتنظرون إليهم، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير ذخرهم، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً من كثير صرف عنهم فأتاهم، فارحموا ولا تغبطوا. أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه:

غير ضعيف العقل مجنون  
منهم على دنيا ولا دين  
ولا تسل عن دين مفتون  
وشرهم ليس بمأمون  
حسبي بأن يسلم لي ديني

مايشتهي قرب السلاطين  
لا تكذب عنهم فما صحبهم  
دنياهم بالخزي موصولة  
خيرهم فاعلمه لا يرتجى  
لا رأي لهم في نيل دنياهم

شكت الرعية بعض العمال، فارتضى العامل بسهل بن عاصم فسأله الأمير: فقال: ما في عاملك مايشتكى إلا أن الله أمر بأمري، امتثل فينا أحدهما وترك الآخر، قال الله عز وجل: "إن الله يأمر بالعدل

والإحسان"، فعدل فينا ولم يحسن إلينا، وفي العدل بغير إحسان عطب الرعية، فقال له الأمير: صدقت قد وليتك مكانه.

ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب: لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة، وجسم متعب، ودين مثلم.

من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة.

فساد الرعية بلا ملك، كفساد الجسم بلا روح.

إذا زادك الملك إيناساً فزده إجلالاً.

لا تلبس بالسلطان في وقت التباس الأمور عليه واضطرابها، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه في حال

سكونه، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه.

ريح السلطان على قوم سموم، وعلى قوم نسيم.

الملك حقُّ الملك، من نشر أنواع الفضل وبسط أنواع العدل، وجانب المطامع الرديئة، والمطاعم الدنيئة.

قال مطرّف لا تنظر إلى خفض عيش الملوك، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم، وسوء منقلبهم. سئل رجل من

بني أمية عاقل، فقيل له: أخبرنا عن أول شيء كان بدء زوال ملككم، فقال: سألت فاسم، وإذا سمعت

فافهم. تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها، وأبرموا أموراً

أسروها عنا، فظلمت رعييتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجذب معاشنا فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا فزالت

هيبتنا، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم علينا، وكان أكثر الأسباب في ذلك استتار الأخبار عنا.

أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب لنفسه:

أتاح لهم أكابر مصلحينا

وإعداد لما قد يحذرونا

وكانوا للمصالح مؤثرينا

إليهم من أمور المسلمينا

أتاح لهم أكابر معتدينا

وإهمال لما يتوقعونا

وليسوا في العواقب يفكروننا

كأن قد قيل كونوا جائرينا

إذا ما الله شاء صلاح قوم

ذوي رأيٍ ومعرفةٍ وفهمٍ

فلم يستأثروا بكثير جمعٍ

ويسرهم لفعل الخير فيما

وإن يشأ الإله فساد قومٍ

ذوي كبرٍ ومجتهلةٍ وجبنٍ

فظلوا يشرّهون ويجمعونا

وجاروا حيثما أمروا بعدلٍ

وقال الأفوه الأودي:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم  
إذا تولّى سراة القوم أمرهم  
ولا سراة إذا جهّالهم سادوا  
نما على ذاك أمر القوم وازدادوا  
تلقى الأمور بأهل الرأي قد صلحت  
وإن تولت فبالأشرار تنقاد  
وقال محمد بن نصر:

لا تحقرنّ امرءاً إن كان ذا ضعة  
فربّ قومٍ حقرناهم فلم نرهم  
فكم وضيعٍ من الأقبام قد رأسا  
أهلاً لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

### من الأمثال في السلطان وصحبته

إذا رغب الملك عن العدل رغبَت الرعية عن الطاعة.  
لا صلاح للخاصّة مع فساد العامة، ولا نظام للدّهماء مع دولة الغوغاء.  
الحكم ميزان الله في الأرض.  
كلُّ الناس أحقّاء بالسجود لله عزّ وجلّ، وأحقّهم بالسجود لله والتواضع له من رفعه الله عن السجود  
لأحد من خلقه.  
كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الإخوان.  
لا رحم بين الملوك وبين أحد.  
للملوك بدوات.  
الملك عقيم.  
الملك يبقى على الكفر، ولا يبقى على الظلم.  
سكر السلطان أشدُّ من سكر الشراب.  
السلطان كالنار: إن باعدتها بطل نفعها، وإن قاربتهما عظم ضررها.  
جاور ملكاً أو بحراً.  
صاحب السلطان كراكب الأسد، يهابه الناس وهو لمركبه أهيب.  
أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية.  
السُّلطان كالسُّوق ما نفق فيها جلب إليها.  
إن كان البحر كثير الماء فإنه بعيد المهوى.  
السُّلطان إذا قال لعماله: هاتوا، فقد قال: خذوا.

الناس على دين الملك.  
عفو الملوكة أبقى للملوكة.  
من خدم السلطان خدمه الإخوان.  
ثلاثة لا أمان لهم: السلطان والبحر والزمان.  
من تحسّى مرقّة السلطان أحرقت شفّته ولو بعد حين.  
مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه، فكان أبعدهم في المرتقى أقربهم من التلف.

## باب الكتاب والكتابة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب".  
وروي عنه عليه السلام أنه قال: "من أشرط الساعة أن يرفع العلم، ويقبض المال، ويكثر التجار، و يظهر القلم". يعني الكتابة.  
قال الحسن البصري: لقد أتى علينا زمان وإنما يقال: تاجر بني فلان و كاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد، قال الحسن: لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كتاباً. وفي الحديث المرفوع: "فشو القلم، وفشو التجارة من أشرط الساعة" يعني بقوله فشو القلم: ظهور الكتابة وكثرة الكتاب.  
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أتربوا الكتب وسجّوها من أسفلها فإنه أنجح للحاجة". وفي خبر آخر عنه عليه السلام: "إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه، فالبركة في التراب".  
وروي عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام: "اجعلني على خزائن الأرض إنني حفيظٌ عليم". قال كاتب حاسب.  
كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي وعثمان، وحنظلة الأسدي، ومعاوية، وعبد الله بن الأرقم، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليحجبه عنه من كتب إليه بها، فتعلمها في ثمانية عشر يوماً.  
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكاتبه عبید الله بن أبي رافع: إذا كتبت فألن دواتك، وأطل من قلمك، وفرج بين السطور، وقارب بين الحروف.  
كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: إذا كتبت فارقوا الأقلام، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني، وقاربوا

بين الحروف، تكتفوا من القراطيس بالقليل.  
 كانت العرب تسمي كل صانع قيناً إلا الكاتب.  
 قالوا: القلم أحد اللسانين.  
 قالوا: الخطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً.  
 قال المأمون: الخطّ لسان اليد، وهو أفضل أجزاء اليد.  
 قال بعض الملوك: للكاتب الناصح ثلاث خصال: رفع الحجاب عنه، وإتمام الوشاة عليه، ودفع غائلة العدو عنه.

قال ابن القرية: خط القلم يقرأ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجم كل لسان، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان.

قال أبو ساسان حزين بن المنذر: ما رأيت بارياً لا يقيم الخط إلا رأيت لا يقيم الشعر.  
 قيل لنصر بن سيار: فلان لا يخطّ، قال: تلك الزمانة الخفية.

قال بعض البلغاء: صورة الخط في الإبصار سواد، وفي الأنصار بياض، وهذا عندي مأخوذ من قول ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة، ولا يعمل الاستزادة، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء. أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب عليهم، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن:

وعزّ يا أمير المؤمنين

أطال الله عمرك في صلاح

فإنك رحمة للعالمين

بعفوك نستجير فإن تجرنا

فهبنا للكرام الكاتبين

ونحن الكاتبون وقد أسأنا

وذكر هذا الخبر الحارث بن أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء، وفي أخبار المنصور: أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم، فقال واحد منهم، وهو يضرب: أطال الله عمرك، وذكر الأبيات الثلاثة فعفا عنهم وأمر بتخليتهم.  
 قال ابن القاسم: سئل مالك عن النصراني أيستكتب؟ قال: لا أرى ذلك، وذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار هذا في أمور المسلمين!، ما يعجبني أن يستكتب.

قال بعض الحكماء لبيه: يا بني تزيوا بزّي الكتاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوق. قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب، وعنده أبو موسى، فقال له: يا أبا موسى! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح. فقال: إنه لا يدخل المسجد. قال: ولم، أجنب هو؟ قال: لا. ولكنه نصراني، فصاح عليه صيحة وانتهره، قال: عزمت عليك إلا عزلته، ثم قال: لا تقرّبوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد

أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله، قال أبو موسى: فعزلته وطرده.  
قال أبو عمر رحمه الله: كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام.

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يهودياً كاتباً، كانت له منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال -وقد كان المأمون أوماً إليه بالجلوس-: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس قال: نعم، فأنشده:

**إِنَّ الَّذِي شَرَّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ      يَزْعَمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ**

وأشار إلى اليهودي، فحجل المأمون ووجم، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوباً على وجهه، وأنفذ عهداً بطّراحه وإبعاده، وألاً يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. اسم الكتاب بالفارسية ديوان، أي شياطين، لحذقهم بالأمر ولطفهم، فسمي الديوان باسمهم.  
قال الزبير بن أبي بكر: كتب إلي المغيرة بن محمد يستبطن كتي، فكتبت إليه:

**مَا غَيَّرَ النَّأْيُ وَدَّأَ كُنْتُ تَعْهَدُهُ      وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نَسِيَانَا**

**وَلَا حَمَدْتُ إِخَاءَ مَنْ أَخِي ثِقَةٌ      إِلَّا جَعَلْتُكَ فَوْقَ الْحَمْدِ عِنَاْنَا**

### باب الظلم والجور

قال الله عز وجل: "وقد خاب من حمل ظلماً".  
وقال عز وجل: "ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً".  
وفي صحف إبراهيم عليه السلام: اتق دعوة المظلوم، فإنها لا أردّها، ولو كانت من كافر أقول: وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منّا من ظلم مسلماً أو ضرّه أو عزّه أو ناكه". وروي عنه عليه السلام أنه قال: "ما تبالي حسنت جوراً أو دخلت فيه، وفتحت عدلاً، أو خرجت منه". وقد روي هذا من كلام علي رضي الله عنه فالله أعلم.  
لمرة بن محكان في الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي:

**أَحَارُ تَبَيَّنَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ      إِذَا الْأَمِيرَ عَدَا فِي الْحُكْمِ أَوْ فَسَدَا**

**فَإِنَّكَ مَحْلُولٌ عَلَيْكَ وَظَاعِنٌ      فَمَهْمَا تَصَبَّهَ الْيَوْمَ تَدْرِكُ بِهِ غَدَا**



وقال آخر:

ونرجو، فكيف لمن يظلم

نخاف على حاكمٍ عادلٍ

على مسلمٍ هلك المسلم

إذا جار حكم امرئٍ ملحدٍ

الظلم في وضع كلام العرب: وضع الشيء في غير موضعه، وأخذ المرء ما ليس له، ومن ذلك قولهم: من أشبه أباه فما ظلم، أي ما وضع الشبه في غير موضعه.

فكل مسيء ظالم، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة: هذا أظلم من حية، وأظلم من ذئب، قال عمرو بن بحر: لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً، وهي تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام فيهرب أهلها عنه ويحلونها لها خوفاً منها.

قال مضر بن لقيط الفقعسي:

أتى حاطبٌ منهم لآخر يقبس

إذا قلت الداء بيني وبينهم

إلى فقعس ما أنصفتني فقعس

لعمرك لو أنني أخاصم حيةً

ذئب الغضا والذئب بالليل أطلس

فما لكم إليّ كأنكم

ويقولون أيضاً: هو أظلم من ذئب، وأظلم من ورن، كما يقولون: أظلم من حية، وذلك أن الورل يقوى على الحيات كلها، ويأكلها أكلاً ذريعاً، وكل شدة يلقاها ذو جحر من الحية تلقى مثل ذلك من الورل، والورل أظلم بدناً من الضب، ولكنه أشد من الضب وأجود سلاحاً، وله شحمة والأعراب يستطيعون لحم ذنبه، والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهباً وجائياً، ويميناً وشمالاً، وليس شيء بعد العضاء شيء أكثر تلفتاً منه، وبراشن الورل أقوى من براشن الضب، حكى ذلك كله عمرو بن بحر.

قال: ومن أمثال العرب: من استرعى الذئب ظلم، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بيجور الحية والذئب:

أسقيهم طرق ماء غير مشروب

كأنني حين أحبو جعفرًا مدحي

أو الأسود من صم الأهاضيب

ولو أخاصم أفعى نابها لثق

نابٌ بأسفل ساقٍ أو بعرقوب

لكنتم معها إلباً وكان لها

لجاءني كلهم يسعى مع الذيب

ولو أخاصم ذئباً في أكيلته

قال بعض الحكماء: أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها: سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله، ومجاورة النعم بالتقصير، واستطالة الغني على الفقير.

روي عن مجاهد أنه قال: المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة.

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية حرب الفجار، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين.

فأما حرب الفجار فكانت بين بني عامر بن صعصعة وبين قريش، وذلك أن بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش وكنانة، بجريرة البراء بن قيس في قتله عروة الرجال، وكان البراء خليعاً فاتكاً، فأقامهم إلى حربهم، فألزموهم ذنب غيرهم ظالمين لهم، فلذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم دفعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم، ونصروا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذي قار برسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كانت وقعة ذي قار قبل وقعة بدر بأشهر، والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فلما بلغه ذلك، قال: "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم". قال هشام: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: ذكرت وقعة ذي قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ذلك أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم".

خرج الأضبط بن قريع السعدي من بني سعد، فجاور ناساً، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ورجع إلى قومه، وقال: بكل واد بني سعد، فأرسلها مثلاً. وقال الأشعر الرقبان الأسدي في قصيدة له:

وأنت مليخٌ كلحم الحوار  
فلا أنت حلوٌ ولا أنت مرٌّ  
وحسبك في الناس أن يعلموا  
بأنك فيهم غنيٌّ مضرٌّ

ومن أمثالهم: من لم يكن ذئباً أكلته الذئاب، وكان الشعيبي إذا تمثل بذلك يقول ومن ذا الذي يرضى أن تأكله الذئاب.

ولعبيد بن أيوب وكان قد تاب فظلم، فهم بمراجعة الضلال، فقال:

ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي  
فلمست بصابرٍ إلا قليلاً  
فتبت فأزمعوا أن يظلموني  
فإن لم يرعوا راجعت ديني

قال زهير:

ومن لا يظلم الناس يظلم

أخذه ابن دريد فقال:

من ظلم الناس تحاموا ظلمه  
وعزَّ عنه جانباه واحتمى

وقال المتنبّي:

ذا عَفَّةٍ فَلَعَلَّةٍ لَا يَظْلَمُ

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ

وَلَهُ أَيْضًا:

وَبِالنَّاسِ رَوَى رَمَحَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

وهذه الأخلاق أخلاق الفسّاق، ومن لم يتأدب بأدب القرآن، ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرافة، وأين قول المتنبّي من قول محمود الوراق:

وَعَفِرْتَ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي

إِنِّي وَهَبْتُ لظَالِمِي ظَلْمِي

فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حَلْمِي

وَرَأَيْتَهُ أَسَدِي إِلَيَّ يَدًا

حَسَنًا فَعَادَ مَضَاعِفَ الْجُرْمِ

رَجَعْتَ إِسَاءَتَهُ عَلَيَّ لَهُ

وَعَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالْإِثْمِ

وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةَ

وَأَنَا الْمَسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

فَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ

حَتَّى بَكَيْتَ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

فَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ وَلَا تَتَنَصَّرْ

رَبِّي عَنِ الظَّالِمِ بِالنَّائِمِ

وَكُلْ إِلَى اللَّهِ ظَلْمُومًا فَمَا

وقال آخر:

يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنَ اللَّهِ لَمْ تَتَمَّ

نَامَتْ جَفُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مَنْتَبَةٌ

وقال آخر:

وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَبِيلِي بِظَالِمِ

وَمَامِنْ يَدٍ إِلَّا اللَّهُ فَوْقَهَا

وقال آخر:

ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا

فَإِنْ قَلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ

وقال آخر:

وَكُنْ رَاحِمًا بِالنَّاسِ تَبْلَى بِرَاحِمِ

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ وَكُنْ مَتَرَفِّقًا

كان يقال: إذا دعتك الضرورة إلى ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله تعالى على عقوبتك، فأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

قال الشاعر: ونستعدي الأمير إذا ظلمنا=فمن يعدي إذا ظلم الأمير

فلا تكثر فقد غلب الأمير

إذا كان الأمير عليك خصماً

وقال آخر:

يوماً إذا كان خصمه القاضي

والخصم لا يرتجى النجاح له

وقال آخر:

في راحةٍ من خصمه لا يلتفت

من يكن القاضي أباه فليبت

قال كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، قال كعب: والذي نفسي بيده إنها لكذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف. يعني في التوراة.

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً، فقال: ما شاء الله! كان الوليد بن عتبة بالشام، والحجاج بالعراق وقرّة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيان بالحجاز، ومحمد بن يوسف باليمن، امتلأت الأرض ظلماً وجوراً. ولعون بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود: وأول ما نفارق غير شك=نفارق ما يقول المارقونا

وقد حرمت دماء المؤمنين

وقالوا: مؤمنٌ دمه حلالٌ

وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا: مؤمنٌ من أهل جورٍ

وقال أبو العتاهية:

وما زال المسيء هو الظلوم

أما والله إن الظلم لؤمٌ

وعند الله تجتمع الخصوم

إلى ديان يوم الدين نمضي

غداً عند الإله من الملموم

ستعلم في الحساب إذا التقينا

وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك.

قال الشاعر:

وقاضي الأرض داهن في القضاء

إذا جار الأمير وكتابه

لقاضي الأرض من قاضي السماء

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ

## باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلاَّ عزّاً".  
وقال صلى الله عليه وسلم: "من لا يرحم لا يرحم، إنما يرحم الله من عباده الرحماء".  
وقال عليه السلام: "مانزعت الرَّحمة إلا من شقي".  
وقال: "ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم".  
وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء".  
وفي الأثر المرفوع أنه: "ينادي المنادي في بعض مواقف القيامة: ليقم من له عند الله ما يحمده، فلا يقوم إلا من عفا".  
وفي الحديث أيضاً: "إن الله عفوٌ غفورٌ يحبُّ العفو عن عباده".  
وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أقبلوا ذوي الهيئات زلائهم".  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل العفو عند القدرة، وأفضل القصد عند الجدة.  
قال سعيد بن المسيب: لأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة.  
قال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة.  
طلب عبد الملك بن مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به، فقال رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه.  
قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبد الله ابن علي: الانتقام عدلٌ، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيين ولا يبلغ أرفع الدرجتين.  
كان يقال: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. قال المهلب بن أبي صفرة: خير مناقب الملوك العفو.  
قال المأمون: وددت أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو، فسلمت لي صدورهم.  
قال معاوية رحمه الله: ما وجدت شيئاً ألدَّ عندي من غيظٍ أتجرعه، ولم يعرف قيمة الأبهة من لم يجرحه الحلم غصص الغيظ.  
اعتذر رجل إلى الهادي فقال: يا أمير المؤمنين! إقرارى بما ذكرت يوجب عليّ ذنباً لم أجنه، وردّي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك، ولكني أقول:

فإن كنت ترجو في العقوبة راحةً فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر

فغفا عنه.

قال منصور الفقيه:

عن الرحمن في علم الغيوب  
يمنُّ به على أهل الذُّنوب

وقال نبيُّنا فيما رواه  
محالٌ أن ينال العفو من لا

وقال آخر:

فغفوٌ جميلٌ كي يكون لك الفضل  
أتيتُ به جهلاً فأنت له أهل

فهبني مسيئاً كالذي قلت ظالماً  
فإن لم أكن للعفو أهلاً لسوء ما

سئل ثعلب عن معنى: فهبني مسيئاً، قال: معناه اعددي مسيئاً.

قال محمد بن علي بن حسين: من كظم غيظاً يقدر على إمضائه حشا الله قلبه إيماناً وروي هذا مرفوعاً  
إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

ومما ينسب إلى عمرو بن العاص:

وإن لم يقع إلا بأهل الجرائم

وبعض انتقام المرء يزرى بعقله

فدعه صريع النوم تحت القوادم

وذكر ذنوب الوغد ترفع ذكره

وفي معنى هذا البيت الأخير قول ذي الرمة:

فأجبه فقلت: ليس بكفوي  
ر لعلَّ الخسيس يعلو بهجوي  
فذروه يهرِّ بعدي ويعوي  
في أمانٍ ما بين حلمي وعفوي

قيل لي: قد هجأك مولى زياد  
لست أهجوه إنه خامل الذِّك  
هو كالكلب ينبح اللئث رعباً  
هو من سطوتي وبأس هجائي

كتب علي بن الجهم إلى الحسن بن وهب:

فضلك مأوى للصَّح والمُنن

إن تعف عن عبدك المسيء ففي

فجد بما تستحقُّ من حسن

أتيت ما أستحقُّ من خطأ

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها:

أن يفسد الأوَّل بالآخر

أعوذ بالودِّ الذي بيننا

وله أيضاً:

أقلني أقالك من لم يزل

يقينك ويصرف عنك الردى

وقال آخر:

ألا إن خير العفو عفو معجل

وشر العقاب ما يجاز به القدر

وقال أعرابي:

يارب قد حلف الأقوم واجتهدوا

أيمانهم أنني من ساكني النار

أحلفون على عمياء ويحهم

جهلاً بعفو عظيم العفو غفار

وقال آخر:

يارب عفوك عن ذي توبة وجل

كأنه من حذار النار مجنون

قد كان قدّم أعمالاً مقاربة

أيام ليس له عقل ولا دين

### باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب".  
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، وأقلل  
لعلي أحفظه. قال: "لا تغضب".

وروي عنه عليه السلام أنه قال: "إذا غضبت قائماً فاقعد، وإذا غضبت قاعداً فقم أو قال: فاضطجع".  
أوحى الله إلى موسى: اذكرني عند غضبك، أذكرك عند غضبي، فلا أحقك فيمن أحق، وإذا ظلمت فارض  
بنصرتي لك، فإنها خير من نصرتك لنفسك.  
قال عيسى عليه السلام: يياعدك من غضب الله ألا تغضب.  
أنشد ثعلب:

متى ترد الشفاء بكل غيظ

تكن ممّا يغيظك في ازدياد

قال سليمان بن داود عليهما السلام: أعطينا ما أعطي الناس وما لم يعطوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم  
يعلموا، فلم نر شيئاً أفضل من العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السرّ  
والعلانية.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنما يعرف الحلم ساعة الغضب.  
وعنه أيضاً: عدو العقل الغضب.

كان يقال: أول الغضب جنون، وآخره ندم ولا يقوم عزّ الغضب بذلّ الاعتذار.

وروي: كل العطب في الغضب.

قيل للشعبي: لأي شيء يكون السريع الغضب سريع الفيئة، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة؟ قال: لأن الغضب كالنار فأسرعها وقوداً وأسرعها خموداً. وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن، حكاية عن كسرى، ذكره ابن عائشة القرشي التيمي عنه. قال: قيل لعبد الله بن حسن: ما بال الرجل الحديد أسرع رجعةً من البطيء؟ فقال: سئل كسرى عن ذلك، فقال: مثلهما مثل النار في الحطب، أسرعها وقوداً وأسرعها خموداً.

أراد المنصور خراب المدينة لإطباق إهلها على حربته مع محمد بن عبد الله بن حسن، فقال له جعفر بن محمد: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله من قبيل الذين يعفون ويصفحون فطفئ غضبه وسكت.

شهد سوار القاضي مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فراه قد غضب على أهل البصرة، فقال له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لا تغضب لله بما يغضب الله.

العرب تمدح بترك الغضب.

كان يقال: من أغضبته أنكرته.

قال الشاعر:

فتى إذا نهته لم يغضب

ولا يرضن بالمتاع المحقب

أقصى رفيقيه له كالأقرب

أنهم يحملون إن غضبوا

تصلح إلا عليهم العرب

لم أقض من صحبة زيد أربي

أبيض بسام وإن لم يعجب

موكل النفس بحفظ الغيب

قال عبد الله بن قيس الرقيات:

مانقموا من بني أمية إلا

وأنهم سادة الملوك ولا

قالوا: إذا غضب الرجل فليستلق، وإذا أعيا فليرفع رجليه.

## باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يعوده، فقال: كيف تجددك؟ قال: أجدني أرجو وأخاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده، ما اجتمع في قلب رجل إلا أعطاه الله



خير ما يرجو منه، وآمنه من شر ما يخاف".

قال أبو الدرداء: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل.

قال مطرف بن عبد الله الشَّخِير: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا.

قال لقمان لابنه: يا بنيّ ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تأيسنّ فيها من رحمته، فقال:

كيف أستطيع ذلك، وإنما لي قلب؟ فقال يا بني! إن المؤمن كذي قلبين قلب يخاف به، وقلب يرجو به.

قال عليّ بن أبي طالب: خذوا عني هذه الكلمات، فلو رحّلتُم فيها المطيَّ حتى أنصيتموها لم تبلغوها: لا

يرجو عبد إلاّ ربّه، ولا يخاف إلاّ ذنبه. وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه في كتاب "بيان العلم وفضله".

كان يقال: من خاف الله ورجاه آمنه خوفه، ولم يجرمه رجاءه.

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه، فقال: اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له، فحقق رجائي،

وآمن خوفي عليه.

قال مسلم بن يسار: ما أدري فيم خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعاه من ركوب شهوة إن عرضت له، أو

لم يصبراه على مصيبة إن نزلت به.

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف

الله أخافه الله من كل شيء.

للحسن بن هانئ وتنسب للشافعي رضي الله عنهما، والله أعلم:

خف الله وارجوه لكل عزيمة

ولا تطع النفس اللّوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا

وأبشر بعفو الله إن كنت مسلما

وفيها:

فلما قسا قلبي وضاقنت مذاهبي

جعلت الرجاء مني لعفوك سلماً

وله:

قد كنت خفتك ثمّ آمنني

من أن أخافك خوفك الله

وقال العتاي:

رحل الرجاء إليك مرتقباً

حشدت إليه نوائب الدهر

ردت إليك ندامتي أمني

وثنا إليك عنانه شكري

وجعلت عتبك عتب موعظة

ورجاء عفوك منتهى عذري

وقال أعرابي، وقد أدخله البعيث في شعره:

وإني لأرجو الله حتى كأنما

وقال منصور الفقيه:

قطعت رجائي من بني آدم طراً

وعدت يأسى بينهم فأجلهم إذا ذكروا قدراً كأدناهم قدراً

غني لهم بالله لا متطاولاً

وكيف يعيب الناس بالمنع مؤمناً

عليه أتكالي في الشدائد كلها

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف رحمه الله لنفسه:

أسير الخطايا عند بابك واقف

يخاف ذنباً لم يغب عنك غيبها

فمن ذا الذي يرجو سواك ويتقي

فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي

وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما

لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي

وقال أبو العتاهية:

إذا ما اتقى الله امرؤً لأن جانبه

يقول الفتى أرجو وأرجو وما له

ألا ليس يرجو الله من لا يخافه

من الناس من يبصر الدهر جهله

كفي بصروف الدهر علماً وحكمة

ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه

كان أبو سعيد السيره في كثيراً ما ينشد في مجلسه:

اسكن إلى سكنٍ تسرُّ به

أرى بجميل الظنِّ ما الله صانع

فأصبحت من رقِّ الرجاء لهم حراً

على أحد منهم ولا قائلاً هجراً

يرى النفع ممن يملك النفع والضراً

وحسبي به عند الشدائد لي ذخراً

على وجلٍ ممّا به أنت عارف

ويرجوك فيها فهو راجٍ وخائف

ومالك من فصل القضاء مخالف

إذا نشرت يوم الحساب الصّحائف

يصدُّ نوو ودي ويجفو المؤلف

أرجى لإسرافي فإني لتالف

وقارب بالإحسان من لا يقاربه

نزوعٌ عن الذنب الذي هو راكبه

وليس يخاف الله من لا يراقبه

ويزداد فيه الضّعف حتى يعاتبه

لمن لم يخنه علمه وتجاربه

ومن ضاق عنه الحقّ ضاقت مذاهبه

ذهب الزّمان وأنت منفرد

ترجو غداً وغداً كحاملة

في الحي لا يدرون ما تلد

قرأت على سعيد بن نصر، أن قاسم بن أصبغ حدثهم، قال حدثنا عبد الله ابن رَوَّاح المدائني، قال يزيد بن هرون، قال: حدثنا أبو موسى التميمي، قال: توفيت النوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادة ألا إله إلا الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم يعافنيأشدَّ من القبر التهاباً وأضيقا

عنيفٌ وسواقٌ يسوق الفرزدقا

إذا جاءني يوم القيامة قائداً

إلى النار مغلول القلادة أزرقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى

قال: فبكى وأبكى.

### باب العافية والبلاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله العافية والمعافة في الدنيا والآخرة، فإنه لم يؤت عبداً بعد اليقين بالله بأفضل من المعافة".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يصب منه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشدُّ الناس بلاءً النبيون، ثم الأمثل فالأمثل". والأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيرة جداً.

قال عيسى عليه السلام: إنما الناس مبتلى ومعافى، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم، وسلوا الله العافية.

قال علي بن الحسين: ماصاحب البلاء الذي قد طال به أحق بالدعاء من المعافي الذي لا يأمن البلاء.

قال مطرف بن الشَّخِير: لأن أعافى فأشكر، أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر، قال مطرف: ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية.

قال سليمان التيمي: إن المؤمن ليبتلى ويعافى، فيكون بلاؤه كفارةً واستعتاباً، وإن الكافر ليبتلى ويعافى

فيكون مثل بعيرٍ عقل، لا يدري فيم عقل ولا لم أرسل.

قال منصور الفقيه:

وما تنبت الأرض من ناميه

رأيت البلاء كقطر السماء

إلهك شيئاً سوى العافية

فلا تسألن: إذا ما سألت

وله أيضاً:

حفظ الفتى لسانه

محبّة في العافية

واقية من البلاء إن

كان منه واقية

قال أكثم بن صيفي: العافية الملك الخفيّ.

كان يقال: لا خير في بدن لا ينكأ ولا في مال لا يرزأ.

كان يقال: من عمل بالعافية فيمن هو دونه رزقها ممن هو فوقه.

قال الشاعر:

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ

عداوة غير ذي حسبٍ ودين

يبيحك منه عرضاً لم يصنه

ويرتع منك في عرض مصون

وقال آخر، وهو أبو راسب:

فلو أنّي بليت بهاشميّ

خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على عدواته ولكن

تعالوا فانظروا عن ابتلائي

قال بشار بن برد:

إنّي وإن كان جمع المال يعجبني

فليس يعدل عندي صحّة الجسد

في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمةٌ

والسقم ينسيك ذكر المال والولد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "البلاء موكلٌ بالقول".

أخذه الشاعر:

إنّ البلاء موكلٌ بالمنطق

بأنّ الله من شرّ البلاء النازل

فإذا رأيت أبا البليّة فاستعذ

قال إبراهيم التّخعي: كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى.

## باب المرض والطب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزل الداء الذي أنزل الأدواء".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خير ما تداويتم به الحجامة".

وقال عليه السلام: "إن كان دواءٌ يبلغ الداء فالحجامة تبلغه".

قال محمد بن سيرين كنا بساباط المدائن، فمر بي رجل، فقيل لي: هذا حجم كسرى، فدعوته فقلت له: أنت حجمت كسرى؟ قال: نعم. قال وكم حجمته؟ قال: واحدة. قلت: ولم اقتصر على واحدة؟ قال: كان يقول: آخذ من الدواء أدناه، فإن كان نافعاً من نفعه، وإن كان ضاراً لم أكن استكثرت من ضرره.

روى التزأل بن سيرة عن عليّ، أنه قال: من ابتداء غداه بالملح أذهب الله عنه كل دائه، ومن أكل إحدى وعشرين زبيرة كل يوم لم يرفي جوفه شيئاً يكرهه، واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، ولحم البقر داء، ولبنها دواء، وسمنها شفاء، والشحم يخرج مثله من الداء. قال التزأل: أظنه يريد شحم البقر. قال عليّ رضي الله عنه: وما استشفى بأفضل من السمن، والسمنك يذيب البدن، أو قال: الجسد، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب، والسواك وقراءة القرآن يذهب البلغم، ومن أراد البقاء -ولا بقاء- فليباكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقلّ غشيان النساء. قيل له: يأمر المؤمنين وما خفة الرداء؟ قال: خفة الدين.

قال شريح: امش بدائك ما حملك.

قال حسّان بن خريم بن الأغر: دع الدّواء ما احتمل جسمك الداء.

سئل الحارث بن كلدة طبيب العرب: ما الدّواء الذي لا داء فيه؟ قال: هو ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام.

قال غيره: هو أن يقدّم الطعام إليك وأنت تشتهي، ويرفع عنك وأنت تشتهي. قالوا: ثلاثة تقتل: الحمّام على الكظّة، والجماع على البطن، والإكثار من أكل القديد اليابس. كانوا يقولون: لو أمات العليل الداء أعاشه الدّواء.

قال الربيع بن خيثم: ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرسّ وقروناً بين ذلك كثيراً، كانت فيهم الأدواء، وكانت فيهم الأطباء، فلا المداوي بقي ولا المداوي.

وقيل له في علته: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: قد نظر إلي الطبيب. فقيل له: ما قال لك؟ فقال: إنّي فعال لما أريد.

وهذا نحو قول أبي الدرداء وقد قيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال الطبيب أمرضني. وقد أوردنا عن العلماء في هذا المعنى ما فيه كفاية يكتفى بها في كتاب "التمهيد" والحمد لله. ولأبي العتاهية، ويروى لغيره:

لا يستطيع دفاع مكروه أتى

إنّ الطبيب بطبّه ودوائه

ماللطبيب يموت بالداء الذي

قد كان يبرئ مثله فيما مضى

كان سفيان بن عيينة، يستحسن قول عدي بن زيد، حيث يقول:

أين أهل الديار من قوم نوح

ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما هم على الأسرة والأبن

ماط أفضت إلى التراب الجلود

ثم لم ينقض الحديث ولكن

بعد ذا الوعد كله والوعيد

والأطباء كلهم لحقوهم

ضل عنهم سعوطهم واللذود

وصحيح أضحى يعود مريضاً

وهو أدنى للموت ممن يعود

أخذه علي بن الجهم، فقال:

كم من عليل قد تخطاه الردى

فنجاً ومات طبيبه والعود

وقال أبو العتاهية:

نعى لك ظل الشباب المشيب

ونادتك باسم سواك الخطوب

وقبلك داوي المريض الطبيب

فعاش المريض ومات الطبيب

يخاف على نفسه من يتوب

فكيف ترى حال من لا يتوب

وقال منصور الفقيه:

كذبت إن أنا سمّي

ت محسناً أو مصيباً

من لا يعاشر إلا

منجماً أو طبيباً

وقال آخر، وهو يزيد بن خذاق العبدي:

هل للفتى من بنات الدهر من واق

أم هل له من حمام الموت من راق

هون عليك ولا تولع بإشفاق

فإنما مالنا للوارث الباقي

وقال ابن الطثرية:

وكنت كذي داء تبغي لدائه

طبيباً فلما لم يجده تطبياً

وقال محمود الوراق: قد قلت لما قال لي قائل قد صار بقراط إلى رسمه

فأين ما دون من كتبه

وجمعه الأحجار مع جسّه

لم يغنه إذا حمّ مقداره

ولم يساو العشر من فلسه

هيهات لا يدفع عن غيره

من كان لا يدفع عن نفسه

وقال منصور الفقيه:

ياسيداً باتت القلوب لأنبات كما لا يحبُّ محترقه

إنّ ذوي الطّبِّ لا أقول بما لا يعلم ربّي خلفه فسقه

فلا تشاورهم فليس لهم

على شحيح بدينه شفقه

واتل من الوحي ما استطعت ولو

في كل يومٍ وليلةٍ ورقه

فما يداوي العليل يرحمك الله

بمثل القرآن والصدّقه

جاء في الخبر: " من كان به مرض قدّم فليأخذ درهماً حلالاً، فليشتر به عسلاً ثم ليشره بماء السماء فإنه يبرأ بإذن الله ".

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه: ياذا الذي أنزلي منزلي=علمي. بما أنزله منزله

إن كنت في الصّحة ذا رغبةٍ

فاعتض من المجزرة المبقلة

واستعمل الماشِّ وأشباهه

وباعد الميل عن المكحله

فإنما الجاهل كلّ امرئ

يأكل في الصّحة ماعنّ له

قال أبو عمر رضي الله عنه: دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد، عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه، فوجدته قد أخذ شيئاً من حسو، فقلت له: يا سيدي ما لصاحب البطن والحسو؟ فقال: شيء تاقت نفسي إليه، وسئمت أكل الجامد واليابس، فانصرفت من عنده ثم كتبت إليه:

ياسليل الكرام من آل لحم

وأخا الرأى والدّها والوفاء

إن لي من سقام جسمك سقماً

ثابتاً في الفؤاد والأحشاء

وبقلبي ممّا بجسمك ضعفٌ

للذي تشتكي من الأدوية

وبودّي لو كنت عنك فدائاً

بدلاً عند هجمة الضراء

فاقبل النصح سيدي واسمع القو

ل فإنّي أحكي عن الحكماء

لا يداوي الإسهال بالإحتساء

لا ولا بالأوراق والباقلاء

إنما الطّبُّ طردك الضدّ بالضّ

دّ ودفع الأهواء بالإحتساء

حسم ذا الداء ما كان قوتاً

يألف الطّبّع في قوام الغذاء

ليس شافٍ سواه من كلِّ داءٍ

وكذا البرُّ جالبٌ للشفاء

ما جرى الدَّمعُ قاطعاً للسَّماءِ

وعليك الدُّعاءُ فالله يشفي

نعم عون العليل توبة صدق

وسلامٌ عليك منِّي دأباً

ولمنصور الفقيه أيضاً:

لي عنه النَّصحُ بدعه

ج بعد اليوم جمعه

مم بك الحمى بسرعه

مرء أن يخدع خدعه

ياشريفاً طيُّ أمثا

لو مطلت النَّفس بالفرُّو

لم تمت همماً ولم تل

فاحترس بعد فحسب ال

### باب الطاعة والمعصية

قال الله عزوجل: "يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ". وقيل في تأويل أولي الأمر قولان: أحدهما أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآخر العلماء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة إلا في معروف، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له". قال عبد الله بن مسعود في قول الله عزوجل: "اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ": أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

وقال قتادة، مثل ذلك وزاد عليها: "فاتَّقُوا اللَّهَ ما استطعتم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عزوجل يا ابن آدم! ما أنصفتني أتجَبَّبُ إليك بالتَّعم، وتبتَّعُ إليَّ بالمعاصي، خيرى إليك نازلٌ، وشركٌ إليَّ صاعدٌ، كم من ملك كريم يصعد إليَّ منك بعمل قبيح".

قال الهلالي: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه، ومن تعزز بمعصية الله، أذاقه الله ذلاً بحق.

قال علي بن عبد الله بن عباس: من لم يجد نقص الجهل في عقله، وذل المعصية في قلبه، ولم يستتب موضع الخلل من لسانه عند كلال حده، فليس ممن يرغب عن ذنبه، ولا يترع عن حال معجزة، ولا يكثرث لفضل ما بين حجّة وشبهة.

قال جعفر بن محمد: من نقله الله عزوجل من ذل المعاصي إلى عزّ الطاعة أغناه بلا مال، وآنسه بلا أنيس



وأعزّه بلا عشيرة.

أخذه محمود الوراق فقال:

د غنىً يدوم بغير مال

ده العشائر بالقتال

طان وجاهاً في الرجال

في عزّ طاعة ذي الجلال

عاصي له في كلّ حال

هاكّ الدليل لمن أرا

وأراد عزّاً لم توطّ

ومهابةً من غير سل

فليعتصم بدخوله

وخروجه من ذلة ال

قال الحسن: لا يغرك توطيهم رقاب المسلمين، وإن هملجت بهم خيولهم ورفرفت بهم ركايمهم، إن ذل المعصية في قلوبهم، أبي الله إلا أن يذل من عصاه.

كان يقال: من أحبك نماك ومن أبغضك أغراك.

قال العتيبي: خطب يزيد بن الوليد فأرجز وقال: أيها الناس! الأمر أمر الله، والطاعة طاعة الله، فأطيعوني ما أطعت الله، يغفر الله لي ولكم.

قالت هند: الطاعة مقرونة بالحبّة، فالمطيع محبوب، وإن نأت داره، وقلّت آثاره، والمعصية مقرونة بالبغضة، فالعاصي ممقوت، وإن مسّتك رحمته، ونالك معروفه.

كتب ابن السّمك إلى أخ له: أفضل العبادة الإمساك عن المعصية، والوقوف عند الشبهة، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة، وقاله سفيان بن عيينة.

ذكر إبليس عند أبي حاتم، فقال: وما إبليس! فوالله لقد عصي فما ضرّ، وأطيع فما نفع.

قال محمود الوراق وتنسب إلى الشافعي:

هذا محالٌ في القياس بديع

إن المحبّ لمن يحبُّ مطيع

منه وأنت لشكر ذاك مضيع

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه

لو كان حبك صادقاً لأطعته

في كل يوم بيتديك بنعمة

وقال إسحاق الموصلي:

نة والنبل واليسار معا

ه إذا العبد أعمل الورعا

الملك والعزّ والمروءة والفظ

مجتمعات في طاعة العبد لل

وَاللُّؤْمُ وَالذُّلُّ وَالضَّرَاعَةُ وَال

فَاقَةُ فِي أَصْلِ أُذُنٍ مِنْ طَمَعَا

وقال أبو العتاهية:

أراك امرءاً ترجو من الله عفوهُ

وأنت على ما لا يحبُّ مقيم

فحتّى متى تعصي ويعفو إلى متى

تبارك ربّي إنه لرحيم

وله أيضاً:

أطع الله بجهدك

صادقاً أو بعض جهدك

أعط مولاك كما تط

لب من طاعة عبدك

### باب الغيبة والنميمة

قال الله عزوجل: "ويلٌ لكلّ همزة لمزة"، قال مجاهد: هو الطّعان الآكل لحوم الناس.

قال الله عزوجل: "ولا يغتب بعضكم بعضاً، أوجبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو في بيته".

قال عمر بن الخطاب: من أدى الأمانة، وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل.

وقع بين سعد وخالد كلام، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال سعد: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قلت في أخيك ما فيه مما يكره فقد اغتبتته، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البهتان." قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عشرته".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "شرا ركم أيها الناس المشّاعون بالنميمة، المرفقون بين الأحبة، الباغون لأهل البر العثرات".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا غيبة فيهم: الفاسق المعلن بفسقه، وشارب الخمر، والسُّلطان الجائر".

قال رجل لابن سيرين: إني وقعت فيك، فاجعلي في حلّ، قال: لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك.

قال رجل للحسن البصري: إني اغتبت فلاناً وإني أريد أن أستحله فقال: لم يكفك أن اغتبتته حتى تريد أن

تبهته.

قال ابن عباد الصاحب:

فسق لا رخصة فيه

كل من لحم أخيه

احذر الغيبة فهي ال

إنما المغتاب كالآ

قال حذيفة: كفارة من اغتبه أن تستغفر له.

قال عبد الله بن مبارك لسفيان بن عيينة: التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبه، قال سفيان: بل تستغفره مما قلت فيه: قال ابن المبارك: لا تؤذه مرتين.

قال عدي بن حاتم: الغيبة مرعى اللثام.

قال أبو العتاهية: الصائم في عبادة ما لم يعتب.

قال ابن محيريز: مامن ذنب أجدر أن تجده من الرجل - وإن أعجبك - من الغيبة.

قال أبو حاتم: أربح التجارة ذكر الله، وأخسر التجارة ذكر الناس.

قال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

سمع قتيبة بن مسلم رجلاً يغتاب آخر، فقال: لقد مضغت مضغة طالما لفظها الكرام.

سمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

قال الشاعر:

ويأخذ عيوب الناس من عيب نفسه

مراد لعمرى ما أراد قريب

وقال آخر:

واجراً من رأيت بظهر غيب

على عيب الرجال أخو العيوب

وقال آخر:

فكل عيَاب له منظر

مشتتمل الثوب على عيب

كان يقال: ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه.

قال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارعون عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس".

قال الحجاج بن الفرافصة: قلت لجاهد: الرجل يكون وقاعاً في الناس، فأقع فيه، أله غيبة؟ قال: لا. قلت: من

ذا الذي تحرم غيبته؟ قال: رجلٌ خفيف الظَّهر من دماء المسلمين، خميص البطن من أموالهم، أخرس اللسان عن أعراضهم، فهذا حرام الغيبة، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له، ولا غيبة فيه.  
قال رجل لعمر بن عبيد: إني لأرحمك مما يقول الناس فيك. قال: فما تسمعي أقول فيهم؟ قال: ما سمعتك تقول إلا خيراً. قال: إيَّاهم فارحم.  
قال عتبة بن أبي سيفيان لابنه عمرو: يا بني نزه نفسك عن الخنا، كما تتره لسانك عن البذاء، فإن المستمع شريك القائل.

وهذا عندي مأخوذ من قول كعب بن زهير:

إن كنت لا ترهب عن ذمِّي لما  
فاخش سكوتي إذ أنا منصتٌ  
فالسَّامع الذمَّ شريكٌ له  
مقالة السوء إلى أهلها  
ومن دعا النَّاس إلى ذمِّه  
فلا تهج إن كنت ذا ربيبةٍ  
فإنَّ ذا العقل إذا هجته  
يبصر في عاجل شدَّاته

تعرف من صفحي عن الجاهل  
فيك لمسموع خنا القائل  
ومطعم المأكل كالأكل  
أسرع من منحدر سائل  
ذمُّه بالحق وبالباطل  
حرب أخي التَّجربة العاقل  
هجت به ذا حبل حابل  
عليك غبَّ الضَّرر الآجل

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

فلو شئت أدلي فيكما غير واحد  
فإن أنا لم أمر ولم أنه عائباً  
ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق:  
تحرَّ من الطُّرق أوساطها  
وسمعتك صن عن سماع القبي  
فإنك عند استماع القبي  
قالت الحكماء: حسبك من شرِّ سماعه.

علانيةً أو قال عندي في السرِّ  
ضحكت له حتَّى يلجَّ ويستشري  
وعدَّ عن الجانب المشتبه  
ح كصون اللسان عن النطق به  
ح شريكٌ لقائله فانتهبه

قال الله عزَّ وجلَّ: "سمعون للكذب أكالون للسُّحت".

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر - يدينك ويقربك،

فاحفظ عني ثلاثاً: إياك أن يجرب عليك كذبة، وإياك أن تفشي له سرّاً، وإياك أن تغتاب عنده أحداً، ثم قال: يا عبد الله! ثلاثاً وأيّ ثلاث. فقال له رجل: يا ابن عباس كل واحدٍ خير من ألف. فقال: بل كل واحدٍ خيرٌ من عشرة آلاف.  
قال عبد الصمد بن المعدّل:

بـة هجران التّقال

كى لقيـلٍ ولقال

وهو لا يجري ببالي

في وقلبي منه خال

قد هجرنا مجلس الغي

ألّفته عصبـة نو

ربّ من يشجيه ذكري

قلبه ملآن من خو

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع إلينا عورة مسلم".  
وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة قتات".  
وقال عليه السلام: "إياك ومهلك الثلاثة" قيل: وما مهلك الثلاثة؟ قال: "رجل سعى بأخيه المسلم فقتله، فأهلك نفسه وأخاه وسلطاناه".  
وقالوا: قبول السّعاية شرٌّ من السّعاية، لأن السّعاية دلالة والقبول إجازة.  
قال يحيى بن أبي كثير: يفسد التّمّام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.  
قال سابق:

فلا تدع الصّدّيق لقول واشٍ

إذ الواشي بغى يوماً صديقاً

وقول سابق هذا - والله أعلم - أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله: إذا كان لك أخ في الله فلا تماره، ولا تسمع فيه من أحد، فربما قال لك ما ليس فيه فحال بينك وبينه.  
تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير عليّ بن أبي طالب، فقال له أبوه: مهلاً يا بني لا تنقّصه، فإن بني مروان شتموه ستين سنة، فلم يزد الله بذلك إلا رفعة، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا، وإن الدنيا لم تبني شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته.  
كان يقال: المعرّض بالناس اتقى صاحبه، ولم يتق ربه.  
قال الفرزدق:

وما خلت عني ودّهم يتصرّم

وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

تصرّم عني ودّ بكر بن وائلٍ

قوارص تأتيني وتحترقونها

وقال يزيد بن الحكم الثقفي:

وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى  
كما كتّمت داء ابنها أم مدوى  
ثلاث خلالٍ لست عنها بمرعوي

تكاشر من لاقيت لي ذا عداوةٍ  
بدا منك غشٌّ طالما قد كتّمته  
جمعت وفحشاً غيبيةً ونميمةً

وقال زياد الأعجم:

وإن أغب فأنت الهامز اللّمزه  
حيفٌ على الناس أن يغتابني غمزه

إذا لقيتك تبدى لي مكاشرة  
ما كنت أخشى وإن طال الزمان به

وقال منصور الفقيه:

ينمُّ بالكتمان  
من قائل البهتان

هبني تحرّرت ممّن  
فكيف لي باحتراسٍ

وقال أيضاً:

وليس في الكذاب حيلة  
ل فحيلتي فيه قليله

لي حيلةٌ فيمن ينمُّ  
من كان يخلق ما يقو

قال موسى عليه السلام: ياربّ إن الناس يقولون فيّ ما ليس فيّ، فاجعلهم ياربّ يقولون فيما فيّ. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لم أجعل ذلك لنفسي، فكيف أجعله لك.  
قال المسيح عليه السلام: لا يجزئك قول الناس فيك، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صادقاً كانت سيئة عجلت عقوبتها.

### باب البغي والحسد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مامن ذنب هو أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا ظننتم فلا تحقّقوا، وإذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا".

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد: الطيرة، والحسد والظن". قيل: فما المخرج منهنّ يا رسول الله؟ قال: "إذا تطيرت فلا ترجع وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقّق".

روي عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: لو بغى جبلٌ على جبلٍ، لذكَّ الباغي منهما.  
أخذه الشاعر فقال:

لذكَّ منه أعاليه وأسفله

ولو بغى جبلٌ يوماً على جبلٍ

وقال آخر:

ولم يعدم الباغي من الناس مصرعا

ذر البغي إنَّ البغي موبق أهله

قال عمر بن الخطاب: ما كانت على أحد نعمة إلا كان لها حاسد، ولو كان الرجل أقوم من القدح لوجد له غامزاً.

قال ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله عزّ وجل. قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

قال الحسن البصري: ليس أحدٌ من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغي والظلم لم يتبعه منه شيء.

وعن أنس بن مالك أنه مرّ على ديار خربة حاوية، قال: هذه أهلكتها وأهلكها البغي والحسد، إن الحسد ليظفي نور الحسنات، والبغي يصدّق ذلك أو يكذبه، فإذا حسدتم فلا تبغوا. قيل للحسن: يا أبا سعيد! أيجسد المؤمن؟ قال: لأأمّ لك! أنسيت إخوة يوسف.

قال بعض الحكماء: البغي من فروع الحسد، وأقدم الناس على البغي من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغى عليه.

وقالوا: ثلاثة عائدة على فاعلها: البغي والمكر والتكث.

قال الله عزّ وجل: "إنّما بغيتكم على أنفسكم"، وقال: "ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله"، وقال تعالى: "ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه".

وقال يزيد بن الحكم:

مما يهيج به العظيم

إنّ الأمور دقيقتها

والظلم مرتعه وخيم

والبغي يصرع أهله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب". وقد ذكرنا

كثيراً من الآثار المرفوعة وغيرها في الحسد عند قوله عليه السلام: "لا تحاسدوا" في كتاب "التمهيد" بما فيه كفاية والحمد لله.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أفضل؟ قال: "المؤمن النقي القلب، ليس فيه غل ولا حسد".

كان يقال: أقيح الأشياء بالسلطان اللجاج، وبالحكماء الضجر، وبالفقهاء سخافة الدين، وبالعلماء إفراط الحرص، وبالمقاتلة الجبن، وبالأغنياء البخل، وبالفقراء الكبر وبالشباب الكسل، وبالشيوخ المزاح، وبجماعة الناس التباغض والحسد.

كان يقال: كادت الفاقة تكون كفراً، وكاد الحسد يغلب القدر، والهـم نصف الهرم، والفقـر الموت الأكبر. قال عليُّ بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة: ما لنا ولقريش بلى. ولهم، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا.

قال عليُّ بن أبي طالب، قال إبليس لجنوده: ألقوا بين الناس التحاسد والبغي، فإنهما يعدلان الشرك. كان يقال: أول ما عصى الله به في السماء والأرض الحسد والحرص. ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة، وحسد ابن آدم أخاه حين تقبّل منه قربانه فقتله. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "احذروا ثلاثاً: الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، والكبر فإنه حطَّ إبليس عن مرتبته، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه". قال عمر بن أبي ربيعة:

**وقديماً كان في الناس الحسد**

قال سابق:

**فلن تبيد وللآباء أبناء**

**جنى الضغائن آباءً لنا سلفوا**

قال أبو الدرداء: مكتوب في التوراة: إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.

كان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب.

قال ثمامة بن الأشرس في أحمد بن خالد:

**عليّ سبيلاً غير أنك حاسد**

**أفكر ماذبني لديك فلا أرى**

**أقرّ مقرّ أو أبي ذاك جاحد**

**وإن لموسومان كلّ بسيمة**

قال بكر بن عبد الله المزني: حظك من الباغي حسن المكاشرة، وذنبك إلى الحاسد دوام النعمة. قال الحسين الخليع:



ما للحسود وأشياعه

ومن كذب الحق إلا الحجر

قال عبد الله بن المقفع: إن الحسد خلق ديني ومن دناؤه أنه موكل بالأدنى فالأدنى.

قال يزيد بن الحكم الثقفى:

تكاشرنى كرها كأنك ناصح

وعينك تبدى أن قلبك لي دوى

بدا منك عيب طالما قد كتمته

كما كتمت داء ابنها أم مدوى

لسانك ماذى وقلبك علقم

وشرك مبسوط وخيرك منطوي

تملأت من غيظ علي فلم يزل

بك الغيظ حتى كدت بالغیظ تشتوي

وما برحت نفس حسود حشيتها

تذبيك حتى قيل: هل أنت مكتوي

وقال النطاسيون إنك مشعر

سلالا ألا بل أنت من حسد جوى

أراك إذا لم أهرأ هويته

ولست لما أهوى من الأمر بالهوى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى

بأجرامه من قلة النيق منهوى

عدوك يخشى صولتي إن لقيته

وأنت عدوي ليس ذاك بمستوي

وفي رواية أخرى:

تصافح من ألفت لي ذا عداوة

وأنت صديقي ليس ذاك بمستوي

قال ابن المعتز:

ماعابني إلا الحسو

د وتلك من خير المعايب

والخير والحساد مق

رونان إن ذهبوا فذاهب

وإذا ملكت المجد لم

أملك مذمات الأقارب

وإذا فقدت الحاسدي

ن فقدت في الدنيا المطايب

وأشده ابن عائشة:

خليلي إنني للثريا لحاسدواني على ريب الزمان لو اجد أجمع منها شملها وهي سبعة وأفقد من أحببته وهو واحد

وقال سويد بن أبي كاهل:

كيف ترجون سقوطي بعدما

عمم الرأس بياض وصلع

بئس ما ظنوا وقد عرفتهم

عند غايات المدى كيف أقع

قد تمنى لي موتاً لم يطع  
عسراً مخرجه ما ينتزع  
فإذا أسمعته صوتي انفقع  
فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع  
وإذا يخلو له لحمي رتع  
وإذا ما يكف شيئاً لم يضع

شتم الرجال وعرضه مشتوم  
فالناس أعداء له وخصوم

قد يقتل المرء يوماً وهو محمود  
وفي أورمته ما ينبت العود  
محسداً والفتى ذو اللب محسود

وأهدأ والأفكار في تجول  
إذا حل في قلب فليس يزول  
وإن كنت تبديها له وتتيل

قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
ومات أكثرنا غيظاً بما يجد  
لا أرتقي سعداً فيها ولا أرد

ذو الفضل يحسده ذوو النقصان

رب من أنضجت غيظاً صدره  
ويراني كالشجا في حلقه  
مزبداً يخطر ما لم يرني  
لم يضرنني غير أن يحسدني  
ويحييني إذا لاقيته  
قد كفاني الله ما في نفسه

وقال أبو الأسود الدؤلي، ويقال إنما للعزمي:

تلقي اللبيب محسداً لم يجترم  
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

وقال المرار الفقعسي:

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته  
أمضي على سنة من والد سلفت  
مطالب بترات غير مدركة

وقال أبو الطيب:

أعادي على ما يوجب الحب للفتى  
سوى وجع الحساد داو فإنه

ولا تطمعن من حاسد في مودة

وقال لبيد بن عطار بن حاجب التميمي:

إن يحسدوني فإنني غير لائمهم

فدام لي ولهم ما بي وما بهم

أنا الذي يجدوني في حلوهم

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن حرير:

ماضرتني حسد اللئام ولم يزل

وقال مروان بن أبي حفصة:

ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

ماضره حسد اللئام ولم يزل

قال معاوية بن أبي سفيان: كل الناس أراضيته إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.  
أخذه الشاعر فقال:

إلا عداوة من عاداك من حسد

كل العداوة قد ترجى إمانتها

قال معاوية بن أبي سفيان: ليس في خلال الشر أشر من الحسد، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى  
المحسود.

كان يقال: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت.

قال الخليل بن أحمد: لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد.

قال محمود الوراق:

إلا الحسود فإنه أعياني

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا

إلا تظاهر نعمة الرحمن

لا أن لي ذنباً لديه علمته

عندي كمال غنى وفضل بيان

يطوي على حنق حشاه لأن رأى

وذهاب أمواله وقطع لساني

ما إن أرى يرضيه إلا ذلتي

وقال آخر:

مقدار ما كثرت فيهم من النعم

إن يكثر الله حسداً لهم فعلي

وقال محمد بن زياد الحارثي:

يحق عليك شكرها واحتمالها

إذا ما حملت الشكر في كل نعمة

يكون عليه همها ووبالها

فدع لحسود بعد ذلك خطة

يكيدك فيها جرمها ونكالها

لك الأجر والمهني وللحاسد الذي

وقال آخر:

ولا خير فيمن ليس يعرف حاسده

تمنى لي الموت المعجل خالد

وقال نصر بن أحمد:

ونعمة الله مقرون بها الحسد

كأنما الدهر قد أغرى بنا حسداً

وقال آخر:

ولن ترى للئام الناس حسداً

إن العرائين تلقاها محسدة

وقال آخر:

لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

محسّدون على ما كان من نعم

وقال آخر:

ياذ المعارج لا تنقص لهم عدا

إني نشأت وحسّادي ذوو عدٍ

وقال بشار العقيلي:

وأن يديم لنا ما يوجب الحسدا

فانله أسأله إدوام دائهم

وقال أيضاً:

ولو فنوا عزّ دائي من يداويني

قد أذهب الداء حسّادي بكثرتهم

أعزّ فقداً من اللّائي أحبّوني

لا عشت خلواً من الحسّاد إنهم

حتّى يموتوا بداءٍ غير مكنون

أبقى لي الله حسّادي وغمهم

وقال محمود الوراق:

ع له على الأيّام عهده

لا تحسّدنّ أخاك وار

وأخاه من سقم المودّه

حسد الصّدّيق صدّيقه

وقال حبيب:

طويت أتاح لها لسان حسود

وإذا أراد الله نشر فضيلة

ما كان يعرف فضل عرف العود

لولا اشتعال النّار فما جاورت

وقال أبو القاسم الداعية: أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم.

ولأحد بني الطيفان:

كما دملت ساق يهاض بها كسر

ومولى كمولى الزّبّرقان دملته

وعينيّه إن مولاه ثاب له وفر

تراه كأنّ الله يجدع أنفه

وقال ابن أبي طاهر:

أصبح قد أحسن في فعله

ياحاسداً فضل امرئ سيّد

لكلّ ذي نبلٍ على نبّله

لازلت إلاّ باغياً حاسداً

دائمةً تبقى على مثله

وزاد من تحسده نعمةً

يحسد ذا الفضل على فضله

ولم يزل ذو النقص من نقصه

وقال أبو فراس الحمداني، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان:

لمن جاهد الحساد أجر المجاهد  
وأعجز ما حاولت إرضاء حاسد  
ولم أر مثل اليوم أكثر حاسداً  
كأن قلوب الناس في قلب واحد

### باب السباب والمشاتمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المتسابان ماقالا، فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم."  
قال بعض الحكماء: ما استب رجلان إلا غلب الأملهما.  
قال الزبير بن بدر: خصلتان كبيرتان في امرئ السوء: شدة السب، وكثرة اللطم.  
كان يقال: الغالب في الشر مغلوب.

شتم رجل أبا ذر، فقال له: يا هذا لا نغرقن في شتمنا ودع للصالح موضعاً، فإننا لا نكافئ من عصى الله  
فيينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه.

قال أبو مسلم صاحب الدعوة، عصبية الأشراف تظهر بأفعالها، وعصبية الأدياء تظهر بألسنتها.  
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه". كان يقال: ظن  
الحكيم كهانة. ويروى هذا للمعاوية رضي الله عنه.

سئل بعض العرب عن العقل، فقال: الإصابة بالظنون، ومعرفة ما لم يكن بما كان.  
قال علي بن أبي طالب: لله درّ ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق.  
قال بلعاء بن قيس:

وأبغى صواب الظن أعلم أنه  
إذا طاش ظن المرء طاشت مقادير

وقال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظن بك الظن  
كأن قد رأى وقد سمعاً

كان يقال: صحة الظن أول اليقين، أخذه سعيد بن حميد فقال:

أهابك أن أدلّ عليك ظناً  
لأن الظن مفتاح اليقين

وقال آخر:

يظن فلا يعدو الضمير كأنما  
له في الأمور الغائبات رقيب

وقال كثير بن عبد الملك:

رأيت أبا الوليد غداة جمع  
به شيبٌ وما فقد الشبابة  
ولكن تحت ذلك الشيب عزمٌ  
إذا ما ظنَّ أمرض أو أصابا

وقال آخر:

وإنِّي لطرف العين بالعين زاجرٌ  
فقد كدت لا يخفى عليّ ضمير  
وقال عبد الله بن محمد الأشبوبي:

ذكيٌّ يرى ما في الضمير بظنه  
كأن له غيباً على غامض السرِّ  
وقال آخر:

أحسن الظنَّ بمن قد عودك  
حسنأ أمس وسوى أودك  
إنَّ ربًّا كان يكفيك الذي  
كان بالأمس سيكفيك غدك

سمع أعرابي رجلاً يقول: إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه. فقال الأعرابي: إن الكريم إذا تولى شيئاً أحسن فيه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل.

قيل لبعض العلماء: من أسوأ الناس حالاً؟ قال: من اتسعت معرفته، وضاق مقدرته، وبعدت همته، وأسوأ منه حالاً: من لم يثق بأحد لسوء ظنه ولم يثق به أحد لسوء فعله.  
قال غيره من الحكماء: حسب البعيد الهمة أن تكون غايته الجنة.  
قال أبو العتاهية:

الظنُّ يخطئ تارةً ويصيب

وقال آخر:

وإنِّي بها في كل حالٍ لوائقٌ  
ولكنَّ سوء الظنَّ من شدّة الحبِّ  
قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ  
وصدق ما يعتاده من توهم  
قال ابن هرمة:

وحسبك تهمةً لنصيح قومٍ  
يمدُّ على أخي غدرٍ جناحاً

قال أبو حازم: العقل التجارب، والحزم سوء الظن.

قال الحسن البصري: لو كان الرجل يصيب ولا يخطئ، ويحمد في كل ما يأتي لداخله العجب.  
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أفرس الناس كلهم - فيما علمت - ثلاثة: العزيز في قوله لامرأته حين تفرّس في يوسف: "أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا"، وصاحبة موسى حين قالت: "ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين". وأبو بكر حين تفرّس في عمر رضي الله عنهما فاستخلفه.

نظر إياس بن معاوية يوماً، وهو بواسط، في الرحبة إلى آجرة، فقال: تحت هذا الآجرة حية، فترعوا الآجرة فإذا تحتها حية منطوية، فسئل عن ذلك فقال: إنني رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين تلك الرحبة، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

قال عمرو بن بحر: إذا نظر الأعرابي موضع منتفخ في أرض مستوية، فإذا رآه يتصدع في تهيل، وكان تفتحه مستويًا علم أنها كمأة وإن خلط في التصدع والحركة علم أنها دابة، فاتقى مكانها.  
نظر إياس بن معاوية يوماً إلى صدع في الأرض، فقال: في هذا الصدع دابة. فنظروا فإذا فيه دابة، فقال: إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات.

قال معن بن زائدة: ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله، فقال له الفضل بن شهاب: فإن رأيت وجهه؟ قال: فذلك حينئذ في كتاب أقرأه.

ومر إياس بن معاوية ذات يوم بماء، فقال: أسمع صوت كلب غريب، قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب. قالوا: فإذا كلب غريب مربوط، والكلاب تنبحه. وأما قول العماني:

### ويفهم قول الحكل لو أن ذرّة تساود أخرى لم يفته سوادها

فالحكل: كل من لم يكن له صوت تستبان مخارجه، أو كلام يفهم من الجواب كله. وأما قوله: تساود فمعناه تسارّ، والسّواد: السرار، ومنه قول ابنة الخس: حملني على هذا قرب الوساد، وطول السّواد. وفي حديث ابن مسعود: تعالى أساودك، أي أسارك.

قال وهب بن منبه خصلتان إذا كانتا في الغلام رجيت نجابته: الرّهبة والحياء.

قال غيره: إذا استنقل الصبي الأدب، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعي، وإذا فهم أذى، كان ذلك ممن يرجى.

قال غيره: إذا كان الغلام حازماً في الخلاء، فظيع اللسان في الملاء، يبغض التعليم، ويوارب المعلم، ويقدم

أباه على أمه، ويؤخّر خاله على عمه، وكنيته أحبُّ إليه من اسمه، فإنه يرجي خيره وينتظر عزّه.  
وقال ابن الزيات: إذا رأيت الصبي يجب عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة فهو مضعوف،  
قاله إذ رأى ابنه عمر يجب الكتاب فاعثّم له، فسئل عن ذلك، فقال ما ذكرنا، قال أبو عمر رضي الله  
عنه: قوله عندي هذا ليس بشيء.

وقال غيره: يستدل على نجابة الصبي بشيئين الحياء وحبّ الكرامة، أما الحياء فهو خير كله، وأما حب  
الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.

قال عمرو بن العاص: أنا للبدية ومعاوية للأناة، والمغيرة للمعضلات، وزيايد لصغار الأمور وكبارها.  
أراد يوسف بن عمر بن هبيرة أن يوّلي بكر بن عبد الله المزنيّ القضاء، فاستعفاه، فأبى أن يعفیه، فقال:  
أصلح الله الأمير، ما أحسن القضاء، فإن كنت كاذباً فلا يحلّ لك أن توّلي الكاذبين، وإن كنت صادقاً،  
فلا يحلّ أن توّلي من لا يحسن.

قال رجل من الأعراب ضرير النظر لابنته، وهي تقوده في المرعى: يا بنية انظري كيف ترين السماء؟ قالت  
كأنها قرون المعزّي. قال: ارعي. فرعت ساعة، فقال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت كأنها خيل دهم تجرّ  
جلالها. قال: ارعي. فرعت ساعة ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأن الرباب نعام تعلق  
بالأرجاء من السماء، قال: ارعي. ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: ابيضت واسودت ودنت  
فكأنها عين نفسٍ تطرف. قال: أنجي ولا أراك ناجية.  
قال الشاعر:

**أكل وميض بارقة كذوب أمافي الدهر شيء لا يريب**

أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله، فقالت والله إني إذا لطويل العنق. فسمعها الشيخ، فقال: أشار والله  
إليها لتقبله.  
للبيد أو للبعيث:

**لمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع**

باب الظنّ والزكّانة قد تقدم في الباب الذي قبل هذا، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا  
ظننتم فلا تحقّقوا " وقال الله تعالى: " إنّ الظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً " وقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: إياكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث .

قال عمر بن الخطاب: لا يحلّ لامرئٍ مسلمٍ سمع من أخيه كلمة أن يظنّ بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء



من الخير محرراً.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه.  
قال على بن طالب : حسن الظن بالله ألا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " .  
قال الحسن البصرى : إن المؤمن إذا أحسن الظن أحسن العمل.  
قال أبو مسلم الخزلاي : اتقوا ظن المؤمن ، فإن الله جعل الحق على لسانه وقلبه.  
قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلماً ألا تزال مخلصاً ، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً.  
وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أمارى أخي أبداً ، لأنى أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه.

قال عبد الله بن حسين على رضى الله عنهم : المرء رائد الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك به الغضب.  
قال محمد بن على بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحنة في صدور الرجال.  
كان يقال : لآمار حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك. قيل لعبد الله بن حسين : ما تقول في المرء ؟ قال : يفسد الصداقة القديمة ، ويجلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دريئة للمغالبة والمغالبة ، أمتن أسباب القطيعه. قال عبد الله بن عباس لمعاوية : هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابي ؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشغب بك وتشغب بي ، فيبقى في قلبك ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبى ما يضررك.

قال إبراهيم التيمى : إياكم والمخاصمات في الدين ، فإنها تحبط الأعمال.  
قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل.  
قال الأوزاعي : إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل.  
قال ابن أبي الزناد : ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدل مثله.  
وقد أوردنا في كتاب " بيان العلم " باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان.

قال الأصمعى : سمعت أعرابياً يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته ، ومن أكثر من شئ عرف به.

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصى ابنه كداما :

فاسمع لقول أب عليك شفيق  
خلقان لا أرصاهما لصديق  
لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيق  
وعروقه في الناس أئى عروق

إني منحتك يا كدام نصيحتي  
أمّا المزاحة والمرء فدعهما  
إني بلوتهما فلم أحمدهما  
والجهل يزرى بالفتى في قومه

وقال وصعب الزبيرى :

وكان الموت أقرب ما يلينى  
وأجعل دينه غرضاً لدينى  
وليس الرأى كالعلم اليقين  
تصرف في الشمال وفي اليمين

أأقعد بعدما وجفت عظامى  
أجادل كلّ معترض خصيمٍ  
فأتترك ما علمت لرأى غيرى  
وما أنا والخصومة وهى لبس

في أبيات قد ذكرناها بتمامها في كتاب " بيان العلم وفضله " والحمد لله .  
قال أبو العباس التاشى :

يجد المحال من الأمور صوابا  
كان السكوت على الجواب جوابا

وإذا بليت بجاهل متحاملٍ  
أوليته منى السكوت وربّما

### باب المرء والخصومة والملاحاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا زعيم بيت في أعلى الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في ربض الجنة لمن ترك المرء وإن كان محققاً ، ولمن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولمن حسنت مخالفته للناس "

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أسرى بي كان أول ما أمرني به ربي أن قال : إياك وعبادة الأوثان ، وشرب الخمر ، وملاحاة الرجال .

قال قيس بن السائب : كان رسول الله عليه وسلم شريكى في الجاهلية ، فكان خير شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال معاذ بن جبل : إذا كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .

قال لقمان لابنه : يا بني لا تمارين حكيماً ، ولا تجادلن لجوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبن

متهماً.

قال لقمان لابنه : يا بني من قصر في الخصة خصم ، ومن بالغ فيها أثم فقل الحق ولو على نفسك ، ولا تبال من غضب.

وفي الحديث المرفوع : " احذروا جدال كل مفتون ، فإنه يلقن حجته إلى انقطاع مدته " .  
سب أعرابي أعرابياً ، فسكت . ف قيل له : لم سكت عنه ؟ فقال : ما لي علم بما فيه ، وكرهت أن أجهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحرثي :

وأرفع نفسي عن نفوسٍ وربما  
تذللّت في إكرامها لنفوس  
وإن رامني يوماً خسيس بجهله  
أبى الله أن أرضى بعرض خسيس  
وقال حسان بن ثابت :

ما أبلى أنت بالحزن تيس  
أم لحاني بظهر غيب لثيم  
وقال آخر :

وقل ليزيد إن شمت سرائنا  
فلسنا بشتامين للمتشتّم  
ولكننا نأبى الجواب ونقتضى  
بكل رقيق الشفرتين غشمشم  
قال الخليل : الغشمشم : الجريء الماضي ، قال الشاعر :

عبل الشوى غشمشماً غاشماً  
وقال آخر :

وتبطش أيدينا ويحلم رأينا  
ونشتم بالأفعال لا بالتكلم  
وقال الأخطل :

أنبتت كلبا تمنى أن تسافهنا  
وطالما سافهونا ثم ما ظفروا  
قد أندروا حية في رأس هضبتة  
وما يكاد ينام الحية الذكر  
وقال آخر :

فإن تشتمونا على لؤمكم  
فقد تقرض العثّ ملس الأدم  
العث دويبة صغيرة ليس بها إلا أنها تقرض كل شيء وقال آخر :

هل يشتمني لا أبا لكم  
دنس الثياب كطابخ القدر

## جعل تمطى في غثائه

## زمن المروءة ناقص الشبر

أعطى الحسن بن على شاعراً ، ف قيل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر. وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك في شاعر مدحه فأعطاه. وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين. قال جرير :

وما حملت أمّ امرئٍ في ضلوعها

أعق من الجاني عليها هجائيا

وقال آخر :

أصبح الأخيار وأرغب فيهم

ربّ من صاحبتّه مثل الجرب

ودع الناس ولا تشتمهم

وإذا شاتمتم فاشتمم ذا حسب

إنّ من سبّ لئيماً كالذي

يبدّل الصقر بأعيان الذهب

وقال آخر :

مالي أكفكف من " وتشتمني "

ولو شتمت بني سعد لقد سكتوا

وقال آخر :

جهلاً علينا وجبنا عن عدوهم

لبئست الخلتان الجهل والجبين

قيل للشعي : فلان يتنقصك ويشتمك. فتمثل بقول كثير :

هنيئاً مريباً غير داءٍ مخامرٍ

لعزّة من أعراضنا ما استحلّت

أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة

لدينا ولا مقلية إن تقلّت

وقال قيس المجنون :

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا

هنيئاً ومغفوراً لليلى ذنوبها

وقال آخر :

إذا ما شئت سبتك غير قومٍ

وإن كنت المهذب واللبابا

يها بك كلّ ذى حسب ودينٍ

وأما في اللثام فلن تهابا

وقال آخر :

من شاتم الناس رموه بما

لم يك يعتده في الحساب

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

ومن دعا الناس إلى ذمه

ذموه بالحقّ والباطل

وقال آخر :

ولست مشاتماً أحداً لأبى  
رأيت الشتم من عى الرجال  
إذا جعل اللئيم أباه نصباً  
لشاتمته فديت أبى بمالى

وقال آخر :

وتجزع نفس المرء من شتم مرّة  
ويشتم ألفاً بعد ذلك فيصبر

وقال آخر :

لعمرك ما سبّ الأمير عدوّه  
ولكنّما سبّ الأمير المبلّغ

وقال آخر :

من يخبرك بشتم عن أخٍ  
فهو الشاتم لا من شتمك  
ذاك شتم لم يواجهك به  
إنّما اللوم على من أعلمك

وقال آخر :

أبا حسنٍ يكفيك ما فيك شاتماً  
لعرضك من شتم الرجال ومن شتمى

وقال آخر :

وما بقى عنك قوماً أنت خائفهم  
كمثل دفعك جهالاً بجهال  
فاقعس إذا حدبوا واحذب إذا قعسوا  
ووازن الشرّ متقالاً بمتقال

وقال آخر :

ثالبني عمرو وثالبته  
قلت له خيراً فقال الخنا  
فقد أثم المثلوب والثالب  
كلّ على صاحبه كاذب

### باب الكبر والعجب والتهيه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاكياً عن الله عزّ وجلّ : " الكبرياء ردائي ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحداً منهما أدخلته النار " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خيلاء ، وفي حديث آخر : لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه بطرا " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الكبر أن يسفّه الحقّ ، ويعمّض الناس .

قال محمد بن علي بن حسين : ياعجباً من المختال الفخور الذي خلق من نطفه ، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بعد ذلك ما يفعل به .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : سمعت أحمد بن يوسف ، وذكر رجلاً كان يذهب بنفسه في التيه ، فقال : يتيه فلان ، وما عنده فائدة ولا عائده ولا رأى جميل .  
قال الشاعر :

يامظهر الكبر إعجاباً بصورته      أبصر خلاءك إن المين تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم      ما استشعر الكبر شباناً ولا شيب

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ، ولم يكن جباراً .  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يزال الرجل يذهب بنفسه في التيه حتى يكتب في الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم " .  
قال مالك بن دينار : كيف يتيه من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قدرة ، وهو فيما بين ذلك حاملٌ عذرة .

أخذه أبو العتاهية فقال :

ما بال من أوله نطفةً      وجيفة آخره يفخر

أصبح لا يملك تقديم ما      يرجو ولا تأخير ما يحذر

وأصبح الأمر إلى غيره      في كل ما يقضى وما يقدر

وقال منصور الفقه :

تتبه وجسمك من نطفة      وأنت وعاء لما تعلم

وله أيضاً :

قولوا لزوار الكنف      والمنشئين من نطف

يا جيفاً من الجيف      ما لكم وللصلف

كان يقال : لولا ثلاث سلم الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .  
قال جعفر بن محمد : علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من العجب ، ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنوب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً فقد تمت خسارته .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يؤجر عليها المبتلى بها : العجب ، والنعمة التي لا يحسد عليها :

التواضع.

كان يقال : لاشئ أكلم للمحاسن من العجب والتهيه قال نصر بن أحمد :

ومن أمن الآفات عجباً برأيه  
وقال منصور الفقيه :

لا تحلقنّ بتّيّاه فتحمله  
واجره لله لا للناس مبتغياً  
على التّزيّد مما يسخط الله  
وثاب ربك في هجران من تاها  
وقال آخر :

إن عيسى أنف أنفه  
لو تراه راكباً والتّيه  
أنفه ضعفٌ لضعفه  
قد مال بعطفه

لرأيت الأنف في السرّ  
وقال ابن السّلماني :

أتيه على جنّ البلاد وإنسها  
أتيه فلا أدري من التّيه من أنا  
ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي  
سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي  
فإن زعموا أنّي من الإنس مثلهم  
وقال خلف الحمر :

لنا صاحبٌ مولعٌ بالخلاف  
ألجّ لجاجاً من الخنفساء  
كثير الخطاء قليل الصّواب  
وأزهي إذا ما مشى من غراب  
ولأبي العتاهية ، ويروي لمنصور الفقيه :

حدّتك الكبر لا يعلّقك ميسمه  
يا بوس حامل رجسٍ ليس يغسله  
فإنّه ملبسٌ نازعته الله  
بالماء عنه إذا كَلّمته تاها  
يرى عليك له فضلاً ومنزلةً  
إن نال في العاجل السلطان والجاها  
مثنٍ على نفسه راضٍ بسيرته  
كذبت يا صاحب الدّنيا ومولاها  
وقال منصور الفقيه :

قلت للمعجب لماً  
قال مثلي لا يراجع

## يا قريب العهد بالمخ

## رج لم لا تتواضع

قال علي بن محمد : إنما أهلك الناس العجلة والعجب ، ولو ثبتوا ولم يعجلوا لم يهلك منهم أحد .  
قال ابن أبي ليلى : ما رأيت ذا عجب قط إلا اعتراني بعض دائه . يريد أنه يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .  
قال بعض الحكماء : من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديراً ألا يتزل به مكروه : العجلة ، واللحاجة ،  
والتواني ، والعجب . ولإبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :

وأقصر قليلاً عن مدى غلوائكا

أبا جعفرٍ عرّج على خلطائكا

فإن رجائي في غد كرجائكا

فإن كنت قد أوتيت بالأمس رفعةً

ولمنصور الفقيه :

أرى الهلال الخفي بالعجله

قد كنت أيام كنت مثلكم

لم أره الآن قلّة ولا جملة

لو مرّ بي تائّة على جمل

## باب التواضع والإنصاف

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم ما تواضع عبدٌ لله إلاّ رفعه الله .  
وقال صلى الله عليه وسلم : تواضعوا يرفعكم الله ، واعفوا يعزكم الله .  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير منقصة ، وذلل نفسه من غير مسكنة ،  
وأنفق مالاً جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وكرمت علانيته .  
انتسب رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : لاحسب إلا في التواضع ، ولا نسب إلا بالتقوى ، ولا عمل إلا بالنية ، ولا عبادة إلا  
باليقين . وعنه عليه السلام أنه قال : من عظمت نعمة الله عليه فليطلب بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون  
شكوراً حتى يكون متواضعاً .

قال بعض الحكماء : رأس الحكمة طاعة الله ، وتقديم حسن النية ، وعراها التواضع في الحق ، والإنصاف  
في المناظرة ، والإقرار بما يلزم من الحجّة ، وثمرتها حفظ الثواب ، في العاجلة ، والنجاة في العاقبة ، وحقّها  
العمل بها ، وألاّ تمنع من من مستحقها ، وأن توقر أوعيتها لوقارها .  
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلاّ وفي عنقه حكمةٌ موكل بها ملك ، يقول الله به : إن  
تواضع عبدى فارفعه ، وإن ارتفع فضعه .

قال بكر بن عبد الله المزني : ما أرى امرأةً إلاّ رأيت له الفضل علىّ ، لآتي من نفسى على يقين ، وأنا



من الناس على شك.

قال عبد الله بن مسعود : إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس ، وأن تسلّم على من لقيت .

قال عبد الله بن المبارك : التعرّز على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمّ النعمة ، وبالتكبر تحقّ النعمة .

كان سليمان عليه السلام يجيئ إلى أوضاع المجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم فيقول : مسكينٌ بين ظهرائي مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرّاحة ، وثمره التواضع المحبة .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس قال أبو الدرداء : ليس الذي يقول الحق ويفعله بأفضل من الذي يسمعه فيقبله .

قال بعض الحكماء : إذا نسك الشريف تواضع ، وإذا نسك الوضيع تكبر . ولذى الرّمّة الأسدى :

**إذا اصطحب الأقدام كان أدلهم لأصحابه نفساً أبرّ وأفضلاً**

**وما الفضل في أن يؤثّر المرء نفسه ولكنّ فضل المرء أن يتفضلاً**

قال سالم بن قتيبة : ما تكبر في ولايته إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب فيمن يعده .

قال بزرجمهر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الأدب والسخاء فأعظم بحسنه سترت من صاحبها سيئتين ، وأقبح بسيئة غطّت من صاحبها حسنتين .

قال عبد الملك بن مروان : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة كان

يقال : من حقوق الشرف أن تتواضع لمن هو دونك ، وتنصف من هو مثلك ، وتنبل على من هو فوقك .

قال ابن السّمّاك للرشيد : تواضعك في شرفك أشرف من شرفك قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قضى به حكماً لغيره قال معن بن أوس :

**إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل**

قال مالك بن الرّيب :

**فإن تتصفونا يال مروان نقترّب إليكم وإلا فأذنوا ببعاد**

**ففي الأرض عن المذلة مذهبٌ وكلّ بلاد أوطنت كبلادى**

قال العباس بن عبد المطلب :

قواطع في أيماننا تقطر الدّما  
لذي رحم يوماً من الدهر محرماً

فقد كان قبل اليوم مبكى ومجزعاً  
نرى شر أهل الأرض من قد تضعضاً  
ونادى بعبد القيس ناد فأسمعا  
ولكنهم يحمون عزاً ممنعا  
بنى عمّا من يرمهم يرمننا معا

رمى كلّ حقّ أدعيه بياصل  
وقد يرعوى ذو الشّغب عند التجادل  
بمثل خصيم عاقل متجاهل

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد في الإنفاق ، والابتداء بالسلام والإنصاف من نفسك.  
وفي سماع أشهب ، قال مالك رضى الله عنه : ليس في الإنسان شيءٌ أقلّ من الإنصاف.  
قال جعفر بن سعد : ما أقلّ الإنصاف ، وما أكثر الخلاف ، الخلاف موكل بكلّ شيء حتى القذاة في رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

قال الشاعر :

واقطع مودّة كلّ من لا ينصف

أسأت إجابةً وأسأت سمعا

لما تمنّيت بأن أبرأ

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت  
تركناهم لا يستحلون بعدها  
قال الحكم بن المنذر الجارود في الإنصاف :

بنى عمنا لا تجزعوا من طعاننا  
وذوقوا كما ذقنا من الحرب إننا  
ونادى مناد يال بكر بن وائل  
فما خذلتنا الأزدي إذ دارت الرّحى  
خطنا البيوت بالبيوت فأصبحوا  
وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا قلت أنصفتى ولا تظلمتني  
فما طلته حتى ارعوى وهو كاره  
وإنك لم تعطف إلى الحق ظالماً

آخ الكرام المنصفين وصلهم

وقال أبو العتاهية :

إذا ما لم يكن لك حسن فهم

وقال أبو عثمان الشريشى :

لو جرحت رأسى يدا منصف

## باب الرأى والمشورة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تشاور قومٌ إلاّ هداهم الله لأرشد أمورهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يهلك امرؤٌ عن مشورة.

قال صلى الله عليه وسلم : المستشار مؤتمن.

قال الحسن : إن الله لم يأمر نبيّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تواضعاً منه عزم له على الرّشد.

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل.

قيل لرجل من بنى عيس . ما أكثر صوابكم ؟ ! قال : نحن ألفٌ وفينا حازم واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألف حازم .

قال عامر بن الظّرب : الرأى نائم والهوى يقظان ، فلذلك يغلب الهوى الرأى.

كان يقال : بإجالة الفكرة يستدرّ الرأى المصيب كان علىّ بن أبي طالب يقول : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام

قال بزر جمهر : حسب ذا الرأى ومن لا رأى له أن يستشير عالماً ويطيعه . مرّ حارثه بن زيد بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . فقال : يا حارثه أجل ، كانوا لايشاورون الجائع

حتى يشبع والعطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يطلق ، والمضلّ حتى يجد ، والراغب حتى بمنح . كان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه الزلل ، كما يتقي

الورع على دينه الجرح . قال ابن المقفع : ثلاثة لا آراء لهم : صاحب الخف الضيق ، وحاقد البول وصاحب المرأة السليطة . قال بعض البلغاء : لا نتيجة لرأى إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا

عن محبة ومودة . وقال بعضهم : لاترك الأمر مقبلاً ، وتطلبه مديراً ، فإن ذلك من ضعف العقل وقلة الرأى .

كان يقال : لا تدخل في رأيك بخيلاً فيقصّر فعلك ، ولا جباناً فيخوّفك مالا تخاف ، ولا حريصاً فيعدك مالا يرجى .

قال بعض الأعراب :

سجالاً بها أسقى الذين أساجل

ولو أنّ قومي أكرموني وأتموا

وناضلت عن أعراضهم من يناضل

كففت الأذى ما عشت عن حلمائهم

ولكن قومي عزّهم سفهاؤهم  
على الرأى حتى ليس للرأى حامل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحزم : في مشاورة ذوى الرأى وطاعتهم.  
قال الملهب : إذا كان الرأى عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور.  
قال الحكماء : إذا كنت مستشيراً فتوخّ ذ الرأى والنصيحة ، فإنه لا يكتفى برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له.  
ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنترة ، وقيل : إنها للعجاج الأسدى :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن  
برأى نصيحٍ أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً  
وآذن من القربى المقدم نفسه  
وما خير كفّ أمسك الغلّ أختها  
فإنك لا تستطرد الهَمّ بالمنى  
ولا تبلى العلياً بغير المكارم  
فإن الخوافى رافدٌ للقوادم  
ولا تشهد الشورى امرءاً غير كاتم  
وما خير سيف لم يوتدّ بقائم  
أنشدني الأعرابي :

وأفنع من شاورت من كلّ ناصحاً  
شفيقاً فأبصر بعدها من تشاور

وليس بشافيك الصديق ورأيه  
غريبٌ ولا ذو الرأى والصدّر واغر

وقال بكر بن أذينة :

ولا أشير على من لا يشاورنى  
إذا طوى ذات يومٍ أمره دونى

قال أكثم بن صيفى : المشورة مادة الرأى.

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبدّ ، ولا على عدوّ ، ولا على متّلون ، ولا على لجوج ، ولا تكون أول مستشار ، ولا أول مشير ، وإياك والرأى الفطير ، وخف الله في المستشير ، فإن التماس موافقه لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة.

قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بني لا تقطع أمراً حتى تشاور مرشداً فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم.

كان يقال : من اجتهد رأيه وشاور صديقه ، قضى ما عليه.

قال عمر بن العاص : ما نزلت بي قطّ عظيمة فأبرمتها حتى أشاور عشرةً من قريش مرتين فإن أصبت

كان الحظّ لى دونهم ، وإن أخطأت لم أرجع على نفسى بلائمة.

قال بعض الأعراب :

أشيراً علىّ اليوم ما تريان  
بنجران لا يقضى بحين أو ان

خليلىّ ليس الرأى في صدر واحد  
أركب صعب الأمر إنّ ذلوله  
وأظن هذين البيتين من الأعرابي القائل :

مقامى في الكبلين أمّ أبان  
ولا رجلاً يرمى به الرّجوان

لقد هزئت منى بنجران إذ رأيت  
كأن لم تر قبلى أسيراً مكبلاً

وقد تمثل بهذا البيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته.  
كان يقال : أمران جليلان لا يصلح أحدهما إلّا بالتفرّد ، ولا يصلح الآخر إلا بالتعاون ، الملك والرأى ،  
فإن استقام الملك بالشركاء استقام الرأى بالاستبداد ، وهذا لا يكون أبداً.  
قال صالح بن عبد القدوس

فشاور لبيباً ولا تعصه  
فلا تتأ عنه ولا تقصه

وإن باب أمر عليك التوى  
وإن ناصح منك يوماً دنا

قال الأحنف : اضربوا الرأى بعضه ببعض يتولّد منه الصّواب ، وتجنّبوا منه شدة الحزم ، وأنهموا عقولكم  
، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذمّ العاقبة.  
كان يقال : خذ الأمر مقلاً ، فشرّ الرأى : الدّبرى.  
قال الشاعر ، وهو القطاميّ :

وليس بأن تتبعه اتباعاً

وخير الأمر ما استقبلت منه

قال بعض العرب : قبل الرّمى يراش السّهم وقال سابق : وقبل أو ان الرّمى تملأ الكنائن وقال الفارسيّ :  
بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ، وأنشد :

أبلغ فيما تحبّ من دركه

تدارك الأمر قبل نهبته

قال بعض الحكماء : حقيق أن يوكل إلى نفسه ، من أعجب برأيه.  
قال عبد الملك : اللحن هجنة الشريف ، والعجب آفة الرأى.  
قال قتيبه بن مسلم : من أعجب برأيه ، لم يشاور كفيها ، ولم يوات نصيحاً.  
قال بزر جمهر : أفره الدّواب لاغنى به عن السّوط ، وأعفّ النساء لاغنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال  
لاغنى به عن المشورة.

قال عبد الملك بن مروان : لأن أخطئ وقد استشرت أحب إلىّ من أن أصيب من غير مشورة.

قال قتيبة بن مسلم : الخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تصيب .

قال المأمون : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشد فيهنَّ : مشاورة ناصح ، ومداراة حاسد ، والتحجب إلى الناس .  
كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستشير في الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر في رأيها فضلاً .

كان يقال : ما من قوم تمائلوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تبرَّ الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة .

كان يقال : من طلب الرخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند الشبهة ، من الأطباء عند المرض ، أخطأ الرأى ، وحمل الوزر ، وازداد مرضاً .

قال الشاعر ، وأظنها لمنصور الفقيه :

ولم تر منه سبيلاً فسيحاً

إذا الأمر أشكل إنفاذه

أخاك اللبيب المحبّ النصيحاً

فشاور بأمرك في ستره

وأبدوا من الرأى رأياً صحيحاً

فربّما فرّج الناصحون

إذا هو شاور أن يستريحاً

ولا يلبث المستشير الرجال

وقال آخر :

فتق الأمور مناظراً ومشاور

إنّ اللبيب إذا تفرّق أمره

فتراه يعتسف الأمور مخاطراً

أخو الجهالة يستبدّ برأيه

وقال آخر :

حتى إذا فات أمر عاتب القدر

وعاجز الرأى مضياً لفرصته

وقال آخر :

لا تعلمون أجراء الرشد أم غابا

أنتم أناسٌ عظامٌ لا حلوم لكم

وتبصرون إذا ولين أذنا

لا تبصرون وجوه الرأى مقبلة

قال أبو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا علم أحداً رضى الاستبداد وحمده ، إلا رجل واحد مفتون ، مخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجلٌ

فاتك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرجلين فاسقٌ مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة . يخاطب من يخدعه .

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد  
واستبدت مرةً واحدةً  
وشفت أنفسنا مما تجد  
إنما العاجز من لا يستبد

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العنبري الأعرابي

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه  
ولم يستشر في رأيه غير نفسه  
ونكّب عن ذكر العواقب جانباً  
ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً

سئل الحسن البصريّ ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تستضيئوا بنار المشركين فقال :  
أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

### باب كتمان السر وإفشائه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أسّر إلى أخيه سرّاً لم يحلّ له أن يفشيه عليه .  
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومنّ من أساء الظنّ به .

قال عباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضى الله عنهما : يابني إن أمير المؤمنين يدنيك - يعنى عمر بن الخطاب - فاحفظ عني ثلاثاً : لا تفشينّ له سرّاً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا يطلعنّ منك على كذبة .

قال أكثم بن صيفي : إن سرّك من دمك ، فانظر أين تريقه .  
كان يقال : احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم وكان يقال : أكثر ما يتم به التدبير الكتمان .  
قال قيس بن الخطيم :

أجود بمضمون التّلالد وإننى  
وإن ضيّع الإخوان سرّاً فإننى  
بسرّك عنّ سالنى لضنين  
مكان بسوداء الفؤاد مكين  
كتومٌ لأسرار الخليل أمين  
بنشرٍ وإفشاء الحديث قمين  
إذا جاوز الإثنين سرّاً فإنه

وفي مثل هذا : إن السرّ لا يسمّى سرّاً حتى يسره رجلٌ واحد إلى رجلٍ آخر .  
قال الصّلتان العبدى :

وسرك ما كان عند امرئ

وقال سابق :

وسرّ الثلاثة غير الخفي

فلا تخبر بسرّك ،كلُّ سرّ

إذا ما جاوز الإثنين فاشئ

وقال آخر :

لكلّ امرئ يا أمّ عمرو طبيعة

وتفضيل ما بين الرّجال الطّبائع

فلا يسمعن سرّي وسرك ثالث

ألاكلّ سرّ جاوز اثنين ضائع

وكيف يشيع القلب سرّاً وفوقه

حجابٌ وما فوق الحجاب الأضالع

وذهبت طائفة إلى أن السرّ ما أسرته في نفسك ، ولم تبده إلى أحد.

قال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنّ كنت به أضيق صدرّاً حين استودعته إياه.

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه

فعدر الذي يستودع السرّ أضيق

وأنشد الأصمعي قال :أنشدني أعرابي :

لا أكنتم الأسرار لكن أبثها

ولا أدع الأسرار تقتلني غمّاً

وإنّ سخيّف الرأى من بات ليله

حريباً بكتمان كأنّ به حمى

وفي بئك الأسرار للقلب راحة

وتكشف بالإنشاء عن قلبك الهماً

وقال سحيم الفقعسي :

لا أكنتم الأسرار لكن أدعيها

ولا أدع الأسرار تغلى على قلبي

وإنّ ضعيف العقل من بات ليله

تقلبه الأسرار جنباً إلى جنب

ومثله قول الآخر :

لا تفشين سرّك إلا إليك

فإنّ لكلّ نصيح نصيحاً

فإنّي رأيت غواة الرّجال

لا يتركون أديماً صحيحاً

وقال رجل من بني سعد :

إذا ما ضاق صدرك عن حديث

فأفشته الرّجال فمن تلوم

إذا عانتبت من أفشى حديثي

وسرّي عنده فأنا الظلوم



وإني حين أسأم حمل سرّي  
ولست محدثاً سرّي خليلاً  
وأطوى السرّ دون النَّاسِ إني

وقال المتنبّي :

وقد ضمّنته صدري سؤوم  
ولا عرسي إذا خطرت هموم  
لما استودعت من سرّ كتوم

رضاك رضاي الذي أوتر  
كفتك المروءة ما تنقى  
وسرّكم في الحشا ميّت

وقال حارثة بن بدر الغداني :

وسرّك سرّي فما أظهر  
وآمنك الودّ ما تحذر  
إذا انتشر السرّ لا ينشر

خليلي لولا حب زينب لم أسل  
خليلي إن أفشيت سرّي إليكما  
فإن أنتما أفشيتماه فلا رأت

وقال آخر :

أفي اليوم لقيت المنية أم غدا  
فلا تجعلاً سرّي حديثاً مبدداً  
عيونكما يوم الحساب محمداً

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها

وقال ابن ميادة واسمه الرّمّاح :

فسرّك عند النَّاسِ أفشى وأضيع

يا خليلي هجّرا كي تروحا  
إن تروحا لتعلما سرّ سعدي  
إنّ سعدي كمنية التمني  
كلمنتي وذلك ما نلت منها

هجتما للرواح قلباً قريحا  
تجداني بسرّ سعدي شحيحاً  
جمعت عفةً ووجهاً صبيحا  
إنّ سعدي ترى الكلام ربيحا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر

قال : أجدد المخبر . وأحلف للمستخبر .

أسر رجل إلى رجلٍ سرّاً ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : لا . بل نسيت .

قال أبو محجن الثقفي :

قد أركب الهول مسدولاً ستائره

وأكتم السرّ فيه ضربة العنق

وقال مسكين الدرامي :

وإني امرؤٌ منّي الحياء الذي ترى

أعيش بأخلاق قليل خداعها

أواخي رجالاً لست مطلع بعضهم  
على سرّ بعض غير أنّي جماعها  
يظنون شتّى في البلاد وسرّهم  
إلى صخرة أعياء الرجال انصداعها  
وقال آخر :

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت  
منّي الضلوع من الأسرار والخبر  
لكننت أول من ينسى سرائره  
إذا كنت من نشرها يوماً على خطر  
قال أبو الشّيص :

ضع السرّ في صمّاء ليست بصخرة  
ولكنّها قلب امرئ حفيظة  
يموت وما ماتت كرائم فعله  
يرى ضيعة الأسرار شراً من الشرّ  
صلود كما عينت من سائر الصّخر  
فيبلى وما يبلى ثناه على الدّهر  
كان يقال : لا تطلعوا النّساء على سرّكم ، يصلح لكم أمركم قال الشاعر :

ختمت الفؤاد على حبّها  
هوت بي في حبّها نظرة  
كختم الصحيفة بالخاتم  
هوىّ الفراشة في الجاحم  
وقال آخر :

فإن تلك ليلي حملتني أمانة  
حفظت لها السرّ الذي كان بيننا  
فلا وأبي ليلي إذا لا أخونها  
ولا يحفظ الأسرار إلا أمنها  
كان يقال : كل شيء تكتمه عن عدوك ، فلا تظهر عليه صديقك وقال آخر :

فبثت عمراً بعض ما في جوانحي  
ولا بد من شكوى إلى حفيظة  
وجرّعته من مرّ ما أتجرّع  
إذا جعلت أسرار نفسي تطلّع  
وقال أبو الشّص :

لا تأمن على سرّي و سرّكم  
وقال ابن وطيع :

إذا كنت ذا سرّاً تخاف من أعداء  
عليه ظهوراً فاطوه دون ذي الودّ

فظل لما قد كنت أودعته بيدي

فياربَّ خلَّ حال عمَّا عهدته

وقال تشبيب بن البرصاء :

لذلك من عهد الأمانة حين

وإني لأكمن السرَّ عندي وإن أتى

ثوى في رفاق الأرض وهو دفين

كمون النوى لايشعر النَّاسُ أَنَّهُ

وقال آخر :

وتبغي لسرِّك من يكتم

تبوح بسرِّك ضيقاً به

ومن لا تخوِّفه أحزم

وكتمانك السرِّ ممن تخاف

وقال آخر :

وأمنحه ودي إذا يتحبب

أداري خليلي ما أستقام بوْدُه

ولا أنا مبدي سرَّه حين أغضب

ولست ببادي صاحبي بقطيعةٍ

ومما أنشده الرياشي رحمه الله :

متى رمته فهو مستجمع

بديهته قبل تدبيره

وللسرِّ في صدره موضع

وفي كفه للغنى مطلبٌ

### باب الحرب والشجاعة والجبن

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَمْتَنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَابْتُوا " قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في كتابه إلى خالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة : أخذه الشاعر فقال :

لنفسى حياةً مثل أن أتقدِّما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد

ومن هذا قول الخنساء :

س عند الكريهة أوقى لها

نهبن النفوس وهون النفوس

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض بني عبس : كم كنتم في يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر فتتوا كل ونفشل ، ولم نقل فنذل . قال : فيم كنتم تظهرون على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبر بعض الناس هنيهة .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بني ! لاتدعون أحداً إلى البراز ، فإنه بغي ، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبتة .

وقد وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول النهار . قال : فمتى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنّا لله ! وأقام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره!! والله إن كان هذا إلا عن ذنب بعدى ، أو أحدثه بعدكم ، ولقد استعملت يعلى بن أمية على اليمن استنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فنفسل ، ولم نقل فنذل . لم يكن قبيل في العرب ألف فارس إلا ثلاث قبائل : مرة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لعمر بن معدى كرب : أخبرني عن السلاح . قال : سل عما شئت . قال : الرمح ، قال : أخوك وربما خانك . قال التبل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب . قال : الترس ، قال : ذلك الجنّ وعليه تدور الدوائر . قال : الدرّع ، قال : مشغلة للرجال متعبة للفارس ، وإلها الحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أمك على الثكل . قال عمر : بل أمك . قال : أخبرني عن الحرب ، قال : مرة المذاق ، إذا قلصت عن ساق ، من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهى كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتيّة  
تسعى بزینتها لكل جهول  
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها  
عادت عجوزاً غير ذات خليل  
شمطاء جزّت رأسها وتنكرت  
مكروهةً للشّمّ والتقبيل

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تلقح بالنجوى ، وتنتج بالشكوى . أخذ نصر بن سيار قول حذيفة هذا ، والله أعلم ، حين قال : إن الحرب أولها الكلام وهى أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أرى خلل الرمّاد وميض نار  
ويوشك أن يكون لها ضرام  
فإن النار بالعودين تذكى  
وإنّ الحرب أولها الكلام  
فقلت من التعجب لبيت شعري  
أيقاظ أمية أم نيام

بلغ أبا الأغر أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر ، وقال له : يا بني كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واتفق الرمح ، فإنه رسالة المنية ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ، قال : فبم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

جلاميد أملاء الأكف كأنها  
رعوس رجال حلقّت بالمواسم

وهذا الشعر هو :

تغطى نـميرٌ بالعمائم لؤمها  
وكيف يغطّ اللؤم طىّ العمائم  
فإن تضربونا بالسيّاط فإننا  
ضربناكم بالمرهفات الصّوارم  
وإن تحلقوا منّا الرّعوس فإننا  
حلّقنا رعوساً باللّحى والغلاصم  
وإن تمنوا منّا السّلاح فعندنا  
سلاحٌ لنا لا يشتري بالدرّاهم  
جلاميد أملاء الأكف كأنّها  
رعوس رجالٍ حلقت بالمواسم  
ومن أحسن ما قيل في الصبر على الحرب قول هُشَل بن حرّى بن ضمرة :

ويومٍ كأنّ المصطلين بحرّه  
وإن لم يكن نارٌ قيامٌ على الجمر  
صبرنا له حتّى تقضى وإنّما  
تفرّج أيام الكريهة بالصّبر  
ومثله قول الآخر :

بكى صاحبي لما رأى الموت موقناً  
مطلاً كإطلال السحاب إذا اكفهر  
فقلت له : لا تبك عينك إنّما  
يكون غداً حسن الثناء لمن صبر  
فما آخر الإحجام يوماً مقدّماً  
ولا عجل الإقدام ما آخر القدر  
ومن أحسن ما قيل في النظم في الصبر على الحرب ، قول قطرى بن الفجاءة التميمي الخارجي :

أقول لها وقد طارت شعاعاً  
من الأبطال ويحك لن تراعي  
فإنك لو سألت بقاء يوم  
على الأجل الذي لك لم تطاعي  
فصبراً في مجال الموت صبراً  
فما نيل الخلود بمستطاع  
ولا ثوب البقاء بثوب عزّ  
فيطوي عن أخي الخنع اليراع  
سبيل الموت غاية كلّ حيّ  
ومن لم يعتبط يهرم ويسقم  
وداعيه لأهل الأرض داعي  
وقال أصرم بن حميد :

حرامٌ على أرماحنا طعن مدبرٍ  
ويندقّ قدماً في الصّدور صدورها  
مسلمةٌ أعجاز خيلي في الوغى  
وداميةٌ لبّاتها ونحورها  
وقول الآخر :

وقد يلتقى الجمعان والموت فيهما  
فيقتل من ولى ويسلم من ثبت

وقد ذكرت في " باب الاعتذار " احسن ما قيل في النظم ،في الاعتذار  
ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ،واللقاء والصدق في ذلك ،قول عبد الشّارق  
بن عبد العزّي الجهني :

تتادوا يال بهثة يوم صبر  
سمعنا دعوة عن ظهر غيب  
فلما أن توافقنا قليلاً  
ولما لم ندع قوساً وسهماً  
تألؤ مزنة برقت لأخرى  
شددنا شدة فقتلت منهم  
وشدوا شدة أخرى فجروا  
وكان أخي جوينٌ ذا حفاظٍ  
فأبوا بالرّماح مسكّرات  
فباتوا بالصّعيد لهم أحاحٌ  
وقال العديّل العجلي :

إذا ما حملنا حملةً ثبتوا لنا  
وإن نحن نازلناهم بصوارم  
وقال آخر :

نصل السيّوف إذا قصرن بخطونا  
وقال آخر :

إنّ الرّماح نصيرة بالجاسر  
وقال آخر :

وقلت لنفسي إنّما هو عامرٌ  
قال قطريّ بن الفجاءة :

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام  
يوم الوغى متخوّفاً لحمام

فلقد أراني للرماح دريئةً  
من عن يميني مرّة وأمامي

حتى خضبت بما تحدرّ من دمي  
أحناء سرجي بل عنان لجامي

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب  
جذع البصيرة قارح الإقدام

قال عمر بن الخطاب: الجرأة والجن غرائز يضعها الله حيث يشاء، فالجبان يفر عن أهله وولده، والجرئ يقاتل عمن لا يؤؤب به إلى رحله: ومن شعر لأبي يعقوب الخريمي:

يفرّ جبان القوم عن عرس نفسه  
ويحرم معروف الجواد عدوّه

ويحرم معروف البخيل أقاربه  
وقال قطريّ بن الفجاءة:

يا ربّ ظلّ عقاب قد وقبت بها  
مهرى من الشمس والأبطال تجتند

وربّ يوم حمى أروعيت عقوته  
خيلي امتساراً وأطراف القنا قصد

ويوم لهو لأهل الخفض ظلّ به  
لهوى اصطلاء الوغى أو ناره تقد

مشهراً موقفي والحرب كاشفة  
عنها القناع وبحر الموت مطرد

وربّ هاجرة تغلى مراجلها  
مخرتها بمطايا غارة تخذ

تجتاب أودية الأفزاع آمنة  
كأنها أسدّ يقتادها أسد

فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمداً  
على الطعان وقصر العاجز الكمد

قالت الخنساء:

ومن ظنّ ممّن يلاقى الحروب  
بألاّ يصاب فقد ظنّ عجزاً

وقال حبيب الطائي:

ودنونا وذنوا حتّى إذا  
أمكن الضرب فمن شاء ضرب

تركوا القاع لنا إذ كرهوا  
غمرات الموت واختاروا الهرب

وقال دريد بن الصّمة، ويقال: إنها لعمر بن معدى كرب:

أعاذل إنّما أفنى شبابي  
ركوبي في الصريخ إلى المنادى

مع الفتيان حتّى سلّ جسمي  
وأقرح عاتقي حبل النّجاد

وقال آخر:

جعلوا القلوب لها مسالك  
فوق الدروع لدفع ذلك

قوم إذا اشتجر القنا  
اللابسين قلوبهم

ومن أحسن ما قيل في صفة الطعن، قول الحارث بن حلزة :

رج من جرية المزاد الماء  
هوما إن للخائنين ذماء

فرددناهم بضرب كما يخ  
وفعلنا بهم كما علم الل

وقال الفند الزماني :

إذا والزق ملآن

وطعن كفم الزق

وقال آخر :

فأب بدائه وشفيت دائي

ومثلك قد كسرت الرمح فيه

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء :

كذاك الرمح يكلف بالكريم

وقالوا : فارس الهجاء ، قلنا :

وقال آخر :

فخر صريعاً لليدين وللغم

ضمنت إليه بالقناة قميصه

وقال عنتره :

ليس الكريم على القنا بمحرم

فشككت بالرمح الطويل ثيابه

وقال آخر :

ولا تأكل الحرب إلا السميناً

صراعنا طريفاً بأرامحنا

وقال علي بن محمد العلوي ، المعروف بالمبرقع ، صاحب الزنج :

ح الردّ ينيّ والشجاع الجريّ

ينثني الصّارم المهند والرمّ

بيدي صارمٌ ولا سمهريّ

حيث لا أنثني ولا يتثنّى

ماضياً في يمينه مشرفيّ

من رأني فقد رأى مشرفياً

ع إذا نازل الكميّ الكميّ

شأنني الفارس المدجج في النّق

ى به حتى كأنّه مطويّ

ورأيت الفضاء أضيق ما يس

ل فإني لكل آتٍ أتّي

يابنة العمّ أوقدي النار في الليّ



مطعمي حاضرٌ وكأسي روى  
حين أغشى الوغى وجدّي على  
م ومن خير طينة والوصي  
مثل هارون منه أخيه النبيّ

شلوّ تنشّب في مخالِب ضار  
إن السّراة قصيرة الأعمار

وأخو الحرب من أطاق النزول

وعلام أركبه إذا لم أنزل

أنّ الكتائب لا يهزم بالكتب  
فإن أردت قتال القوم فاقترب

في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

فرّ من الموت وفي الموت وقع

وتكرهه آجالهم فتطول

سيقتل قبل انقضاء الأجل

ويسلم منها الشّجاع البطل

أكرم الضيف ما أستطعت لأنّ  
كيف لا تزهق النفوس لشخصي  
ذو التقى والنبل وذو العلم والحل  
والذي قال إنه البوم منى

وقال عبيدة بن هلال :

يهوى وترفعه الرّماح كأنه  
فيرى صريعاً والرّماح وتنوشه

وقال مهلهل :

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا

وقال ابن مقوم الضبي :

ودعوا نزال فكنت أول نازل

وقال أعشى همدان :

أبلغ يزيد بنى شيبان مالكة

إنّ الوعيد بظهر الغيب معجزةٌ

من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السيف أصدق أنباء من الكتب

وقال آخر :

وخارج أخرج حبه الطّمع

من كان يهوى أهله فلا رجع قال السموءل بن مادياء اليهودي :

يقربّ حبّ الموت آجالنا لنا

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كأنّ الجبان يى أنه

وقد تدرك الحادثات الجبان

### أشعار الجبناء

قال أيمن بن خريم :

فرويد الميل منها يعتدل

إنّ للفتنة ميلاً بيناً

وإذا كان قتال فاعتزل

فإذا كان عطاء فأقم

حطب النار فدعها تشتعل

إنّما يسعرها جهالها

وقال آخر :

أنّ الشجاعة مقرونٌ بها العطب

أضحت تشجّعني هند وقد علمت

إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا

للحرب قوم أضلّ الله سعيهم

لا القتل يعجبني منهم ولا السليب

ولست منهم ولا أبغى فعالهم

مايشتهي الموت عندي من له أرب

لا والذي جعل الفردوس جنته

وقال أبو الغمر المدني كاتب الحسن بن زيد :

فلست أنف من جبن ولا فشل

قد هان عندي لسان العار والعدل

ولست بالمال أفديها من البخل

إنّي بخلت بنفس لا يجاد بها

ترى حضور الوغى من أكثر الزلل

هيهات تأبى لي التغرير فلسفة

ونال من لذة الدنيا مدى الأمل

متى رأيت شجاعاً مات بالأجل

في أنفس البيض والخطبة الذبل

كأنّ آجال شجعان الورى خلقت

وقال أيضاً :

والجود بالنفس أقصى غاية السرف

إنّي أضن بنفس لا يجاد بها

أحلّه بالفتى الحامي عن الشرف

ما أبعد القتل من نفس الجبان وما

وقال أيمن بن خريم :

تقدم حين جدّ بنا المراس

يقول لي الأمير وقد رأني

ومالي غير هذا الراس راس

فمالي إن أطعتك غير نفسي

وقال الهذلي يصف جباناً :

فرائصه من الموت ترعد

تحول قشعريراته دون لونه

وقال آخر :

وكتيبة لبستها بكتيبة

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم

ما كان ينفعني مقال نسائهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد

ورويانا أن مروان بن الحكم ، دعا أيمن بن خريم إلى القتال .مرج راهط ، فقال له : إن أبي وعمي شهداء بدر ، وعهدوا إلى ألا أقاتل مسلماً ، ثم أنشأ يقول

ولست بقاتلٍ رجلاً يصلى

له سلطانة وعلى أنمي

أقتل مسلماً في غير جرم

وقد روى أن هذه القصة جرت لأيمن بن خريم مع عبد الملك بن مروان.

ولأبي الغمر كاتب الحسن بن زيد أمير المدينة :

لست غداة الكر بالكرار

هانت على سبلات العار

أنا طليق الركض والفرار

فديت نفسي منه بالإضمار

لا أعرف الليل من النهار

طرفاً نجا من وخزة البيطار

أو عدو عير غير ما عثار

قيل لأسلم بن زرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب على وأنا حي ، أحب إلي من أن يرضى عني وأنا ميت.

وأسلم بن زرعة هذا هو القائل وقد عبأ جيشاً عظماً ليفزع به الخوارج ، فلما رآهم لم يفزعوا ، وجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتم خار الله لنا ولكم ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مرداس قال شاعرهم - وكانوا أربعين - وأسلم بن زرعة في ألفين :

ألفاً مؤمن منكم زعمتم

ويهزمهم رجال أربعونا

كذبتم ليس ذلكم كذا كم

هم الفئة القليلة قد علمتم

وجه أبو جعفر المنصور ، روح بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقية أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة! لو خرجت معنا في هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إلى القتال فيشقى بي بنو أسد  
مما يفرق بين الروح والجسد

أني أعود بروح أن يقربني  
إن الدنوّ من الأعداء تعلمه

قال : فضحك وأمر له بجائزة.

وقال أبو الغمر :

وللشجاعة خطبٌ غير مجهول  
فكلّ هذا نعم فاغروا بتعذلي  
يتم البنين وإرمال المثاكيل  
بالنصر خفت على علمي بجبريل  
حتّى تخلصت مخضوب السراويل

ظلت تشجعني ضللاً بتضليل  
هل غير أن عدلوني أنني فشل  
الحرب تعقب من يصلى بها حزناً  
والله ل أن جبريلاً تكفل لي  
الله خلصني منهم وفلسفتي

وله أيضاً :

ولا على القرن بعطاف  
يخاف رماحي وأسيافي  
خذرفت رجلي أي خذراف

لست بداء الحرب بوقاف  
قد أمّن الله عدوى فما  
إذا رأيت الحرب من فرسخ

## باب الاعتذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل عذره ، ما لم يعلم كذبه " قال عمر بن الخطاب : لا تلم أخاك على ما يكون العذر في مثله قال الأحنف : إياك وما يعتذر منه ، فإنه قلماً اعتذر أحدٌ فسلم من كذب قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : لو أنّ رجلاً شتمني في آذني هذه ، واعتذر إلى في آذني هذه لقبلت عذره.

ومن النظم في معناه :

وقعود الفتى على الضيم عار

قيل لي قد أسأ إليك فلان

قلت : قد جاءنا فأحدث عذراً

دية الذنب عندنا الاعتذار

وقال الأحنف : إذا اعتذر إليك معتذر ، فلتلقه بالبشر .

اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه ، ثم قال : لا يدعونك أمرٌ قد تخلصت منه إلى الدخول فيما لعلك لا تتخلص منه .

قال صالح بن أبي النجم :

ولربما جاء الفتى بد نيةٍ ووراءها عذرٌ له لم يفهم

وكان يقال : اعتذار بمنع خير من وعد ممطول وقال صالح بن عبد القدوس :

يلومني الناس فيما لو أخبرهم بالعذر منى فيه لم يلوموني

قال البحري :

اقبل معاذير من يأتيتك معتذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجر

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعضيك مستترا

وله أيضاً :

إذا محاسني اللاتي أدل بها عدت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر ؟

وقال محمود بن داود القياسي :

العذر يلحقه التخويف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أرب

فإن أسأت فبالنعمى التي سلفت لماً منيت بعفو ماله سبب

وقال أبو علي البصير :

لم أجن ذنباً فإن زعمت بأن جنيت ذنباً فغير معتمد

قد تطرف الكف عين صاحبها فلا يرى قطعها من الرشد

وقال عايّ بن الجهم :

إنّ ذلّ السؤال والإعتذار خطّةٌ صعبةٌ على الأحرار

ليس جهلاً بها تورطها الحرّ ملكن سوابق الأقدار

ارض للسائل الخضوع وللقا رف ذنباً مذلةً الإعتذار

وقال آخر :

وما كنت أخشى أن ترى لي زلةً ولكن قضاء الله ما عنه مهرب

وكلّ امرئ لا يقبل العذر مذنب

إذا اعتذر الجاني محاً العذر ذنبه

كان يقال :من وفق لحسن الاعتذار خرج من الذنب.

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الوزير الكاتب ،فأساء الاعتذار ،فقال أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذاراً أشبه باستئناف ذنب من هذا.

وللشافعي رضى الله عنه ، وقد قيل :أنما تمثّل بها :

على المقلّين من أهل المروءات

يالهف نفسي على مال أفرقه

ما ليس عندي من إحدى المصيبات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني

ومما ينشد للفراء من قوله :

ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل

أردت لكيما لا ترى لي عثرة

وقال محمود الوراق :

وخيراً إلى خيرٍ تزيدت في الشرِّ

أراني إذا ما زدت مالاً ورفعةً

أقوم مقام الشكر لله بالكفر

فكيف بشكر الله إذ كنت إنما

يقول الذي يدري من الأمر : ما أرى

بأي اعتذار أم بأية حجة

فإن أطراح العذر خيراً من العذر

إذا كان وجه العذر ليس بواضح

قال أبو الصولى ، أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، قال : سألتني أبو سليمان الشاشى حاجة فاعتذرت بشغل في تأخيرها ، فكتب إليّ :

تف حبلى بحبالك

سكنت نفسي لمّا ال

هك نفعاً لا بمالك

إنما أطلب من جا

م اعتذاراً لطلابك

لا تصير شغلك البيو

ل استوينا في المسالك

لو تفرغت من الشغ

وهذا عندي مأخوذ من قول أبي العتاهية :

إنما ترتجى إذا كان شغل

ليس ذا الشغل عاذرٌ لك عندي

وقال آخر :

تتأبط بك الآمال ما اتّصل الشغل

ولا تعتذر بالشغل عنّا فإنّما

كما لم يصغر عندنا شأنك العزل

ولا ترتفع عنّا بشئٍ وليته

وقال آخر :

وقد علمت لو انّ العلم ينفعني  
لئن رحلت إلى الحجّاج معتذراً  
أنّ انطلاقي إلى الحجّاج تغرير  
إنّي لأحمق من تجرى به العير

وقال آخر :

لا ترج توبة مذنب  
خلط احتجاجاً باعتذار

وقال ابن الدّمينية :

بنفسي ومالي من إذا عرضوا له  
ولم يعتذر عذر البرئ ولم يزل  
ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب  
به سكتةً حتّى يقال مريب

وقال آخر :

فلا تعذراني في الإساءة إنّه  
شرار الرّجال من يسئ ويعذر

وقال آخر :

وما حسنٌ أن يعذر المرء نفسه  
وليس له من سائر النّاس عاذر

وقال آخر :

هي المقادير فلمنى أو فذر  
إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

وقال آخر :

وعاجز الرأي مضياغٌ لفرصه  
حتى إذا فات أمر عاتب القدر

وقال آخر :

إذا عيّرُوا قالوا مقادير قد جرت  
وما العار إلا ما تجرّ المقادر

قال بعض الحكماء : إياك وما يسبق للقلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره .

قال محمود الوراق :

أراني مع الأحياء وأكثرني  
فما لم يمّت منى لما مات ميّت  
على الدهر ميّتٌ قد تخونّه الدهر  
وبعض لبعض قبل قبر البلى قبر  
إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر  
فمن كان ذا عذر لديك وحجة  
فيا ربّ قد أحسنت بدءاً وعودةً

وفي الأشعار في الاعتذار من الفرار قال الأصمعي : أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام المخزومي :

الله يعلم ما تركت قتالهم  
حتى علوا مهري بأشقر مزبد  
وعلمت أني إن أقاتل واحداً  
أقتل ولا يحزن عدوي مشهدي  
فصدرت عنهم والأحبة فيهم  
طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال خلف الأحمر : أحسن ما قيل في الاعتذار في الفرار ، قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي :

لعمرك ما وليت ظهري محمداً  
وأصحابه جنباً ولا خفية القتل  
ولكنني قلبت أمري فلم أجد  
لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلى  
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي  
رجعت لعود كالهزبر أبي الشبل

فر ابن مطيع يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل يجتهد معه في القتال ، ويقول :

أنا الذي فررت يوم الحرّة  
والحرّ لا يفرّ إلا مرّة  
فاللوم أجزى فرّة بكرّه  
يا حبذا الكرّة بعد الفرّه

وقال أوس بن حجر :

أتونا فردوا حافتينا بزاعقٍ  
من الضرب ضرم النار في الحطب البيس  
وما بفرار اليوم عارٌ على الفتى  
إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

قال الأحنف بن قيس : أسرع الناس إلى الفتنة ، أقلهم حياء من الفرار وقال آخر :

العبد يذيب والمولى يقومه  
والعبد يجهل والمولى يعلمه  
إنني ندمت على ما كان من ذلك  
وزلّة المرء يمحوها تندمه

## باب المواعيد

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام ، فقال : "إنه كان صادق الوعد" ، وقال كعب : كان لا يعد أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظر رجلاً وعده سنة كاملة.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها. وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، والمنتظر عبد الله بن أبي الحمساء.



وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ما وعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له " ، وعن ابن عباس مثله .  
وقال المثني بن حارثة لشيبياني : لأن أموت عطشاً أحبّ إلى من أن أخلف موعداً .  
قال بعض الحكماء : وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويق كان يحيى بن خالد يقول : المواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ، ألا تراهم يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفي بالضمان ، ويصدق في المقال ، ولولا ما تقدم من حسن موقع الوعد ، لبطل حسن هذا المدح .  
وكان يحيى بن خالد ، يقول : إنَّ الحاجة إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نجحها ، لم تتجاوز الأنفس سرورها ، فدع الحاجة تحتمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل .  
ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : " لا " الكريم أنجح من " نعم " اللئيم ، لأنَّ " لا " الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبان سامة ، " ونعم " اللئيم تصدر عن تصنع وفساد نيّة وقبح مآل .  
أنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهب ابن العمّ ما عشت صولتي      ويأمن منّي صولة المتهدّ  
وإني وإن أوعدته أو وعدته      لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي

وقال آخر :

لسانك ألقى من جنى النحل وعده      وكفّك بالمعروف أضيق من نعل  
تمنى الذي يأتيك حتى إذا انتهى      إلى أمل ناولته طرف الحبل

وقال زياد الأعجم :

لله درك من فتى      لو كنت تفعل ما تقول  
لا خير في كذب الجلوا      دو حبذا صدق البخيل

وقال آخر :

وإن جميع الآفات فالبخيل شرها      وشر من البخل المواعيد والمطل

قال ابن عيينة : وعد رجل ابن شبرمة عدة فمطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخير أنفعه للناس أعجله      وليس ينفع خيرٌ فيه تطويل

ومثل هذا قول سابق :

وتأخير ما يرجى بلاءٌ مبرحٌ      وأفضل ما يرجى من الخير عاجله

وقال كعب بن زهير :

وما مواعيدها إلا الأباطيل

كانت مواعيد عرقوبٍ لها مثلاً

وقال الأشجعي :

مواعيد عرقوبٍ أخاه بيتربٍ

وعدت وكان الخلف منك سجيّة

قال ابن منبّه : هكذا قرأته على البصريين بيترب بالثناء ، وفتح الراء.

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عرقوبٌ رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا طلع نخلي فلما طلع أتاه فقال له : إذا بلح ، فلما بلح أتاه ، فقال : إذا زهى ، فلما زهى أتاه ، فقال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، فقال : إذا ثمر ، فلما ثمر جدّه ليلاً ، ولم يعطيه شيئاً ، فضربت به العرب المثل في خلف الوعد.

وقال غيره : عرقوب جبل مكلّل بالسحاب أبداً ، ولا يمطر شيئاً.

وقال الحكماء : من خاف الكذب ، أقل المواعيد.

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار.

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : أنا والله منه في مواعيد ، تهيب العظم ، وخلف يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجله ، وأنشد :

متى أقول الذي أمّلت يأتيني

أمّلت منك نوالاً لست أدركه

أم في مماتي فإنّ الموت يغنيني

أفي حياتي فأرجوه وينفعني

وقال الشاعر :

ولا تكن مخلفاً يوماً تعد

فلا تعدّ عدةً إلا وفيت بها

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

أن يتمّ الوعد في شيءٍ نعم

لا تقولنّ إذا ما لم ترد

بنجاح الوعد إنّ الخلف ذم

وإذا قلت نعم فاصبر لها

وروى لعمار الكلبي ، وأظن من شعره هذا :

صادق الوعد فمن يخلف يلم

قم لوجه الله وكن

وقال آخر :

فإنّ نعم دين على الحرّ واجب

إذا قلت في شيءٍ نعم فأنمّه

لئلا يقول الناس إنك كاذب

وإلا فقل لا واسترح وأرح بها

وقال آخر :

أطاكه سلساً بغير مطال

إنّ الكريم إذا حباك بموعِدٍ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

وشفت أنفسنا مما تجد

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد

إنّما العاجز من لا يستبد

واستبدت مرةً واحدةً

وقال آخر :

فكنت كمن يرجو منال الفراق

تمنيت ما أرجوه من حسن وعدكم

أما كنتم أهلاً لصدق المواعد

هبوني لم أستأهل العرف منكم

وقال عباس بن الأحنف :

لو كان علني بوعد كاذب

ما ضرّ من قطع الرّجاء ببخله

وقال آخر :

يشفي الصبابة فليكن وعد

إن لم يكن وصل لديك لما

وقال آخر :

وإن تسكني نجداً فيا حبذا نجد

فإن تدعى نجداً أدعه ومن به

فلا تعذليني أن أقول متى الوعد

وإن كان يوم الوعد يوم لقائنا

وقال محمد بن مناذر :

فإذا اعسرت بالمال فعد

أنل المال ولا تبخل به

تخلف الوعد وأنجز ما

لا تعد شراً وعد خيراً ولا

## باب عيون من المدح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أرحم أمي بأمّي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمرُ ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علىّ بن أبي طالب ، وأقراهم أبيّ ابن كسب ، وأفضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من

أبي ذرّ ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " .  
مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، فقال : " إنكم لتقلّون عند الطّمع ، وتكثرون عند الفزع " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير دور الأنصار دور بني عبد الأشهل ، وفي كل دور الأنصار خير " .

وقال عليه السلام : " إن الله اختارني ، واختار لي أصحاباً وأنصاراً ، وجعل لي منهم مزرء وأصهاراً " .  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير نساء ركب الإبل نساء قريش ، أحناهنّ على ولد في صغره ، وأرعاهن لبعلي في ذات يده " .

ذكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفياً ، وعلى الكافر قسياً ، وعن اللذة سلباً ، يتواضع حيث لا توهن نصرته ، ويعلو حين لا تخاف سطوته ، القرآن قائده ، الموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضي الله عنهما ، فقال : كان ثاني اثنين إذ هما في الغار ، وثاني اثنين في العريش ، وثاني اثنين في القبر .

قال الشعبيّ : لما مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لآيه ، ثم قال : نعم أخو الإسلام كنت يا أبي ، جواداً بالخلق ، بخيلاً بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضى حين الرضا ، عفيف النظر ، غضيض الطرف ، لم تكن مداحاً ولا ستاماً ، تجود بنفسك في المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبوراً على الصّراء ، مشاركاً في التّعماء ، ولذلك ثقلت على أكتاف قريش .

ذكر علي بن أبي طالب عند ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : كان والله يسكنه الحلم ، وينطقه العلم .

ذكر علي بن أبي طالب عند صعصعة بن صوحان العبديّ ، فقال : هو بالله عليم ، والله في عينيه عظيم .  
قال معاوية لضرار الصّدائي : صف لي علياً . قال : اعفني يا أمير المؤمنين . قال : لتصفته . قال : أما إذ لا بد من صفته ، فكان والله بعيدة المدى ، شديدة القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوى في باطله ، ولا ييأس للضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقرّيبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد

نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ، وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ، ويكي بكاء الحزين ، يقول : يا ديناً! غرّى غيري ، إلى تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟ هيهات هيهات ، فد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فيكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح واحدها في حجرها .

سئل عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ما شئت من ضرس قاطع في العلم بكتاب الله ، والفقّه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبطن في العشيّة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

نظر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن صوخان مقتولا ، فقال : والله لقد كنت ما علمت : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

وقف عليّ على قبر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما ، فقال :

وما تدرى إذا أزمعت أمراً  
بآي الأرض يدركك المقيل

ثم قال :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه  
إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وقال أبو خراش في الذي ألقى على أبيه رداءه

ولم أدر من ألقى عليه رداءه  
ولكنه قد سلّ عن ماجد محض

ولأعرابي في يحيى بن خالد :

سألت الندى هل انت حمّ فقال لا  
ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد

فقلت شراءً قال لا بل وراثه  
توارثها عن والدٍ بعد والد

وقال آخر :

إن للناس غايةً في المعالي  
وقفوا عندها وأنت تزيد

قد تناهيت في الكلام والمج  
دوحزت العلى فأين تريد

ولحبيب ويروي لإسحاق الموصلي :

إن يكن شئٌ جميلٌ حسنٌ فهو في دور عبد الملك

عقدت ألسنتهم عن قول لا فهي لا تحسن إلا هو لك

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه أغفةً أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأول

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله لشمالك أندى من يمينه ، وقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أكرم من أبيه .

وقول الأعرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه مأخوذ من قول حسان هذا ، وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وأنت الذي كلتا يديك مفيدةٌ شمالك خيرٌ من يمين سواكبا

بلغت مدى الجارين قبلك إذ جروا ولم يبلغ الجارون بعد مداكما

فجدّك لا جدّين أكرم منهما هناك تناهى المجد ثم هناكا

وقال لقيط بن زرارّة :

وإني من القوم الذين عرفتهم إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه

نجوم سماء كلّما غار كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال ظفيل الغنويّ :

نجوم ظلام كلّما غاب كوكبٌ بدا ساطعاً في حندس الليل كوكب

وقال آخر :

درارى نجومٍ كلّما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ ترفضّ عنه الكواكب

وقال المريني يمدح بني حريم من آل شيبان بن حارثة :

بقية أقوامٍ من العزّ لو خبت لظلت معدّ في العلا تتسكّع

إذا قمرٌ منها تغور أو كبا بدا قمرٌ في جانب الأفق يلمع

ومدح بعض بني عمرو إخوته فقال :

خبر تناء بني عمرو فإنهم أولو فضول وأنفالٍ وأخطار

إن يسألوا الخير يعطوه وإن جهدوا  
هينون لينون أيسارٌ بنو يسرٍ  
فالجهد يخرج منهم طيب أخبار  
من تاق منهم فقد لاقيت سيدهم  
سواس مكرمة أبناءٍ إيسار  
مثل النجوم التي يهدى بها السارى  
ولا يمارون إن ماروا بإكثار  
لا ينطقون عن العمياء إن نطقوا

وقد قيل: إن هذا الشعر لبعض بنى كلاب يمدح بعض بنى غنّى، وكان أبو عبيدة ينكر هذا، ويقول: محال  
يمدح كلابي غنويًا قالت الخنساء:

أشمّ أبلج يأتّم الهداة به  
كأنّه علمٌ في رأسه نار

وقال آخر:

إذا قيل أئى فتى تعلمون  
وأضرب للقرن في مفرقٍ  
أهشّ إلى الطعن بالذابل  
أشارت إليك أكفّ الورى  
وأطعم في الزّمن الماحل  
إشارة غرقى إلى ساحل

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم، قول أبي الجهم العدوى في معاوية رضى الله عنه:

تقلّبه لتخبر حالتيه  
نميل على جوانبه كأنّا  
فتخبر منهما كرماً ولينا  
نميل إذا نميل على أبينّا

وفي هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان:

إن تلق يوماً على علاته هرماً  
أغرّ أبيض فيأض يفكك عن  
تلق السّماحة منه والندى خلقا  
أيدي العقاة وعن أعناقها الرّبعا

وقوله أيضاً:

أخو ثقة لا تذهب الخمر ماله  
تراه إذا ما جنّته متهللاً  
ولكنّه قد يذهب المال نائله  
كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقوله أيضاً:

على مكثريهم رزق من يعترّيهم  
وعند المقلّين السّماحة والبذل

وقول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا  
وأندى العالمين بطون راح

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفى:

قومٌ إذا نزل الغريب بدارهم  
ردّوه ربّ صواهل وقيان  
وإذا دعوتهم ليوم كريهةٍ  
سدّوا شعاع الشمس بالفرسان  
لا ينقرون الأرض عند سواهم  
لنطلب العلات بالعيان  
بل يبسطون وجوههم فترى لهم  
عند اللقاء كأحسن الألوان

والجيد من النظم لا يحصى كثرة ، وحسبنا أن نأتي منه بما يقرب حفظه للمذاكرة ، ويقوم بهاء مورده في المجالسة.

قال عمر وبن أمية الضمريّ للنجاشي ، حين وجهه إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أيها الملك ! كأنك في الرأفة علينا منّا ، لم نرجك قطّ لأمر إلا نلناه ، ولم نخفك قطّ على أمر إلا أمناه . ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطفيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل . ومدح أعرابيُّ رجلاً فقال : كان يغني في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بغيرها .

وذكر أعرابي جلد أخيه ، فقال : ما بعثته في سوادٍ إلا جلاّه ومحا ، ولا في بياض إلا أزكاه وأضاءه . وصف أبو مهدية الأعرابي قوماً ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ، ولم تغرهم السلامة المنطوية على الملركة ، ورحل عنهم التسوييف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وأنبسطت أيديهم بالإلنجاز ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال . ومدح أعرابي رجلاً فقال : كالمسك إن تركته عبق ، وإن خبّأته عبق . قال محمد بن زياد الحارثي :

تخالهم للحلم صماً عن الخنا  
وخرساً عن الفحشاء عند التّفاخر  
ومرضى إذا لاقوا حياءً وعفّةً  
وعند الحفاظ كالليوث الكواسر  
لهم ذلّ إنصافٍ ولين تواضعٍ  
بهم ولهم ذلّت رقاب العشائر  
كأنّ بهم وصماً يخافون عاره  
وما وصمهم إلا اتقاء المعابر

وقال آخر :

لو قيل لا بن محمّد : ياذا الندى  
قل لا ، وأنت مخلّد ما قالها  
إنّ المكارم لم تنزل معقولة  
حتّى حللت براحتيك عقالها



مدح أعرابي رجلاً ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأي حذق بالصواب كما يحذق الأريب .  
أثنى عمرو بن زياد العتكى على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين! هو  
سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان  
الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لي سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .  
ومن أحسن ما قيل في المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً ، ما ذكره أو لي البندادي رواية عن  
شيخوخه : أن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رآه هشام بن عبد الملك وهو خليفة في حجة  
حجها ، وعلى يطوف بالبيت والناس يفرجون له عند الحجر تعظيماً له ، وينظرون إليه مبجلين له ، فغاظ  
ذلك هشاماً ، فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، ومادحاً لعلي بن  
حسين :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
هذا ابن خير عباد الله كلهم  
إذا رأته قريش قال قائلها  
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت  
يكاد يمسكه عرفان راحته  
يغضى حياءً ويغضى من مهابته  
بكفه خيزران ريحها عبق  
مشتقةً من رسول الله نبعته  
ينجاب ثوب الدجى عن نور غرته  
بالبيت يعرفه والحلّ والحرم  
هذا النقيّ النقيّ الطاهر العلم  
إلى مكارم هذا ينتمي الكرم  
عن نيلها عرب الإسلام والعجم  
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم  
فلا يكلم إلا حين يبتسم  
من كف أروع في عرينه شم  
طابت عناصره والخيم والشيم  
كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

حمال أُنقال أقوام إذا قرحوا  
هذا ابن فاطمه إن كنت جاهله  
فليس قولك من هذا بضائره  
الله فضله قدماً وشرفه  
من جدّه دان فضل الأنبياء له  
حلو الشّمائل تحلو عنده نعم  
بجده أنبياء الله قد ختموا  
العرب تعرف من أنكرت والعجم  
جرى بذاك له في لوحة القلم  
وفضل أمته دانته له الأمم

تزينه خلتان الحلم والكرم  
رحب الفناء أريباً حين يعتزم  
لأولية هذا أو له نعم  
فالدّين من بيت هذا ناله الأمام

سهل الخليفة لا تخشى بواده  
مصدّق الوعد ميمون نقيبته  
أى القبائل ليست في رقابهم  
من يعرف الله يعرف أولية ذا

وفيها أبيات لم أذكرها لأني أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر حبيب في الحماسة للحر بن عبد الله الليثي في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

هذا وذكر الفاكهي في أخبار مكة ، وقال : حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب ، قال حدثني ابن عائشة ، قال : أخبرني أبي ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلي بن عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حلّة وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل مكة ، من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت ، فو الله ما رأيت أحسن من وجهه ، ولا من حلته ، فقالوا : هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هذه الأبيات التي ينشدها الناس .

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
و البيت يعرفه والحلّ والحرم

فذكر هذه الأبيات ولم يتمّها ، قال الفاكهي : ويقال إن الرجل الذي قال فيه الفرزدق هذا هو محمد بن علي بن حسين ، قال : وحدثني أبو سعيد ، قال : حدثني الزبير ، قال : قيل هذا الشعر في قثم بن العباس ، قاله : بعض شعراء أهل المدينة ، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاث منها قوله :

كم صارخ بك مكروب وصارخة  
يدعوك يا قثم الخيرات يا قثم

وأما قوله في الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علي بن عبد الله أمه زينب علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول من قال : إن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن جعفر ، أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال : إنه في علي بن حسين ، لأن علي بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبد الملك إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفةً عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر للحر بن عبد الله في محمد بن علي بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد ابن علي بن حسين بن أبي جعفر - وإن كان له في أبيه علي بن حسين - فلم يكن هشام يومئذ خليفةً كما قال أبو علي في روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل في قثم ابن عباس ، فليس بشيء ، وإنما ذاك شعر قيل في قثم علي قافية هذا الشعر وعروضه ليس هو هذا .

قال عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم المنقري : عليك سلام الله قيس بن عاصم=ورحمته ما شاء أن  
يترجما

تحية من أوليته منك نعمة  
إذا زار عن شحط مزارك سلماً  
فما كان قيس هلكه هلك واحد  
ولكنه بنيان قوم تهدماً  
وقال آخر :

كريم يغيض الطرف فضل حياته  
ويدنو وأطراف الرماح دوان  
وكالسيف إن لايته لان متته  
وحده إن خاشنته خشان  
وللخريمي :

يلام أبو الفضل في جوده  
وهل يقدر البحر ألا يفيضا  
وقال أبو جعفر محمد بن منذر :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك  
فيأطيب أخبار ويا حسن منظر  
لهم رحلة في كل عام إلى العدى  
وأخرى إلى البيت الحرام المستر  
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت  
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر  
فتظلم بغداداً ويجلو لنا الدجى  
بمكة ما حجوا ثلاثة أقر  
فما خلقت إلا لوجود أكفهم  
وأقدامهم إلا لأعواد منير  
إذا راض يحيى الأمر ذات صعبه  
وناهيك من راع له ومدبر

ترى الناس إجلالاً لهم وكأنهم  
غرائيق ماء تحت باز مصرصر  
وقال آخر :

إذا سألت الناس أين المكروه  
والعزّ والجرثومة المقدمه  
وأين فاروق الأمور المحكمه  
تتابع الناس على ابن شبرمه  
وقال آخر :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى  
صير الناس كلهم شعراء

أنشد الأصمعي : كل يوم كأنه يوم أضحى=عند عبد العزيز أو يوم فطر وهذا عبد العزيز بن مروان بن  
الحكم ، وله يقول نصيب :

لعبد العزيز على قومه  
فبابك ألين أبوإبهم  
وكلبك أنس بالمعتفين  
وكفك حين ترى السائلي  
فمنك العطاء ومنى الثناء  
بكل محبرة سائره

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين وبهاء الملوك.  
ومن المدح :

له خلقان لم يدعا  
سقاءً ليس يملكه  
له مالاً ولا نشبا  
وحلمٌ يملك الغضبا

وقال آخر : فل كنت يوماً كنت يوم سعادة=ترى شمسه والمزن تهضب بالقطر

ولو كنت ليلاً صيَّب  
وقال آخر :

بديهته وفكرته سواءً  
وأحزم ما يكون الدهر رأياً  
إذا ما نابه الحدث الكبير  
إذا عمى المشاور والمشير  
وصدرٌ فيه للهَمُّ اتساعٌ  
إذا ضاقت عن الهَمِّ الصدور

وقال حمزة بن بيض في مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغت لعشر مضت من سني  
نهمك فيها جسيم الأمور  
لك ما يبلغ السيد الأشيب  
وهم لدارتك أن يلعبوا

وقال ذو الرمة :

عطاء فتى بنى وبنى أبوه  
فأعرض في المكارم واستطالا

قال أبو اليقظان : ولّى الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثقفي ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاه السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إن السّاحة والمروءة والندي  
قاد الجيوش لسبع عشرة حجةً  
لمحمد بن القاسم بن محمد  
يا قرب سورة سودد من مولد

قال أبو اليقظان : وهو الذي جعل شيراز معسكرا ومترلا لولاية فارس.  
قال الحطيئة :

وأولئك قومٍ بنوا أحسنوا البنا  
أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم  
وقال أبو الغول الطهويّ بمدح قومه :  
فدت نفسي وما ملكت يميني  
معاشر لا يملوز المنايا  
ولا يجزون من حسن بشرٍ  
ولا تبلى بسالتهم وإن هم  
هم منعوا حمى الوقبي بضربٍ  
فنكب عنهم ظلم الأعداي

وقال آخر

بديهته مثل تدبيره  
وفي كفه للغنى مطلبٌ  
متى رمته فهو مستجمع  
وللسرّ في صدره موضع

وباب المديح أوسع الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار.  
قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا.  
قال النجاشي الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو الحارثي ، من بني الحارث ابن كعب.

إني امرؤٌ ما أتى على أحد  
لا تحمدن امرءاً حتى تجربيه  
حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر  
ولا تدمن من لم تبلة الخبر

قال عليّ بن حسين : إذا قال فيك رجلٌ مالا يعلم من الخير ، أو شك أن يقول فيك ما يعلم من الشر.

## باب عيون من الذم

قالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجلٌ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه في البيت : فقال : " ائذنوا له فيئس ابن العشيرة ، أو قال : فيئس أخو العشيرة ، ثم قال : إن من شرار الناس من

اتقاه الناس لشرة، أو تركه الناس لشره " .هذا حديث ابن عيينة ،عن المنكدر ،عن عروة ،عن عائشة ،وليس بلفظ حديث مالك المرسل.

قال الحسن :ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السرّ.

كان يقال :من أظهر عيب نفسه فقد زكّاها.

ذم بعض البلغاء رجلا ،فقال :ما الحمام على الإصرار ، والدّين على الإقتار ، وشدة السّقم في الأسفار ،بألم من فلان.

قيل لأعرابيّ :ما تنقم من أميرك ؟قال :يقضى بالعشوة ،ويأكل الرّشوة ،ويطيل التّشوة.

قال ثعلب :التشوة بالفتح :السّكر ،والتشوة بالكسر :الريح.

ذم رجل رجلا ،فقال :كان والله سيّء الرّوية ، قليل التّقية ، شديد السّعاية ، ضعيف النّكاية.

ذم خالد بن صفوان شبيب بن شيبه ،فقال :أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، إذا سئل سوّف ، وإذا حدّث حلف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حسود ، وتعرض إعراض حقود.

قال حسان بن ثابت : أبوك أبوك وأنت ابنه=فيئس البنيّ ويئس الأب

كأن أناملها العنظب

وأمك سوداء نوبيّة

كما ساور المهرة الثعلب

بيبت أبوك بها معرساً

وقال أعرابيّ : أكثر ما يأتي على فيه الكذب=وإنما الشّاعر مجنون كلب

حيّاكم الله فإنّي منقلب

مر سفيان الثّوريّ رضى الله عنه ، بقوم في السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه أما ترون النّعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوط عليها ، أخذها الشّاعر فقال : يا حجة اللذه في الأرزاق والتّعم=يا محنة لذوى الأخطار والهمم

إلّا وربّك غضبانٌ على النّعم

ما نراك أصبحت في نعماء ظاهرة

قال بعض البلغاء :كفاني سقوط فلان إسقاكه.

ذم رجل رجلا فقال :ذلك أعيا ما يكون عند جلسائه ،ابلق ما يكون عند نفسه.

لعمر بن سليمان البجلي ،في إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسرى : لو كنت ماء كنت ماء آسناء=أو كنت مرعى لم يردك الورّد

أو كنت من ورق نفاك النّاقذ

أو كنت من شجر لكنت إلاءة

قال الحرمازى : قبّحتم آل فقيم عدداً=لو كنتم قولاً لكنتم فندا

أو كنتم شيئاً لكنتم نقدا

أو كنتم ماء لكنتم زبدًا

أو كنتم لحمًا لكنتم غددًا

التقد: المعز، وفي المثل: لهو أدل من التقد.

قال أبو عثمان العروضي:

أو كان ظرفاً لم يكن إلا متي

لو كان حرفاً كان لا معنى له

وقال آخر: لو كنت ماء كنت غير عذب=أو كنت سيفاً كنت غير غضب

أو كنت عيراً كنت غير ندب

أو كنت لحمًا كنت لحم كلب

وقال آخر: لو كنت برداً كنت زمهريراً=أو كنت ريحاً كانت الدبورا

أو كنت ماءً لم تكن طهوراً

أو كنت غيماً لم تكن مطيراً

أو كنت مخاً كنت مخاريراً

ومما أنشده ثعلب: لله درك أيما رجل=يبني أبوك وشأنك الهدم

تتحط قصر دونك النجم

لو كنت تصعد في السماء كما

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بقوم يتبعون رجلاً أخذ في رية، فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر.

قال القطامي:

لطارق ليلٍ مثل نار الحباب

ألا إنما نيران قيس إذا اشتوا

يقال: نار الحباب، ونار أبي الحباب، لكل نارٍ تراها العين ولا حقيقة لها قال دريد بن الصمة:

أنتم كثير وفي الأحلام عصفور

يا آل سفیان ما بالي وبالكم

وخير من هذا، قول حسان بن ثابت يذم قوماً:

جسم البغال وأحلام العصافير

لا عيب في القوم من طول ومن عظم

وقال آخر:

حسنت مناظرهم لقبح المختبر

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم

وقال آخر:

وإن تختبر يوماً فأقبح مخبر

له صورة تعمي العيون سماجة

وقال محمد بن منذر، في خالد بن طليق قاضي البصرة: جعل الحاكم يا للناس من آل طليق

حاكمٌ يحكم في النا

س بحكم الجائليق

يدع الحق ويهوى

في ثنّيات الطريق

أى قاضٍ أنت للنق

ص وتعطيل الحقوق

يا أبا الهيثم ما أن

ت لهذا بخلق

" لا ولا أنت بما حملت منه بمطيق

حبله حبل غرور

عقده غير وثيق

وله فيه أيضاً : قل لأمير المؤمنين الذي=في هاشم سرّها واللباب

إن كنت للسّخطة عاقبتنا

بخالد فهو أشدّ العقاب

أصمّ أعمى عن طريق الهدى

وقد ضرب النوك عليه الحجاب

كان قضاء الله فيما مضى

من رحمة الله وهذا عذاب

يا عجباً من خالد كيف لا

يخطئ فينا مرّة بالصواب

قال أبو العتاهية : وليس بحاكم من لا يبالي=أأحطاً في الحكومة أم أصابا وقال آخر : فإن تصبك من الأيام داهية=لم نبك منك على دنيا ولا دين وقال آخر : إذا ما لقيت بنى عامر=لقيت جفأً ونوكاً كثيراً

نعامٌ تجود بأعناقها

ويمنعها نوكها أن تطيرا

وقال آخر : وإئك إن حللت بدار قوم=رحلت بخزية وتركت عارا وقال آخر :

خنازير ناموا عن المكرمات

فنبههم قدر لم ينم

فيا قبحكم في الذي خوّلوا

ويا حسنهم في زوال النعم

وقال آخر :

فخير منك ما لا خير فيه

وخير من زيارتك القعود

وقال آخر : وما ينفع الأصل من هاشم=إذا كانت النفس من باهله وقال آخر :

كأنّ ريحهم من قبج فعلهم

ريح الكلاب إذا ما مسّها المطر

وقال خلف الأحمر :

إذا انتسبوا ففرغ من قريش

ولكنّ الفعّال فعّال عكل

وقال أبو على البصير :



إلى كرم وفي الدنيا كريم  
وصحّ نبتها رعى الهشيم

أراح الله منك العالمينا  
ولكن لا إخالك تعقلينا  
وكانونا على المتحدثينا  
ولقائك العقوق من البنينا

حتى غدوت كأنّ أنفك دمل

قال أعرابي: أتيت بغداد فإذا ثياب أجواد على ألأم أجساد ، إقبال حظهم إديار حظوظ الكرام ، شجرٌ فروعه عند أصوله ، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر .  
قال أبو العتاهية :

من بعد ما خبرة وتجريب  
رقدٌ ولا فرجةً لمكروب  
ونازعوا في الفسوق والحب  
إلى ثلاث من غير تكذيب  
وعمر نوحٍ وصبر أيوب

إذا لنفذت في علم الغيوب  
تعاطيك الغريب من الغريب

كنت لله رسولا

ويقيم وقت صلاته حماد  
مثل القدوم يسنّها الحدّاد

لعمر أبيك ما نسب المعلى  
ولكنّ البلاد إذا اقتشعرت  
وللحطيئة في أمة ، لا عفا الله عنه :

تتحى فاقعدى منى بعيداً  
ألم أوضح لك البغضاء منى  
أغرباً لا إذا استودعت سرّاً  
جزاك الله شراً من عجوزٍ

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر :

واصلت في شرب الشمول سفاهةً

أنمّ بغداد والمقام بها

ما عند أملاكها لمر تغب

خلوا سبيل العلا لغيرهم

يحتاج راجي النوال عندهم

كنوز قاروق أن تكون له

وقال آخر :

أما لو أن جهلك كان علماً

ومالك في الغريب يدٌ ولكن

وقال الناشئ :

لو كما تجهل تدري

وقال حماد بن الزبيرقان في حماد عجرد :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه

هدلت مشافره الشمول فأنفه

وابيض من شرب المدامة وجهه

وقال رافع بن إبراهيم اليربوعي :

ألستم أقلّ الناس تحت لوأئهم

وأمساه بالشئ المحقّر بينهم

وقال أعرابي :

العبد يجتنب الهجاء لشينه

لم يبق عارٌ في البرية كلّها

وقال أبو عيينة :

خالدٌ لولا أبوه

لو كما ينقص يز

فبياضه يوم الحساب سواد

وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وأعجزهم عند الجسيم من الأمر

ولك الهجاء إذا هجيت جمال

إلا وأخبث منه فيك يقال

كان والكلب سواء

داد إذا نال السّماء

أسوأ الناس ثناء

لحقيق أن يساء

أنا ما عشت عليه

إن من كان مسيئاً

وله أيضاً :

داود محمود وأنت مذمّم

ولرب عودٍ قد يشقّ لسجدٍ

وقال الفرزدق :

عجباً لذاك وأنتما من عود

نفساً وسائره لحشّ يهود

أترجو كليياً أن تجئ صغارها

وقال أبو نواس :

بخير وقد أعيا عليك كبارها

لأبي نوحٍ رغيّف

برّة تمسحه الدّه

وله كاتبٍ سوءٍ

فسيكفيكهم الل

وقال فيه أيضاً :

أبدأ في حجر دايه

ر بكم ووقاية

خطّ فيه بعنايه

ه إلى آخر آلايه

أبو نوح دخلت عليه يوماً

فكان كمن سقى الظمان آلا

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قباء لا تدري أقباء هو أم دوّاج ، فقال : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدري أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاط لي عمرو قباء

قل لمن يسمع هذا

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .  
ولرجل من بني تميم :

أمن عوز الرجال وهم كثير

فلو بكت المنابر من لئيم

وقال آخر :

من دون سيبك لون ليل مظلم

والضيف عندك مثل أسود سالخ

وقال آخر :

ورثنا المجد عن آباء صدق

إذا الحسب الرفيع تعاورته

وأحسن من هذا :

لسنا وإن أحسابنا كرمت

نبنينا كما كانت أوائلنا

وقال آخر :

إن تلقى ريب المنايا أو تردّفها

وقال آخر :

وإن تصبك من الأيام قارعة

قيل لمسلمة : أحرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال الفرزدق يبي ، وجرير يخرب ، وليس بقوم الخراب شيء .

قال أعرابي في سعيد بن سلم :

فكان كصفوانٍ عليه تراب  
وليس لمدح الباهلي ثواب

أضعاف ما يهتك من عرضي  
وبعضه يضحك من بعض

مدحت ابن سلمٍ والمديح مهزّة  
لكلّ أخي مدح ثوابٍ يعدّه

قال أبو بكر السّامري :

يا شاعراً يهتك من عقله  
إذا هجاني جاعني شعره

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب.

### باب العقل والحمق

أما العقل فقد أوردت في معناه واشتقاقه والدلالة عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنظم كتاباً كافياً ، ونوردها هنا من صفات العاقل والأحمق ما تحسن به المذاكرة ، ويجعل إيرادها في المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يعجبكم إيمان الرجل حتى تعلموا ما عقده عقله " وروى عن النبي عليه وسلم ، أنه قال : " حقّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يجاسب فيها نفسه ، وساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يفضى فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلّى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويجعل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هذه الساعات ، وإجمام للقلوب .

وحقّ على العاقل ألا يظعن إلا في إحدى ثلاث : زاد لمعاده ، ومرة لمعاشه ، أو لذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسان ، مقبلاً على شأنه " .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أتدرى لم رزقت الأحمق ؟ قال : لا قال : ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثلاثٌ من حرمهنّ فقد حرم خير الدنيا والآخرة : عقلٌ يداري به الناس ، وحلمٌ يردّ به السفية ، وورعٌ يحجزه عن المحارم " .

افتخر رجلان عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح في النار ؟! إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلق فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلا فالحمار خير منكما ، ولستما خيراً من أحد .

وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : العاقل من لم يجرمه نصيبه من الدنيا حظّه من الآخرة .  
قال عليّ بن أبي طالب في وصيته لابنه : لا مال أعوذ من العقل ، ولا قفر أشدّ من الجهل ، ولا وحده  
أوحش من العجب ، ولا مظاهره كالمشاورة ، ولا حسب كحسن الخلق .  
كان يقال : إذا كان علم الرجل أكثر من عقله ، كان قميناً أن يضرّه علمه .  
قال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير الشرين .  
قال العتيبيّ : العقل نوعان ، فأحدهما ما تفرد الله بصنعتة ، والآخر ما يستفيدة المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيل  
إلى العقل المستفاد إلاّ بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعنا قوّى كلُّ منهما صاحبه ، كما أن النار في  
الظلمة نور للبصر ، وأنشد :

إذا لم يكن للمرء عقلٌ يزينه      مع الناس لم يجعل له مشفقٌ عقلاً

وقال آخر :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها      إذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وقال أردشير بن بابك : نموّ العقل بالعلم .  
وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمّا بعد ، فإنّ العقل المفرد لا يقوى به على  
أمر العامّة ، ولا يكتفي به في أمر الخاصّة ، فأحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التجارب  
والمروءات ، والسّلام .  
قال أيوب بن القرّية : الناس ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقٌ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الدّين شريعته ، والحلم طبيعته ، والرأى  
الحسن سجيّته ، إن نطق أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن كلّم أجاب . والأحمق : إن تكلمّ مجل ، وإن حدّث  
وهل ، وإن استترل عن رأيه نزل . وأما الفاجر : فإن ائتمنته خانك ، وإن صحبته شانك .  
قال مطرف بن الشّخير : عقول كلّ قوم على قدر زمامهم .  
كان يقال : ستّ خصال تعرف في الجاهل : الغضب في غير شىء ، والكلام في غير نفع ، والعطيّة في غير  
موضعها ، وإفشاء السّر ، والثقة بكلّ أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .  
قيل لابن شبرمة : ما حدّ الحمق ؟ قال : لا جدّ له .  
سئل بعض الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابة بالظّنون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .  
كان يحيى بن خالد ، يقول : ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربالها : الكتاب على مقدار عقل كاتبه ، والرسول  
على مقدار عقل مرسله ، والهدية على مقدار عقل مهديها .  
قال ابن الأعرابي : سمى الرجل أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعونته قال : والحمق أيضاً الكساد

يقال: انحمت السّوق إذا كسدت ،ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسد العقل لا ينتفع برأيه ولا بعزمه .  
والحمق أيضاً: الغرور ،يقال :سرنا في ليالٍ محمّقات ،إذا كان القمر فيهن يستتر بغيم أبيض رقيق ،فيغترّ  
الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا .  
قال :ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يغرّك في أوّل مجلسه بتعاقله ،فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبين حمقه .  
وقيل للرجلة البقلة الحمقاء ، لأنها تنبت في مسيل الماء ،وفي طريق الإبل ،فهي أبدأ مدوسة .  
وفي الخبر المرفوع : " للعاقل خصال يعرف بها :يلجم عمق ظلمه ،ويتواضع لمن هو مثله ،ويسابق بالبر من  
هو فوقه ،وإذا رأى باب فرصة انتهزها ،لا يفارقه الخوف ،ولا يصحبه العنف ،يتدبرّ ثم يتكلم غنم ،وإن  
سكت سلم ، وإن عرضت له فتنة ،اعتصم بالله ثم تنكّبها ،وللجاهل خصال يعرف بها :يظلم من خالطه  
، ويتكلم بغير تدبّر فيندم ، فإن تكلم أثم ، وإن سكت سها ، وإن عرضت له فتنة أردته ، وإن رأى باب  
فضيلة أعرض عنها .

ذكر المغيرة بن شعبة يوماً عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : كان والله أفضل من أن يخدع ،  
وأعقل من أن يخدع .

في كتاب " كليله ودمنة " : رأس العقل التمييز بين الكائن والممتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقل من يعرف عيب نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ؟ قال : أنا حسودٌ حقود  
، قال عبد الملك : ما في إبليس شرٌّ من هاتين .  
قال الحسن البصرى : صلة العاقل إقامةً لدين الله ، وهجران الأحمق قرابة إلى الله ، وإكرام المؤمن خدمةً  
لله وتواضع له .

قال عبد بن الحسن : حمق الرجل يفسد دينه ، ولا دين لمن لا عقل له . وكان لا يجيز شهادة الأحمق  
العفيف ، فكلم في ذلك ، فقال : سأريكم . ودعا بحاجبه فقال : يا ممدود ، انظر لي ما الرّيح ؟ فخرج ثم  
رجع ، فقال : هي شمالٌ يشوبها شيءٌ من الجنوب . فقال : أترون أن أجز شهادة مثل هذا ؟! فقال  
أردشير : رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله .

قال أنو شروان : ثقة الرجل برأيه ، وإقراره بتوفير عقله ، دليل على عقله ، قيل : هل ينتهي من أول  
الزّجر أحمق كان يقال : إذا تمّ العقل نقص الكلام .

قال على بن أبي طالب : لا تؤاخ الأحمق ، ولا الفاجر ، أمّا الأحمق فمدخله ومخرجه شين عليك ، وأمّا  
الفاجر : فيزيّن لك فعله ، ويود أنك مثله .

قال سابق :

المرء يجمع والزمان يفرق  
ولئن يعادى عاقلاً خيراً له

وقال آخر :

ويظل يرفع والخطوب تمزق  
من أن يكون له صديق أحق

عدوك ذو العقل أبقى عليك  
وذو العقل يأتي حسان الأمور

وقال دعبل بن علي الخزاعي :

من الصاحب الجاهل الأحق  
ويعد للأرشد الأوفق

عداوة العاقل خير إذا

حصلتها من خلّة الأحق

لأنّ ذا العقل إذا لم يرع

عن ظلمك استحيا فلم يخرق

ولن ترى الأحق يبقى على

دين ولا ودّ ولا يتقى

وقال آخر :

عداوة العاقل خير لمن

عاداه من ودّ امرئ جاهل

بوائق الجاهل ميثوثة

وليس تخشاها من العاقل

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنّما الإنسان غمدٌ لعقله

ولا خير في غمدٍ إذا لم يكن نصل

فإن كان للإنسان عقلٌ فإنه

هو النصل والإنسان من بعده فضل

وقال أيضاً :

وما المرء إلا اثنان عقلٌ ومنطقٌ

فمن فاتته هذا وذاك فقد دمر

ولا سيما إن كان ممّن نصيبه

من الدين والدنيا قليلٌ إذا حضر

وقال ابن الرومي :

وليس عتاب المرء للمرء نافعاً

إذا لم يكن للمرء عقل يعاتبه

وقال آخر :

زعمت أبا سهل بأنك جامعٌ

فنوناً من الآداب يجمعها الكهل

فهبك تقول الحقّ أيّ فضيلةٍ

تكون لذي علمٍ وليس له عقل

وقال آخر :

لكلّ امرئٍ شكّلٌ من النَّاسِ مثله  
لأنّ صحيحَ العقلِ ليس بواجِدٍ  
ولا خيرٍ في طولِ السَّبَالِ وعرضها  
فأكثرهم شكلاً أقلهم عقلاً  
له في طريقِ حينٍ يسلكها مثلاً  
إذا الله لم يجعل لصاحبها عقلاً

وقال آخر :

قد عرفناك باختيارك إذ كان  
وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزَّمانِ إذا صحا  
وقال آخر :

وأنزلي طول النوى دار غريبة  
تحامقته حتى يقال سجيّة  
وقال آخر :

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم  
فإنّي رأيت المرء يشقى بعقله  
وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله :

ياذا الذي ليس له والدٌ  
قد مات من قبلهم آدم  
إن جنّت أرضاً أهلها كلّهم  
يسعى على الأرض ولا والده  
فأى نفس بعده خالده  
عورٌ فغمض عينك الواحده

سمع عمر بن العزيز رجلاً يكنى أبا العمرين ، فقال : لو كان لك عقل كفاك أحدهما .  
قال الحسن : هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى .  
قال منصور الفقيه :

أجالس كلاً وإن لم يكن  
فإبى أجالسه مرّة  
فما نعمة بعد تقوى الإله  
على ما أحبّ سوى الأموق  
وأنهض عنه فلا نلتقى  
أفضل من هجرة الأحمق

قال بعض الحكماء : ينبغي للعاقل أن يتمسك بستّ خصال : أن يحفظ دينه ، ويصون عرضه ، ويصل رحمه ، ويحفظ جاره ، ويرعى حقّ إخوانه ، ويجزن عن البذاء لسانه .



كان الحسن البصرى إذا أخطأ عن أحد بصلاح، قال: كيف عقله؟ ثم يقول: ما يتم دين امرئ حتى يتم عقله.

روى أنه أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض، أتاه جبريل، فقال: يا آدم! إن الله تعالى قد أحضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة، وتخلّى عن اثنتين.

قال: وما هن؟ قال: الحياء والدين والعقل: قال آدم: إن اخترت العقل.

قال جبريل للحياء والدين: ارتفعاً فقد اختار العقل، قالوا: لا نرتفع، قال: ولم عصيتما؟ قالوا: لا، ولكننا أمرنا ألا نفارق العقل حيث كان.

كان يقال: لا تعتمد بمن ليس له عقدة من عقل.

قال بعض الحكماء: وكل الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل، ليعتبر العاقل فيعلم أن الرزق ليس عن حيلة. قيل لزرعة بن ضمرة: متى عقلت؟ قال: يوم ولدت. قيل: وكيف ذلك؟ قال: منعت الثدى فبكيت، وأعطيتها فسكت.

قال الحسن: لأننا للعاقل المدبر، أرجى منى للأحمق المقبل.

قال الأوزاعي: قيل لعيسى عليه السلام يا روح الله! أنت تبرئ الأكمه والأبرص وتجي الموتى بإذن الله، فما دواء الأحمق؟ قال: ذلك أعيان.

قال قيس بن الخطيم:

وداء النوك ليس له دواء

وبعض الداء ملتمس دواه

وقال آخر:

طبيباً يداوى من جنون جنون

جنونك مجنون ولست بواجد

وقال آخر:

ما لذة العيش إلا للمجانين

قالوا جننت بمن تهري فقلت لهم

وإنما يصرع المجنون في الحين

الحب لا يستفيق الدهر صاحبه

كان يقال: الأحمق بشأنه أعلم من العاقل بشأن غيره.

قال زيد بن أسلم، قال لقمان لا بنه: يا بني لئن يقصيك الحكيم خير من أن يدنيك الأحمق.

قال عمر بن عبد العزيز: خصلتان لا تعدمك إحداهما من الأحمق، أو قال من الجاهل: كثرة الالتفاف، وسرعة الجواب.

كانوا يعبرون عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويعبرون أيضاً عن العاقل بالحلم ، قال الشاعر :

فلا تصحب أبا الجهل  
فكم من جاهلٍ أردى  
وياك وإياه  
حليماً حين واخاه  
يقاس المرء بالمرء  
إذا ما هو ماشاه

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان : والغيران ، والسكران . قيل : فما تقول في المنعظ ؟ قال :

وما شرّ الثلاثة أم عمرو  
بصاحبك الذي لا تصبحينا

قال تمام بجيح : إذا قام ذكر الرجل ، ذهب ثلثا عقله قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزيات :

ليس شئ مما يدبره العا  
فأخو العقل ممسكٌ يتوقى  
قل إلا وفيه شئٌ يريبه  
ويخاف الدخول فيما يعيبه  
وأخو الجهل لا يقدر في الأم  
راكب ردعه كحاطب ليل  
تتأتى له الأمور على الجه  
وأخو العقل بعد ينتج الرأ  
وإذا صيرّ البعيد قريباً  
فهو الدهر شاخص القلب فكراً

وقال آخر :

ألا إن عقل المرء عينا فؤاده  
فإن لم يكن عقلٌ فلن يبصر القلب

وقال آخر :

أي زماً نوكاه أسعد أهله  
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته  
ولكنما يشقى به كلّ عاقل  
فكبّ الأعلى بارتفاع الأسافل

وقال آخر :

عدلوني على حماقة جهلاً  
لو لقوا ما لقيت من حرفة العق  
وهي من عقلهم ألدّ وأحلى  
ل لساروا إلى حماقة رسلا

## حمقى قائم بقوت عيالى

## ويموتون إن تعاقلت هزلا

قال هشام بن عبد الملك : يعرف حمق الرجل بأربع : بطول لحيته ، وشناعة كنيته ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته . فدخل عليه ذات رجل طويل العثون ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : أنا أبو الياقوت الأحمر. قالوا : فما نقش خاتمك ؟ قال : " وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب " .

وفي خبر آخر : أن معاوية جرت له مثل هذه الحكاية ، إلا أنّ في خبر معاوية ، قيل له : فما كنيته ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرّي . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : " وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى المهدهد أم كان من الغائبين " قال يحيى بن الحكم الغزالي :

## يعرف عقل المرء في أربع

## مشيته أولها والحرك

## ودور عينيه وأفاظه

## بعد عليهنّ يدور الفلك

وقال آخر :

## طلبت الرزق بالعقل

## من الغرب إلى الشرق

## فلم يكسبني العقل

## سوى البعد من الرزق

## فأدبرت عن العقل

## وأقبلت على الحمق

## فلم أتعب ولم أنصب

## ولم أضرع إلى الخلق

قال بعض الحكماء : من الحمق التماس الإخوان بغير وفاء ، والتماس الآخرة بالرّياء . والتماس مودة النّساء بالغلظة ، والتماس العلم والفضل بالدّعة والخفض .

سمع الأنف رجلا يقول : ما أبالي أمدحت أم هجيت . فقال : استرحت من حيث تعب الكرام . وقالت العرب : استراح من لا عقل له . وقالت الفرس : مات من لا عقل له . أنشدني بعض شيوخي رحمهم الله :

## كم كافرٍ بالله أمواله

## تزداد أضعافاً على كفره

## ومؤمنٍ ليس له درهم

## يزداد إيماناً على فقره

## لا خير فيمن لم يكن عاقلاً

## يمدّ رجليه على قدره

وقال آخر :

ما إن يزال ببغداد يزاحمنا  
أعطاهم الله أموالاً منزلةً  
على البراذين أشباه البراذين  
من الملوك بلا عقلٍ ولا دين  
ما شئت من بغلةٍ شقراءٍ ناجيةٍ  
أو من أتانٍ وقولٍ غير موزونٍ

### باب من أجوبة الحمقى

ومراجعة السخفاء ، وألفاظ التوكى والجهلاء استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر الجوس يوماً ، فقال : لعن الله الجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ، ما نكحت أمي فيبلغ ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله! أترونه لو زيد فعل؟! قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النظارة يكرّ ويثب من الفرخ ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى! هذا الفرس فرسك ؟ قال : لا ، ولكنّ اللجام لجامي .

أرسل رجلٌ من بني عجل بن لجيم فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه : يا بني! بأى شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعور . قال الشاعر :

رمتى بنو عجل بداء أبيهم  
أليس أبوهم عار عين جواده  
وأى عباد الله أنوك من عجل  
فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل

قال أبو كعب القاصّ في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

وقال أيضاً في قصصه : إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل : " يتجرعه ولا يكاد يسيغه .  
فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

قيل لبرذعة الموسوسر : أيما أفضل غيلان أم معلّى ؟ قال : معلّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب معلّى إلى جنازته ، فلما مات معلّى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولائها على جار له أنّه يتزندق ، فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندق ، فقال : هو مرجى قدرى ناصبي رافضى ، من الخوارج ، يبغض معاوية بن الخطاب الذي قتل على بن العاص . فقال له ذلك الوالي : ما أدرى على أي شيء أحسدك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على

بصرك بالأنساب.

كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية وعليّ، ويذكرون أبا بكر وعمر، وكان قريباً منهم رجل من العامة، ينسب إلى أنه من أعقلهم، وكان ذا سبلة طويلة، فقال لهم: كم تطنبون في أمر عليّ ومعاوية وفلان وفلان؟! فقال له أحد القوم: وتعرف أنت من عليّ ومعاوية وفلان وفلان؟ قال: نعم! أو ليس هو أبو فاطمة؟ قال: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية. قال: فما كان قصة عليّ؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم. دخل رجل من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم، فقال: أصلح الله الشيخ، لقد سمعت في السوق الساعة شيئاً منكراً، ولا ينكره أحد قال: وما سمعت؟ قال: سمعتهم يشتمون الأنبياء! قال: ومن المشتم من الأنبياء؟ قال: سمعتهم يشتمون معاوية. قال: يا أخي ليس معاوية بنبي. قال: فهبه نصف نبيّ لم يشتم.

قال عمرو بن بحر: ذكر لي شيخ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً فغضب وشتّمهم، وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً. قال فأتيته يوماً فسألته عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنه لهم فقال: لمكان الشين في أول الكلمة، لأنني لم أجد ذلك قطّ إلا في مسخوط، مثل شومٍ وشرّ وشيطانٍ وشيصٍ وشحّ وشغبٍ وشعبٍ وشركٍ وشتّمٍ وشقاقٍ وشطرنجٍ وشينٍ وشانٍ وشحطٍ وشوصةٍ وشوكٍ وشكوىٍ وشنآنٍ. فقلت له: إن هذا كثير، ما أظنّ أن القوم تقيم لهم علماً مع هذا أبداً كان عندنا رجل شاهدناه، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة، وكان إذا سلّم من صلّاته في جماعة أو وحده، يقول: السّلام على الملكين الكاتبين لأبي بكر وعمر، وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء. اشترى باقل، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عتراً بأحد عشر درهماً، فقالوا له: بكم اشتريت الغز؟ ففتح كفيّه وفرّق أصابعه، وأخرج لسانه، يريد أحد عشر درهماً، فلما عبّروه، قال:

كأنّ الحمافة لم تخلق

يلومون في حمقه باقلاً

فللعى أجمل بالأحمق

فلا تكثرُوا العذل في عيّه

أحب إلينا من المنطق

خروج اللسان وفتح البنان

ذكر الصّولى عن ابن الجوهريّ ضرورياً من العيّ والحمافة والجهل، وكان له تسييح ظريف يسبّحه بإثر كل صلاة: سبحانك يا عالمين، والحمد لله الأكرمين، ولا إله إلا الله الطيبين، والصلاة على النبي المباركين، وأزواجه أمهات المؤمنين، ونسأل الله خير عوائق الأمور.

رأى معاوية بن مروان بن الحكم حمار طاحونة في عنقه جلجل في حانوت طحان، فقال له: ما بال هذا

الحمار في عنقه جلجل؟ فقال: أنا مشغل في علاجي وطلب معيشتي خارج الحانوت، وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للمشي، فقال له معاوية له: أرأيت إن وقف الحمار وحرّك رأسه فتحرك الجلجل؟ قال الطحان: ومن لحماري يمثل عقل الأمير؟! ومعاوية هذا هو الذي أمر بغلق باب المدينة إذ انفلت له البازي.

قال طحطاح لابنه يوماً: ما الذي تشتهي؟ قال: رأسي كبش. فقال له أبوه: لا يكون للكبش رأسان، قال: فرأس كبشين، فضحك منه. قيل لمخنث: مالكم تحلقون لحاكم؟ فقال: إن البرد لا تعرف إلا بحذف أذناهما. دخل راكب البريد يوماً على المأمون، فقال له: متى خرجت، أو متى قدمت؟ فقال له: بعد غد يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: فإذا أتيتنا وبيننا وبينك مرحلتان. مرض رجل من الأعراب، فعاده جاره، وقال له: ما تجد؟ قال: أشكو دملاً أهلكني، وزكاماً أضربني. قال له: فقد بلغنا أن إبليس لا يحسد على شيء من الأمراض إلا على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة. فأنشأ الأعرابي يقول:

برأسي وإستي دملًا وزكامًا

أيحسدني إبليس داعين أصبحا

رخاوة زبّ لا يطيق قياما

فليتهما كانا به وأزيده

وقال أبو نواس:

ل على الظهر ملحّه

قد أضرت بي دمامي

سبه مالا وصحّه

ليتها في عين من يح

سلم فزاره صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة، فقيل له في ذلك فقال: كان على يميني إنسان لا أكلمه.

وقال فزاره يوماً في مجلسه: لو غسلت يدي مائة مرة ما تنظفت، أو أغسلها مرتين وفيه يقول ابن المعدّل:

ن على المظالم يا فزاره

ومن المظالم أن تكو

تقديم رجل مع خصمه إلى قاض، فقال: أصلح الله القاضي، لي عند هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا. فقال القاضي لخصمه: ما تقول فيما سمعت من دعوى خصمك؟ فقال: لا أعرف شيئاً فيما يقول، وأنا منكر لما يدعيه. فقال للمدعى: هات بينه إن كان لك. فأتاه برجلين فجلسا بين يديه، فقال لهما: بم تشهدان؟ قالوا: نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه.

فقال لهما: قد قبلتكما. قم يا زاني ابن الزانية، فأد ما شهدا به. فقال المشهود عليه :  
أيها القاضي! إن كان هؤلاء استحلوا قذفي وقذف أمي بجهلهم ، فما الذي استحللت به أنت ذلك مني ؟  
فقال : والله يا ابن أخي ما حسبت إلا أنه اسمك واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا  
على شاهديه.

مر قاضٍ بواسطٍ أو بحمص على السوق في يوم رمضان ، فرأى رجلاً قد صنع معزفاً ، فوقف عليه وقال :  
أيها الفاسق في الشهر المبارك تعمل آلات اللهو وظروف الشرِّ فقال : أصلح الله القاضي ، إنما هي مقلاة  
قال : لعن الله الشيطان ما حسبتها إلا معزفاً ، فنهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق وكيف تكون  
مقلاة من حشب؟ هذا محال. فقال له : يا قاضي إني أطليها بالقار ، فلا تؤثر فيها النار. قال : صدقت ، ثم  
انصرف عنه.

وُلِّي رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحى به ولا ما  
ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له : لا تغتم ، فإن عندي ديكاً جليلاً قد سمته ، فإذا كان عيد  
الأضحى ذبحناه. فلما كان يوم الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه  
وفشا الخبر في الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقوا للقاضي ، ورثوا لقلّة ذات يده ، فأهدى إليه كلّ واحد  
منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة ، وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما  
فيه من الأضاحي قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهدى إلينا فلان وفلان - حتى سمّت جماعتهم - ما  
ترى. قال : ويحك احتفظي بديكنا هذا فما فدى إسحاق بن إبراهيم إلا بكبش واحد ، وقد فدى ديكنا  
بهذا العدد.

## باب الملح وما به النفس ترتاح

### من مباح المزاح

قال الأصمعيّ : وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح.  
قال عبد الرحمن بن أبي الزناد : قلت لأشعب : أنت شيخ كبير ، فهل رويت شيئاً من الحديث ؟ قال :  
بلى! حدثني عكرمة عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : خصلتان من حافظ  
عليهما دخل الجنة. قلت : وما هما ؟ قال : نسيت أنا واحدة ، ونسى عكرمه الأخرى.  
كان أشعب الطّمع كثير الإمام بسالم بن عبد الله بن عمر ، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، فمنعه  
البواب من الدخول عليه من أجل عياله ، وقال : إنهم يأكلون. فمال عن الباب ، وتسوّر عليهم الحائط ،

فلما رآه سالم ، قال : سبحان الله يا أشعب! على عيالي وبناتي تتسور. فقال له "لقد علمت مالنا في بناتك من حقّ ، وإنك لتعلم ما نريد". فقال له : انزل يأتك من الطعام ما تريد. أخذ قومٌ في قطع ، فقدّموا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحدٌ ، وقال : الله الله فيّ ، فوالله ما كنت في شيءٍ مما كانوا فيه ، وإنما كنت أشرب معهم وأغتنى لهم ، فقالوا : هات فغنّ لنا ، فارتجت عليه الأشعار إلا قول الشاعر :

### عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدى

فقالوا : صدق. اضربوا عنقه.

كان بعض أمراء خراسان يتشاءم بالحول ، فمتى رأى أحول ضربه بالسيّاط ، وربما ضرب بعضهم خمسة سوط ، وحدث أنه ركب في بعض الأيام ، فرأى أحول فأمر بضربه ، وكان الأحول جلدًا ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأمير! أصلحك الله ، لم ضربتني ؟ قال : لأني أتشاءم بالحول. قال : فأينا أشدّ شؤماً على صاحبه ، أنت رأيتني ولم يصبك إلا خير ، وأنا رأيتك فضربتني خمسة سوط ، فأنت إذا أشدّ شؤماً. فاستحيا منه ولم يضرب بعده أحداً.

كانت في سعيد بن فروخ بن القطان ، والديجي سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تمياً للصلاة ، فلقى رجلاً من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخرجوا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن. ورجع إلى منزله.

كان إسماعيل بن يسار الشاعر قد خفّ على عروة بن الزبير حتى زامله مرّةً بعض أسفاره ، فقال ليلةً في سفره ذلك لغلامه : انظر هل اعتدل المحمل ؟ فقال الغلام : ما هو إلا معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فمحك عروة.

قال الأصمعيّ : قدم تاجرٌ من أهل الكوفوفة المدينة بأحمزة فباعها كلها إلا السّود منها ، فلم تنفق ، وكان صديقاً للدراميّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدراميّ تنسك ، وترك الشعر والغناء. فقال له : لا تهتمّ بذلك فإني سأنفقها لك حتى تتبع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبّد

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى عرضت له بباب المسجد

ردى عليه صيامه وصلاته لا تقلبه بحقّ دين محمّد

فشاع قول الدراميّ هذا في الناس : وقالوا : رجع الدراميّ عن نسكه ، وعاد إلى فتكه ، فلم يبق في المدينة امرأةً ظريفةً إلا ابتاعت خمراً أسود حتى نفذ ما كان منها مع العراقي ، فلما علم الدراميّ ذلك ،



رجع إلى نسكه ولزم المسجد. والدراميّ هذا أصله مكّيّ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بني العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن علي وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك ، وهو القائل :

ولما رأيتك أوليتي ال  
فبيح وباعدت عني الجميلا  
تركت وصالك في جانب  
وصادفت في الناس خلاً بديلا

طويس الذي تضرب به العرب المثل في الشؤم ، هو رجلٌ من أهل المدينة مولى لبني مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وهو أول من أظهر الخنا والجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب الدف ، وسئل عن والده ، فقال : ولده ، فقال ، ولدت يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات أبو بكر ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي يوم قتل علي بن أبي طالب فيقولون في أمثالهم السائرة. أشأم من طويس.

كان الشّعبي يوماً جالساً في مجلسه ، والناس يتناظرون في الفقه عنده ، معه شيخ يطيل السكوت ، فقيل له يوماً : لو سألت عن مسألة تنتفع بها ، فقال : إني لأجد في قفاي حكمة ، أفترى لي أن أحتجم؟ فقال الشّعبي : الحمد لله الذي صرنا من الفقه إلى الحمامة.

مر بالشّعبي يوماً رجل يقود حماراً ، فقال له : ما اسمك؟ قال : وردان. قال : وما اسم حمارك؟ قال : عمران. قال الشّعبي : واخلافاه!! مر رجل معه كلب بابن أبي عتيق ، فقال له : ما اسمك؟ قال : وثأب.

قال : وما اسم كلبك؟ قال : عمرو. فقال ابن أبي عتيق : واخلافاه ، وأنشد :

ولو هيا له الله  
لسمي نفسه عمراً  
من التوفيق أسبابا  
وسمي الكلب وثأباً

أنشد رجل زبّان السوّاق ، قول إسماعيل بن يسار :

ما ضرّ أهلك لو تطوّف عاشقاً  
بفناء بيتك أو ألمّ فسلسها

فبكى زبّان ، وقال : لاشئ والله ، إلا الضّجر وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل يبكي ويمسح عينيه. قيل لمدني : أما تتقى الله ، تؤذي جيرانك؟! قال : فمن أودى إذا؟ أودى من لا أعرفه؟! كان الفرزدق جالساً في حلقة الحسن رحمه الله ، فقال رجل : يا أبا سعيد! ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلانٌ طلقت امرأتى ، وأعتقت عبدي ، وفعلت وفعلت ولا تية له في ذلك. فقال الفرزدق : يا أبا سعيد : قد

قلت أنا في ذلك. فقال :وما قلت يا أبا فراس ؟فليس كل قول يؤخذ به.  
قال :قلت :

**ولست بمأخوذٍ بشئٍ تقوله** **إذا لم تعمد عاقدات العزائم**

قال الحسن :صدق أبو فراس ،القول ما قال .

اعترض الإسكندر جيشه يوماً ،فرأى فيهم رجلاً أعرج ،فأمر بإسقاطه ،فضحك الأعرج .فقال له الإسكندر :مم ضحكك ؟وقد أسقطتك .فقال :تعجبا منك لحبك آلة الهروب ،وكرهتك آلة الوقوف ،لأن معي آلة الوقوف في الحرب وتسقطني ،فأمر بإثباته في خاصته ،وأسنى رزقه .  
سمع ابن أبي عتيق يوماً نصيباً الشاعر ،وكان أسود ،ينشد لنفسه :

**وددت ولم أخلق من الطير أنني** **أعار جناحي طائر فأطي**

فقال له ابن أبي عتيق :يا ابن أخي !قل :غاق تطر .شبهه بالغراب لشدة سواده .هاج بأبي علقمة الأعرابيّ الدّم ،فأتوه بحجّام ،قال له :يا حجّام !اشدد قصبه المزم ،وأرهف ظبة المشروط ، وأسرع الوضع ، وأسرع الوضع ، وعجل التزع ، وليكن شرطك وخزاً ، ومصّك نهماً . فقام الحجّام ناهضاً ، وقال : انتظر حتى يأتيك ابن القرية فيحجمك .

قال الهيثم بن عديّ : كنت يوماً بكناسة الكوفة إذ أنا برجل قد وقف على نحاس الدّواب ، فقال له : اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، إن خلا الطريق تدفق ، وإن كثر الزحام ترفق ، لا يصادم في السّواري ، ولا يدخل تحت البواري ، إن أقللت علفه صبر ، وإن أكثرته له شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيري نام . فقال له النحاس : اصبر يا عبد الله ، فإذا مسخ القاضي حماراً ، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى .

خطب أبو القظوف إلى قوم وليّة لهم ، فأجابوه ، وقالوا لها من الضياع والمال كذا وكذا ، فما مالك أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإن مالها يكفيني وإياها ما عشنا ، فما سؤالكم عن مالي ؟! وقال عبد الملك بن عبد الحميد الحارثي :

**يا أخت كندة عافي شرب عثمان**

**يا أخت كنده سيرى سير ساخطة**

**يا أخت كنده ليس الرزق في يده**

**الماء في دار عثمان له ثمن**

**وأزعمى لبني عوف بهجران**

**كي تنتوي غضبي وغضبان**

**الرزق قي يد من لو شاء أغناني**

**والخبز فيها له شأن من الشان**

عثمان يعلم أنّ الحمد ذو ثمن  
والناس أكيس من أن يمدحوا أحداً  
اغسل يديك بأشنانٍ وأنقهما  
واسلح على كلّ عثمان مررت به  
وقال الليث الحجام :

حلقت بموسي الهجر ناصية الصّدّ  
قصصت بمقراض القلا حجة الوفا  
وشعر سبال الوصل صرت منتفاً  
وما زلت مصاصاً بغير إساءة  
وأخريت مشط الصّدّ في طرّة الودّ  
فجبهة رأس الودّ مكشوفة الجلد  
ظلوماً بمنقاش القطيعة والصّدّ  
بمحجمة الخلف القبيح دم الودع

وذكروا أن إبليس قال : ماذا ألقى من أصحاب البلغم ؟ ينسون ويلعنوني.  
قال حسين المعروف بالجمل الشاعر : كان أحمد بن المدير بدمشق يقصده الشعراء فمن مدحه بشعر جيد  
أثابه ، ومن مدحه بشعر رديء وكل به من يجمله إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة. قال  
فدخلت عليه ، فقلت :

أردنا في أبي حسن مديحاً  
فقالوا يقبل المدحات لكن  
فقلت لهم : وما يغني عيالي  
ليأمر لي بكسر الصاد منها  
قال ، فقال لي : أخذت هذا من قول أبي تمام :

هن الحمام فإن كسرت عيافة  
من حائهن فإنهن حمام

قال الرياشي : خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال رمضان ، فرآه رجل منهم ، ولم يزل يومئذ إليه حتى رآه  
غيره وعاینوه ، فلما كان هلال الفطر ، جاء الجار إلى ذلك الرجل ، فمدق عليه الباب ، وقال له : تعال  
أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

## باب المزاح إباحة وكراهة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً.  
قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلا حقاً.  
قال غالب القطان : أتيت محمد بن سيرين ، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لي : توفي  
البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون. فضحك وقال : " الله يتوفى الأنفس حين موتها ،  
والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " .  
جاءت امرأة إلى الحسن ، فقالت : إني نذرت أن أهدي البصرة إلى مكة ، فقال : ويحك إن أهل البصرة لا  
يدعونك تهدى بصرتهم ، ولو تركوك ما قدرت ، كفرني عن يمينك.  
وفي الحديث المأثور : " أن عيسى عليه السلام كان يبكي ويضحك ، وكان يحيى عليه السلام يبكي ولا  
يضحك ، فكان خيرهما المسيح عليه السلام " .  
قال خليفة بن زيد : كان خليفة الأقطع مزاحاً ، وكان يقف على أيوب السخيتاني فيمازحه.  
قال حماد : وجاء خليفة الأقطع يوماً إلى أيوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى استحدث  
هذا ؟ يعني متى طلب هذا الحديث.

وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم العلوي ، قال : قال لي الحسن : خلّ بين الناس وبين هلالهم  
حتى يراه معك غيرك.  
وكان شعبة يقول : سالم العلوي يرى الهلال قبل الناس بليلتين.  
قال الخليل بن أحمد : الناس في سجن ما لم بمازحوا.  
مزح الشعبي يوماً ، فقيل له : يا أبا عمرو أفتمزح ؟ قال : إن لم يكن هذا متنا من الغم ، داخل ، وهواء  
خارج.  
كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب  
إليك من ذلك.  
أتت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثل :

**لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً**      **ولو رضيت زب استه لاستقرت**

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد  
، فتمثل :

**نبئت أن فتاة كنت أخطبها**      **عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول**

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحاً لصلاته.  
 وقال شعبة: أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مرة بيت شعر غزل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم.  
 وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميمة العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراس ،  
 واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء.  
 كان يقال : لكل شئ بدء ، وبدء العداوة المزاح.  
 كان يقال : لو كان المزاح فحلاً ، ما ألقح إلا الشر.  
 قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدينئ فيجتري عليك.  
 قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فأخره الشتم واللطام.  
 قال جعفر بن محمد : إياكم والمزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه.  
 كان خالد صفوان يكره المزاح ، ويقول : يسعط أحدهم أخاه بأحر من الخردل ويضحكه بأصلب من  
 الجنديل ، ويفرغ عليه أشد من إلى الرجل ، ويقول : مازحته.  
 قال إبراهيم ال نخعي : لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر.  
 قال أبو هفان :

وتوق منه في المزاح جماحاً

مازح صديقك ما أحب مزاحاً

كانت لباب عداوة مفتاحاً

فلربما مزح الصديق بمزحة

وقال ابن وكيع :

مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب

لا تمزحنَّ فإن مزحت فلا يكن

إن المزاح على مقدمة الغضب

واحذر ممازحةً تعود عداوةً

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

لسانه عن جراح

لي صاحب ليس يخلو

على سبيل المزاح

يجيد تمزيق عرضي

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه "

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر ضحكته استخف به وذهب بماؤه.

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشي في غير أرب ، والضحك من غير سبب.

قال قتيبة بن مسلم لبنيه : لا تمازحوا فيستخف بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترق أخلافكم ، ولا تبخلوا

فيزدريكم أكفاؤكم.

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الكبر ذل والتواضع رفعة  
والمزح والضحك الكثير سقوط  
والحرص ذل والقناعة عزة  
وقال آخر :

فإياك إياك المزاح فإنه  
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه  
يجرى عليك الطفل والدنس النذلا  
ويورثه من بعد عزته ذلاً  
وقال آخر :

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه  
وأحسن الصدق عند الله والناس  
وقال آخر :

للجد ما خلق الإنسان فالتمسن  
لا يلبث الهزل أن يجنى لصاحبه  
بالجدّ حظك لا بالهزل واللعب  
زما ، ويذهب عنه بهجة الأدب  
واهرب بعرضك منهم أو شك الهرب  
لا خير في الهزل فاتركه لقاتله  
وقال محمود الوراق :

تلقى الفتى يلقي أخاه وخذنه  
ويقول كنت مماًزحاً وملاًعباً  
في لحن منطقته بما لا يغفر  
هيهات نارك في الحشا تتسعر  
ألهيتنا وطفقت تضحك لاهياً  
عما به وفؤاده يتقطر  
أو ما علمت ومثل جهلك غالب  
أن المزاح هو السباب الأكبر

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلاً من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لا تكثرن من الفكاهة  
ودع الغريب من الكلام  
هة في حديثك والدعابه  
م لأهله عند الخطابه  
أغفلته دون الإصابه  
وإذا أصبت فكل ما

وقد أكثر أهل الأدب في المزاح من النظم ، وخلق ابن وكيع أكثر ذلك ، ورأيت الأقتصار فيه على الأختصار أولى من الإكثار. كان المأمون يعجبه القائل :

## باب مدح الصدق والأمانه ذم الكذب والخيانه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن إذا حدث صدق ، وإذ وعد أنجز ، وإذا أوّمن وفى ، والمنافق إذا حدث كذب ، وإذا واعد أخلف ، وإذا أوّمن خان " .  
وقال صلى الله عليه وسلم : " لاتزال أمّتي بخير ما اتخذوا الأمانه مغناً والصدق مغرمًا قالت عائشة رضی الله عنها ، قالت : يارسول الله بم يعرف المؤمن ؟ قال " بوقاره ولين كلامه ، وصدق حديثه " وقال صلى الله عليه وسلم : " أد الأمانه إلى من أئتمنك ، ولاتخن من خانك " وقال سعد : كلا لخصال يطبع عليها المؤمن ، إلا الخيانه والكذب .

وقال علي بن أبي طالب رضی الله عنه : من كانت له عند الناس ثلاثة وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حدثهم صدقهم ، وإذا اتتمنوه لم يخنهم ، وإذا وعدهم وفى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم ، وتنطق بالثناء عليهم ألسنتهم ، وتظهر له معونتهم .

قيل للقيمان الحكيم : ألسنت عبد بن فلان ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك ما نرى ؟ قال : تقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانه وترك ما لا يعينى .

قال نافع : طاف ابن عمر سبعاً ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت فقال ابن عمر : أنتم أكثر منا طوافاً وصياماً ، نحن نلتزم صدق الحديث ، وأداء الأمانه ، وإنجاز الوعد .

قتل محمود الوراق : اصدق حديثك إن في الصدق الخلاص من الدنس

خير من الكذب ، الخرس

ودع الكذب لشأنه

وقال منصور الفقيه :

دان امرؤ فاجعله ديناً

الصدق أولى ما به

ت منافقا إلا أهينا

ودع النفاق فما رأي

وله أيضاً :

فالشكر أيسر حقه

الحمد لله شكراً

عدو من أجل صدقه

أمسى الصدوق كثير ال

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كل ذو مكاذبه  
أمسى التصادق لايسقى به الماء

قال الحسن البصري: لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، و لا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه.  
كان يقال :كفى بالمرء خيانه أن يكون أميناً للخونه قال الشاعر :

إن الأمير إذا استعان بخائن  
كان الأمير شريكه المأثم

قال الفارابي :كنت على الأوزعى إذ جاءه رجل فقال :يا ابا عمرو هذا كتاب صديقك فلان من بلاد كذا ،وهو يقرأ عليك السلام. فقال له : متى قدمت ؟ قال أمس.قال :ضيعت أمانتك لا كثر الله في المسلمين أمثالك.  
قال الشاعر :

إذا أنت حملت الخئون أمانة  
فإنك قد أسندتها شر مسند

وقال محمود الورق :

تصنع كي يقال له أمين  
وما معني التصنع للأمانه

ولم يرد الإله به ولكن  
أراد به الطريق إلى الخيانة

وقال آخر :

هو الذئب أو للذئب أوفى أمانة  
وما منهما إلا أذل خئون

أستراح رجل إلى جليس له في السلطان ،فرفع ذلك عليه ،فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ،أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل ترضى به ؟ قال : نعم.  
فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى. أنت قلت ذلك لي ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إمّا ائمتك خالياً  
فخنت وإمّا قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي قلت بيننا  
بمنزلة بين الخيانة والإثم

أنشدني على بن إسماعيل لنفسه :

لا يرى إلا لدينا  
طالباً فيها ديانه

وإذا قيل أمين  
قد تحلى بالأمانه

وقع التحصيل منه  
بين غدر وخيانه

وقال آخر :



لا يخون الأمين شيئاً ولكن

ربّما تحسب الخؤون أمينا

وقال آخر :

ألا ربّ من تعتده لك ناصحاً

ومؤتمناً بالغيب غير أمين

وقال أبو يعقوب الخريمي :

يا للرجال لقومٍ قد بلوتهم

أرى جوارهم إحدى البليات

ماذا تظنّ بقومٍ خبيرٍ كسبهم

مصرّح السّحت سمّوه الامانات

وفي الحديث المرفوع : " الصدق يهدي إلى البرّ ، والبرّ يهدي إلى الجنّة ، والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى التّار " .

يقال : صدق وبرّ ، وكذب وفجر .

قال بعض الحكماء : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .

وقال محمود الوراق :

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يكن

لدي النّاس ذا صدقٍ وإن كان صادقا

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه

وتلقاه ذا حفظٍ إذا كان حاذقاً

وقال آخر :

لا يكذب المرء إلا من مهانته

أو عادة السّوء أو من قلّة الأدب

قال بعضهم : ما أراي أوجر في ترك الكذب . قيل له : ولم ؟ قال : لأني أدعه اتقاء .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لأ كذبن كذبه يتحدث بها الوليد ، قال الرجل : فما

رجعت إلى منزلي حتّى ظننت أنّها حق لكثرة ما رأيت الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

ومن دعا النّاس إلى دمه

ذمّوه بالحقّ وبالباطل

مقالة السّوء إلى أهلها

أسرع من منحدرٍ سائل

قال لقمان لابنه : يا بني! احذر الكذب فإنّه شهى كلحم العصفور ، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعي : قيل لكذاب : ما يملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تغرغرت به مرة ما نسيت

حلاوته.

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق.

قال جميل العذري :

لحا الله من لا ينفع الودّ عنده

ومن حبله إن مد غير متين

ومن هو ذو لو نين ليس بدائم

على خلق خوآن كلّ أمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك " .

## باب الحق والباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحق ثقيلٌ ، فمن قصر عنه عجز ، ومن جاوزه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى " . ويروي هذا مجاشع بن نمشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يبطل حق امرئ وإن قدم " .

وقال عليه السلام : " رحم الله عمر بن الخطاب ، تركه الحق ليس له صديق " .

لما استخلف أبو بكر عمر ، قال لمعيقب الدوسى : ما يقول الناس في استخلافك عمر ؟ قال : كرهه قومٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رضوه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحق يبدو كريها وله تكون العاقبة ، والعاقبة للتقوى .

قالوا : من قصد إلى الحق اتسمت له المذاهب حجة ، ومن تعداه ضاق به أمره ، وما هلك امرؤ عرف قدره .

قالوا : الحكمة تدعو إلى الحق ، والجهل يدعو إلى السّفه ، كما أنّ الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح ، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد .

قال بعض الحكماء : من جهلك بالحق والباطل ، أن تريد إقامة الباطل بإبطال الحق .

قال الأعرابي ، وقد ذكر عنده الإصلاح والإفساد ، فقال : لاتمنع كثيراً من حق ، ولا تضعن قليلاً في الباطل ، فما حرك حقّ وباطل إلا كان لهما شهود . قال بعض الحكماء : لها يعيد الرجل عاقلاً ، حتى يستكمل ثلاثاً : إعطاء الحق من نفسه في حال الرضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألا ترى له زلة عند ضجره . وقد تقدّم قول أبي العتاهية في باب الرجاء والخوف :

ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه

ولأبي العتاهية أيضاً :

لما احتضر أبو بكر الصديق ، أرسل إلى عمر ، فقال : يا عمر! إن وليت على الناس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان وضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً ، واعلم أن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة ، وأن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا كوثم قلت : إني الخائف ألا ألقى بهم ، وأن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم أحسنها ، فإذا ذكركم ، قلت : إني الخائف أن أكون مع هؤلاء ، وأن الله عز وجل ذكر آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله فإن أنت حفظت وصييتي ، فلا يكوننّ غائباً أحب إليك من الموت وهو أيتك ، وإن ضيقت وصييتي فلا يكوننّ غائباً أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه .

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية : أن الزم الحق ، يترك الحق في منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى إلا بالحق ، أول كتاب كتبه علي بن أبي طالب في خلافته : أما بعد ، فإنما هلك من كان قبلكم ، أنهم منعوا الحق حتى اشترى ، وبسطوا الباطل حتى اقتدى .

وقال علي بن أبي طالب لرجل من الخوارج : والله ما عرفت حتى ظهر الباطل قال وبرة المكي : سمعت عن ابن عباس كلمات لهي أحب إلى من الذهب الموقفة ، قال : لا تتكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً ، فرب متكلم بالحق في غير موضعه قد غيب ، لا تمارين سفيهاً ولا حليماً ، فإن السفسه يؤذيك ، والحلم يقلبك ، ولا تذكرن أحاك إذا غاب عنك إلا بمثل ما تحب أن ذكرك به إذا غبت عنه ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزئ بالإحسان ، ومأخوذ بالأجرام ، فقال : رجل عنده : يا ابن عباس! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من عشرة آلاف .

قال ابن مسعود : من كان على الحق ، فهو جماعة وإن كان وحده .

قال غيره : الحق ثقيل ، وطلابه قليل .

وقال غيره : الحق كثير ، والقائلون به يسير .

وقال غيره : الأحمق يغضب من الحق ، والعاقل يغضب من الباطل وكان يقال : من هلك في دولة الباطل ، أكثر ممن حيى بالباطل .

قال أنو شروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط.  
قال عبد الله بن مسعود : تكلموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله.  
قال أبو العتاهية :

### وللحق برهانٌ وللموت فكرةٌ ومعتبرٌ للعالمين قديم

قال مالك ابن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض.  
وقال : إن لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة.  
قال سعد بن أبي وقاص لسلمان : أوصني. قال : أحلص الحق يخلصك. وأظن هذا من قول القائل : أعزّ الحق يذلّ لك الباطل.  
كان يقال : من لم يعمل من الحق إلا بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل.  
قال العتايي :

### وما كلّ موصوف له الحق يهندي ولا كلّ من أمّ الصوى يستبينها

الصوى : جمع صوّة ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق.  
قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق وقال بعض الحكماء : المنعة نفور ، ولقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها ، فاستدع شاردها بالتوبة ، واستدم والرائهن منها بكرم الجوار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحق عن نفسه ، وصدقك عن أمره.  
قال منصور الفقيه : إن بين الحق والباطل فرقا لا يجيل

و على نيّة ذي القو	ل من القول دليل
فقل الحق وإن قي	ل لك الحق ثقيل
فاتق الله إذا	شورت وانظر ما تقول
لا يضرنك إن قا	ل من الناس جهول
إن قول المرء فيما	لم يسئل عنه فضول

وقال الصلتان العبدى : وللحق بين الناس راضٍ وجازع=ولالأذنان فيه للرّعوس توابع

### وليس الذنابي كالقداامي وريشه وما تستوي في الرّاحتين الأصابع

روى عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم :  
"أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد : ألا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطل " قالوا : أصدق بيت قالته العرب

، قول القائل : وما حملت من ناقةٍ فوق ظهرها=أبرّ وأوفى ذمّةً من محمّد قال الحاتمي : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيس بن عانس لا ابن حجر .  
الله أبحح ما طلبت به=والبرّ خير حقيبة الرّحل وأنشد ثعلب :

**وإنّ أشعر بيت أنت قائله** **بيت يقال إذا أنشدته صدقا**

قال جعفر بن محمد : ما ناصح الله عبداً مسلم في نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى الحق منها ، إلا أعطي خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضى من الله عنه .  
كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

**ترحلّ ما ليس بالقافل** **وأعقب ما ليس بالآفل**  
**فلهفي على السلف الراحل** **ولهفي من الخلف النازل**  
**أبكى على ذا وأبكى لذا** **بكاء المولّهة الثاكل**  
**تبكى على ابن لها قاطع** **وتبكي على ابن لها واصل**  
**تقضت غوايات سكر الصبا** **وردت التقى عنت الباطل**

بسم الله الرحمن الرحيم

## باب الحياء والوقار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكلّ دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء " .  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الحياء خيرٌ كلّّه " .  
وقال صلى الله عليه وسلم : " المؤمن حيّ كريمة ، الفاجر خبّ لثيم " .  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يحب الحيّ الحليم المتعفّف ، ويبغض الفاحش البذيئ السائل الملحف " .

قال سليمان عليه السلام : الحياء نظام الإيمان ، فإذا نحل النظام ذهب ما فيه .

وفي التفسير : " ولباس التقوى " . قالوا : الحياء .

وقالوا : الوقار من الله ، فمن رزقه الله الوقار فقد وسمه بسيماء الخير .

وقالوا : من تكلم بالحكمة لا حظته العيون بالوقار .

قال الحسن : أربع من كنّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، عقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .  
قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .  
وقالت عائشة أيضاً : رأس مكارم الأخلاق الحياء .  
قال الشاعر :

ما إن دعاني الهوى تفاحشةً

ولا إلى محرم مددت يدي

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : " إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت " .  
وقال حبيب بن أوس :

إذا لم تخش عاقبة الليالي

فلا والله ما في العيش خيرٌ

يعيش المرء ما استحيا بخير

وقال أبو دلف العجلي :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالفاً

وقال صالح بن جناح :

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه

ولا خير في وجه إذا قلّ ماؤه

وقال آخر :

إذا رزق الفتى وجهها وقاحا

ورب دينة ما حال بيني

وقال الحزین بن عبد الله اللّیثی ، وتنسب إلى الفرزدق :

يغضى حياءً ويغضى من مهابته

فلا يكلم إلا حين يبتسم

وقال آخر :

كريمٌ يغضّ الطرف فضل حيائه

وكالسيف إن لا ينته لان متته

ويدنو وأطراف الرّماح دواني

وحده إن خاشنته خشان

وقالت ليلي الأخيبيّة :

وسط البيوت من الحياء سقيما

ومخرق عنه القميص تخاله

وقال أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان التيمي :

حياؤك إن شيمتك الحياء

أذكر حاجتي أم قد كفاني

عن الفعل الجميل ولا مساء

كريم لا يغيره صباح

كفاه من تعرضه الثناء

إذا أتى عليك المرء يوماً

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثوبه ، خفي عن الناس عيبه .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سعيد ، حدثنا ابن الأعرابي ، حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا يحيى بن معين ، قال ابن كناسة :

لاقيت أهل الوفاء والكرم

في أقباض وحشمة فإذا

وقلت ما قلت غير محتشم

أرسلت نفسي على سجيتها

### باب حسن الخلق وسوئه

قال رسول الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " .

قال معاذ بن جبل : آخر ما أَرْضاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت رجلى في الغرز أن

قال : " حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أثقل شئ في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن " قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : " حسن الخلق يمن ، وسوء الخلق شؤم " .

قال كعب الأحمري : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالنهار ، الظامئ

بالهواجر .

وفي الخبر المرفوع أيضاً : " من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه " .

مكتوب في الحكمة ، الرفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق ، والوحدة خير من جليس السوء ،

والجليس الصالح خير من الوحدة .

كان يقال : من ساء خلقه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يا بني عبد المطلب ! إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ،

فليسعهم منكم حسن الخلق ، والقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر " .

قال أبو الدراء : إنا لنكثر في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم .  
روى في قول الله تبارك وتعالى : " وثيابك فطهر " ، قالوا : وخلقك فحسّن .  
قال سفيان بن عيينة : من حسن خلقه ساء خلق خادمه .  
كان يقال : حسن الخلق يكسب حسن الذكر .  
قال أبو العتاهية :

والق من تلقى ببشر رفيق  
وإذا أنت كثير الصديق

عامل الناس بوجه طليق  
فإذا أنت جميل الثنا

وقال محمد بن حازم :

بمثل البشر والوجه الطليق

وما اكتسب المحامد طالبوها

وقال آخر :

لاتكن كلباً على الناس يهراً

خالق الناس بخلق حسن

وقال آخر هو المغيرة بن حبياء :

ولكن أخلاقاً تدمّ وتمدح

وما حسنٌ أن يمدح المرء نفسه

وقال ابن وكيع :

س وعاشر بأحسن الإنصاف

لاق بالبشر من لقيت من الننا

تستدم ودهم بترك الخلاف

لا تخالف وإن أتوا بخلاف

مسرعاً عنهم إلى الإنصاف

وإذا خفت فرط غيظك فانهض

ماله غير أن تداويه شافي

إنما الناس إن تأملت داءً

وقال آخر :

ودُّ فيزرعه التسليم واللفظ

قد يمكث الناس دهوراً ليس بينهم

وقال العتّابي يذم رجلاً :

مترأةً من كل خلق يذيمها

فكم نعمةً آتاها الله جزلة

تعاورنها حتى تقرى أديمها

فسلطت أخلاقاً عليها دميمةً

بلغت بأدنى نعمةٍ تستديمها

وكنت امرءاً لو شئت أن تبلغ المدى

من الصخرة الصماء حين ترومها

ولكن فطام النفس أثقل محملاً



## باب مكارم الأخلاق والسؤدد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " . ويروى " محاسن الأخلاق " .  
أخذه أبو العتاهية فقال

ليس ديناً بغير دين وليس الد  
بين إلا مكارم الأخلاق  
إنما المكر والخديعة في النا  
س هما من فروع أهل النفاق  
ولإبراهيم بن المهديّ :

لا خير في الدنيا بلا دين ولا  
في المال إلا منه فيما يبذل  
فأصب وأتلف واستفد وأفد وعش  
فيما اشتهدت مما يحلّ ويجمل  
وقال آخر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه  
ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل  
وقال آخر :

تزين الفتى أخلاقه وتشينه  
وتذكر أفعال الفتى حيث لا يدري

خطب ثلاثة إخوة من العرب إلى عمّهم ثلاث بنات له ، فقال : مرحباً بكم ، لا أذم عهدكم ، ولا  
أستطيع ردّكم ، خبروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر : الصّون العرض ، والجزاء بالقرض . قال  
الأوسط : النهوض بالثقل ، والأخذ بالفضل . قال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد . قال :  
أحسنتم في الجواب ، ووقفتم إلى الصواب .

وقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله يحبّ معالي الأخلاق وأشرفها ، ويكره سفاسفها " قال الحسن :  
مكارم الأخلاق للمؤمن : قوة في لين ، وحزم في دين ، وإيمان في يقين ، وحرص على العالم ، واقتصاد  
في النفقة ، وبدل في السّعة ، وقناعة في الفاقة ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حقّ ، وبرّ في استقامة .  
قالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشر ، تكون في الرّجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد  
تكون في العبد ولا تكون في سيّده ، يقسمها الله لمن أحبّ : صدق الحديث ، ومداراة الناس ، وصلة  
الرحم ، وحفظ الأمانة ، والتذمّم للجار ، وإعطاء السّئل ، والمكافأة بالصّنائع ، وقرى الضّيف ، والوفاء  
بالعهد ، ورأسهنّ كلهنّ الحياء .

قيل لبزر جمهر : أي شيء أنت به أسرّ ؟ قال : قدرتي على مكافأة من أحسن إلى .

قال مصقلة بن هبيرة الشّيباني : سمعت صعصعة بن صوحان ، وقد سأله ابن عباس ما السؤدد فيكم

؟ قال :إطعام الطعام ،ولين الكلام ،وبذل التّوال ،وكفّ المرء نفسه عن السؤال ،والتودّد للصّغير والكبير ،وأن يكون التّاس عندك في الحقّ شرعا .

سئل عبد الله بن عمر عن السّودد ،فقال :الحلم والجود .

كان يقال :خير أيام المرء ما أغات فيه المضطر ،واكتسب فيه الأجر ،وارتغن فيه الشكر ،واسترقّ فيه الحرّ .

قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه :إنّما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ،ولكني أبسط لكم وجهي ،وأبذل لكم مالي ،وأفضى حقوقكم ،وأحفظ حرمتكم ،فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ،ومن زاد عليّ فهو خير مني ،ومن زدت عليه فأنا خير منه .قيل له :يا أبا محمد !ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟قال :أحضّنتهم على مكارم الأخلاق .

وقال عبد الله بن عمر :نحن معشر قريش نعدّ الحلم والجود الوؤد ،ونعدّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بني شيبان :إن السّودد فيكم لرخص .

فقال له :أمّا نحن فما نسّود إلا فتى يوطئنا رحله ،ويفرشنا عرضه ،وببذل لنا ماله .

قال :أشهد أن السّودود فيكم لغال .

قيل لبعض العرب :من السيد فيكم ؟قال :الأحمق في ماله ،الذليل في عرضه ،المطّرح لحقده ،المعتنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ،أنه سئل :من أسود الناس فيكم ؟فقال :الأخرق في ماله ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء :كان أهل الجاهلية لا يسودّون إلاّ من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابة :السّخاء والنجدة ،والصّبر والحلم ،البيان والحسب .وفي الإسلام زيادة العفاف .

ذكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ومعاوية .فقال :كان معاوية أسود منهم ،وكانوا خيراً منه .

روى عن النّبي صليّ الله عليه وسلّم أنه قال : " من رزقه الله مالاً فبذل معروفه وكفّ أذاه ،فذلك السّيد " .

قال رسول الله صليّ الله عليه وسلّم للأَنْصار يوماً : " من سيّدكم ؟ " فقالوا :الجدّ بن قيس على بخل فيه .فقال عليه السّلام : " أيّ داءٍ أدوأ من البخل ؟! بل سيّدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح " .فقال شاعرهم في ذلك :

لمن قال منا من تسمون سيّدا

وقال رسول الله والحقّ قوله

نبحلّه فيها وإن كان أسودا  
ولا مدّ في يوم إلى سوءة يدا  
وحق لعمر بالندی أن يسودا

فقالوا له الجدّ بن قيس على التي  
فتى ما تخطى خطوةً لدنية  
فسودّ عمر بن الجموح بجوده

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .  
كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ، فأتى به سالم ،  
فقال له : ما أمنك من انتقامي ؟ قال : فلم سؤدناك إذا ؟ إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل  
المكروه . وفي سالم هذا يقول الشاعر :

بل السيّد المعلوم سلم بن نوفل

نسود أقواماً وليسوا بسارة

أنشد ابن عائشة :

حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام  
لا عفو ذلّ ولكن عفو أحلام  
في النائبات بإسراج وإلجام  
كأن أسيافهم أغرين بالهام

لا يبلغ المجد أقواماً وإن كرموا  
ويشتموا فترى الألوان مسفرة  
وإن دعا الجار لبوا عند دعوته  
مستلثمين ، لهم عند الوغى زجل

قال الأصمعي : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع ألف ليس فيهم حليم .  
كان يقال : ثلاثة لا يتتصفون من ثلاثة حليم من سفيه ، وبر من فاجر ، وشريف من دنيء .  
قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال ، إن كان فوقي عرفت  
له قدره ، وإن كان دوبي أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود  
الوراق فقال :

وإن كثرت منه علىّ الجرائم  
شريفٌ ومثلي مقاوم  
وألزم فيه الحقّ والحقّ لازم  
مقالته نفسي وإن لام لائم  
تفضلت إن الفضل للحرّ حاكم

سألزم نفسي الصفح عن كلّ مذنب  
وما الناس إلا واحد من ثلاثة  
فأما الذي فوقي فأعرف فضله  
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن  
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا

وقال آخر :

تذكرني النفس قلبي يصدّع

لقد أسمع القول الذي كاد كلّما

فأبدي لمن أبداه مني بشاشة

كأنني مسرورٌ بما منه أسمع

وما ذاك من عجبٍ به غير أنني

أرى أن ترك الشرّ للشرّ أقطع

قال الحسن البصريّ : ما سمعت الله عزّ وجلّ نحل عباده شيئاً أقلّ من الحلم ، فقال عزّ وجلّ : " إن إبراهيم لأواه حليمٌ " ، قال : " فبشرناه بسلام حليم " .  
قال العنابيّ :

إذا سرّني دهري قبلت وإن أبي

أبيت عليه أن أضيق له صدرًا

فكم من مسيءٍ قد لقيت ومحسن

فأوسعت ذا حلماً وأوسعت ذا شكراً

قال عمر بن أبي طالب رضی الله : إنّ السّفیه إذا عرضت عنه اغتمّ ، فزده إعراضاً .  
كان يقال : يحسن السّيرة يقهر المناوى ، وبالحلم عن السّفیه يكثر أنصارك عليه .  
قال الشاعر :

سكت عن السّفیه فظن أبي

عيبت وما عيبت عن الجواب

متاركة السّفیه بلا جواب

أشدّ على السّفیه من العذاب

ولا شئ أحبّ إلى سفيه

إذا وقع الكريم من السّباب

سبّ الشّعبيّ رجل ، فقال له : إن كنت كاذباً يغفر الله لك ، وإن كنت صادقاً يغفر الله لي .  
قال الشّعبيّ : الغضب غول الحلم .

قال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه ، فقال : آجرك الله على ما ذكرت من صواب ، وغفر لك على ما ذكرت من خطأ ، قال : فما حسدت أحداً حسدي عمرو بن عبيد على هاتين الكلمتين .

مرّ الشّعبيّ بقوم ينتقصونه ، فأنشد :

هنيئاً مريباً غير داءٍ مخامرٍ

لعزّة من أراضنا ما استحلت

قال النّابغة الجعديّ :

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له

بوادٍ تحمي صفوه أن يكذّرا

ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له

حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرًا

وقال آخر :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازع

وفي ترك أهواء الفؤاد المتيمّ

وأخلاق صدق علمها بالتعلم

بصائر يرشدن الفتى مستبينة

قيل للحصين بن المنذر: بم سدت قومك؟ قال: بحسب لا يطمع فيه، ورأى لا يستغنى عنه.  
وذكر السؤدد عند معاوية بن أبي سفيان، فقال: إنّه لينقل في اليّ كما ينتقل الظلّ.  
قال إياس بن قتادة:

دعاك إلى نار يفور سعيها

وإن من السادات من لو أطعته

قال: كان سفيان بن عيينة يتمثل:

ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

خلت الديار فسدت غير مسود

قال: قال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيّد قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنته لم تقله.  
قال الشاعر:

إلى سيّد لو يظفرون بسيد

وإنّ يقوم سودوك لفاقة

قيل للمهلب: ما السؤدد؟ قال: أن يركب الرجل في منزله وحده، ويرجع إلى منزله في جماعة.  
قيل لبعض العرب: ما علامة السيّد فيكم؟ قال: هو الذي إذا أقبل هبناه، وإذا أدبر عبناه، ويروى  
اغتنابه.

قال عبيد بن الأبرص:

أولى الرأى لم تركن إلى أمر مرشد

إذا أنت لم تعمل برأى ولم تطع

وتدفع عنها باللسان وباليد

ولم تجتنب ذمّ العشيرة كلّها

وتقمع عنها نخوة المتهدّد

وتحلم عن جهالها وتحوطها

بذي سؤدد باد ولا قرب سؤدد

فلست ولو عللت نفسك بالمنى

قال أنس بن مدرك:

لأمر ما يسود من يسود

عزمت على إقامة ذي صلاح

وقال أبو الحسن الموسوي:

يومي إليه السؤدد المولود

ما السؤدد المكسوب إلاّ دون ما

إن غولبا وتضعض الجلمود

فإذا هما اتفقا تكسرت القنا

كان يقال :خصلتان لا يسود صاحبهما :الاستطالة في الأقرباء ،والبطر في الأغنياء.  
قال المرّار بن سعيد :

**إذا شئت يوماً أن تسود قبيلة** **فبا لحلم سد لا بالسفاهة والشتم**

وقال بعض أهل العلم :لا سؤدد إلاّ بالبخت والجدّ والسعد ،وذلك أنا قد رأيناهم يقولون :الأفعال الحمودة والأخلاق الجميلة توجب السؤدد والرياسة ،والأفعال المذمومة والأخلاق الدنيّة تمنع من السؤود ،ثم رأينا قوماً سادوا بأخلاق لا تحمد ،وبأفعال لا ترضى ،فمن ذلك :أن الحمق يمنع من السؤود ،وقد ساد عيينة ابن حصن ،وكان محمّماً ،وساد أبو سفيان وكان بخيلاً ،والبخيل يمنع من السؤود ،وساد عامر بن الطفيل ،وكان عاهراً ،ولا سؤود مع العهر ،وساد أبو جهل وما طرّ شاربه ،ودخل دار الندوة وما استوت لحيته ،والحدائثة تمنع من السؤود ،وساد شبل بن معبد البجلي ،وما بالبصرة بجليّ غيره ، وهم يقولون :لا سؤود إلاّ بالعدد ،ولما قال قومٌ للأحنف :لولا أنا سؤودناك ما سدت.قال فمن سؤدّ شبل بن معبد البجلي ،وليس بالبصرة بجليّان.  
وساد عتبة بن ربيعة وكان فقيراً إلى أن مات ،حتى قيل :إنه لم يشبع قطّ ،ولم يفضل عن قوت أهله قوت ضيف واحد ،وهم يقولون إنّ الفقر يمنع من السؤود.  
هذا كلّه يدلّك على أن السؤود بالبخت.  
وقال غيره :أسباب السؤود سبعة :العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحذق والحلم والسخاء.  
أبو سلمى :

**ومن سفیه دائم النّباح**

**لا بدّ للسؤود من أرماح**

**ومن عديد يتقى بالراح**

أي لا يتقى بالدعاء.

وقال غيلان بن سلمة الثقفيّ :

**لا بدّ للسؤود من عديد**

قال النابغة الذبيانيّ :

**وتتقى صولة المستنفر الحامي**

**تعدو الذئاب على من لا كلاب له**

قال الحسن بن سهل يوماً :الشرف في السرف ،فقيل له : لا خير في السرف ،فقال : لا سرف في الخير ، فردّ اللفظة واستوفى المعنى.

قال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي : عجبت لمن لا يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة.  
ابن بشار :

كان منه لم تسده

وإذا جزيت أخاً بذنب

لأخيه عيباً لم يجده

ولقماً طلب الفتى

الهدلي :

لها سعداء مطلبها طويل

وإن سيادة الأرقام فاعلم

لما توفي عبد الله بن طاهر، صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانته، وفعل ذلك إخوته، ودفع كل نجلٍ منهم إلى كلِّ غلام خمس مائة درهم، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكراً، فقال أبو العميثل الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان يختص بطاهر ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال: بلى. فأنشده هذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

كخال عبد الله أنصت وسمع

يا من يحاول أن تكون خلاله

حجّ الحجيج إليه فاقبل أو دع

فلا تصدّك بالنصيحة والذي

في المجد والشرف الأشم الأرفع

إن كنت تطمع أن تحلّ محله

واطم ودار وكاف واصبر واشجع

فاصدق وعفّ وبرّ وارفق وانتدّ

واحزم وجدّ وحام واحمل وادفع

والطف ولن وتأنّ وانصر واحتمل

فاسلك فقد أبصرت قصد المهيع

هذا الطريق إلى المكارم مهيعاً

فاستحسن طاهر الأبيات، وقال: والله لقد أفدتني ما يجب به شكرك، فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين، وأكسبه ألف ألف درهم.

وقال آخر:

لها خلف في الغيل ساد الثعالب

إذ هلكت أسد العرين ولم يكن

له خلف في الجو إلا الكواكب

كذا القمر الساري إذا غاب لم يكن

قال بعض الحكماء: من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم.

## باب حمد الحلم ونم السفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجّ عبد لقيس : " يا أشج عبد لقيس أو يا منذر! فيك خصلتان يرضاهما الله ورسوله : الحلم والأناة " فقال : يا رسول الله! أشئ جبلي الله أم شئ اخترعته من قبل نفسي ؟.

فقال : " بل شئ جبلك الله عليه " . فقال : الحمد لله الذي جبلي على خلق يرضاه الله ورسوله . قال الشّعي : زين العلم حلم أهله .

قال رجاء بن أبي سلمة : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تسمّى به .

قال معاوية : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرحح من حلمي .

وقال معاوية لعمر بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال : من ترك الفضول ، واقتصر على الإيجاز .

قال : فمن أصبر الناس ؟ قال : من بذل ديناه في صلاح دينه قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحلمه .

قال محمد بن أبي شحاذ :

عليك بروقّ جمّة ورواعد

إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تنزل

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذلّ والصبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إني لأجد ما تجدون ، ولكنّي صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شئ إلى شئ أحسن من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة .

وقد روينا هذا الكلام لمن هو أسنّ من عمر وأكبر .

وقال بلعاء بن قيس :

وأوليتهم سمعي وما كنت مفحما

أبيت لنفسي الخسف لما رضوا به

وقال شريح : الحلم كثر موقر ، والحليم مطية الجهول .

قالوا : بالعقل استخراج غور الحكمة ، وبالحلم استخراج غور العقل .

قال أبو العتاهية :

أرى الحلم لم يندم عليه حليم

فيارب هب لي منك حلماً فإنني

أقيم به ما عشت حيث أقيم

ويارب هب لي منك عزماً على النقي

تسامى بها عند الفخار كريم

ألا إن تقوى الله أكرم نسبة

قال الخريمي :



وفي بعضها عزاً يسود فاعله

إليك يبعث أخلاق اللثيم  
بقدر الحلم منتصف الحليم

إنّ السقيّه إذا لم يمه مأمور

وجهل غطى عليه النعيم

أصبت حلماً أو أصابك جاهل

إلى الجهل في بعض الأحابيين أخرج  
ولكنني أرضى به حين أخرج  
فقد صدقوا والذلّ بالحرّ أسمع

عليه ولا يأسى على الحلم صاحبه

فأنت ومن تجاربه سواء  
بدالهم من الناس الجفاء

وللحلم أحياناً من الجهل أقبح  
عليه فإنّ الجهل أعمى وأروح  
إذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح

أرى الحلم في بعض المواطن ذلّة

قال عمارة بن عقيل :

إذا أغضبت ذا كرمٍ تخطى  
وإن الله ذو حلمٍ ولكن

وقال آخر :

بني هلال ألا تنهوا سفيهم

وقال حسان بن ثابت :

رب حلم أضاعه عدم المال

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا

وقال صالح بن جناح، ويروي لغيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني  
وما كنت أرضى الجهل خدناً ولا أخاً  
فإن قال بعض الناس فيّ سماجةً

وقال أبو يعقوب الحرّمي :

وإنك تلقى صاحب الجهل نادماً

وقال حبيب الطائي :

إذا جاريت في خلق دنياً  
إذا ما رأس أهل البيت وليّ

ولآخر :

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتى  
إذا كان حلم المرء عون عدوّه  
وفي العفو ضعفٌ والعقوبة قوةٌ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا

قال آخر :

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إذا نهى السفية جرى إليه

وخالف والسفيه إلى خلاف

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسيفه ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفيهه ، لأننا لا ندرى ما نقابل به السّفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولكلّ عقلٍ غفوةٌ أو سهوةٌ

والحرّ محتاجٌ إلى التّبيه

والعاقل النّحرير محتاجٌ إلى

أن يستعين بجاهل معتوه

وقال آخر :

ولربما اعتضد الحليم بجاهلٍ

لا خير في اليمنى بغير يسارٍ

وقال آخر :

وليس الحليم الذي كلّ ساعةٍ

به غضبٌ في لأنفه بتوقّد

إذا أمن الجهّال جهلك لم تنزل

عليك بوادي جهلهم تتورد

وإن عقاب الجاهلين لذهاب

بحلمك فانظر أي هاتين تعمد

كان يقال :ليس الحليم من قذف فكظم ، ولكن من صدم فصبر .

قال البحترى :

أرى الحلم بؤساً في المعيشة للفتى

ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

وقال آخر :

قل ما بدا لك من زورٍ ومن كذبٍ

حلمي أصمٌ وأذني غير صماء

وقال آخر :

ولا خير في عرض امرئٍ لا يصونه

ولا خير في حلم امرئٍ ذلّ جانبه

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهلك مرةً

فعرضك للجهال غنم من الغنم

وإن أنت باذيت السفية إذا بدا

فأنت سفية مثله غير ذي حلم

فلا تقرضن عرض السفية وداره

بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم

ولكنه يزداد سقماً إلى سقم  
فإنك إن عاتبته صار كالخصم  
بمنزلة بين العداوة والسلام  
ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم  
عليه بجهالٍ فذاك من العزم

ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه  
فدع عنك في كل الأمور عتابه  
وغمّ عليه الحلم والجهل والقه  
فيرجوك أحياناً ويخشاك تارةً  
فإن لم تجد بداً من الجهل فاستعن

وقال أبو دهبيل الجمحي :

فلم ينههم حلم ولم يتخرجوا

وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم

قال منصور الفقيه :

لتدخل فيه والأمانة فيه  
حليمٌ تتحى عن جواب سفيه

إذا رشوةً من باب قومٍ تقحمت  
سعت هرباً منه وولت كأنها

وقال آخر :

وبعضه لسفيه الرأي تدريب

العفو عند لبيب القوم مكرمةً

## باب مدح الجود والكرم وندم البخل واللؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إياكم والشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وبالفجور ففجروا " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لولا ثلاث صلح الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه " .

قال الزبير بن العوام في خطبة خطبها بالبصرة : أيها الناس إن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يوماً بعمامتي من ورائي فقال : " يا زبير إن الله يقول : أنفق أنفق عليك ، ولا توكئ فيوكأ عليك .

أوسع يوسع عليك ، ولا تضيق فيضيق عليك . واعلم أن الله يحبّ الإنفاق ولا يحب الإقتار ، ويجب السماحة ولو على فلق تمرة ، ويجب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب ، واعلم يا زبير أن الله كنوز أموال سوى الأرزاق التي قسمها بين العباد ، محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله " .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البخل جلباب المسكنة ، وربما دخل السخي بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل ترك حقّ قد وجب لحوف شيء لم يقع .

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أقبلوا الكرام عثراتهم " ويروى . " أقبلوا ذوى الهبات

زلاتهم " .

وروي عنه عليه السلام أنه قال : " المؤمن كريم ، والفاجر لئيم " .  
قال جعفر بن محمد : قال الله عز وجل : أنا جواد كريم ، لا يجاورني في جنتي لئيم .  
قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القرى ، وكف الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال طلب اليسير ومنع  
الحقير . وقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفي والله أعلم .  
سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال . بذل الموجود .  
قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبي دواد : من نال دنيا فلم يرفع وليا ، ولا وضع عدوا فليس بكريم .  
قال شعيب بن حرب : ليس السخى من أخذ المال من غير حله فبذره ، وإنما السخى من عرض عليه ذلك  
المال فتركه ، أو جمع من حق ووضع في حق .  
كان زياد بن أبيه يقول : من منع ماله سبل الحمد أورثه من لا يحمده .  
قال إبراهيم بن أبي عبلة : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، يقول : أف للبخل والله لو كان  
طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوبا طريفا ما لبسته .  
قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني : إنكم معشر العباد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال :  
أما النكاح فإننا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة فإن قلوبنا ملئت خيراً فلا موضع فيها للشر ، وأما  
السماح فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .  
قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريم قط ، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى : " عرف بعضه وأعرض عن  
بعض " .  
قال أسماء بن خارجة : لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم برهم في الخلف لكان ذلك  
عظيماً .  
قال زهير :

على قومه يستغن عنه ويذم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله

وقال محمد بن يسير :

للفقر ليس له من ماله ذخ

كم مانع نفسه لذاتها حذراً

فقد تعجل فقراً قبل يفتقر

إن كان إمساكه للفقر يحذره

وقال آخر :

للبلبل لكنه يأتي على النشب

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة

وقال ابن مطير الأسدي :

ولكنه خيم الرجال وخيرها

وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى

وقال آخر :

وأصد عن وصل اللئيم وأقطع

إني امرؤ أجزى الكريم بوده

وقال منصور الفقيه :

أن البخيل وكلبه مثلان

جهلوا القياس للطفه فتوهموا

ويكف طارقهم عن العدوان

والكلب يحفظ أهله ويقيهم

ويحض ناصرهم على الحذلان

والنذل يوحش أهله ويجيعهم

والباخلين أدلة ضدان

فها ومن جعل الكلاب أعزة

قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوساً ، واللئام أصبر أجساماً.

قال الشاعر :

حسب الإكرام حقاً لزمك

إن ذا اللؤم إذا أكرمته

لم يصغرك ولكن عظمك

وأخا الفضل إذا أكرمته

قال أبو الطيب المتنبّي :

وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وقال آخر :

ء ولم يرزق الله ذاك البخيلاً

أراك تؤمل حسن الثنا

وقال آخر :

ومن ذا الذي يرضي الأخلاء بالبخل

تريدين أن أرضى وأنت بخيلة

وقال آخر :

فلم أر فيكم حراً كريماً

ندبتكم لنفعي أن قدرتم

سوى أني عرفتكم قديماً

ومالي عندكم ذنب أراه

وقال زيد بن عمرو النخعي :

عليّ والمخارق سيدان  
إذا قيل ارشحا لا يرشحان  
أبا عمرو إذا أعجبتماني

لقد كذب المعاشر حين قالوا  
هما حجران من جبل صلود  
فلولا البخل إن البخل عارٌ

وقال ابن أبي فنن :

يلوم على البخل الرجال و يبخل

وإن أحق الناس باللوم شاعرٌ

وقال الحطيئة :

فسيان لاذم عليك ولا حمد

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا

وقال منصور الفقيه :

ذم العدا وقطيعة الوراثة  
ومن الغريب مدائح ومراث

زاد البخيل إذا مضى لسبيله  
وأخو السماحة فحظه من أهله

ولمنصور الفقيه أيضاً :

ل فمن حمامات الجرم  
ولا يذاق ولا يشم  
فانزل بشدقٍ ملتئم  
يا من يعيش بغير فم

أما رغيف بني السلي  
ما إن يحس ولا يمس  
فإذا نزلت بدارهم  
حتى تعيش مسلماً

ولمنصور الفقيه أيضاً :

بخلاً بما تطرحه المائدة  
ولا تشكوا معدة فاسدة

إذا تغدوا ربطوا قطعهم  
ما عرضت قطُّ لهم تخمةٌ

قال الحسن بن هانئ :

كسرة خبز وعينه عبرى

وباخل جنثه فقَدَم

قطعة جبن وكسرة أخرى

فقال ما تشتهي فقلت له

وله أيضاً :

فقد حل في دار الأمان من الأكل

على خبز إسماعيل واقية البخل

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنه  
وما خبزه إلا كعنقاء مغرب  
يحدث عنها الناس من غير أن يروا  
وما خبزه إلا كليب بن وائل  
وإذ هو لا يستب خصمان عنده  
فإن خبز إسماعيل حل به الذي  
ولكن قضاءً ليس يسطاع دفعه

ولم ير أوى في الحزون ولا السهل  
تصور في بسط الملوك وفي المثل  
سوى صورة ما إن تمر ولا تحلى  
ليالى يحمى عزه منبت البقل  
ولا الصوت مرفوعٌ بجدٌ ولا هزل  
أصاب كليياً لم يكن ذاك عن بذل  
بحيلة ذي ذهنٍ ولا فكر ذي عقل

قلت : أراد بقوله : وإذ هو لا يستب خصمان عنده قول مهلهل :

أودى الخيار من المعاشر كلهم  
وتناز عوا في أمر كل عزيمة  
وكليب هذا هو الذي أراده النابغة الجعدي بقوله :

واستب بعدك يا كليب المجلس  
لو قد تكون شهدتهم لم ينبسوا  
وأيسر جرماً منك ضرج بالدم  
كليب لعمرى كان أكثر ناصراً

قال عبید الله بن عكراش ، ويروى لأبي يعقوب الخريمي :

وإني لأرثي للكريم إذا غدا  
وأرثي له من وقفة عند بابه  
على طمع عند اللئيم يطالبه  
كمرثيتي للطرف والعليج راكبه

وقال جرير :

إن الكرية ينصر الكرم ابنها

وقال آخر :

إن من عضت الكلاب عصاه

وقال منصور الفقيه :

قل للكرام اعرفوا حق اللئام لكم  
لولا اللئام لما عدوا الكرام ولا  
لكنهم جنحوا للنقص فانتقصوا  
جادوا فسادوا وضمن الآخرون فما

إن اللئام لهم عند الكرام يد  
بانوا بفضل إذا ما حصل العدد  
وزاد غيرهم فضلاً بما اعتقدوا  
يغدو على والد من لؤمه ولد

قد ساء ظني بما قد كنت أخدمه  
تدارسوا البخل حتى دقّ مذهبهم  
فاستعقلوا كل من أصغى لبخلهم  
فصار للبخل حق الجود بينهم

وقال آخر :

فإن سمعت بهلكٍ للبخیل فقل

قال محمود الوراق :

إذا أعطاك قترّ حين يعطى  
يبخل ربّه سفهاً وظلماً  
تنقلّ عن فعال الخير جهلاً

وقال الحسن بن هاني :

رأيت الفضل متكنّأ

فقطّب حين أبصرني

فلما أن حلفت له

ولمنصور الفقيه أيضاً

أتيت عمراً سحراً

فقلت : إني قاعدٌ

فقلت : آتيك غداً

قال جحظة :

دخلت على باخل بالطعام

فقلت له : لا يرعك الدخول

وقال أبو نواس :

أبو نوح دخلت عليه يوماً

فكان كمن سقى الظمان آلاً

لما رأيت جميع الناس قد فسدوا  
فيه ودانوا بإخلاف الذي وعدوا  
واستجهلوا كل من واسى بما يجد  
وألزموا الجود عار البخل لا رشدوا

بعداً وسحقاً له من هالكٍ مودى

وإن لم يعط قال أبي القضاء

ويعذر نفسه فيما يشاء

مخافة أن يضرّ به العناء

يناعي الخبر والسّمكا

ونكس رأسه وبكى

بأنّي صائمٌ ضحكا

فقال : إبي صائم

فقال : إني قائم

فقال : صومي دائم

فمات من الخوف لمّا دخلت

فما جئت بيتك حتى أكلت

فغدّاني برائحة الطعام

وكنت كمن تغدى في المنام



وقال منصور الفقيه :

يم الحرّ وابله فطلّه

معرفة نفسٍ تدلّه

بيدي فرند السيّف صقله

إن لم يصبك من الكر

إن الكريم له على

بيدي مكارمه كما

قال آخر :

وشرّ من البخل المواعيد والمطل

وإن جمع الآفات فالبخل شرّها

وقال منصور الفقيه :

وحلّ من المجد أعلى الدرّج

مشوّهة الخلق فيها هوج

ولا تفرحنّ ولا تبتهج

كريماً جواداً فإنّ الحرج

ولو جاء يخطب إحدى المهج

وما عسر منتظر للفرج

إذا كان في بخله محكماً

وجاءك يخطب زنجيةً

فلا تحفلنّ به خاطباً

وإن كان سمحاً جميل الفعّال

وإن القطيعة في صرفه

بغير صداق لإعساره

قال حمّاد عجرد ، وتروى للعنّابي :

حتى تراه غنياً وهو مجهود

رزق العيون عليها أوجهٌ سود

تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود

ترجى الثمار إذا لم يورق العود

فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود

إن الكريم ليخفي عنك عسرته

وللبخيل على امواله عللٌ

إذا تكرّهت أن تعطي القليل ولم

أورق بخير ترجى للنوال فما

بثّ النوال ولا تمنعك قلته

وقال منصور الفقيه :

ولكلب ينفع اهله

ترى أخوا الكلب مثله

أخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : انشدني ابن المعلم لعلي بن الجهم :

ألفيته فيما تروم يسارع

وإذا الكريم أنيته بخديعةٍ

ليس الكريم كما ظننت بجاهلٍ

قال آخر :

إن الكريم لفضله يتخادع

واقعد فإنك قائماً كالقاعد

هيهات تضرب في حديدبارد

لا تطلبن إلى لثيم حاجةً

يا خادع البخلاء عن أموالهم

قال آخر :

وخبيره أبعد من أمسه

يرى ولا يطمع في لمسه

طعامه النجم لمن رامه

كأنه في جوف مرآته

قال آخر :

فارفع يمينك عن طعامه

أو كسر عظمٍ من عظامه

إن كنت تطمع في كلامه

سيان كسر رغيفه

وقال دعبل بن على الخزاعي :

فلست بمولٍ نائلاً آخر الدهر

وأي بخيل لم ينل ساعة الوفر

لئن كنت لا تولى يداً دون إمرةٍ

وأى جواد لم يجد في ملمةٍ

وقال منصور الفقيه :

كما البخيل وضيع

في دين إلا رقيق

راجى البخيل وضيعٌ

وما يقول سوى ذا

للعرزمي ويروى لأبي الأسود الدؤلي :

فلقاؤه يكفيك والتسليم

فألح في رفق وأنت مديم

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً

وإذا طلبت إلى لثيم حاجة

وقال آخر :

وبينك تأمن كل ما تتخوف

فالبالجود فا جمع بينهم يتألفوا

كفاك غطاء الجود ما يتكشف

إذا سست قوماً فاجعل الودّ بينهم

فإن خفت من أهواء قومٍ تشتتاً

فإن كشفت عنك الملمات عورةً

قال ابن شهاب :الكريم لا تبخله التجارب.

ويروى عنه أنه قال :إن الكريم لا تحكمه التجارب.

وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن البخل ، فقال : هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ، وما أمسكه شرفاً .

قال طاووس : البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه ، والشح أن يشح بما في أيدي الناس ، ويجب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام ولا يقنع .  
وقال أبو العتاهية :

وإن امرءاً لم يربح الناس نفعه  
وإن امرءاً لم يجعل البر كنزاً  
ولم يأمنوا منه الأذى للثيم  
وإن كانت الدنيا له لعديم

### باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حسب المؤمن دينه ، وكرمه تقواه ، ومروءته عقله " . ويروى نحو هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : " ما المروءة قال الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم . فقال عليه السلام : " هكذا هي عندنا في حكمة آل داود " .

تذاكروا المروءة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكثرها فيها ، فقال : " أما مروءتنا فأن نعفو عن من ظلمنا ، ونعطي من حرمانا ، ونصل من قطعنا " .  
قال منصور الفقيه :

أعلن وهبٌ كرمه  
وعلن وهبٌ كرمه  
في وصله من صرمه  
وغيره عن كل من  
وبره بنفسه  
وماله من حرمه  
فما يراه معظمٌ  
للحق إلا أعظمه  
أبقى عليه الله ما  
أبقاه فينا نعمه  
وزاد فيها عنده  
وحاطه وسلمه

من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رفع إلى عمر بن الخطاب رجل في جرم ، فأراد أن يعاقبه ، فأخبر أن له مروءة ، فقال : استوهبوه من صاحبه .

سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والكرم والنجدة. فقال : أما المروءة : فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعتة ، وحسن المنازعة ، وإفشاء السلام ، وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ، والإطعام في المحل. وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ، والإقدام على الكريهة.

وفي رواية أخرى ، أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة ، وكان بعده عفو عنه يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح في المال ، والمحاماة عن الجار. وأما النجدة فالجرأة على الإقدام ، والصبر عند ازورار الأقدام.

قال طلحة بن عبيد الله : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة حمل الكيس في الكم. سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرّ الوالدين ، والصبر على النوائب. ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لملول ، ولا سؤدد لسبيء الخلق. سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الريب ، وإصلاح المال ، والقيام بجوائح الأهل. سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللباس. وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة.

قال إبراهيم النخعي : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق. قال غيره : من كما المروءة أن تصون عرضك ، وتكرم إخوانك ، وتقبل في متلك. قال منصور الفقيه :

### من فارق الصبرَ والمروءة أمكن من نفسه عدوّه

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة. فالمرءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مسأخط الله. المرءة في الحضر : إدمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عزّ وجلّ. وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المرءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق. وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج. قيل لبعض الحكماء : من يجب لذي المروءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها.

كان يقال : صن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ومجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطب.

أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا مقسم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ، عن عبد يزيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعت سفيان بن عيينة ، وقد سئل عن المروءة ماهي ؟ فقال : الأنصاف من نفسك ، والتفضل على غيرك ، ألم تسمع قول الله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " لاتتمّ المروءة إلاّ بهما ، العدل هو الإنصاف ، والإحسان التفضل. روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته. قال الشاعر :

وحوى مع الأدب الحياء فقد كمل

إذا الفتى جمع المروءة والتقى

قال رجل من بني قريع :

فمطلبها كهلا عليه شديد

إذا المرء أعبته المروءة ناشئاً

قال جعفر بن محمد : لا هين لمن لا مروءة له.

قال أحمد بن العدل : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعرٌ غير هذين البيتين ، وهما :

لجذت وكنت له باذلاً

فلو مدّ سروى بمال كثير

إذا لم يكن مالها فاضلاً

فإنّ المروءة لا تستطاع

وقال آخر :

وما المروءة إلاّ كثرة المال

رزفت لباً ولم أرزق مروءته

عما ينوّه باسمى رفة الحال

إذا أردت مساماة تفعدّني

وقال منصور الفقيه :

ونما وفره وزاد رياشاً

كلّ من فارق المروءة عاشاً

ن مقلّ أموره تتلاشى

وأخو الفضل والمروءة والدّي

وقال سفيان الثوري : من لم يحسن يتقرّأ .  
ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجور ، ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لا بن هرمة :

ولرب ليلة لذة قد نلتها  
وقال صريع الغواني :

وما ذمى الأيام أن ليست حامداً  
لعهد ليلليّ التي سلفت قبل  
ألا رب يوم صادق العيش نلته  
بها وندامى العفافة والبذل  
وقال منصور الفقيه :

فضل التقى أفضل من  
إذا هما لم يجمعا  
فضل اللسان والحسب  
إلى العفاف والأدب  
وقال آخر :

وليس فتى من راح واغتدى  
لشرب صبوح أو لشرب غبوق  
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى  
لضرّ عدوّ أو لنفع صديق  
وقال جحظة :

ألا يأهل بغداد جميعاً  
تذمون الزمان بغير جرم  
عصيتم في المروءة من براكم  
وما بزمانكم عيبٌ سواكم

### باب امتحان أخلاق الرجال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الأرواح أجنادٌ مجنده ، فما تعارف منها ائتلف : وما تناكر منها اختلف " .

أخذه بعض الشعراء فقال :

إن القلوب لأجناد مجندة  
فما تعارف منها فهو مؤتلف  
لله في الأرض بالأهواء تعترف  
وما تناكر منها فهو مختلف

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : " الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة " .  
قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : " إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم " .  
قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : " وجدت الناس اخبر تقله " . وقد روى هذا مرفوعاً عن أبي  
الدراء.

وفي خبر آخر : " إن الناس سواسية كأسنان المشط " .

كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تباينوا ، فإذا تساوا هلكوا قال الشاعر :

**سواء كَأَسْنَانِ الْحَمَارِ فَلَا تَرَى لَذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِئٍ فَضْلاً**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم قال علي بن أبي طالب رضي الله  
عنه : خالط المؤمن بقلبك ، وخالط الفاجر بخلقك .

كان يقال : يمتحن الرجل في ثلاثة أشياء : عند هواه إذا هوى ، وعند غضبه إذا غضب ، وعند طمعه إذا  
طمع .

قال أبو عمرو بن العلاء : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده .

قال سفيان الثوري : إذا أردت أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك في غضبه وإلا  
فاحتنبه .

قال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب

**فسل كيف كان لإخوانه**

**إذا أردت وداد امرئ**

**وإما ترغبت عن ثيابه**

**فإمّا رضيت فأحبيته**

قال الأحنف بن قيس : ما كشفت أحداً قط إلا وجدته دون ما كنت أظن قال تأبط شراً :

**إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق**

**لتقرن على السنّ من ندم**

وقال آخر :

**قضت من الناس المآرب**

**إنّ المودة بالتجارب**

**أصبو إليه ولا أعاتب**

**لم تترك لي صاحباً**

**دون الأبعد والأقارب**

**متفرداً بتوحدي**

**يعطى الجزيل من المذاهب**

**ارغب إلى الله الذي**

**ج إذا تضايقت المذاهب**

**بالله تتسع الفجا**

كان سفيان الثوري يتمثل بهذه الأبيات :

وتوسمنّ أمورهم وتفقد  
فبه اليدين قرير عين فاشدد

ابل الرجال إذا أردت إخاءهم  
وإذا ظفرت بذى الأمانة والتقى

قرب الذي إن تدن منه يبعد

ودع التذلل والتخشع تبتغي

وقال آخر :

وظنونٌ بزيادٍ حسنه  
نلت خيراً منه من قبل سنه

أهلكني بزيادٍ تقتي  
ليس يستوجب شكراً رجلاً

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

وقال آخر :

أفيهم شتى على الأخبار  
حتى تبين صفحة الإصدار

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم  
لا تعجلنّ إلى شريعة موردٍ

وقال آخر :

غطّى على هفواته ستر  
فلنعم صائن عرضك الصبر

اترك مكاشفة الصديق إذا  
وتجاف عنه بلا مصارمةٍ

وقال آخر :

ولا تذمنه من غير تجريب

لا تحمدن امرءاً حتى تجربه

وقال محمود الوراق :

واعلم بأنّ الناس نقص  
فلرب مفتضحٍ على النصّ  
إلا ذممت عواقب الفحص

لا يغلبنك غالب الحرص  
والبس أخاك على تصنعه  
ما كدت أفحص عن أخي ثقة

وقال آخر :

فلست من التحيز في مضيق

إذا أنكرت أخلاق الصديق



طريقاً كنت تسلكه سليماً

فأسبع فاجتنبه إلى طريق

وقال آخر :

لا تحمدن امرءاً حتى تجربه

فربّما لم يوافق خبره خبره

وقال آخر :

إذا أنت لم تستقبل الأمر لم تجد

لكفك في إداره متعلّقا

إذا أنت لم تترك أخاك وزلةً

إذا زلها أوشكتما أن تفرّقا

قال آخر :

قد كنت أحمد امرئ فيك مبتدئاً

فقد ذممت الذي أحمدت في صدري

فاذهب فأنت امرؤ لا شك أوله

حلوا وآخره مرّ على الخبر

قال معاذ بن جبل : إذا أحببت أحماً في الله ، فلا تماره ولا تشاره ولا تسل عنه أحداً ، فلربما أخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه .

قال الشاعر :

أردت لكيما لا ترى لي زلةً

ومن ذا الذي يعطي الكمال فيكمل

أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرّد بالكمال ، ولم يبرئ أحداً من النقصان .

قال أبو بكر بن دريد :

إذا تصفحت أمور الناس لم

تلف امرءا حاز الكمال فاكتفى

من لك بالمهذب الندب الذي

لا يجد العيب إليه مختطاً

كم من أخ مسخوطة أخلاقه

أصفيته الودّ لخلق مرتضى

وقال النابغة الذبياني :

ولست بمستبقٍ أخواً لا تلمّه

على شعثٍ أيّ الرجال المهذّبوقال ابن وكيع :

من لم يكن مؤاخياً إلاّ الذي

لا عيب فيه عاش فردا في الوري

وقال آخر :

ما بالمنازل من ضيقٍ ومن ضجر

بل الطّبائع منها الضيق والضجر

وقال آخر :

كل خليل كنت خاللته

لا ترك الله له واضحه

ما أشبه الليلة بالبارحة

كلهم أروع من ثعلب

وقال آخر :

وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين

كل امرئ صائرٌ يوماً لشيئته

وقال عباس بن الأحنف :

فأخبره إلا بكيت على أمس

وما مرّ يوماً أرتجى فيه راحةً

وقال آخر :

إن التخلّق يأبى دونه الخلق

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

إلا أخو ثقةً فانظر بمن تتق

ولا يواتيك فيما ناب من حدث

وقال زهير بن أبي سلمى :

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومهما تكن عند امرئ من خليفةٍ

وقال نصيب الأصفر ، مولى المهدي :

أنس النبات بها وطاب المربع

إن البقاع إذا استسر بها الندى

وقديمه فانظر إلى ما يصنع

وإذا جهلت من امرئ أخلاقه

وقال محمود الوراق :

بلوت سواك عاد اللوم حمداً

ذممتك أولاً حتى إذا ما

رأيت سواك شراً منك جداً

ولم أحمك من خيرٍ ولكن

لأنني لم أجد من ذلك بداً

فعدت إليك محتملاً خليلاً

فلما اضطرّ عاد إليه شداً

كمجهودٍ تحامى أكل ميتٍ

وقال أيضاً :

إلا بكيت عليه

لم أبك من خبث خلّ

للزهد فيما لديه

ولم أمل عن صديقٍ

إلا رجعت إليه

إلى سواه فأبلو

بحفظ ما في يديه

كلّ امرئ مستبد

ذكر ابن مقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن عليّ مودة ، ثم تنافرا. فكتب إليه عمارة :

سأترك ما بيني وبينك ساكنا

فإن عدت عدنا والوصال سليم

ولو قد خبرت الناس حق اختبارهم

رجعت إلى وصلي وأنت ذميم

أخبرنا عبد الوراث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لعلي بن الجهم :

الناس إخوانك حتى إذا

عرضت للخوان بالدرهم

سأءك ما سرك من خلقهم

وصرت وسط الحلق كالعقم

وقال آخر :

عنت علي سلم فلما فقدته

وجربت أقواماً بكيت علي سلم

وقال آخر :

لم أبك من زمن لم أرض خلته

إلا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر :

متى تحسب صديقك لم يقلوا

وإن تخبر يقلوا في الحساب

وقال آخر :

ونعتب أحياناً عليه ولو مضى

لكننا على الباقي من الناس أعتبا

وقال آخر :

سبكناه ونحسبه لجيناً

فأبدى الكير عن خبث الحديد

وقال آخر :

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه

يدعه ويغلبه إلى النفس خيمها

وقال آخر :

إذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم

فرش والتمس نفع الذي بهم ترمى

وقال محمود الوراق :

أثمّ الناس أعرفهم بنقصه

وأقمعهم لشهوته وحمصه

فدان على السلامة من تداني

ومن لم ترض صحبتته فأقصه

وخلّ الفحص ما استغنيت عنه  
ولا تستغل عافيةً بشئ

وقال آخر :

فكم من جالب غيظا بفحصه  
ولا تستر خصنّ أذى لرخصه

بما يؤدّي إليك ظاهره  
تصح منهم له سرائره

ارض من المرء في مودته  
من يكشف الناس لم يجد أحداً

وقال آخر :

فخذ عفوهم قبل امتحان السرائر  
ومالك إلا ما ترى في الظواهر  
وأبدي لك التكشيف خبث الضمائر

يكفيك من قومٍ شواهد أمرهم  
فإن امتحان القوم يوحش بينهم  
وإنك إن كشفت لم تر طائلاً

وقال آخر :

على طول مرّ الحادثات بقاء

ولا خير في ودّ إذا لم يكن له

وقال منصور الفقيه :

فلا تعدل به أبداً قريناً  
بحظك من مودته ضنيناً

إذا جمع الفتى حسبا وديناً  
ولا تسمح بحظك منه بل كن

وقال آخر :

ولكنّ إخوان الثقاب الذخائر

لعمرك ما مال الفتى بذخيرةٍ

وقال ابن الرومي :

أجل لحظ طرفك في منظره  
أفاعيله فهي من جوهره  
فلا تطلبن سوى محضره  
بها يعرف النذل من خيره  
فكلُّ يعود إلى عنصره

إذا شئت تعرف أصل الفتى  
فإن لم بين لك فانظر إلى  
فإن غاب عنك بهذا وذا  
فإن المحاضر سرّ الرجال  
بلوت الرجال وأفعالهم

وقال ربيعة الرقي :

كريماً يذودك عن عرفه

إن اللئيم وإن خلته

## باب التودد إلى الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مداراة الناس صدقه " .  
وقال صلى الله عليه وسلم : " أمرني ربي بمداراة الناس ونهايني عن ملاحقتهم " .  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس " .  
وقد روى في خير مرفوع : " التودد إلى الناس نصف العقل ، وحسن التدبير نصف المعيشة ، وما عال من اقتصد " .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن مما يصفى لك ودّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس .  
قال بعض الحكماء : رأس المداراة ترك المماراة .  
وفي الحديث المرفوع : " إذا أحب الله عبداً أحبه الناس " .  
أخذه الشاعر فقال :

### إذا أحبّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبةً في الناس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : " من لا يقبل عشرة ولا يقبل معذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلكم " قالوا : بلى . قال : " من يبغض الناس ويبغضونه " .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خالياً ، فأوحى الله إليه : ما لي أراك خالياً ؟ قال : هجرت الناس فيك . قال : أفلا أدلك على شئ تبلغ رضائي؟ خالق الناس بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمساحة طال استمتاعه بهم .

قال أكتهم بن صيفي : من تشدّد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسرور في التغافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقالة العثرة ، ومساحة العشرة ، والمواساة في العسرة .

قيل للعتابي : إنك تلقى الناس كلهم بالبشر! قال : دفع ضغينةً بأيسر مؤونة ، واكتساب إخوان بأيسر

مبذول.

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمود على كلِّ حالةٍ      ولن يعدم البغضاء من كان عابساً  
ويسرع بخل المرء في هتك عرضه      ولم أر مثل الجود للعرض حارساً  
قال أعرابي يمدح رجلاً بساماً هو زياد الأعجم يمدح عبد الله بن عامر ابن كرزيم.

أخ لك ما تراه الدهر إلا      على العلات بساماً جواداً  
سألناه الجزيل فما تلكا      وأعطى فوق منيتنا وزادا  
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا      فأحسن ثم عدت له فعادا  
مراراً ما أعود إليه إلا      تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا  
وقال آخر :

ولي صاحب كالموت يوم فراقه      تغير الأيام جم عجيبيها  
أريد له هجراً لبعض خلاله      فتعطفي أخرى له فأجيبها  
وقال آخر :

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه      تلون ألواناً كثيراً خطوبها  
إذا عبت منه خلّة فهجرته      دعنتي إليه خلّة لا أعيبها  
وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناس عن علم بهم      انصرفوا وكلهم له عدا  
وقال كثير :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه      وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب  
ومن يتبع جاهداً كل عثرة      يجدها ولا يسلم الدهر صاحب  
وقال آخر :

وكم من أخٍ لم يحتمل منه خلّة      قطعت ولم يمكنك منه بديل  
ومن لم يرد إلا خليلاً مهذباً      فليس له في العالمين خليل  
قال آخر :

وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً      فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت راجع  
هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : " أحب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغضك يوماً ما ، وابغض  
بغضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما " .  
وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية :

قل لمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي  
ربّ صدّ بعد ودّ وهو بعد تقالي  
قد رأينا ذا كثيراً جارياً بين الرجال

أنشد حبيبٌ للفند الزمّاني وقال الجاحظ لا أظنها له :

صفحنا عن بنى ذهل عسى الأيام أن يرجع  
وقلنا : القوم إخوان ن قوما كالذي كانوا

قال آخر :

وكنت إذا صبحت رجال قوم فأحسن حين يحسن محسونهم  
صحبتهم وشيمتي الوفاء وأجتنب الإساءة إن أساءوا  
وأبصر ما ينقصني بعين عليها من عيونهم غطاء

وقال آخر :

ما نالت النفس على شهوة أذ من ودّ صديق أمين  
من فاته ودّ أخ صالح فذلك المغبون حقّ اليقين

قال آخر :

استوحش الناس علىّ جدّاً ولا أرى لي من أناس بدّاً

إن لم أعاشرهم بقيت فردا وقال آخر :

أغمض للصديق عن المساوى مخافة أن أعيش بلا صديق

قال آخر :

أغمض عيني عن صديقي تغافلا كأنّي بما يأتي من الأمر جاهل  
وما بي جهلٌ غير أن خليفتي تطيق احتمال الكره فيما يحاول

بقيت ومالي في النهوض مفاصل

متى ما يربني مفصل فقطعته

وقال آخر :

فأشرقني على حنق بريقي

وكننت إذا الصديق أراد غيظي

مخافة أن أعيش بلا صديق

غفرت ذنوبه وصفحته عنه

وقال آخر :

ولم يك عما ساعني بمفيق

إذا ما خليلي رابني بعض خلقه

مخافة أن أبقى بغير صديق

صبرت على أشياء منه تربييني

وأشده ابن الأنباري عن أبيه :

ولم يك عما ساعني بمفيق

إذا ما صديقي ساعني بفعاله

مخافة أن أبقى بغير صديق

صبرت على الضراء من سوء فعله

" قالوا : لا خير في الناس ، ولا بد من الناس "

### باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير الناس منزلة يوم القيامة ، رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه " . وفي رواية أخرى : " حتى يموت أو يقتل ، والذي يليه رجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعتزل شرور الناس " .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطمع فقر واليأس غي ، والعزلة راحة من جليس السوء ، وقرين الصديق خير من الوحدة .

قال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وأياكم والأسواق ، فإنها تلغي وتلهي .

قال مكحول : إن كان في الجماعة فضل ، فإن في العزلة سلامه .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس في معاشكم ، وزايلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله في الإنجيل على عيسى عليه السلام . كن وسطاً وامشي جانباً .

قال ابن المقفع : وحشة الانفراد أبقى على المرء من أنس التلاقي .

قال بعض العلماء العزلة عن الناس توقي العرض ، وتبقي الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق



اللازمة ، وتستتر الفاقة.

قال أوس ابن حجر :

خفاف العهود يكثرُونَ التتقلاً  
وإن كان عبداً سيِّد القوم جحفاً  
وإن كان محضاً في العمومة مخولاً  
يسوءك إن وليّ ويرضيك مقبلاً  
وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضاء

وإنِّي رأيت النَّاسَ إلا أقلهم  
بنى أمّ ذي المال الكثير يرونه  
وهم لمقلّ الممال أولاد علةٍ  
وليس أخوك الدائم العهد بالذي  
ولكن الأخ النَّائي إذا كنت آمناً

وقال الحسن بن عبد الرحمن.

أسرّ بالوحشة أحياناً  
نس من صحبة من خاناً

توحشت ولكني  
وفي الوحشة ما يؤ

وقال أيضاً :

إذا خشيت من أذى الجليس

يا حبذا الوحشة من أنيس

وقال أبو العتاهية :

فسرت أستأنس بالوحده  
أقلهم في حاصل العده

برمت بالناس وأخلاقهم  
ما أكثر الناس لعمرى وما

كتب شيخ من أهل الرى على باب داره : جزى الله عنا من لا نعرفه ولا يعرفنا خيراً ، وأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيراً ، فإن لم نؤت إلا منهم.

قال سفيان وما وجدت من يغفر لي ذنباً ، ولا يستر لي عيباً ، فرأيت في الهرب من الناس السّلامة.

قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري : دلني على رجل أجلس إليه ، قال : تلك ضالة لا توجد.

قال أكثم ابن صيفي : الانقباض عن الناس مكسبه للعداوة ، وإفراط الأئس مكسبه لقرناء السوء.

وقال سهل الوراق :

فهم كذئاب عليها ثياب  
فما لقبيح لديهم معاب  
وهل بالأمانة توفى الذئاب

ألا ما لذا الناس قد بدّوا  
تواطئوا على كلّ مستقبّح  
وخانوا الأمانة ما بينهم

قال الأضبط بن قريع :

أذود عن حوضه ويدفعني

أنشد الحريري لنفسه :

يا قوم من عاذري من الخدعه

وفي بلاءٍ وصفو شيب بالكدر

فليس يسلم من خوف ومن حذر

مخالط الناس في الدنيا على خطر

كراكب البحر إن تسلم حشاشته

وقال قدامة بن إبراهيم الجمحي :

وأحزم الحزم سوء الظنّ بالناس

فإن أصبت فما بالحزم من باس

العجز ضعف ومالجزم من ضررٍ

لا تترك الحزم في أمر تحاذره

أنشدني عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي لنفسه :

ليس هذا الناس ناسا

وبقوا بعد بحاسا

ن جميعاً مساسا

أشعرن قلبك ياسا

قد مضى الإبريز منهم

سامريين يقولو

لهلال بن العلاء :

أرحت نفسي من هم العداوات

لأدفع الشرّ عنّي بالتحيات

كأنه قد ملا قلبي محبّات

فكيف أسلم من أهل المودات

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ

إني أحيى عدوى عند رؤيته

وأحسن البشر للإنسان أبغضه

ولست أسلم ممن لست أعرفه

وقال ابن الرومي :

ر والتتكر والنبوّ

ل فقد تداخلني السلوّ

يا ذا الذي منه التغي

إن كان أدر كك الملا

وقال آخر :

فصرت حرّاً والهوى خادمي

من شرّ أولاد بني آدم

ذو الجهل بالأشياء كالعالم

عذرى منقوش على خاتمي

قد كنت عبداً والهوى مالكي

وصرت بالوحدة مستأنساً

ما في اختلاط الناس خير ولا

يا عاذلي في تركهم جاهلا

وكان في خاتمه منقوشاً : " وما وجدنا لأكثرهم من عهد " وقال منصور الفقيه :

نفرت من كل من وثقت به  
من لان لي جانباه لنت له  
إذ كلهم خانني ولم أحن  
ومن أبي أن يلين لم ألن

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخوانه  
إخوان سوءٍ كلهم فاسقٌ  
يلقاك بالبشر وفي قلبه  
حتى إذا ما غبت عن وجهه  
يأبها المرء فكن واحداً  
يامعشر الناس بإخوان  
له لسانان ووجهان  
داءً يواريه بكتمان  
رماك في الغيب ببهتان  
فرداً ولا تأنس بإنسان

منصور الفقيه :

الناس بحرٌ عميقٌ  
وقد نصحتك فانظر  
والبعد منهم سفينه  
لنفسك المسكينه

طرفة بن العبد :

كل خليل كنت خالته  
كلهم أروع من ثعلب  
لا ترك الله له واضحة  
مأشبه الليلة بالبارحة

وقال منصور الفقيه :

يا أبا الدهر إن وفا  
كن من الناس كيف شئ  
وأخا الدهر إن غدر  
ت على غاية الحذر

كان يقال : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار وقال ابن وكيع :

فسد الناس كلهم وانقضى الودّ  
وأرى طالب الفرار من النا  
ذاك بالانقباض يكسب المق  
وأخو الانبساط يخشى انقلاباً  
وإذا ما الصديق عاد عدواً  
فما في الورى أخ ذو صفاء  
س ومرتاد مربهم في بلاء  
ت ويعزى به إلى الكبرياء  
من صديق يضيع حق الإخاء  
فهو مستقرة من الأعداء

وقال منصور الفقيه :

والشرفى الناس أكثر  
فانظر لنفسك واحذر  
فيهم وإلا فغرر

في الناس خيرٌ كثيرٌ  
وقد نصحتك جهدى  
فإن وثقت بقولي

وله أيضاً :

ليس في الناس مفزع  
فهو للذمّ موضع

إنما الناس فرعةٌ  
ذم من شئت منهم

ولما حضرته الوفاة ، قال : أستغفر الله من هذين البيتين.  
قال سويد بن منجوف :

وهل تجد النصيح بكل واد  
وإن ضحكوا إليك هم الأعاذي

قبلغ مصبعاً عني رسولا  
تعلم أن كثر من تتاجي

أنشد الزبير لأبي همهمة :

ن فإن غبت فالسباع الجياع

إخوة ما حضرت سرّون برّو

بان منهم تضاؤلٌ واجتثاع  
ليس يألون عمزها ما استطاعوا  
هكذا يفعل اللثام الوضاع

با ينوي حتى إذا عانيوني  
فهم يغمزون مني قنأةً  
ما كذا يفعل الكرام ولكن

قال أبو غسان مالك بن الله غلام أبي العتاهية :كنت عند أبي العتاهية قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشديد  
العلة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال :يا أبا غسان!

أصبحت فيه وأيّ أهل زمان  
يعطى ويأخذ منك بالميزان  
مالته مودته مع الرجحان  
تنعي إليك مودة الإخوان

لله درّ أببك أيّ زمان  
كلّ يوازنك المودة دائباً  
لإغذا رأى رجحان حبة خردلٍ  
في كلّ يومٍ منه تبدو قصّةً

وقال منصور الفقيه :

كذي ضلالٍ بأرض تيه

أيّ زمان نشأت فيه

ما شئت من عالم خبيثٍ

وقال أبو العتاهية :

فيه ومن جاهلٍ سفيه

إن الزمان يغرني بأمانه

فأنا النذير من الزمان لكلّ من

ما الناس إلا للكثير المال أو

فإذا الزمان رماهما بملمةٍ

قال إبراهيم بن العباس الصولى :

ويذيقني المكروه من حدثانه

أمسي وأصبح وائناً بزمانه

لمسلط ما دام في سلطانه

كان الثقات هناك من أعوانه

بلوت الزمان وأهل الزمان

وأوحشني من صديقي الزمان

وله أيضاً

فكلّ بدم ولوم حقيق

وأنسني بالعدوّ الصديق

وربّ أخ ناديته في ملمةٍ

أنشدين محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

فألفيته منها أجلّ وأعظما

ودع عنك مشتبهات السبيل

فأكثرهم راصدٌ للزلل

لعمرك يردى الشجاع البطل

بالسنةٍ وقعها كالأسل

فمن جار أكثر ممن عدل

تطلب سبيل الهدى جاهاً

وأصبح من الناس مستوفزاً

وأجبن من قد ترى منهم

وتصمى المقاتل أقوالهم

ومن حكّم الناس في عرضه

وقال آخر :

عند نائبةٍ تنوب

إذا تتابعت الخطوب

وإذا دعوت أخا إخوانك

ألفيته أحد الخطوب

وهذا كله عندي والله أعلم مأخوذ من قول القائل :

فهم كربتي فأين الفرار

كنت من كربتي أفر إليهم

منصور الفقيه :

وصير في الإيحاش من خلقه أنسي

تبارك من لو شاء ملكني نفسي

وباعد داري عاجلاً عن ديارهم      كعبد مغيب الشمس عن مطلع الشمس  
لعلّي أن أمسي من الشرّ آمناً      وأصبح مسروراً بذاك كما أمسي  
فما نكّد الدنيا على طيب ظلّها      وقرب جناها العذب شيء سوى الإنس  
قال أعرابي، وهو جابر بن ثابت، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى      وصوت أنسان فكدت أظير  
درى الله أنني للأنيس لشانئ      وتبغضهم لي مقلّة وضمير  
وقال آخر :

قد بلوت الناس طرّاً      لم أجد في الأرض حرّاً  
صار أحلى الناس في عيني      إذا ما ذيق مرّاً  
ووجدت الحلو منهم      عندما جرّبت صبراً  
وقال منصور الفقيه :

إن بني دهرنا أفاع      ليس لمن ساورت طبيب  
فلا يكن فيك بعد هذا      لو احدٍ منهم نصيب  
وقال آخر :

قد لزمتم السكوت من غير عيٍّ      ولزمت الفراش من غير علّه  
وهجرت الإخوان لما أنتتني      عنهم كلّ خصلة مضمحلّه  
فعلى أهل ذا الزمان جميعاً      ضعف قطر السّماء من لعنة الله  
وقال آخر :

لا تعرفن أحداً فلست بواجدٍ      أحداً أضرّ عليك ممن تعرف  
أما نظيرك فهو حاسد نعمةٍ      أو دون ذلك فذو سؤال ملحف  
أو فوق ذلك حال دون لقائه      بواب سوءٍ واليفاع المشرف  
وللشافعي الفقيه رحمه الله، وقيل إنه تمثّل بها، وهي :

ليت الباع لنا كانت مجاورةً      وليتنا لا نرى مما نرى أحدا  
إن السباع لتهدا في مرابضها      والناس ليس بهاءٍ شرّهم أبدا

فاهرب بنفسك واستأنس بوحدها

وقال منصور الفقيه :

أحذرك الناس إلا قليلا

وفارقهم عن قلبي واتخذ

من الجنّ والجنّ إن تلقهم

من الإنس ، لا كان مستأنساً

وقال أبو العتاهية :

أيارب إن الناس لا ينصفونني

وإن كان لي شيّ تصدّوا لأخذه

وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم

وإن طرقتني نكبة فرحوا بها

سأمنع قلبي أن يحنّ إليهم

أنشدني حكم بن المنذر لنفسه :

وكنتم أخلائي الذين أعدّهم

فأخلفتم ظني بكم فقلبيتم

وقال آخر :

ولما رأيت الناس لا عهد عندهم مصدقوبيت اللهن صحبة الناس

وصرت جليس الكتب ما عشت فيهم

رأيت لهم كاساً من الغدر بينهم

وأعلمت حسن الصبر عنهم مع الياس

تدار وما بالقوم صبراً عن الكاس

وهذا الباب وما جانسه من معاني صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان والزهد فيهم ، قد أكثر

الناس فيه جدا ، وقد جمع فيه ابن وكيع فتقصي وكثر وجود وغزر ، وغرضنا في الكتاب أن نورد فيه ما

تصلح المذاكرة به من غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وباللّٰه العون والتأييد والحوّل

والقوة .

## باب الصديق والعدو

قال جعفر بن محمد : لقد عظمت منزلة الصديق حتى عند أهل النار ، ألم تسمع إلى قوله الله تعالى حاكياً عنهم : " فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم " .  
قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته.  
قال سويد بن الصّامت :

ألا ربّ من تدعو صديقاً ولو ترى  
مقالته كالشهد ما كان شاهداً  
وبالغيب مأثورٌ على ثغره النحر  
من الشرّ بالبغضاء والنظر الشرّ  
تميمة غشّ تبتري عقب الظهر  
ويسرك بأديه وتحت أديمه  
وخير الموالى من يريش ولا يبرى  
فرشني بخير طالما قد بريتني

كان أبو العباس السّفاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً، وإن كان عدلاً، ويقول: العداوة تزيل العدالة.  
كان يقال: لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك عيوبك، ويماريك في صوابك.  
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ابذل لصديقك كلّ المودة، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة، وأعطه من نفسك كلّ المواساة، ولا تفضي إليه بكلّ الأسرار.  
روى عن عليّ بن الحسين رحمه الله، أنه قال: لا يكون الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار.  
قال غيره: من علامة الصديق أن يكون لصديقه صديقاً، ولعدوّ صديقه عدواً.  
قال يزيد بن الحكم الثّقفي :

تصافح من لا قيت لي ذا عداوه  
وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى  
في أبيات قد ذكرتها في باب البغي والحسد وغيره، وفي رواية أخرى :  
عدوك يخشى صولتي إن لقيته  
وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى  
وقال آخر :

عدوّ صديقي داخلٌ في عداوتي  
وإني لمن ودّ الصديق ودود  
فلا تقترب مني وأنت عدوّ من  
أصادقه فالخير منك بعيد



وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا عيسى عن ابن مقسم ، قال : أنشدني أبو علي إسماعيل بن محمد الصّفّار ، قال : أنشدني أبو العباس المبرد :

صديق عدوى داخل في عداوتي      وإنيّ على ودّ الصديق صديق  
أعادي الذي عادى وأهوى له الهوى      كأنيّ منه في هواه شقيق  
وقال العتّابي :

تودّ عدوىّ ثم تزعم أننيّ      صديقك إنّ الرأي عنك لعازب  
وليس أخي من ودّتي رأى عينه      ولكن أخي من ودّتي وهو غائب  
قال آخر :

إذا والى صديقك من تعادى      فقد عاداك وانقطع الكلام  
قال معاوية : النبيل مؤاخاة الأكفاء ، ومداجاة الأعداء.  
قيل لعبد الحميد الكاتب : أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنما أحب أخي إذا كان صديقي.  
قال بعض العلماء أهل المدينة : من ثقل على صديقه خفّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون.

عذل رجل رجلا ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك ، فلا تزدهم في أعدائك ، فإن الصديق يجول بالجفاء عدوا ، وكذلك العدو يجول بالصلة صديقا.  
كان يقال : لا تجترئ على عداوة رجل بصدقة ألف.  
قال الشاعر :

تكثر من الإخوان ما استطعت أنهم      بطون إذا استتجدتهم وظهر  
وليس كثيرا ألف خلّ وصاحب      وإن عدوا واحدا لكثير  
ومما أنشده المبرد :

ترفع عن مخاشنة الصديق      ولا تلج العدو إلى مضيق  
وإن يسبح من المعروف شيء      فبادر خوف إمكان الطريق  
وأحسن من مجاهدة الأعادي      مجاهدة النفوس على الحقوق

كان المغيرة بن شعبة يقول : إن أنكأ لعدوك ألا تعلمه أنك أتخذته عدوا.  
سئل أعرابي عن ابن العمّ ، فقال : عدوك وعدو عدوك.

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوّه خلفه في حياته ، ويقدمه أمامه في وفاته.  
كان يقال : لا تلتمس معاونة ذي عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك في مخالفتك.  
جمع كسرى يوما مرارته وعيون أصحابه ، فقال لهم : من أي شيء أنتم أشد حزرًا ؟ قالوا من العدو  
الفاجر ، والصديق الغادر.  
قال موسى بن جعفر : أتق العدو ، وكن من الصديق على حذر فإن القلوب إنما سميت قلوبًا لتقلّبها.  
منصور الفقيه :

مزج المرارة بالحلاوة

احذر مودة ماذق

يحصى الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة وقال جحظة البرامكي :

وأعدّ الزمان للأصدقاء

لا تعدّن للزمان صديقاً

قال آخر :

فالغيظ يخرج كامن الأحقاد

دار الصديق إذا أستشاط تغضباً

لمعايب الأباء والأجداد

ولربما كان التغيب باحثاً

استعدى أعرابي على بلاد ابن جرير بن الحنظلي إلى قثم بن العباس فقال :

وحقوقك من طول الأذى والغوائل

أعوذ بالعبّاس وحقوى محمّد

عدوّ إذا جاملته لم يجامل

فإنّ بلالاً يابن عمّ محمّد

رمى كلّ حقّ أدعيه بباطل

إذا نال يوماً رشوة من مخلصم

قال ابن وكيع :

ربما غصّ شاربٌ بالشراب

ليس بالمنكر انقلاب صديق

كتلاقي الأرواح بعد الذهاب

وتلاقي الأخوان بعد فساد كتلاقي

فانقلاب الصديق شرّ انقلاب

لا تضيع مودة من صديق

قال آخر :

وإن بان جيرانٌ على كرام

وروّعت حتّى ما أراع من النوى

وعيني على هجر الصديق تنام

فقد جعلت نفسي على النأى تنطوي

وقال صالح بن عبد القدوس :

من أن يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

إذا وتر امرءاً فاحذر عداوته

إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

إن العدو وإن أبدي بشاشته

قال صاحب بن عبّاد :

بأن مداراة العدى ليس تنفع  
إذا استمكنت يوماً من اللسع تلسع

لقد صدقوا والراقصات إلى مني  
ولو أنني دارأت عمري حية

وقال آخر :

يوماً رأى ذنباً غير مغفور  
ما ليس صاحبه فيه بمعذور

ليس الصديق الذي إن زال صاحبه  
إن الصديق الذي تلقاه يعز في

وقال آخر :

أيام نجري مجاري السّوق

كان صديقي وكان خالصتي

قال أبو تمام الطائي :

رأيت زمامه بيدي عدوّ

وحسبك حسرة لك من صديق

قال العطوي :

فلست من التحير في مضيق

إذا أنكرت أخلاق الصديق

فأسبع فاجتنبه إلى طريق

طريقاً كنت تسلكه سليماً

فراجع من قطعت من الصديق

فإن قابلت يسرى منه عسرى

وقال عبد بني الحسحاس :

ولا ينفع المشنوء أن يتودّدا

رأيت الحبيب لا يملّ حديثه

وقال زياد اللّاعجم :

أتى منك من غيظ على كظيظ

عدوك مسرور وذو الودّ بالذي

وأنت على أهل الصفاء غليظ

تلين لأعل الغلّ والغمز منهم

وأنت لتأنيب على حفيظ

نسى لما أوليت من صالح مضي

عدواً ولكن الصديق يغيظ

وسميت غيظاً ولست بغائظ

وقال أبو الطيب :

وأعذر في بغضي لأنهم ضدّ

وأرحم أقواماً من العى والغبا

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى

وقال آخر :

شر البلاد مكاناً لا صديق به

وقال منصور الفقيه :

إذا تخلفت عن صديق

فلا تعد بعدها إليه

وإن تعد بعدها إليه

وقال آخر :

إذا كنتم الصديق أخاه سرّاً

وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاداً

فإن الداء أكثر ما تراه

وإنك قلماً استكثرت إلاّ

فدع عنك الكثير فكم كثير

وما اللّجج الملاح بمرويات

إذا انقلب الصديق غداً عدواً

وقال منصور الفقيه :

احذر عدوك مرة

فلربما انقلب الصديق

قال آخر :

كن من صديقك خائفاً

وقال آخر :

أحذر صديقك لا عدوك إنما

قال أبو بكر الخالدي :

عدوّاله من صداقته بدّ

وشرّ ما يكسب الإنسان ما يصم

فلم يعاتبك في التخلف

فإنما وده تكلف

فلا تلمه على التصلف

فما فضل الصديق على العدو

فأقل ما استطعت من الصّحاب

يكون من الطّعام أو الشراب

وقعت على ذئاب في ثياب

يعاب وكم قليل مستطاب

وتلقى الرّوى في النطف العذاب

مبيناً والأمر إلى انقلاب

واحذر صديقك ألف مرّة

فكان أعلم بالمضرة

فلربما حال الصديق

مستور سرّك عند كلّ صديق

ما في زمانك ما يعزّ وجوده

وقال الكميت يخاطب بني العباس :

إذا نحن خفنا في زمان عدوّكم

وقال آخر :

وبغضك للثقى أقلّ ضراً

ولن تنفك تحسد أو تعادى

خالفه ابن الرومي فقال :

عدوك من صديقك مستفاداً

فإن الداء أكثر ما تراه

أكثر رجل على رجل بالسلام وقال له : أنا صديقك. قال : وكيف ؟ قال : لأني أسلم عليك. فأنشأ يقول :

لئن كان من قال السلام عليكم

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

يعد صديقاً فالصديق كثير

لا تهن للصديق تكرمه

نفسك حتى تعدّ من خوله

يحمل أتقاله عليك كما

يحمل أتقاله على جملة

ليس الفتى بالذي يحول عن ال

عهد ويؤتي الصديق من قبله

ولست مستبقاً أخاً لك لا

تصفح عن جهله رعن زله

وقال آخر :

إن الصديق فلا تأمن بوائقه

أسواء العدو إذا ما سؤته أثرا

وقال رجل من بني سليم :

لعمرك إنني وأبا رباح

على حال التكاثر شر منذحين

فأبغضه ويبغضني وأيضاً

يراني دونه وأراه دوني

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخبر اليقين

وقال المتلمس :

أحارث أنا لو تشاط دماؤنا

وقال آخر :

إذا كنت مما لا ترى نافعاً

فسيان إن متّ أو إن حييت

لأبي عيينة المهلب ، أو علي بن جبلة :

ولما رأيتك لا فاجراً

وليس عدوك بالمتقي

دخلت بك السوق سوق الرقيق

فما جئتني رجلٌ واحدٌ

سوى رجل حان منه الشقا

محاط به معه درهمٌ

فبعتك منه بلا شاهد

وأبت إلى منزلي غانماً

وقال آخر :

سأصبر من صديقي إن جفاني

قال العطوى :

إذا ما الحرّ فاز بحسن حالٍ

إذا أترى رأى حقاً عليه

لعمرك ما رأيت فتى كريماً

أبا حسن تكلت الحزم فيما

لقد كذبت ظنوني فيك أن لم

وقال آخر :

إذا ما المرء كان له صديقٌ

فإن عنه الصديق أقام يوماً

تزايلن حتى لا يمسن دمّ دما

صديق ولا بالعدوّ تضرّ

فلا ذا يسوء ولا ذا يسرّ

قويّاً ولا أنت بالزاهد

وليس صديقك بالحامد

وناديت هل فيك من زائد ؟

يزيد على درهم واحد

ء وحلت به دعوة الوالد

ردئ فأقبل كالراصد

مخافة ردك بالشاهد

وحلّ البلاء على الناقد

على كلّ الأذى إلا الهوانا

أجاز صديقه من سوء حال

له الإفضال من قبل السؤال

يحب المال إلا للنوال

أحاول من مقالي أو فعالي

أتب من حسن ظني بالرجال

فبرّ صديقه فرضاً عليه

فوجه البرّ أن يسعى إليه

يضيق بذرعه ما في يديه  
يضنّ على الصديق بما لديه

وإن كان الصديق قليل مالٍ  
فمن أسنى فعال المرء ألا

وقال آخر :

ألذّ من ودّ صديق أمين  
فذلك المغبون حق اليقين

ما ضاقت النفس على شهوةٍ  
من فاته ودّ أخ صالح

عبد الله طاهر، ويروى لعلي بن الجهم، وهي له لا غيره، حدثنا عبد الوارث، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد، قال: أخبرني يحيى بن المعلم، قال: مررت بعلي بن الجهم، وقد أذن لصلاة الظهر، وقد دخل المسجد يريد أن يركع، فسلمت عليه وقلت له: لا يمكنني أن أقيم حتى تصلى لأني مبادر، قال: فيم ذا؟ فقلت: أبيع قميصي هذا وأكافئ به صديقاً له قبلي يدّ. قال: فلم أمش إلا قليلاً حتى ردي، فقال لي: اكتب وأنشدني :

وأحمل للصديق على الشقيق  
فإنك واجدي عبد الصديق  
وأجمع بين مالي والحقوق

أميل مع الصديق على ابن أمي  
وإن ألفيتني ملكاً مطاعاً  
أفرّق بين معروفٍ ومنّي

قالوا: أحذر من وترته وإن أحسنت إليه، ومن أوحشته فلا تثق به.  
قال الشاعر :

من يزرع الشوك لا يحصد به عبا  
إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته  
إن العدو وإن أبدي بشاشته

وقد تقدم في باب التودد إلى الناس أبياتٌ تصلح في هذا الباب، فلم أروهاً لتكرارها.

### باب جامع متخير في الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المرء على دين خليله، فلينظر امرؤ من يخال ".  
قال الأوزاعي: صاحب للصاحب كالرقعة للشوب، إن لم تكن مثله شانتة.  
قال الشاعر :

على ثوبه فليتخذ مشاكلاً

وما صاحب الإنسان إلا كرقعةٍ

وقال صلى الله عليه وسلم : " لا خير في صحبة من لا يرى لك كالذي يرى لنفسه " .  
وفي الخبر المرفوع أيضا " شيئان لا يزدادان إلا قلة : درهمٌ حلال ، وأخٌ في الله تسكن إليه " وقد روى  
مرفوعاً : " المرء كثيرٌ بأخيه " .

قال عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال : من إذا حدثك  
كذبتك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنتك اهتمك ، وإذا أئمت عليه كفرك ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

وعن ابن عباس أنه قال : أحب في الله ، وأبغض في الله ، وعاد في الله ، فإنه لا تنال موالاة الله إلا بذلك  
، ولن يجد عبداً طعم الإيمان ولو كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك .

قال : ولقد صارت عامة مؤاخاه الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله ، ثم قرأ ابن عباس : "   
الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين " ، وقرأ : " لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون  
من حادّ الله ورسوله " الآية .

قال المغيرة بن شعبة : التازل للإخوان متزول .

قال المنصور لإسحق بن مسلم العقيلي : ما بقي من لذتك ؟ قال : أخٌ أشتهي معه طول السهر ، ودابةٌ  
أشتهي معها طول السفر .

قال جعفر بن محمد : حفظ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كرم .

كان يقال : أنصح الناس لك من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كله ، لا تستقص عليه فتبقى بلا أخ .

كان يقال : الأخوة قرابةٌ مستفاده .

كان يقال : ما شئٌ أسرع في فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشي ، عن الأصمعي ، قال : ما رأيت شعراً أشبه بالسنّة من قول عدّي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن مقتدى

وصاحب أولى التّقوى تنل من تقاهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذي يخفي عليك إذا نظرت إلى قرينه

قال الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد



والجمر يوضع في الرماد فيخمد

عدوي البليد إلى الجليد سريعة

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

وقرة عين الفسل أن يصحب الفسلا

لكل امرئٍ شكْلٌ يقرُّ بعينه

وقال صالح بن جناح :

يزين ويزرى بالفتى قرناؤه

وصاحب إذا صاحبت حراً مبرزاً

وقال سهل الوراق :

يفاس لعمرى بالقرين قرينه

تخير قريناً لا يعيب فإنه

إذا حاد يوماً عن هواه خدينه

وشرّ خدين قاطعٌ لخدينه

وقال آخر :

كما تراني سليب العقل والدين

إن النديم وإن الكأس صيرني

قالوا : من أراد أن يدوم له ودّ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعداً فيخلفه .

أوصى رجل ابنه فقال : يا بني ! اصحب من إذا غبت عنه خلفك ، وإن حضرت كنفك ، وإن لقي

صديقك استزاده لك ، وإن لقي عدوك كفّه عنك .

وقال بعضهم : لا تؤاخ شاعراً ، فإنه يمدحك بضمن ، ويهجوك مجاناً .

لابن أخي زرّ بن حبيش :

كدين الصدق أو حسب عتيق

وما استخبأت في رجل خبيئاً

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبته زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك فاقة

مانك ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتمها وسترها ، لا تخاف بوائقه ، ولا تتخلف طرائقه .

قال أبو العتاهية :

طمعت من الإنسان في غير مطعم

لك الخير إنّي ناصحٌ لك فاسمع

ألا ليس يصفو ذو طبائع أربع

طمعت من الإنسان في صفو ودّه

وإن ضاق عما سمته فتوسع

خذ العفو من كلّ امرئٍ سمته ودّه

ولأبي العتاهية أيضاً :

أصبحت تنطف في يديه جراحي

ياربّ خدن كنت آمن غيبه

فعدا علىّ فبزني بسلاحي

سلحته ليردّ بأس عدوّه

وقال العاقولي :

ومن يهنهم يجد هوانا

من يكرم الناس يكرموه

ومن يعن لم يزل معانا

ومن يقل عثرة يقلها

فمال عن وصلنا وخانا

كان أخوا صاحباً زمانا

فما نراه ولا يرانا

تاه علينا ، وصدّ عنا

وقيل لخالد بن صفوان : أيّ إخوانك أحب إليك؟ قال : الذي يغفر زللي ، ويقبل عللي ، ويسدّ خللي .  
قال المأمون : الإخوان على ثلاث طبقات : إخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم أبدا ، وهم إخوان الصفاء ،  
وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات ، وهم الفقهاء ، وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبدا ، وهم  
أهل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اصحب من ينسى معروفه عندك ، ويذكر حقوقك عليه .

كان ابن عيينه ماشياً بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداث يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلاسى  
اليوم بعد ثمانين سنة... لقد كنت ابن عشرين سنة وما كنت أحالس أبناء العشرين ، وإنما كنت أحالس  
الشيوخ والكهول ، ألم تسمع إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيد الله :

فإن أنتما لم تفعلوا فأبأ بكر

ألا أبلغا عني عراك بن مالك

ويروى : ولا تدعا أن تتنيا بأبي بكر

على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشر

فكيف تلومان ابن سبعين حجة

وقال آخر :

كمثلك إني مبتغ صاحباً مثلي

ابن لي فكن مثلي ، أو ابتغ صاحباً

إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا

قيل لبعض المدنيين : أي الهى أغلب ؟ قال : هوى متشاكلين .

ولعبد الصمد بن المعدل :

يعرفه الناس بمنتابه

الناس أشكال فكل امرئ

ما أشبه المرء بأصحابه

لا تسألن المرء عن حاله

وقال أبو الأسود الدؤلي :

وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله  
نزيراً لمن يسعى به من ينازله  
بما أنت من أهل المروءة قائله  
ترايله في فعله وتحامله  
وعزمٍ وحزمٍ لم تجد من تداخله  
يثبت أعلى كل بيتٍ أسفله

لكل امرئٍ شكل من الناس مثله  
ومالكٍ بدٌّ من نزيل فلا تكن  
وإن أنت نازلت الكريم فلاقه  
وإن أنت نازلت اللئيم فكن فتىً  
إذا لم تداخل عزَّ من كان ذا حجاً  
وما الناس إلا بالأصول فإنما

وقال جرير :

على من الحق الذي لا يرى ليا

وإني لأستحي أخي أن أرى له

وفي هذا الشعر يقول جرير :

وخاف المنايا أن تفوتكما بيا  
فحالكٍ إني مستمرٌ لحاليا  
ليالي أرجو أن مالك ماليا  
فإن عرصت أيقنت ألا أخاليا

ألا تخافا نبوتي في ملمة  
تعرضت فاستمررت من دون حاجتي  
وإني مغرور أعلل بالمنى  
فأنت أخي ما لم تكن لي حاجةً

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر في أبياته التي يقول فيها ، فلا أدري من تقدم صاحبه إليه :

فكشفه التمحيص حتى بدا ليا  
فإن عرصت أيقنت ألا أخاليا  
بلوتك في الحاجات إلا تنائيا  
ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا  
ولكن عين السخط تبدي الساويا  
ونحن إذا متنا أشد تغانيا

رأيت فضلاً كان شيئاً ملففاً  
فأنت أخي ما لم تكن لي حاجةً  
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما  
ولست براء عيب ذي الود كله  
فعين الرضا عن كل عيبٍ كليله  
كلانا غنى عن أخيه حياته

وقد أدخل بعضهم في هذه الأبيات بيتين ، وهما :

ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا  
وإن تنأ عني تلفني عنك نائيا

ولست بهياب لمن لا يهابني  
متى تدن مني تدن منك مودتي

وقال روح أبو همام :

وعين أخو الرضا عن ذاك تعمى

فعين السخط تظهر كل عيب

وقال معن بن أوس :

على طرف الهجران إن كان يعقل

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته

يمينك فانظر أي كف تبدل

سنقطع في الدنيا إذا ما قطعني

كتب ابن عمار إلى برجوان كتاباً فيه قول الشاعر :

يمينك فانظر أي كف تبدل

سنقطع في الدنيا إذا ما قطعني

فدعا برجوان شاعراً كان قد استخضه يعرف بابن أعين ، وقال له :أجب عن هذا البيت ، فقال :

وأقبلت عن سبل الهداية تعدل

وما زلت أهدى النصح حتى اطرحته

لتسلم لي نفسي أم الهلك أجمل

فهبك يميني استخبثت فقطعتها

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فيقطعها عمداً ليسلم سائره

ألم تر أن المرء تدوى يمينه

بما ليس منه حين تدوى سائره

فكيف تراه بعد يميناه فاعلاً

أنشدني أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد قاسم ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو

بكر بن أبي خيثة لأبي الشيص محمد بن عبد الله ابن رزين :

صاحباً كان لي وكنت له

كنا كساق تسعى بها قدم

وكان لي مؤنساً وكنت له

حتى إذا حلت الحوادث من

احول عني وكان ينظر منعيني ويرمي بساعدي ويدي حتى إذا استرفدت يدي يدهكنت كمسترفد يد الأسد

وقال آخر :

قريباً وأن أجفوه وهو بعيد

واني لأستحي أخي أن أبره

وقال آخر :

وهما في السماء مقترنان

قلت للفرقدين إذ طال ليلى

ابقيا كيف شئتما عن قليل

سوف تطوى السما وتفترقان

قيل لأعرابي : لم قطعت أحاك من أبيك ؟ فقال : إني لأقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إلي من أبي وأمي وأعز فقدا.

وقال آخر :

لا تهني بعد أن أكرمتني

فشديدٌ عادةٌ منتزعه

وقال آخر :

وكل أخ مفارقه أخوه

لعمر أبيك إلا الفرقدان

وقال آخر :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا

ليلٌ يكر عليهم ونهار

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لم يكن من شكلي ففارقته

والناس أشكالٌ وألاف

وقال ابن الرومي : " وبعض السجايا ينتمين إلى بعض " قال حبيب :

ولن تنظم العقد الكعاب لزينة

كما ينظم الشمل الشتيت الشمائل

وقال المساحقي :

ترهّديني في ودك ابن مسافع

مودتك الأردل دون ذوي الفضل

وأن شرار الناس سادوا خيالاهم

زمانك إن الردل للزمن الردل

قال أكتف بن صيفي : أحقّ من يشر كك في شر كاؤك في المكاره.

أخذه دعبل فقال ، ويروي لحبيب :

وإن أولى البرايا أن تواسيه

عند السرور لمن واساك في الحزن

إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا

من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال آخر :

إذا ماخيلني أسا مرّة

وقد كان من قبلها مجملا

شكرت المقدّم من فعله

ولم يفسد الآخر الأوّلا

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندي :

إني بحبلك واصلٌ حبلي

وبريش نبلك رائشٌ نبلي

نبحت كلا بك طارقاً مثلي

وشمائلي ما قد علمت وما

قال عبيد :

وفي حياتي ما زودتني زادي  
والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

لا ألقينك بعد الموت تتدبني  
الخير أبقي وإن طال الزمان به

قال آخر :

وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وإذا تكون عظيمةٌ أدعي لها

وقال آخر :

ويحمل منك الحقّ فالتركّ أجمل  
وفي الأرض عمن لا يواتيك مرحل

إذا كنت تأتي المرء تعرف حقه  
وفي البعد منجاة وفي الصرم راحة

وقال آخر :

ومهما قال فالحسن الجميل  
عليه لأهلها وهو الرسول

له حقّ وليس عليه حقّ  
وقد كان الرسول يرى حقوقاً

قال آخر :

وأعرضت لما صار نهباً مقسماً  
على كره الوراد أن يتهدّما

وددتك لما كان ودك خالصاً  
ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

والشأن في إخواني  
رأى الزمان رمانى  
من أعظم الحدثنان  
الإامن الإخوان

نعم الزمان زمانى  
ممن رمانى لماً  
لو قيل لي خذ أماناً  
لما أخذت أماناً

وقال أيضاً :

فلما نبا صرت حرباً عوانا  
فأصبحت فيك أدم الزمانا  
فها أنا أطلب منك الأمانا

وكنت أخي بإخاء الزمان  
وكنت أدمّ إليك الزمان  
وكنت أعدك للنائبات

وقال آخر وهو كثير عزة:

وأين الشريك في المرّ أينا

خير إخوانك المشالاك في المرّ

وإن غبت كان أذنأ وعينا

الذي إن حضرت زانك في الحيّ

بدلوا كل ما يزينك شيئا

أنت في معشر إذا غبت عنهم

أنت من أكرم العباد علينا

وإذا ما حضرت قالوا جميعاً:

وقال آخر :

فأنت وأقصى الناس فيه سواء

لحا الله وصلا إن تغيبت ساعة

بدت لك منه غفلةً وجفاء

وخلأ إذا لم تأتته بهدية

وقال المثقب العبدى :

تمرّ بها رياح الصيف دوني

تواعدني مواعد كاذبات

فيعرف منك غنى من سميني

فإما أن تكون أخي بحقّ

عدواً أتقبك وتتقيني

وإلا فاطرحني واتخذني

عنادك ما وصلت بها يميني

فإني لو تعاندني شمالي

كذلك أجتوى من يجتويني

إذا لقطعتها ولقلت بيني

وقال آخر :

إن زلت عنه سويعةً زالت

أفاً وتفاً لمن مودّته

مال مع الريح حيثما مالت

إن مالت الريح هكذا وكذا

وقال صالح بن عبد القدوس :

أناصح أم على غشّ يداجيني

قل الذي لست أدري من تلوته

يد تشجّ وأخرى منك تأسوني

إني لأكثر مما سميتني عجباً

في آخرين ، وكلّ عنك يأتيني

تغتابني عند أقوامٍ وتمدحني

فاكفف لسانك عن ذمي وتزيبيني

هذان أمران شتىّ البون بينهما

عليّ بعض الذي أصبحت توليني

لو كنت أعلم منك الودّ هان إذاً

ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني  
وليس شئ من البغضاء يرضيني  
لقلت إذ كرهت قربي لها بيني  
إن تسنديني وإلا مثلها كمني  
ولا ألين لمن لا يبتغي ليني  
خشيت منه على دنياي أو ديني  
ولم أقم غرضاً للنذل يرميني  
محض المودة في البلوى يواسيني  
مغض على وغر في الصدر مكنون  
ولا العدو على حال بمأمن

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم  
أرضي عن المرء ما أصفى مودته  
والله لو كرهت كفى مصاحبتي  
ثم انتثيت على الأخرى فقلت لها:  
لا أبتغي ودّ من يبغي مقاطعتي  
إنّي كذلك إذا أمر تعرّض لي  
خرجت منه وعرضني ما أدنسه  
ربّ امرئ أجنبيّ عن ملاطفتي  
وملطف بي مدارٍ ذي مكاشرة  
ليس الصديق الذي تخشى بواده

وقال آخر :

ودون الثريا من صديقك مالكا

لسانك معسولٌ ونفسك شحّة

وقال آخر :

لنا وأشدهم بغضا إلينا  
ولا تقبل شهادتهم علينا

بنو عبسٍ أشدّ الناس بغضاً  
فلا تقبل شهادتنا عليهم

قال لقمان لابنه :ثلاثة لا يعرفون إلاّ في ثلاثة مواطن :لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ،ولا الشجاع إلاّ عند الحرب ،ولا الأخ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء :الإخوان بمرتلة النار ،قليلها متاع ،وكثيرها بوار ،فلا تسرّن بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أختياراً .

قال أسماء بن خارجة :إذا قدمت المودة سمح الشاء .  
قال أبو العتاهية :

الدهر أخوه  
ساعةً مجك فوه  
سائلاً ما رحموه

انت ما استغنيت عن صاحبك  
فإذا أحتجت إليه  
لو رأى الناس نبياً

وقال سويد منجوف :



فأبلغ مصعباً عني رسولا

وهل تجد النصيح بكل واد

تعلم أن أكثر من تتاجي

وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

وقال آخر :

لعمرك ما ودّ اللسان بنافع

إذا لم يكن أصل المودة في القلب

كان يقال :تناس مساوئ الإخوان ،يدم لك ودّهم.

وقال آخر :

يا غارساً الكروم

بجهله وسط السباخ

ومحضناً بيض القطا

تحت الحد الرجا الفراخ

إن الذين تودّهم

هم ناصبو شبك الفخاخ

ذهب الزمان بأهله

فانظر لنفسك من تؤاخ

وقال عبدة بن الطيب :

إن الذين ترونهم إخوانكم

يشفش صداع رءوسهم أن تصرعوا

فضلت عداوتهم على أحلامهم

وأبت ضباب صدورهم ما تنزع

لا تأمنوا قوماً يشبّ صبيهم

بين الوابل بالعداوة يرضع

قال لقمان لابنه :يا بني إياك وصاحب السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العبدى :

وصاحب السوء كالذاء العياء إذا

ما ارفض في الجوف يجري هاهنا وهنا

ينبي ويخبر عن عورات صاحبه

وما رأى عنده من صالح دفنا

كمهر سوء إذا رفعت سيرته

رام الجماح وان أخفضته حرنا

إن يحي ذلك فكن منه بمعزلة

أو مات ذلك فلا تقرب له جننا

ولقعب بن أم صاحب ، وهو قعب بن حمزه ، أحد بني عبد الله بن غطفان ، يهجو بني ضبة حيّ من

غطفان :

صمّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به

وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

فطانة فطنوها لو تكون لهم

مروءة أو تقى الله ما فطنوا

إن يسمعوا سيئاً طاروا به فرحاً

منّي ، وما سمعوا من صالح دفنوا

لبئست الخلتان الجهل والجبن

جهلا علينا وجبناً عن عدوهم

وكننت من بغضهم مثل الذي زكنوا

فلن يراجع ودّي ودهم أبنا

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أحماً في الله فلا تماره ولا تساره عنه أحداً ، فرمما صادفت له عدوّاً فأخبرك بما ليس فيه ، فحال بينك وبينه .  
قال أبو الأسود الدؤلى :

ولا تسمع به قبلاً وقالوا

وصله ما استقام الوصل منه

قال محمود الوراق :

ود إذا أظهر الجفاء الصريحا

لست ممن يمازق الصاحب ال

أعرت الفؤاد يأسا مريحا

أنا أنهاه ما استطعت فإن لجّ

هر هجراً ولا أقول قبيحا

غير أنني على القطيعة لا أظ

### باب العتاب

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أعقل الناس أعذرهم لهم .

قال الأحنف : العتاب مفتاح التّقالي ، والعتاب قرين الحقد .

وعن الأصمعيّ قال : قال أعرابي : عاتب من ترجو رجوعه .

قال بعض الحكماء : العتاب علامة الوفاء ، وسلاح الأكفاء ، وحاصد الجفاء .

قال العتابي : ظاهر العتاب خير من مكنون الحق ، وضربة الناصح خير من محبة الشّاني .

قال بعض الحكماء : من كثر حقه قلّ عتابه .

قال محمد بن داود : من لم يعاتب على الزلة ، فليس بمحافظٍ للخلة .

قال أسماء بن خارجة الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملال .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفطن المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلم له صديقه ، فليقبل عذره ، وليقل عتابه ، فإن العتاب يجرّ الملال .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرو بن بحر العتاب رائد الإنصاف وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرّياشي ، وهي لهشام الرقاشي : أبلغ أبا مسمع عني مغلغلةً=وفي العتاب حياةً بين أقوام

في الحق أن يلجوا الأبواب قدّامي

قدّمت قبلي رجالاً لم يكن لهم

لو عدّ قبرٌ كنت أمرمهم

قبراً وأبعدهم من منزل الدّام

وقال عبيد الله بن طاهر : أعاتب من يخلو بقلي عتابه=وأترك من لا أشتهينلا أعاتبه وقال آخر : وليس عتاب المرء للمرء نافعاً=إذا لم يكن للمرء لبّ يعاتبه وقال آخر : أعلتب من أحببت في كلّ زلّة=ليحتمي الأمر الذي معه العتب

فإني أرى التأديب عند وجوبه

بمنزلة الغيث الذي قبله الجذب

وقال علي بن الجهم : أعاتب ذا المودّة من صديق=إذا ما رابني منه اجتناب

إذا ذهب العتاب فليس ودّ

ويبقى الودّ ما بقي العتاب

وقال آخر :

لولا محبتكم لما عاتبتكم

ولكنم عندي كبعض الناس

وقال نصر بن أحمد : وتعاتب الإخوان فيما بينهم=بعث على الإجلال والإكرام

لولا اعترافي باعترافك في الذي تأتي وتترك ما أتاك ملاميو هذا يشبه قول البحترى :

أبا حسن ما كان عتبيك دونهم=لواحدة إلا لأنك تفهم وقال نصر بن أحمد :

إن كان لفظي كريها فاصطبر فعلى=كره العلاج يصحّ الله أبدانا

لولا العوارض ما طاب العتاب لنا

لولا قصارتنا للثوب ما زانا

إني أعاتب إخواني وهم تقتي

طوراً وقد تصقل الأسياف أحيانا

هي الذنوب إذا ما كشفت درست

من القلوب وإلا صرن أضغانا

وقال ابن وكيع : عتاي أخي في كل ذنب أتى به=مخوف على حال الأخوة في الودّ

ولست أرى وجهاً لترك عتابه

على ما جني إذ كان خيراً من الحقد

وقال ابن بسّام : عاتب أخاك إذا هفا=واعطف بودّك واستعده

وإذا أتاك بغيبه

واش فقل لم يعتمده

من ناقش الإخوان لم

يبد العتاب ولم يعده

وقال محمد بن أبي حازم : خلّ عنك العتاب إن=خان ذو الودّ أو هفا

عين من لا يحب وص

لك تبدي لك الجفا

وقال بشار العقلي : إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً=صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فحش واحداً أو صل أخاك فإنه

مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تسرب مراراً على القذى  
وقال آخر : البس الناس ما استطعت على النقص=وإلا لم تستقم لك خلة

عش وحيداً إن كنت لا تقبل العذ  
وقال آخر :

خذ من صديقك ما صفا  
لك لا تكن جمّ المعايب  
إن الكثير عتابه ال  
إخوان ليس لهم بصاحب  
وقال أحمد بن يوسف :

رأيتك لا تميل إلى صواب  
ولا ترضى الصواب من الجواب  
وتركك ما يريبك في كثير  
أحفّ عليك من طول العتاب  
ولعبد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليليّ لو كان الزمان مساعدي  
وعاتبتماني لم يضق عنكما صدري  
فأماً إذا كان الزمان معاندي  
فما لكما أن تؤذيانني مع الدهر  
وقال آخر :

إن الظنّين من الإخوان يبرمه  
طول العتاب وتغنيه المعاذير  
وذو الصفاء إذا مسته معتبة  
كانت له عظةً منها وتذكير  
وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل وشرح فأوضح.  
أنشد نبطويه :

وكم من ملين لم يصب بملامة  
وكم من محبّ صد من غير بغضة  
وقال أبو العباس الناشئ :

وليسست معاتباً خلاً لأبي  
رأيت العتب يغري بالعقوق  
ولو أني أوقف لي صديقاً  
على ذنب بقيت بلا صديق  
وله :

إني ليهجرني الصديق تجنّباً  
وأخاف إن عاتبته اغريته  
فأريه أن لهجره أسبابا  
فأرى له ترك العتاب عتابا

وقال آخر :

بما الذنب فيه بلا شك لك  
إلى اللوم من قبل أن أدرك  
خذ اللص من قبل أن يأخذك

عتبت على ولا ذنب لي  
وحاذرت لومي فبادرتني  
فكنا كما قيل فيما مضى

### باب الثقل والطفيين

سئل جعفر بن محمد عن المؤمن، هل يكون بغيضاً؟ قال: لا يكون بغيضاً، ولكن يكون ثقيلاً.  
قال سفيان بن عيينة: قلت لأبيوب السخيتاني: لم لم تكتب عن طاووس؟ قال: أتيتته فوجدته بين ثقلين  
عبد الكريم بن أبي الخارق، وليث بن أبي سليم.  
قال الحسن البصري، في قوله عز وجل: "فإذا طعمتم فانتشروا" يقال: نزلت في الثقلاء.  
وقال السري: ذكر الله تعالى الثقلاء في القرآن، في قوله: "فإذا طعمتم فانتشروا".  
وقال أبو أسامة: كنا عند الأعمش، فجاء زائدة بن قدامة، فقال الأعمش حين رآه:

وما الفيل تحمله ميتاً  
بأنقل من بعض جلاسنا

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً، قال اللهم اغفر لنا وله، وأرحنا منه.  
رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة.  
كان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله، قال: "ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون".  
وعن حماد بن سلمة أيضاً، أنه قال: الصوم في البستان من الثقل.  
كان يقال: مجالسة الثقل حمى الروح.

قيل لأبي عمرو الشيباني: لأي شيء يكون الثقل أثقل على الإنسان من الحمل الثقيل؟ فقال: لأن الثقل  
يقعد على القلب، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل.  
كان فلاسفة الهند يقولون: النظر إلى الثقل يورث موت الفجأة.  
قال ثقل لمريض: ما تشتهي؟ قال: أشتهي ألا أراك.  
مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة، فقال: يا أبا محمد! لولا أنه يثقل عليك، لعدت كل يوم.  
فقال الأعمش: والله إنك على لثقل وأنت في بيتك، فكيف إذا عدتني؟ قال معمر: ما بقي من لذات  
إلا ثلاثة: محادثة الإخوان، وحث الجرب، والوقعة في الثقلاء، وهي أفضل الثلاث.

وقال عبد الرزاق عن معمر ، قال : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحكّ الحرب . وأزيدكم واحدة : الوقعة في الثقلاء ، وأنشد :

ليتني كنت ساعةً ملك المومنت فأنني التّقال حتى يبيدوا

قال : وسمعت معمر يقول : رحم الله عبد الكريم أبا أمية ، إن كان لثقيلاً غير ثقة . قيل لأبي النضر : لم تكثر عن شعبة ؟ قال : كان يستثقلني ، وكنت أهلاً لذلك . قال أبو هفان :

مشتمل بالبغض لا تنشني إليه طوعاً مقلة الرّمق

يظل في مجلسنا قاعداً أنقل من واشٍ على عاشق

كان الأعمش إذا قام من مجلسه ثقیل يتمثل :

إن غاب عنك ثقیل كل قبيلة ممن يشوب حديثه بمراء

فهنالك طاب لك الحديث وإنما طيب الحديث بخفة الجلساء

وقال آخر :

إني أجالس معشراً نوكى أخفهم ثقیل

قوم إذا جالستم صدئت بقربهم العقول

لا يفقهون مقالتي ويدقّ عنهم ما أقول

وقال آخر :

إذا جلس الثقیل إليك يوماً أنتك عقوبة من كل باب

فهل لك يا ثقیل إلى خصال تنال ببعضها كرم المآب

إلى مالي فتأخذه جميعاً أحلّ لديك من ماء السحاب

وتنتف لحيتي وتدقّ أنفي وما في فيّ من ضررس وناب

على ألا أراك ولا تراني مقاطعة إلى يوم الحساب

كان يقال : بمجالسة الثقیل عذابٌ وبيل .

قال عبد الأعلى بن مسهر : كان نقش خاتم أبي : " أبرمت فقم " فكان إذا استثقل جلسه ناوله خاتمه ليقرّ أنقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيى : كان نقش خاتم أبيك ...

فذكر الخبر.

سلم ثقیل علی إبراهيم بن عبد الله القارئ صاحب هارون ، فقال له : يا هذا! قد والله بلغت منى غاية الأذى ، أسلفني سلام شهر وأرحني منك.  
قال معمر : كنت جالسا مع سماك بن الفضل في مجلس بصنعاء ، فدخل علينا صاحب له ثقیل فلما جلس قال لي سماك : يا معمر! تعال حتى ندعو علی كل ثقیل بصنعاء.  
قال الشاعر :

وتقیلٌ وتقیلٌ

أنت يا هذا ثقیل

نٌ وفي الميزان فيل

أنت في المنظر إنسا

وقال ابن أبي أمية :

وكان إلى بغیضاً مقیناً

شهدت الرقاشی في مجلس

فقلت : اقترحت عليك السكونا

قال : اقترح بعض ما تشتهي

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر الجلیس والسوء ، فإنه لا يكاد یخطئك.

قال الهیثم بن عدی : كنت يوماً عند مسعر بن كدام ، فأتاه رقة بن مصقلة العبدی ، فقال له معسر : مالك يا ابن مصقلة ؟ قال : صریع فالزوج. قال : وأین ؟ قال : عند من قضى أبوه في الجماعة ، وحكم في الفرقة.

دعانا الولید بن الحارث بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فأتينا بخوان كجوبة من الأرض ، وأتينا برفاق كأذان الفيلة ، وجرجير كأذان المعزي ، ثم أتينا بساكنة الماء كأن ظهرها ظهر طائر قيراطي ، ثم أتينا بفالودج عديد ، كأن الزئبق والجادى ينبعان من خلاله ، يرى نقش الدرهم من تحته ، فوضع علی رأس حب فنحن علی لذة من هذا وعلی یقین من ذلك. فقال له مسعر : أراك طفیفاً.

فقال : يا أبا محمد! كل من ترى طفیلی إلا أنهم يتكاثرون ، فوالله ما برحنا حتى طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد یخطر بیديه ، فقال رقة : انظروا إلى هذا وكيف یمشی؟! لو كان أبوه جدع أنف

عمرو بن العاص مازاد علی هذا

قال له مسعر : أجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره.

وقال حبيب بن أوس :

كما تبرمت الأجفان بالسهد

يا من تبرمت الدنيا بطلعته

لبعض طلعتة یمشی علی كبدي

یمشی علی الأرض مختالاً فأحسبه

وقال آخر :

لخرط قتادة ولحمل فيل  
وفك الماضغين وقلع ضرسٍ  
ولأبي الحسن على بن العباس الرومي :  
ولي أصدقاء كثير و السلام  
إذا أنا أدلجت في حاجة  
فلى أبدأ معهم وقفةً  
وفي موقف المرء عن حاجة  
ترى كل غث كثير الفضول  
يقول الضمير إذا ما بدا:  
يحدثني من أحاديثه  
أحاديث هن مثال الضريع  
غدوت وفي الوقت لى فسحةً  
تقدمت فاعتاقنى أسرة  
وقالت بلقيانه حاجتي:  
أولئك لآحيهم مؤنسٌ

وماء البحر يغرف في زبيل  
لأهون من مجالسة الثقيل  
على وما فيهم نافع  
لها مطلبٌ نازحٌ شاسعٌ  
وتسليمةً وقتها ضائعٌ  
يتممها شاغلٌ قاطع  
ومصحفه مصحفٌ جامع  
ألا قبح الرجل الطالع  
بمألا يلد به السامع  
فآكله أداً جائع  
فضاق بي المنهل الواسع  
إلى أن تقدمنى التابع  
ألا هكذا النكد البارع  
صديقاً ولا ميتهم فاجع

دق طفيليُّ دار قوم فيها طعامٌ، فقيل : من هذا ؟ فقال : أنا الذي كفاكم مؤونة الرسول .  
لطفيلي :

نحن قومٌ إذا دعينا أحببنا  
فنقل : علنا دعينا فغبنا  
ومتى ننس يدعنا التطفيل  
أو أتنافلم نجدنا الرسول

دخل طفيليُّ دار قوم بغير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ له الطفيلي في الجواب ، وقال : والله لئن قمت لأدخلنك من حيث خرجت .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجك من حيث دخلت . وأخذ بيده فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين في اثنين ؟ قال أربعة أرغفة .

قال مطرف بن مازن ، قاضي اليمن : قال لي الرشيد يوماً : من عبد الرزاق ابن همام الصنعاني ؟ فقلت :



رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة. فقال : إن صاحب خبرنا في اليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن. فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبتني فيهم. قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أستثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتي ، وطول عنقي بغلتي. فضحك هرون ، فما خرجت من عنده حتى أمر لي بكسوة وحملان.  
ولطفيلي :

كل يومٍ أدور في عرصة الحي  
فإذا ما رأيت نار عروسٍ  
لم أعرج دون التقحم لا أره  
مستخفا بمن دخلت عليهم  
فتراني ألف بالرغم منهم  
ذاك أهنا من الغر  
أشم القتار شم الذباب  
أو ختانا أو دعوةً لصحاب  
ب شتماً ووكزة البواب  
غير مستأذنٍ ولا هياب  
كلّ ما قدموا كلف العقاب  
م وغيظ البقال والقصاب

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذهاب إلى مائدة لم يدع إليها ، والمتأمر على ربّ البيت... وقد ذكرنا الحكاية بتمامها في جامع النوادر من هذا الكتاب.

### باب الشماتة

قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : " فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين "

وقيل لأيوب عليه السلام : أي شيء من بلائك كان أشد عليك ؟ شماتة الأعداء.  
قال ابن الكلبي : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شممت به نساء كندة وحضرموت ، وخضبن أيديهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ، فقال شاعر منهم :

أبلغ أبا بكر إذا ما جنّته  
أظهرن من موت النبي شماتة  
فأقطع هديت أكفهن بصارمٍ  
كالبريق أو مض في متون غمام  
أن البغايا رمن شرّاً مرام  
وخضبن أيديهن بالعنام

قال النبي عليه السلام : " لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك " من متقى الدعاء : اللهم اجعل رزقي رغدا ، ولا تشمت بي أحداً.

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء ، ومن شماتة الأعداء " .

قال عدي بن زيد العبادي :

أيها الشامت المعير بالده  
أم لديك العهد الوثيق من الأيام  
من رأيت المنون خلدن أم من  
وقال أبو ذؤيب :

وتجلدي للشامتين أريهم  
قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعي بالموت ، أظنه قال في سجوده ، فذكرت ذلك للشافعي رحمه الله ، فشمّل :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت  
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى  
قال محمد : فمات الشافعي رحمه الله ، واشترى أشهب من تركته مملوكاً ، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر ، أو قال : خمسة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ، واشترت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب ، والبيتان الذي تمثل بهما الشافعي لطرفة .  
قال مهلهل :

كأن الشامتين بقبر جدي  
كأن رماحنا فينا وفيهم  
وقال العلاء بن قرظة ، حال الفرزدق :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ  
فقل للشامتين بنا أفيقوا  
وقال نصيب :

أتصر منى عند الألى هم لنا العدا  
وقال عدى بن زيد ، وتمثل به معاوية عند موته :

وهل بالموت يا للناس عار

عبد الله بن أبي عيينة :

فتهون غير شماتة الحساد

كل المصائب قد تمر على الفتى

وقال منصور الفقيه :

إذا أتاه البشير

يا من يسر بموتي

فلاتسر نذير

إن البشير بموتي

تخفى عليه الأمور

واسمع فما أنت ممن

إلى مصيري يصير

أليس من كان مثلي

وله :

تة إن مت قبله

أيها المظهر الشما

لي من كنت مثله

عن قليل يصير مث

وله :

اليوم لي ولكم غد

يا شامتين بمصرعي

وله :

لكل حي مدى ووقت

يا شامتاً بي إن هلكت

في السير يا ذا الشمات بغت

وللمنايا وإن تراخت

تخاف منها الذي أمنت

وأنت في قبضة الليالي

تشرب منها كما شربت

والكأس ملى فعن قريب

وقال أيضاً :

وبين يوم المعزيات

ما بين يوم المهنيات

إلا كما بين ها وهات

وإن توهمته طويلاً

ومما ينسب لابن المبارك وليست له وإنما هي للمبارك الطبري :

أو اغتمام صديق كان يرجوني

لولا شماتة أعداء ذوي حسد

ولا بذلت لها عرضي ولا ديني

لما طلبت من الدنيا مراتبها

وقال آخر :

فمن يك عني سائلاً لشماتةٍ  
بما نالني أو شامتاً غير سائل  
فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة  
صبوراً على ضراء تلك الزلازل  
إذا سرّ لم يفرح وليس لنكبةٍ  
إذا نزلت بالخاشع المتضائل  
لأعرابي وقد أغير على إبله :  
الا والذي أنا عبد في عبادته  
ما سرني أن إبلي في مباركها  
لولا شماتة أعداء ذوي إحن  
وأن شيئاً قضاه الله لم يكن

### باب مؤاخاة من ليس على دينك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخال . وهذا معناه والله أعلم أن المرء يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحب إلا من يرى منه ما يحلّ ويجمل ، فإن الخير عادة . وفي معنى هذا الحديث قول عديّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه  
فكل قرين بالمقارن مقتدي

وقول أبي العتاهية :

من ذا الذي يخفى علي  
ك إذا نظرت إلى خدينه

وهذا كثير جداً ، والمعنى في ذلك : ألا يخالط الإنسان من يحملة على غير ما يحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يؤمن منه ذلك فلا حرج في صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه مقاله .

قال الله عز وجل : " وإذا حييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسن منها أو ردوها " وجاء في التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردوها لأهل الذمة .

وقيل لسعيد بن جبير : الجوسي يوليني خيراً فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلم علي أفأرد عليه ؟ قال : نعم .

وأما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال في أهل الذمة : " لا تبدءوهم بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقة " فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهراني ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلهم . قال بشير : فقلت : أترى أن يبدءوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله أما سمعت قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

عدوِّي وعدوكم أولياء " .

وقال مالك : أكره مؤاكلة أهل الذمة ، لأن المؤاملة توجب المودة .

وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدءون بالسلام كل من لقوه من مسلم أو ذمي . فالمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المار القاعد الذميّ ، والراكب المسلم الذميّ الماشي ، كما يجب ذلك بالسنة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال صلى الله عليه وسلم : " ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام " بديل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رويم ، قال : رأيت أبا أمامة الباهلي يسلم على كل من لقي من مسلم وذميّ ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، وأمان لأهل ذمتنا ، واسم من أسماء الله فنشيه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمامة السنة ، لو صحت في ذلك . بل المعنى على تأويلنا والله أعلم ، وعلى هذا يصح تخريج هذه الأخبار ووجوهها .

ذكر ابن أبي شبيب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، وشرحبيل بن مسلم ، عن أبي أمامة ، أنه كان لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا بصرائي إلا بدأه بالسلام .

وروي عن ابن مسعود وأبي الدراء ، وفضالة بن عبيد ، أنهم كانوا يبدءون أهل الذمة بالسلام .

وقال ابن مسعود : إن من التواضع أن تبدأ بالسلام كل من لقيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السلام عليك .

وسئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصراني ، فقال : أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى .

قال : فإن الله عز وجل يقول : " وقولوا للناس حسناً " .

وقيل لمحمد بن كعب القرظي : إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال ترد عليهم

ولا تبدؤهم . فقال محمد بن كعب : أما أنا فلا أرى بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لم ؟ فقال : لقوله

عز وجل : " فاصفح عنهم وقل سلام " .

ومن حجة من ذهب إلى هذا قوله عز وجل : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين " .

وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه عمر بن عبد العزيز في ذلك .

وروى ابن المبارك عن شريك عن أبي إسحاق ، قال : كان يقال : من الحمق أن تؤاكل غير أهل دينك .

قال أبو الطمحان الأسدي :

وزورة ظلّ ناعمٌ وصديق

كأن لم يكن بالقصر قصر مقاتل

ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

وإني وإن كانوا نصارى أحبهم

ولبعضهم في مجوسي ساق عنه صدق امرأته ، وهو الأقيشر الأسدي :

وأنتك حرٌّ جوادٌ خضم

شهدت عليك بطيب المشاش

إذا ما ترديت فيمن ظلم

وأنتك سيّد أهل الجحيم

فدى للمجوسي خالٌ وعم

كفاني المجوسي مهر الرباب

روى إسماعيل بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبي أويس ، يقول : سئل مالك ، أترى بأساً إذا أهدى اليهودي أو النصراني للمسلم أن يكافئه ، فقال : معاذ الله وما للمسلم أن يقبل هديته حتى يكافئه . وقال آخر :

على ما كان من دينٍ يريب

وجدنا في اليهود رجال صدق

لخلة ماجدٍ أبداً كسوب

خليلان اكتسبتهما وإني

للمريمي الشاعر ، وهو القاسم بن يحيى ، من ولد أبي مريم السلمى صاحب النبي عليه السلام ، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العبّادي عند إسلام الوليد ابن أخيه ، وكان إسحاق هذا كاتب أبي الجيش بن طولون صاحب مصر :

وكل امرئ للخير والشرّ يخلق

تعزّ فإنّ الحرّ لا بدّ يخلق

فمن بين محرومٍ وآخر يرزق

وما فرج الأيام إلا مواهبٌ

فتىّ كاد في بحرٍ من الهمّ يغرق

وما الحزم إلا أن ينزه نفسه

فإن الفتى بالصبر أحرى وأخلق

إذا لم يكن في ردّ ما فات حيلة

فلا أنا مأسورٌ ولا أنا مطلق

أتاني غمٌ من سرورٍ سمعته

وأفلقني علمي بأنك مقلق

سررت بإسلام الوليد ديانةً

وأخر محزونٌ من أجلك محرق

فقلبي به شطران جذلان واحدٌ

لنا مثله فيكم بينير ويشرق

أنار لكم فينا وأشرق كوكبٌ

فهذا بهذا والسعيد الموفق

فكم راعنا من مسلمٍ متنصرٍ

لزيبا النصراني وكان يتشيع :

بسوءٍ ولكني محبٌ لهاشم

عدىّ وتيم لا أحاول ذكركم

إذا ذكروا في الله لومة لائم

وما تعتريني في عليٍّ ورهطه

وأهل النهى من أعرب وأعاجم  
سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

يقولون ما بال النصرارى تحبهم  
فقلت لهم : إني لأحسب حبهم

وله أيضاً :

وما لسواه في الخلافة مطمع  
لما كنت إلا مسلماً أشيع

على أمير المؤمنين خليفة  
فلو كنت أبغى ملة غير ملتي

### باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أب يا رسول الله ؟ قال : " أمك قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمك : ثم من ؟ قال : أبك ثم أدناك " ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : " الصلاة لوقتها وبر الوالدين " . وقال صلى الله عليه وسلم : " البر والصلة وحسن الجوار ، عمارة الديار وزيادة في الأعمار " . وقال الحسن : البر أن تطيعهما في كل ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ، والعقوق هجرانهما ، وأن تحرمهما خيرك .

قال عروة في قوله تعالى : " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة " . هو ألا يمنعهما من شيء أراده قال يزيد بن أبي حبيب : كان العلماء يقولون : حق الأم أعظم من حق الأب ، ولكل حق . رأى ابن عمر رجلاً يطوف بالبيت حاملاً أمه ، وهو يقول لها : أتريني جزيتك يا أمه ؟ فقال ابن عمر : ولا طلقه واحدة ، أو قال : ولا زفرة واحدة .

وروى في الخبر المرفوع : " ما بر أباه من سدّد النظر إليه " . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصل إخوان أبيه " . وقال صلى الله عليه وسلم : " الود يتوارث ، والبغض يتوارث " . وقال عليه السلام : " ثلاث يطفئن نور العبد : أن يقطع ودّ أهل بيته ، ويبدّل سنّة صالحة ، ويرمي بصره في الحجرات " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة عاقّ ، ولا منان ، ولا مدمن خمر ، ولا مدمن سحر ، ولا قتات " .

للريبع بن ضبيع :

فأشرار البنين لكم فداء

ألا أبلغ بني بني ربيع

بأني قد كبرت ورقّ جلدي  
فلا تشغلكم عني النساء  
إذا كان الشتاء فأدْفُونِي  
فإن الشيخ يهرمه الشتاء  
وأما حين يذهب كل قُرٍ  
فسربالٌ خفيف أو رداء  
إذا بلغ الفتى مائتين عاماً  
فقد ذهب البشاشة والفتاء

وسئل ابن عباس ، عن رجل قتل امرأته وما توبته ؟ قال : إن كان له أبوان فليبرهما ماداما حيين ، ففعل الله أن يتجاوز عنه . وقد جاء عنه مثل ذلك في المرأة التي تعلمت السحر ثم جاءت تطلب التوبة . قال مكحول : بر الوالدين كفارة للكبائر . قال محمد بن المنكدر : بت أغمز رجل أمي ، وبات عمي يصلي ليلته ، فما تسرني ليلته بليلي . قال الشاعر في ابنه :

يود الردى لي من سفاهة رأيه  
ولو متّ بانث للعدو مقاتله

إذا ما رأني مقبلاً غضّ طرفه  
كأن شعاع الشمس دوني يقابله

ومثله :

إذا أبصرتني أعرضت عني  
ولعبد الله بن بكر السهمي :  
كأن الشمس من قبلي تدور

خالل خليل أخيك وارع إخاءه  
وبنيك ثم بني بنيك فكن لهم  
والطف بجدك رحمةً وتعطفاً  
وعلم بأن أبا أخيك أخوكا  
براً فإنّ بني بنيك بنوكا  
واعلم بأن أبا أبيك أبوكا

روي عن ابن عباس أنه قال : إنما ردّ الله عقوبة سليمان بن داود عن الهدهد لبره كان بأمه . رأى أبو هريرة رجلاً يمشي خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبي . قال : لا تدعه باسمه ولا تجلس قبله ، ولا تمش أمامه . مكتوب في كتب الله عز وجل : لا تقطع ما كان أبوك يصله فيطفاً نورك قال كعب : مكتوبٌ في التوراة ، اتق ربك ، وبرّ والديك ، وصل رحمك ، يمدّ لك في عمرك ، وييسرّ لك يسرك ، ويصرف عنك عسرك .

والآثار في بر الوالدين كثيرة جداً ، وقد نص الله في كتابه من خفض الجناح لهما ، والحضّ على برهما ما يكفي .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الولد الصالح من ریحان الجنة " .  
ونظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فقال : " إنكم لتحبون وتبخلون ، وإنكم لمن ریحان الجنة " .

دخل عمرو بن العاص على معاوية ، وعنده بنت له ، فقال : ابعدا عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله ما علمت إلا أنهن يلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن. قال معاوية : لا تقل هذا يا عمر ، فوالله ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعول على الأحران مثلهن ، ولرب ابن أخت قد نفع خاله. قال محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنات ، والله عز وجل يحاسب على النعم ، ويجازي على الحسنات.

قال منصور الفقيه :

لولا بناتي وسيأتي  
لأنني في جوار قوم  
وله أيضاً :

أحبّ البنات ، فحبّ البنات  
لأن شعيباً لأجل البنات  
وقال آخر :

لقد زاد الحياة إلى حباً  
مخافة أن ين البؤس بعدي  
ولأبي محمد الحسن بن عبيدة الريحاني :

حبذا من نعمة الل  
هن للنسل ولأ  
وبإحسان إليهن تكون البركات  
إنما الأهلون أرضو  
فعلينا الزرع فيها

كان لأبي حمزة الأعراي زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزّ عليه ، واجتنبها وصار في بيت ضرتهما إلى جنبها فأحست به يوماً في بيت صاحبته ، فجعلت ترقص ابتها الطفلة وتقول :

يظلّ في البيت الذي يلينا

تا الله ما ذلك في أيدينا

يلبث ما قد زرعه فينا

ما لأبي حمزة لا يأتينا

غضبان ألا نلد البنينا

بل نحن كالأرض لزارعينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

فعرف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امراته.

قال منصور الفقيه :

يرو عني ذكر الحنوط والكفن

لولا البنات والذنوب لم أكن

وقال آخر :

ولم أجب في الليالي حندس الظلم

ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرّحم

فيهتك الستر من لحمٍ على وضم

وكنت أحنو عليها من أذى الكلم

والدمع يجري على الخدين ذا سجم

ربّاً تكفل بالأرزاق والقسم

والموت أكرم نزال على الحرم

لولا أميمة لم أجزع من العدم

وزادني رغبةً في العيش معرفتي

أحاذر الفقر أن يلجم بساحتها

أخشى إضاعة عمٍ أو جفاء أخٍ

ما أنس لا أنس منها إذ تودّعني

لا تبرحن فإن متنا فإنّ لنا

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً

وقال آخر :

سترت بنيتي في قعر لحد

مخافة أن تذوق البؤس بعدي

أحب بنيتي ووددت أني

وما إن ذلك من بغض ولكن

رأى ابن عباس رجلاً ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنّه لو عاش فتنك ، ولو مات أحزنك .

قال محمد بن عليّ بن حسن لابنه جعفر : يا بنيّ! إن الله رضيني لك وحدّرتني منك ، ولم يرضك لي

فأوصاك بي ، يا بنيّ! إن خير الأبناء من لم يدعه البر إلى الإفراط ، ولم يدعه التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولد ريحانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد

ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، وهم نصول عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن

غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم قفلاً فيتمتوا موتك ويكرهوا قربك ويملوا حياتك. فقال له معاوية : لله أنت ! لقد دخلت عليّ وإني لملوء غيظاً على يزيد ولقد أصلحت من قلبي له ما كان فسد. فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها.

قال عليّ بن أبي طالب : ينبغي لأحدكم أن يتخير لولده إذا ولد الاسم الحسن.

وفي الخبر المرفوع : من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يشبهه ولده.

قال عمر بن الخطاب : عجلوا بكني أولادكم لا تسرع إليهم الألقاب السّود.

قال أبو جعفر محمد بن علي : بادروا بالكني قبل الألقاب.

قال : وإنا لنكفي أولادنا في الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم.

قال قتادة : رب جارية خير من غلام ، ورب غلام قد هلك أهله على يديه.

روى عن النبي صلى عليه وسلم ، أنه قال : " ما نحل والد ولده خيراً من أدب حسن " .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " من عال ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات أو ابنتين أو أختين

كنّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوّجهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجهها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

**لا تصلح المرأة بغير زوج.**

**وكما لا يصبح الجسد بلا رأس**

كان عقيل بن علفّة غيوراً ، فحمل يوماً ابنةً له وأنشأ يقول :

**ألفٌ وعبدان وذودٌ عشر**

**إني وإن سيق إلى المهر**

أحبّ أصهاري إلى القبر قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبّك لبناتك ؟ قال : إني

لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقرين البعداء ، وهن عددٌ ولسن بولد.

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علّموا أولادكم العوم والفروسيّة ، ورووهم ما سار ، من المثل ،

وما حسن من الشعر.

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليم الكتابة والسباحة.

قال الحجاج لمعلّم ولده : علّم ولدي السباحة قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا

يجدون من يسبح عنهم.

قال الشاعر :

**أدبٌ صالح وحسن الثناء**

**خير ما ورث الرجال بنبيهم**

ذاك خيرٌ من الدنانير والأو

راق يوم شدةٍ أو رخاء

وهي أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف في قائلها في باب التعليم في الصغر، من كتاب العلم. وفي ذلك الباب كثير من معاني هذا الباب، والله الموفق للصواب.

قال أعرابي، وهو حطّان بن المعلي :

أبكاني الدهر ويا ربّما

أضحكني الدهر بما يرضي

أنزلي الدهر على حكمه

من شاهق عالٍ إلى خفض

وابتزني الدهر ثياب الغني

فليس لي ثوبٌ سوى عرضي

لولا بنيّات كزغب القطا

ينهضن من بعض إلى بعض

إن هبّت الرياح على بعضهم

لم تطعم العين من الغمض

لكان لي مضطربٌ واسعٌ

في الأرض ذات الطول والعرض

وإنّما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشي على الأرض

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أبيض من آل أبي عتيق

مباركٌ من ولد الصديق

ألده كما ألذّ رقي

قالوا: من كان له صبيّ فليستصب له.

كانت أعرابية ترقص ابنها، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أحبّه حبّ شحيحٍ ماله

قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بداله

قال محمد بن يحيى النديم: أول شعر قاله عليّ بن الجهم وهو غلام في المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يجلسه يوم الخميس عنده في المكتب حتى يحفظ حزه، فحبسه فكتب إلى أمه :

أمّي جعلت فداك من أمّ

أشكو إليك فضاظة الجهم

قد سرّح الصبيان كلّهم

وحسبت بالعدوان والظلم

قال الزيادي: كنت رجلاً مثنائاً، فقيل لي: أكثر من الاستغفار وقت الجماع، واستغفر الله عند الجماع، ففعلت فولد لي بضعة عشر ولداً ذكراً.

قال الشاعر :

وما كل مننات سيشقى ببنته

وما كل مذكر بنوه سرور

ومن هذا المعنى ذكر في باب النساء.

قال أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي: ما سمعت بكار بن قتيبة القلضي قط ينشد بيت شعر إلا مرة، كنت عنده وأختصم إليه رجل وابنه، فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكار، فالتفت إليهما وأنا أسمع.  
فقال:

تعاطتيا ثوب العقوق كلا كما

أب غير بر وابنه غير واصل

كان لعبد الملك بن مروان بيت مل كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه، لا يدخله شيء من الغلول، يعدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتي يطلب أولادهن، وكان يقول: إن الغلول ييقى في الولد.  
قال أعرابي لأبيه وهو عمر بن ذر الهمداني يعاتبه: يا أبت! إن عظيم حقدك علي لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمت به إلى أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل الاعتداء.  
قيل لأعرابي، وكان له ابن عاق: كيف ابنك؟ قال: عذابٌ أزغف عليّ به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يلزم عليها الشكر.

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي أعرابي، فسأله جعفر عن بنيه فقال:

إن بني خيرهم كالكلب

أبرهم أولعهم بسبي

لم يغن عنهم أدبي وضربي

فليتني كنت عقيم الصلب

ولبعض العقلاء البررة الأدباء:

بنفسي أنت لا بأبي فإني

رأيت الجود بالآباء لو ما

كان يقال: من فوائد الدهر موت الابن العاق.

قال أمية بن أبي الصلت، وهو قد عتب على ابنه:

غذوتك مولوداً وغلثك يافعا

تعل بما أسعى عليك وتنهل

إذا ليلةً جاءتك بالشكو لم أكن

بشكواك إلا ساهراً أتمثل

كأني أنا المطروق دونك بالذي

طرقت به دوني عيني تهمل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها

لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التي

إليها مدى ما كنت قبل أو مل

كأنك أنت المنعم المتفضل

كما يفعل الجار المجاور تفعل

وولى شبابي ليس في برّه عتب

فأنت الحلال الطو والبارد العذب

إذا رامه الأعداء ممتنع صعب

من القول لا جافي الكلام ولا لغب

وكيس الأمّ أكيس البنينا

جعلت جزائي غلظةً وفضافةً

فليتك إذ لم ترع حقّ أبوتّي

ورضى أبو الشغب العبسي عن أبنه فقال :

رأيت رباطا حين تمّ شبابه

إذا كان أولاد الرجال حزاةً

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانب

يخبرني عما سألت بهيّن

وقال آخر :

فلو كنتم لكيسة أكاست

### باب الأقارب والموالى

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. " يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسئون إليّ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنت على ذلك " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من ذنبٍ أجدر بأن تجعل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم " .

ويروي عنه صلى الله عليه وسلم : " حقّ كبير الإخوة على صغيرهم كحقّ الوالد على ولده " .

وقال أبو الدرداء : مكتوب في التوراة : إن أحسد الناس لعالمٍ وأبغاهم عليه ، قرابته وجيرانه " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مولى القوم منهم " .

قال ابن عباس : قد تقطع الرحم ، وقد تكفر النعمى ، ولا شئ كتقارب القلوب . وفي رواية أخرى عنه ، تكفر النعمة ، والرحم تقطع ، والله يؤلف بين القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يرحزها شئٌ أبداً ، ثم تلا : " لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم " .

كان يقال : لا تؤدى حقّ الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك ، وتعطيه إذا حرملك .

قال الشاعر :

من الأبعد بعدّ الود القريب المناسب

وجدت قريب الودّ خيراً وإن نأى

أبرُّ من ابن الأم عن النوائب  
وربَّ قريبٍ شاهدٍ مثل غائب

ورب أخ لم يدنه منك ولدٌ  
ورب بعيد حاضرٍ لك نفعه

ولمنصور الفقيه :

وكفراً لما أوليته من عاداتكا  
عليك لعمرى أثرتي بحياتكا  
على الله في تأخيرهِ لماتكا

مناسبك الأدنى أشدَّ عداوةً  
يقول الذي بيني وبينك موجبٌ  
وما خير من يمسي ويصبح ساخطا

وقال آخر :

من الرجل البعيد الأقربونا

أشدَّ عداوةً وأقلَّ نفعاً

وقال آخر :

ولا في صديق لا تزال تعاتبه  
وفي لك عند الجهد من لا تناسبه

ولا خير في قربي لغيرك نفعها  
يخونك ذو القربى مراراً وربما  
قالت الأعرابي : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .  
قال الفضل بن العباس اللهي في بني امية :

سيروا قليلاً كما كنتم تسيرونا  
وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا  
لا تنتشروا بيننا ما كان مدفونا  
ولا نلومكم ألا تحبونا  
بنعمة الله نقليكم وتقلونا

مهلا بني عمنا عن نحت أثلتنا  
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم  
مهلا بني عمنا مهلاً موالينا  
الله يعلم أنا لا نحبكم  
كل يداجى على البغضاء صاحبه

قال مضرّس بن لقيط الفقعسى :

دماميل في وجهى على تنخس

فقدت موالى الذين كأنهم

ولما قتل الحسين بن على ، قالت بنت عقيل بن أبي طالب :

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم  
منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم  
أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمى

ماذا تقول إن قال النبي لكم  
بعترتي وبأهلى عند منطلقى  
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم

لسويد الحارثي أو غيره :

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما

فلسنا كما كنتم تصيبون مثله

ولكن حكم السيف فيكم مسلطاً

فإن قلتم إنا ظلمنا فإنكم

وقال الأضبط بن قريع :

دفنتم بصحراء الغميم القوافيا

فيقبل عقلاً أو يحكم قاضيا

فنرضى إذا ما السيف أصبح راضيا

بدائم ولكننا أسأنا التفاضيا

فصل حبال البعيد إن وصل ال

قال قيس بن زهير :

حبل وأوقص لبقريب إن قطعه

شفيت النفس من حمل بن بدرٍ

قتلت إخوتي سادات قومي

فإن أك قد شفيت بهم غليلي

قال ذو الإصبع العدواني :

وسيفي من حذيفة قد شفاني

وقد كانوا لنا حلى الزمان

فلم أقطع بهم إلا بناتي

ولى ابن عمّ على ما كان من خلقٍ

أزرى بنا أننا شالت نعمتنا

الله يعلمني والله يعلمكم

ماذا علىّ وإن كنتم ذوي رحمٍ

قال الأعشى :

مخالف لى أقلية ويقلني

فخالني دونه بل خلته دوني

والله يجزيكم عني ويجزيني

ألا أحبكم إذ لم تحبوني

وإنّ القريب من يقرب نفسه

وقال آخر :

لعمر أبيك الخير لا من تنسباً

بني العمّ منهم كاشحٌ وحسود

وأبدأ بالنعمة لهم وأعود

وإنّي للباس على المقت والقلبي

أذنبٌ وأرمي بالحصى من ورائهم

قال ابن العميد :

عد والأقارب لا تقارب

رب أو أشدّ من العقارب

آخ الرجال من الأبا

إنّ الأقارب كالعقا

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فليقه يوماً مغتاضاً. فقال له : مالك ؟ قال :



لقيني فلان - لرجل من أهله - فشتمني و آذاني .  
فقال له : هوّن عليك فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرع إليها من ابن عمٍ دنيّ إلى ابن عمسرىّ ، فهوّن عليك .

من شعر طرفة ، ويروي في شعر عدي بن زيد :

و ظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً  
على المرء من وقع الحسام المهندّ  
وقال أبو فراس الحمداني :

وهل أنا مسرور بقرب أقاربي  
إذا كان لي منهم قلوب الأبعاد  
قال العتابي : عشيرتك من أحسن عشرتك ، وابن عمك من عمك خيره ، وقرابتك من قرب منك نفعه ،  
وأحب الناس إليك أخفهم ثقلاً عليك .  
وقال :

إني بلوت الناس في أحوالهم  
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً  
وخبرت ما وصفوا من الأسباب  
وإذا المودة أقرب الأنساب  
وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا  
وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا  
وهذا مأخوذ والله أعلم من قول أكثم بن صيفي : رب أخ لم تجمعه معك ولادة .  
قال آخر :

قومي هم قتلوا أميم أخي  
فلئن عفوت لأعفون جلاً  
فإذا رميت أصابني سهمي  
ولئن سطوت لأوهنن عظمي  
وقال أبو الأسود الدؤلي :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أجحفت  
به سنةً حلت مصيبته حقدني  
قال آخر :

سأخذ منكم آل حزن لحوشب  
فإن كنت لا أرمى وعشيرتي  
وإن كان مولائي وكنتمبني أبي  
نصب جائحات النبل كشجي ومنكبي  
وقال آخر :

فلم أر عز المرء إلا عشيرة  
ولم أر ذلاً مثل نأي عن الأهل

وقال آخر :

أخاف كلاب الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

وقال المقنع الكندي ، واسمه محمد بن عمير بن أبي شمر الكندي ، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجهاً ، وأتمهم قامة ، فكان إذا كشف وجهه يؤذى ، فكان يتقنع دهره ، فسمي لذلك : المقنع . وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه جزالة ونقاوة وسباطة وحلاوة :

يعانتني في الدين قومي وإنما  
أسد به ما قد أخلوا وضيعوا  
ولي جفنة لا يغلق الباب دونها  
ولي فرس نهدي عتيق جعلته  
وإن الذي بيني وبين بني أبي  
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم  
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم  
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هم  
وإن زجروا طيري بنحس يمر بي  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم  
لهم جل مالي أن تتابع لي غنى  
وإن لعبد الضيف مادام نازلاً

ديوني في أشياء تكسبهم حمداً  
حقوق تغور ما أطاقوا لها سداً  
مكللة لحمياً مدفقةً ترداً  
حجاباً لبيتي ثم أخدمته عبداً  
وبين بني عمي لمختلف جداً  
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً  
وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشداً  
دعوني إلى نصر أتيهم شداً  
زجرت لهم طيراً يمر بهم سعداً  
وليس رئيس القوم من يحمل الحقداً  
وإن قلت مالي لم أكلفهم رفداً  
وما شيمة لي غيرها تشبه العبداً

وقال طرفة :

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وقال عوف التميمي :

ولست لقومي بعبابة  
أعف وابدل مالي لها  
وشر العشيرة من عابها  
ولا أتعلم ألقابها

وقال أبو الطمحان القيبي :

إذا كان في صدر ابن عمك إحنةً  
فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

قال آخر :

كساع إلى الهيجا بغير سلاح  
وهل ينهض البازي بغير جناح

إن الذليل الذي ليست له عضد  
ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وليس لمن تحت التراب نسيب

وابن أبٍ متهم الغيب  
مشمتم الثوب على العيب

وأنت سننتها للناس قبلي

والتفت بالنهار قبل الكلام

فأول راضٍ سنةً من يسيرها

أخاك أخاك إن من لا أخا له  
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه

قال الثقفى :

من كان ذا عضد يدركظلامته  
تتبو يدها إذا ما قلَّ ناصره

وقال أشجع السلمى :

نسيبك من أمسى يناجيك طرفه

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

رب غريبٍ ناصح الجيب  
ورب عيابٍ له منظرٌ

قال محمد بن أبان اللاحقي يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها

واللاحقي هو القائل :

إخفض الصوت إن نطقت بليلٍ

وفي معنى قول اللاحقي في البيت الأول قول الهذلي :

فلا تفزع عن من سيرة أنت سرتها

### باب المملوك والمالك

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يدخل الجنة سيء المملكة " .

كان يقال : التسلط على المملوك دناءة .

وقال بعض الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حسن عيش غيره في عيشه .

كان يقال : الإلحسان إلى الخادم يشجى العدو ، ويذهب البؤس ، والكسوة تظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثروا شراء الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقاً من سيده .

اشترى عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي عبد بني الحسحاس واسمه سحيم ، وكان حبشياً سمحاً شاعراً ،  
وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد اشتريت لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي به  
، وإنما حظ أهل العبد الشاعر إذا شيع أن يشيب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم.  
قال لقمان لابنه : يا بني إياك وخدمة العين. قال : وما خدمة العين ؟ قال : ألا يكون لك عبد لا يخدمك  
إلا حيث يراك.

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهل البصرة ، فجعلوه سقاءً على ظهر بعير لهم ، فلبث الأعرابي حيناً ثم  
لقيه فسأله عن حاله ؟ فقال : أنا في سفر لا ينقضي ، وغدير لا يترح ، وقوم لا يروون.  
قال بعض الحكماء : أفضل المماليك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ، وأسرع قبولاً.  
كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبر ، والأعجمي حتى يفصح.  
روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ، قال : من حلف على ملك  
بيمينه أن يضربه فكفارته تركه ، ومع الكفارة حسنة.  
قال أبو الفتح :

وتقويم عبد الهون بالهون رادع

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصا

وقال آخر :

رأى خللاً فيما تدير الولايد

إذا لم يكن في منزل المرء حرة

فهن لعمر الله بنس القعائد

فلا يتخذ منهن حرّاً قعيدة

قال آخر :

والحر تكفيه الملامة

العبد يزجر بالعصا

وقال آخر :

والحر تكفيه الإشارة

العبد يقرع بالعصا

أخذه من قول مالك بن الربيع :

والحر يكفيه الوعيد

العبد يقرع بالعصا

وقال بشار :

وليس للملحف مثل الرد

الحر يلحى والعصا للعبد

كان يقال الحر حرٌّ وإن مسه الضر ، والعبد عبد ولو مشى على الدر أخذه الشاعر فقال :

وإن الحر في الحالات حرٌ

وقال يزيد المهلي :

وإن الذل يقرب بالعبيد

إن العبيد إذا أذلتهم صلحوا

قال المتنبي :

على الهوان عن أكرمتهم فسدوا

لا تشتري العبد إلا والعصا معه

وقال آخر :

إن العبيد لأنجاسٌ مناكيد

إذا برم المولى بخدمة عبده

تجنى له ذنباً وإن لم يكن ذنب

### باب الذكر والثناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم " ؟ قالوا : بم ذا يا رسول الله ؟ قال : " بالثناء الحسن والثناء السيء ، أنتم شهداء الله في الأرض ، بعضكم على بعض " .  
قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .  
وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحرار : إذا أحببتهم أن تعملوا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن ثناء .  
قال مطرف بن الشخير : عنوان كرامة الله لعبده حسن الثناء عليه ، وعنوان هوانه سوء الثناء عليه .  
قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل .  
ومن ها هنا والله أعلم أخذ ابن دريد قوله :

فكن حديثاً حسناً لمن وعى

وإنما المرء حديثٌ بعده

قال آخر :

فكوني حديثاً حسن

أرى الناس أحداثاً

قال آخر :

وكل امرئ يوماً يصير إلى كان

وكل جديد يا أميم إلى البلى

وقد مضى قوله حاتم الطائي : أخاف مذمات الأحاديث من بعدي مات ابن الحبيب بن الملهب ، فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه ، فقبل له : أتقدمه وأنت أسن منه ؟ قال : إن أخي قد شرفه الناس وشاع له فيهم الصيت ، ورمته العرب بأبصارها ، فكرهت أن أضع منه ما رفع الله .  
قال رجل من غنى :

ومن الحديث مهالكٌ وخلود

فإذا بلغتكم أهلكم فتحدثوا

قال آخر :

بإحساننا إن الثناء هو الخلد

فأثنوا علينا لا أبأ لأبيكم

قال الأسدي :

وكالخلد عندي أن أموت ولم ألم

فإني أحب الخلد لو أستطيعه

كان أبو عمرو بن العلاء يتمثل :

خير أهدوثة تكون فكنها

وسيبقى الحديث بعدك فانظر

قال داود بن جهور ، وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ، والله أعلم :

فكنه يكن منك ما يعجبك

إذا أعجبتك طباع امرئ

حجابٌ إذا جئته يحجبك

فليس على الجود المكرمات

قال آخر :

ما قاته وفضول العيش أشغال

ذكر الفتى عمره الباقي وحاجته

قال التهامي :

حتى يرى خبراً من الأخبار

بيننا يرى الإنسان فيها مخبراً

## باب البكاء على ما مضى من الأزمان

### والتلهف على صالح الإخوان، والحنين إلى الأوطان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : " فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخفت أمانتهم " ؟ قيل لبعض الحكماء : بأي شيء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال : بحنينه إلى أوطانه ، وتلهفه على ما مضى من زمانه .  
روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .  
روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد :

وبقيت في خلف كجلد الأجر

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

يتحدثون ملالة وخيانة

ثم قالت : كيف لو أدرك ليبد زماننا هذا ؟ قال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟ .  
بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله ليبدأ ، لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله ليبدأ  
ورحم عائشة ، لقد أصبت باليمين سهما في خزائن عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريش  
مفوق مكتوب عليه :

فهل لي إلى أجدال هند بذي اللوى      لوى الرمل من قبل الممات معاد  
بلاد بها كنا ونحن نحبها      إذ الناس ناسٌ والبلاد بلاد  
قال أبو العتاهية :

لله أزمنة عهدت رجالها      في النائبات وإنهم لكرام  
ماذا أقول لو فسد الزمن الذي      هلك الأرامل فيه والأيتام  
زمن هوت أعلامه وتقطعت      فرقا فليس لأهله أعلام  
زمن مكاسب أهله مدخولةً      جدا فروع أصوله الآثام  
زمن تحامى المكرمات سراته      حتى كأن المكرمات حرام

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوز وهو في بيت عائشة ، فأكرمها وقربها  
ووصلها ، فقالت له عائشة : من هذه العجوز ؟ فقال : " كانت تأتينا وتزورنا أيام خديجة ، وحفظ  
العهد من الإيمان " .  
وقال آخر :

ذهب الزمان برهط حسان الألى      كانت مناقبهم حديث الغابر  
وبقيت في خلف تحلّ ضيوفهم      منهم بمنزلة اللثيم الغادر  
سود الوجوه لئيمةً أحسابهم      فطس الأنوف من الطرز الآخر  
وقال آخر :

مضى الذين إذا ما جئت أسألهم      قالوا برحبٍ : على العينين والراس  
وقد بقيت بأوغادٍ أكابرهم      ليسوا بناسٍ بلى أشباه نسناس  
وقال عتبية الأعور :

ذهب الذين أحبهم      وبقيت فيمن لا أحبه  
إذ لا يزال كريم قو      م فيهم كلبٌ يسبّه

وقال الحارث بن الوليد :

هشوا وقالوا مرحباً بالمقبل  
ولغ الكلاب تهارشت في منهل

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً  
وبقيت في خلف كأنّ حديثهم

وقال الأحوص :

وبقيت كالمفقود في خلف  
متصنعٍ يكفي ولا يكفي

ذهب الذين أحبهم سلفاً  
من كلّ مطوىّ على حنق

وقال بشار :

وجرى مع الطّرف الحمار الموكف

فسد الزمان وساد فيه المقرف

كان سفيان الثوري يقول : ذهب الناس فلا مرتع ولا مفرع ولعبد الله بن المبارك الفقيه ، وتروى لغيره :

والمنكرون لكلّ أمرٍ منكر  
بعضاً ليأخذ معورٌ من معور  
متكبين عن الطريق الأكبر  
قدرٌ وأبعدها إذا لم يقدر  
والعلم أنفع من كنوز الجواهر  
في صورة الرجل السميع المبصر  
وإذا يصاب بدينه لم يشعر

ذهب الرجال المتقدي بفعالهم  
وبقيت في خلف يزين بعضهم  
ركبوا ثنيات الطريق فأصبحوا  
ما أقرب الأشياء حين يسوقها  
العلم زين للرجال مروءة  
أخي إن من الرجال بهيمة  
فطن لكلّ مصيبة في ماله

ولأبي حفص عمرو بن عليّ بن بحر الفلاس ، وكان أحد أئمة أهل الحديث الحفاظ الجليلة :

وباد رجاله وبقي الغناء  
كأمثال الذئب لهم عواء  
وأعداء إذا نزل البلاء

ألا ذهب التّكرم والوفاء  
وأسلمي الزمان إلى رجالٍ  
صديق كلما استغنيت عنهم

وقال منصور الفقيه :

رار دلاً ومهانه  
إنما أنت زمانه  
والعلا فيك مهانه

يا زماناً أورت الأح  
لست عندي بزمانٍ  
كيف نرجو منك خيراً



أجنوناً ما نراه

منك يبدو أم مجانه

وقال آخر :

كنا نعير من يأتي بفاحشة

والناس يرعون حق الدين والحسب

فالناس قد تركوا التعبير كلهم

لما استوى الناس في الفحشاء والكذب

وقال آخر :

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذّاهب

فالناس بين مجامل وموارب

وقال آخر :

ذهب التكرم والوفاء من الورى

وتقرّضا إلا من الأثمار

وفشت خيانات الثقات وغيرهم

حتى اتهمنا رؤية الأبصار

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبي الشّدي :

مضى دهر السّماح فلا سماح

ولا يرجى لدي أحد فلاح

رأيت الناس قد مسخوا كلابا

فليس لديهم إلا النّباح

وأضحى الظّرف عندهم قبيحا

ولا والله إنهم القباح

سلام أهل إبليس عليكم

فإن البين أوشكته الرّواح

نروح فنستريح اليوم منكم

ومن أمثالكم قد يستراح

إذا ما الحرّ هان بأرض قومٍ

فليس عليه في هرب جناح

وقال آخر : مضى الجود والإحسان واجتث أصله=وأحمد نيران التّدى والمكارم

وصرت إلى ضرب من الناس آخر

يرون العلا والمجد جمع الدّراهم

كأنهم كانوا جميعاً تعاقدوا

على اللؤم والإمساك في صلب آدم

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوقا إلى مكة ، ويرفع عقيرته : ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةً=بوادٍ

وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة

وهل يبدون لى شامةً وطفيل

ولا بن ميادة واسمه الرّمّاح : ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةً=بجرة ليلي حيث ريّنتي أهلى

بلادٌ بها نيطت على تمانمي

وقطعن عني حين أدركني عقلي

وقال آخر : أحبّ بلاد الله ما بين منعجٍ=إلى وسلمى أن يصوب سحابها

وأول أرض مسّ جلدي ترابها

بلادٌ بها عرقُ الشبابِ تماثمي

وقال آخر : أحنّ إلى دهرٍ مضى بغضارةٍ=إذا العيش رطبٌ والزمان مواتي

يقطع قلبي ذكره حسرات

وأبكى زماناً صالحاً قد فقدته

ففرقنا منه بنبل شتات

تمطى علينا الدهر في متن قوسه

وقال متمم بن نويرة :

وكنا كندماي حذيمة حقة=من الدهر حتى قبل لن يتصدعا

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فلما تفرقنا كأني ومالكا

وقال آخر :

عسرٌ ويسرٌ على الحالين أشهده

خمسون عاماً تولت من تصرفها

إلا بكيت عليه حين أفقده

لم أبك من زمن صعب لشدته

إلا ظلت لستر القبر أحسده

وما جزعت على ميت فجعت به

إلا وفي زمني قد صرت أحمده

وما ذممت زماناً في تقلبه

ولأبي عبد الرحمن العطوي ، واسمه محمد بن عطية :

وعن زوال الندى في العرب والعجم

سألت عن سبب الإقتار والعدم

أم التواصل في الدنيا على عقم

نودي : هوت أنجم الإفضال واشتملت

قد كان يرعى من الأخلاق والذمم

أنعمى إليك مواساة الصديق وما

لم يبق منهنّ إلا دارس العلم

أنعمى إليك خلال الفضل قاطبةً

قومٌ لقومٍ وأين الحفظ للحرم

أين الوفاء الذي قد كان يعرفه

أهل الوغاء وأهل الفضل والكرم

أين الجميل الذي قد كان ملتبسا

ثم ابل سرهم في حالة العدم

أيسر أنت صديق الناس كلهم

فلست من طرقات الخبير في أمم

فإن وجدت صديقا عند نائبةٍ

وخانتي كل ذي ودٍّ وذئ رحم

لما أناخ على الدهر كلكله

أهل الندى والهدى والبعد في الهمم

ناديت ما فعل الأحرار كلهم

أحدثه عنهم تخبرك عن رمم

قالوا : حدا بهم ريب الزمان فسل

روينا عن عبد الله بن مصعب الزبيري أنه قال : خرجنا إلى الغزو زمن مروان بن محمد حتى إذا كنا ببعض الطريق أصابنا مطرٌ وابل ، قملنا إلى قصر رفع لنا فصرنا إلى فئانه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبي وأمي ! من أين أنتم فقلنا : من مكة . فتنفست الصّعداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذا سكن بالشام يألفه  
فإن في غيره أمسى لى السّكن  
وإنّ ذا القصر حىّ مابه وطنى  
لكن بمكة أمسى الأهل والوطن  
من ذا يسائل عنا أين منزلنا  
فالأقحوانة منّا منزلٌ قمن  
إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره  
ضغن الوشاة ولا ينبوبنا الزّمن

قال : فمضينا في غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفلنا راجعين ، أخذنا المساء عند ذلك القصر ، فأضافنا صاحبه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثمّ حاجة . فقال : وما هي ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تمّ ، فقال : ما شاء الله كان ، والله لو كانت حية ما مضيت إلّا بها ، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفاً على مفارقة من نشأت معه .

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح فقيه مكة رضى الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركه ، قال : فلما نزلت عليه رحبّ بي وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المدرة ؟ فقلت : دين ركبني لم تف به جائزة أمير المؤمنين ، فضاق ذرعي فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمت خير مقدم ، يقضي دينك وتنصرف مجبوراً إلى وطنك . قال : فأقمت عنده شهوراً في أحسن مثوى وأكرم ضيافة ، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج ، فأدركتني وحشة ، ولم أملك العبارة ، وحنّت نفسي إلى الوطن ، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناى بالدموع ، فقال لي : مالك ؟ قلت : رأيت الناس في أهبة الحج والخروج إلى مكة فذكرت أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى قال : وأى أبيات عمر هي ؟ فقلت : قوله :

هيهات من أمة الوهّاب منزلنا  
إذا نزلنا بسيف البحر من عدن  
واحتلّ أهلك أجيادا فليس لنا  
إلا التذكر أو حظّ من الحزن  
بل ما نسيت غداة الخفيف موقفها  
وموقفي ، وكلانا ثمّ ذو شجن  
وقولها للثريا وهي باكية  
والدمع منها على الخدين ذو سنن  
بالله قولى له في غير معتبة  
ماذا أردت بطول المكث في اليمن  
إن كنت حاولت دنيا أو رضيت بها  
فما أخذت بترك الحجّ من ثمن

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعم. قال : صحبتك السلامة ، ورزقت العافية. وخرجت من عنده فما وصلت إلى موضعي ، حتى سبقتني خمسة عشر بغلا عليها عصب اليمن ، ودراهم ، وضروب من الخير ، فقضيت ديني وتأثلت منه كثيراً مما بيدي اليوم.

### باب مدح مغالبة الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حبك الشيء يعمي ويصم " .  
قال وهب بن ميمونة : العقل والهوى يصطرعان ، فإيهما غلب مالٌ بصاحبه.  
قال ابن دريد :

على هواه عقله فقد نجا

وآفة العقل الهوى فمن علا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى.  
قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار قال سفيان الثوري : أشجع الناس أشدهم من الهوى أمتناعاً.  
وقال : من المحقرات تنتج الموبقات.  
ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا :

إلى بعض ما فيه عليك مقال

إذا أنت لم تعصي الهوى قالك الهوى

" قلت : لو قال : إلى كل ما فيه عليك مقال " كان أبلغ وأحسن.  
قال بعض الحكماء : إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه.  
قال بعضهم : اعص النساء وهواك ، واصنع ما شئت.  
قلت : لو قال اعص الهوى لا كتفي.  
قيل للمهلب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى.  
قالوا : ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن إلا ذمه.  
قيل لشريح : أحمد الله لما سلمك من الفتن. قال : كيف أصنع بقلبي وهواي ؟ قال : الهوى غالب ، والقلوب مغلوبة.  
قال امتدح بترك الهوى من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

وأترك ما هويت لما خشيت

وأجتنب البوائق حيث كانت

أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصر بن محمد الأسدي الكوفي ، حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ، حدثنا مخلد بن حسين ، حدثنا هشام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بيتا عمر بن الخطاب يجوس ذاتة ليلة إذ سمع امرأة وهي تقول :

### هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها أم من سبيلٍ إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح قال : عليّ بنصر. فجيء به ، فإذا هو أجمل الناس ، فقال : إنها المدينة فلا تساكني فيها. فخرج إلى البصرة فزل على ابن عم له ، هو أمير البصرة ، فبينما هو جالس مع ابن عمه وامرأته ، إذ كتب في الأرض : إني لأحبك حباً لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك. فقرأته وكتبت تحته : وأنا. وكان الأمير لا يقرأ ، فعلم أنه جواب كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من يقرأه ، فبلغ ذلك نصرأ ، فلم يجئ إليه ، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر الأمير بذلك ، فقال : اذهبي إليه ، فأبت ، فقال : عزمت عليك إلا ذهبت إليه وأسندته إلى صدرك وأطعمته. قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة. فكأنه انتعش شيئاً ، فصعدت إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته ، فأفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقيه بعدها. قال إبراهيم بن عثمان : الأمير مجاشع بن مسعود السلمى ، وامرأته الخضراء. قال إبراهيم بن عثمان : وأخبرني محمد بن كثير ، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر رضي الله عنه :

لعمري لئن سيرتني وحرمتني	وما جئت ذنباً إن ذا لحرام
ومالي ذنبٌ غير ظنّ ظننته	وفي بعض تصديق الظنون أثم
أأن غنت الذلفاء يوماً بمنية	وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بي الأمر الذي لو أتيت	لمل كان لي في الصالحين مقام
ويمنعني مما تمننت حفيظتي	وأباء صدقٍ صالحون كرام
ويمنعها مما تمننت صلاتها	وبيتٌ لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي	فقد جبّ مني غاربٌ وسنام

قال بعض الحكماء : الهوى عدو العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك.

ومما ينسب إلى الشافعي ، وأظنه لسهل الوراق :

إذا حار ذهنك في معنيين وأعياك حيث الهوى والصواب

## فدع ما هويت فإن الهوى

## يقود النفوس إلى ما يعاب

قال غيره : اغتتم من الخير ما عجلت ، ومن الهوى ما سوفت .  
كان يقال : إذا غلب عليك عقلك فهو لك ، وإن غلب عليك هواك فهو لعدوك .  
قال عمر معاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه راداً لهواه .  
قال أعرابي : ما أشد حولة الرأي عند الهوى ، وأشد فطام النفس عند الصبر .  
قال نبطويه :

### إن المرائي لا تريد

### ك خدوش وجهك في صداها

### وكذلك نفسك لا تريد

### ك عيوب نفسك في هواها

وعن نبطويه ، قال : تضيّف صديقٌ لي من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت :  
أيها الرجل مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجراً لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن  
لم يكن لك ناه من دين ؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عود نفسه الرفث  
والخنا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً ، وقلما مجن رجل إلا هلك .  
قال الشاعر :

### الحب زورٌ والهوى باطل

### والقلب ما أجرته يجري

### وترك ما تهوى يسيرٌ إذا

### أعملت فيه سعة الصدر

وقال منصور النمري :

### وإن امرءاً أودى الغرام بلبه

### لعريان من ثوب الفلاح سليب

قال آخر :

### عين المحب كليلَةٌ

### عن عيب كل فتى يود

قال عمر بن أبي ربيعة :

### حسنٌ في كل عينٍ من تود

### وعين السخط تبصر كل عيب

وقال روح أبو همام :

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

### وعين أخي الرضا عن ذلك تعمى

ولكنَّ عين السخط تبدي المساويا

فعين الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ

قال أبو العتاهية :

أقصر عن بعض ما به أبصر

والمرء يعمى عن يحب فإن

### باب معنى عشق النساء والهوى فيهن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما رأيت من ناقصات عقل ودين ، أسلب لعقول ذوي الألباب منكن " .

سئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغل قلبٍ فارغ .

وجد في صحيفة لبعض أهل الهند : العشق ارتياحٌ جعل في الروح ، وهو معنى تنتجه النجوم بمطارح شعاعها ، وتتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس بلطيف خواطرها ، وهو بعد جلاء للقلوب ، وصقيل للأذهان ما لم يفرط ، فإن أفرط عاد سقما قاتلا ، ومرضا منهكا ، لا تنفد فيه الآراء ، ولا تنجع فيه الحيل ، العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكثم ، وثمامة بن أشرس ، فقال المأمون ليحيى : خبرني عن حد العشق فقال : يا أمير المؤمنين سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمامة : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب في مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أحب يا ثمامة . فقال : يا أمير المؤمنين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثقت لمخور ساطع تستضيء به بواطن العقل فتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصور من ذلك اللحم نور حاضر بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا .

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درت مآقيها ، ويجنو على كبد قد أعيت مداويها . ذكر رجل أيام شبابه وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوى شربته النفس أيام شبابه ، فاستخفت بالعاذلات وعتابها .

وصف بعض الحكماء الهوى الذي هو عشق للنساء ، فقال : بطن فرق ، وظهر فكثف ، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والكمون .

وقال بعض الأدباء : الهوى جليسٌ ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مملك ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبة متضادة وأحكامه سائرة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول

وآراءها ، وأعطى عنان طاعتها ، وقاد نصرها ، تواری الأَبصار مدخله ، وغمض في القلوب مسلكه .  
قال عباس بن الأحنف ، فيما أنشده إسحاق الموصلي له .

فلو كان لي قلبان عشت بواحد  
ولكنما أحيا بقلبٍ مروّع  
تعلّمت ألوان الرّضا خوف سخطها  
ولي ألف وجهٍ قد عرفت مكانه  
وخلّيت قلباً في هواك يعذب  
فلا العيش يصفو لي الموت يقرب  
وعلمها حبّي لها كيف تغضب  
ولكن بلا قلبٍ إلى أين أذهب  
وللصّمة القشيري :

لعمري لئن كنتم على النّأى والغنى  
إذا زفرات الحبّ صعّدن في الحشى  
بكم مثل ما بي إنكم لصديق  
رددن ولم يفتح لهن طريق  
للعباس بن الأحنف :

أرى الطّريق قريباً حين أسلكه  
أنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه في معنى بيت عباس هذا :  
أمر نشيطاً إذا زرتكم  
وسير المطية ما كدني  
وقال العباس بن الأحنف :

يقرب الشوق داراً وهي نازحة  
من عالج الشوق لم يستبعد الدار  
وله :

مت على من غبت عنه أسفاً  
لن ترى قرّة عين أبداً  
قلت لما شفني وجدي بهم  
بين الدمع لمن يبصرني  
ولحمد البيزدي :

أتيتك عائداً بك من  
وصيرني هواك وبي  
ك لما ضاقت الحيل  
لحيني يضرب المثل



فما لاقيته جل

فإني ذلك الرجل

ليس إلا بكم يتم السرور

أنكم غبتم ونحن حضور

أن تطيروا مع الرياح فطيروا

ق فكدنا وما فعلنا نظير

ن إليكم ما قد يجنّ الضمير

في سرورٍ فدام ذلك السرور

قال بعض الأدباء : ما أشد جولة الرأي عند الهوى و فطام النفس عند الصبّا ، لقد تصدعت كبدي للمحبّين لو العاذلين قرطة في آذانهم و نيران متأحجة في أبدانهم لهم دموع غزيرة على المغائي ، كغروب السّواني وأنشد :

عليهنّ من غرّ الغمام جيوب

ولكنها تزهى بها وتطيب

يلي كلّ ما شفّ النفوس يضيرها

ويمنع منها نومها وسرورها

وأهلي وراء الشمس حيث تغيب

وقال الهوى لي إنه لقريب

أتينا برياكم فطاب هبوبها

وريح الخزامي باكرتها جنوبها

فإن سلمت لكم نفسي

وإن قتل الهوى رجلاً

كتب المهدي إلى الخيزران وهو بمكة :

نحن في أفضل السرور ولكن

عيب ما نحن فيه يا أهل ودي

فأجدوا المسير ، بل إن قدرتم

فأجابته :

قد أتانا الذي وصفت من الشو

ليت أنّ الرياح كن يؤدي

لم أزل صبّةً فإن كنت بعدى

سقى الله أطلالاً لليلي وشققت

فما تقشعرّ الأرض إن نزلت بها

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضرّيك نأيها

أليس يضير العين أن تكثر البكاء

وقال آخر :

قلو أن شرق الشّمس بيني وبينها

لحاولت قطع الأرض بيني وبينه

وقال الصمّة بن عبد الله القشيري :

إذا ما أتتنا الريح نحو أرضكم

أتينا بريح المسك خالط عنبراً

وقال آخر :

وجوى الحب مفتح كلّ حلو  
ظلّ ضعفاً ثبير من ذاك يهوى  
يا ثقاتي فإنني غير خلو

ضاف قلبي الهوى فأكثر سهوى  
لو علا بعض ما علاني ثبيراً  
من يكن من هوى الغواني خلواً

قال العباس بن الأحنف :

وفاضت له من مقلتيّ غروب  
أمرّ بوادٍ أنت منه قريب  
إليكم تلقى طيبكم فيطيب  
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى  
وما ذاك إلا أن تيقنت أنني  
يكون أجاها قبلكم فإذا انتهى  
أيا ساكني شرقيّ دجلة كلكم

قال بعضهم : لو لم يكن في العشق إلا أنه يشجع قلب الجبان ، ويسخي كف البخيل ، ويصفي ذهن الغبي ، ويعث حزم العاقل ، ويخضع له عزّ الملوك ، وتصرع له صولة الشجاع ، وينقاد له كلّ ممتنع ، لكفي به شرفاً.

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إذا ترعت هتوف الضحى على الغصون ، أرسلت الشئون مياها إلى العيون ، فمن ذاد عينيه عن البكا أورث قلبه حزناً.

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة ، فأطمعت في نفسها ، فبعث يستهديها طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه : رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبك لا أراه تجاوز المعدة.

قال أعرابي من فزارة : عشقت امرأة من طي ، فكانت تظهر لي مودّة ، فوالله ما جرى بيني وبينها شيء من رية ، غير أني رأيت بياض كفها ليلة ، فوضعت كفي على كفها ، فقالت : مه ! لا تفسد ما صلح ، فأرفضت عرقاً من قولها ، فما عدت لمثل ذلك.

قال بعضهم : الرجل يكتم بغض المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوماً واحداً ، والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً ، ولا يمكنها أن تكتم بغضه يوماً واحداً.

قال يوسف بن هرون :

فتأولوها أفبح التأويل

دقت معاني الحب عن أذهانهم

وقال كثير :

إذا ما رادت خلّة أن تستميلنا

وقال حبيب :

أبيننا وقلنا الحاجبية أول

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

لعلّي بن الجهم :

فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

يا سائلي ما الهوى اسمع إلى صفتي

ماء المدامع نار الشوق تحدره

وقال أبو العتاهية :

الحبّ أعظم من وصفي ومقداري

فهل سمعت بماءٍ فاض من نار

أذاهب الهوى جسمي ولحمي وقوتي

رأيت الهوى حجر الغضا غير أنه

وقال آخر :

فلم يبق إلا الروح والجسد النضو

على كلّ حال عند صاحبه حلو

أسرّ الذي بي والدموع تبوح

وبين ضلوعي لوعة لم أزل بها

وقال الصّمّة القشيري :

وجسمي سقيم والفؤاد قريح

أذوب اشتياقاً والفؤاد صحيح

أما وجلال الله لو تذكريني

فقال: بلى والله ذكراً لو أنه

وأكثرهم ينسون إليه في هذا الشعر قوله :

كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

يصبّ على صمّ الصفا لتصدّعا

حننت إلى رياء ونفسك باعدت

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها

وأذكر أيام الحمى ثم أنثي

فليست عشيات الحمى برواجع

مزارك من ليلي وشعبا كما معا

وتجزع أن داعي الصبابة أسما

عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

على كبدي من خشية أن تصدّعا

إليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

ومهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون أيضا تنسب ، والأكثر أنّها للصّمّة .

باب في وصف النساء بالحسن والرفقة وما يحمد من نعوتهن ، ووصف منطقهن قال أنس بن مالك :

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره في حجة الوداع ، ومعه نساؤه ، وكان له حاد يحدو بهن

يقال له أنجشة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أنجشة رفقا ! رويداً بالقوارير " . يعني أنهن

ضعاف يسرع إليهن الكسر، ولا يقبلن الجبر.  
ذكر أعرابي امرأة، فقال: كاد الغزال يكونها لولا ماتم فيها ونقص منه.  
وصف أعرابي النساء، فقال: طعائن في سوافهن طول، غير قبيحات العطول، إذا مشين أسبلن الذبول،  
وإذا ركبن أثقلن الحمل.  
كتب الحجاج بن يوسف إلى محمد أخيه، وهو أمير على اليمن: أن اخطب على ابني امرأة حسناء من  
بعيد، مليحة من قريب شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعلمها. فكتب إليه: قد أصبتها لك، وهي  
خولة بين مسمع، على عظم ثديها. فكتب إليه: إن المرأة لا يحسن صدرها حتى يعظم ثديها.  
قال المهلب: عليكم من بنات خراسان بمن عظمت هامتها، وطالت قامتها.  
قال محمد بن حسين: عليكم بذوات الأعجاز فإنهن أنجب.  
كان يقال: إذا طال ساعد المرأة وعنقها وساقها لم يشك أهما تنجب.  
قيل لأعرابي: أي النساء أفضل؟ قال: الطويلة السالفة، الرقيقة الرادفة، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها،  
التي في حجرها غلام، وفي بطنها غلام، ولها في الغلمان غلام.  
وصف علي بن أبي طالب رضى الله عنه امرأة، فقال: تدفئ الضجيع، وتروى الرضيع. يعني بعظم ثديها.  
قال ابن شبرمة: سمعت محمد بن سيرين يقول: ما رأيت على رجل لباساً أزين من فصاحة، ولا رأيت  
لباساً على امرأة أزين من شحم.  
كان يقال: لو قيل للشحم أين تذهب؟ لقال: أقوم العوج.  
وقال مصعب بن الزبير: المرأة فرش فاستوثروا.  
كان يقال: من تزوج امرأة فليستجد شعرها، فإن الشعر أحد الوجهين.  
كان يقال: النساء لعب فتخيروا.  
من الأمثال السائرة: لن تعدم الحسناء ذاماً.  
وقالوا: عقل المرأة في جمالها، وجمال الرجل في عقله.  
وصف رجل امرأة فقال: كأن عينها السقم لمن رآها، وكلامها البرء لمن نأجاها.  
قال أشهب بن عبد العزيز. سئل مالك بن أنس: أيسلم الرجل على المرأة؟ فقال: أما المتجالة فلا بأس،  
وأما التي كلامها أشهى من الرطب فلا.  
وقال سحنون: سمعت أشهب يقول: المكيات أحنث النساء، والمدنيات أغنج النساء.  
وشبه الأخطل كلام امرأة بعقد انقطع فتحدر لؤلؤه، فقال:

قد يكون بها سلمى تُحدّثني

وقال القطامي:

تساقط الحلي حاجاتي وأسراي

فهن يبذّن من قول يصبن به

وقال الراعي:

مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

لهن حديث فاتر يترك الفتى

وقال أعرابي:

خفوق الحشا مستهلك اللب طامعا

وحديثها كالقطر يسمعه

راعى سنين تتابعت جدبا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا

ويقول من فرح هيا ربا

وفي رواية أخرى:

فأصاخ مستمعا لدرتها

وقال جرّان العود:

غريضا أتى أصحابه وهو منضج

حديث لو أن اللحم يصلى بحرّه

وقال بشار:

كأن حديثها سكر الشراب

ولبشار أيضا:

ض وفيه الحمراء والصفراء

وحديث كأنه قطع الرو

وله:

هاروت ينفث فيه سحرا

وكان تحت لسانها

قطع الرياض كسين زهرا

وكان رجح حديثها

وله:

وحديث كالوشى وشى البرود

ولها مبسم كغر الأحاقي

وقال علي بن العباس الرومي:

لم يجن قتل المسلم المتحرر

وحديثها السحر الحلال لو أنه

ودّ المحدث أنها لم توجز

وإن طال لم يملل وإن هي أوجزت

شَرَكَ الْعُقُولَ وَنُهْرَةَ مَا مِثْلَهَا

وقال امرؤ القيس:

للمطمئن وعُقلة المستوفز

وهي هيفاء لطيفٌ خصرُها

وقال المرار بن سعد الجيلي:

ضخمةُ النَّدْيِ وَلَمَّا يَنْكَسِرُ

صَلَّتْهُ الْخَدَّ طَوِيلٌ جِيدُهَا

وقال غيره:

ضخمةُ النَّدْيِ وَلَمَّا يَنْكَسِرُ

موسومةٌ بالحسن ذات حواسدٍ

وترى مآقيها تقلبُ مقلَّةً

وقال آخر:

إنَّ الحسانَ مَظَنَّةٌ للحُسدِ

سوداءَ ترغِبُ عن سَوَادٍ إِحدِ

إنَّ النِّسَاءَ رِيَّاحِينَ خَلَقْنَ لَنَا

وقال آخر:

وكلنا يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ

ونحنُ بَنُو الدُّنْيَا وَهِنَّ بَنَاتُهَا

وقال حسان بن ثابت:

وعيشُ بَنِي الدُّنْيَا لِقَاءَ بَنَاتِهَا

لو يدبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وِلْدِ الذِّمِّ

رُّ عَلَيْهَا لِأَدْمَاتِهَا الْكُلُومُ

الحولي من ولد الذر لا يعرف من المسن، وإنما أراد الصغير من ولد الذر، كما قال الآخر:

يُلْقِطُ حَوْلِيَّ الحِصَا مِنْ مَنَازِلِ

مِنَ الحَيِّ أَمَسَتْ بِالْجَبِييْنِ بَلْقَعَا

وحولي الحصا صغارها، فشبهه بالحولي من ذوات الأربع.

وقال حميد بن ثور:

منعمةٌ لو يَصْبِحُ الذَّرُّ سَارِيَاً

على جِلْدِهَا بَصَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَاً

وقال عمر بن أبي ربيعة:

لو دَبَّ ذَرٌّ فَوْقَ ضَاخِي جِلْدِهَا

لَأَبَانَ مِنْ آثَارِهنِ حُدُورَاً

وقال آخر:

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحُولٌ

مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لِأَثْرَا

وقال الحسن بن هانئ:

وكانَ مَنثورٌ رُمَانٍ بوجنتها

لو دَبَّ فِيهَا خِيَالُ الذَّرِّ لا نجرها

وقال النظام:

لخضبته بدم جارى

رق فلو دب به نملة

فیشتكى إضمار إضماري

أضمر أن أضمر حبّي له

وبلغ قول النظام هذا أبا الهذيل، فقال: لقد رقّ هذا الموصوف حتى لا يناك إلا يرب الوهم.

وأخذ ابن الرومي قول النظام، فقال:

منعلة أرجلها بالحريير

رق فلو دب به ذرة

مدامة في العارض المستدير

لأثرت فيه كما أثرت

قال بعض حكماء أهل الأدب، كمال حسن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها شديدة البياض، وأربعة أشياء شديدة السواد، وأربعة أشياء شديدة الحمرة، وأربعة أشياء مدورة، وأربعة واسعة، وأربعة ضيقة، وأربعة رقيقة، وأربعة عظيمة، وأربعة صغاراً، وأربعة طيبة الريح. فأما الأربعة الشديدة البياض. فبياض اللون، وبياض العين، وبياض الأسنان، وبياض الظفر.

وأما الأربعة الشديدة السواد، فشعر الرأس، والحاجبين، والحدقة والأهداب.

وأما الشديدة الحمرة: فاللسان، والشفتان، والوجنتان، واللثة.

وأما المدورة: فالرأس، والعين، والساعد، والعرقوبان.

وأما الواسعة: فالجبهة، والعين، والصدر، والوركان.

وأما الضيقة: فالمنخران، والأذنان، والسرة، والفرج.

وأما الصغار: فالأذنان، والفم، واليدان، والرجلان.

وأما الرقاق: فالحاجب، والأنف، والشفتان، والخصر.

وأما الطيبة الريح: فالأنف، والفم، والأبط، والفرج.

وأما العظيمة: الهامة، والمنكبان، والأضلاع، والعجز.

أنشد ابن أبي طاهر لشريك الجعدي:

لأصبى فؤادي نسوة بحلّاحل

ولو كنت بعد الشيب طالب صبوة

كثيرات إخلاف قليلات نائل

عفيفات أسوار بعيدات ريبة

شواكل من علم الذين ببابل

تعلمن والإسلام فيهن والتقى

طوال المتنون راحات الأسافل

مراض العيون في احمرار محاجر

هضيماتُ ما بين الترائب والحشاً  
تعوضن يوم الغيد من جدل المَهَا  
كأن ذرّاً الأنقاءِ من رملٍ عالِجٍ  
ولدعبل بن علي الخزاعي:

له منظرٌ وطْفٌ ومنسدلٌ وحفٌ  
وللظبي عيناه وللدرّ ثغره  
ظلمتكُ لما قلتُ أشبهكُ الحشفُ  
ولكنك النورُ المركبُ جوهرًا  
أنشدني أبو عمر يوسف بن هرون لنفسه:

بحتُ بُحبي ولو غرامِي  
ضيعتُم الرشدُ من مُحبِّ  
لم يستطع حملَ ما يلاقِي  
مُحيرَ المقلتين قل لي  
نَفسي فدى لِمٍ وخذُ  
وعَقرَبٍ سلّطتُ عليّنا  
قد طارَ من شوقه فؤادي

أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب لنفسه:

لثأتكُ ياقوتٌ وتغركُ لؤلؤُ  
ومن ورقِ الورْدِ الجنيّ مُقبَلُ  
وخذكُ وردُ الروضِ والصدغُ عَقرَبُ  
وحاجبكُ المقرُون نونان صُففا  
وشعركُ ليلٌ فاحمُ اللونِ حالِكُ  
وأنفكُ من دُرٍّ مذابٍ مركَّبُ  
وصدرُكُ عاجٌ أبيضُ اللونِ مشرقُ

لِطَافِ البُطونِ ظامِنَاتِ الخلالِ  
عيوناً وأعناقَ الطباءِ العواطلِ  
خَبِتْ وَالتَقَّتْ منهنّ تحتِ المفاصلِ

ومبتسم يحيى إذا قتل الطرفُ  
وللقضبِ الأعلى وللكتبِ الرّدْفُ  
أو القمرُ المعدود من شهره النصفُ  
من الحُسْنِ لم يبلغ له الوهمُ والوصفُ

ويكونُ في صخرةٍ لباحاً  
ليس يرى في الهوى جناحاً  
فشقَّ أثوابه وصاحاً  
هل شربتَ مقلتاك راحاً  
قد جمعا الليل والصباحاً  
تملاً أكبادنا جراحاً  
فصار شوقي له جناحاً

وريقكُ شهدٌ والنسيمُ عبيرُ  
ترشفه عند المماتِ نشورُ  
وطرفكُ سحرٌ والمجسُّ حريرُ  
وقد لاح سوسانٌ عليه نصيرُ  
ووجهكُ بدرٌ تحت ذلك مُنيرُ  
وجيدكُ جيدُ الطّبي وهو غريرُ  
ورمانُ كافورٍ عليه صغيرُ



ومن فضة بيضاء كفاك صيغتا

ولكن بمحمر العقيق تشير

وقدك غصن حين هبت به الصبا

وردفك دعص للرمال وثير

وتخطو على أنبوبتين حكاهما

من النخل جمار يجذ قشير

وتحتهما مشطان رخصان دلها

عقول نوى الألباب حين تدور

ودلك سحر يخلص العقل فاتن

ولفظك در إن نطقت نشير

فمالك في الدنيا من الناس مشبهة

ولالك في حور الجنان نظير

وهذا الشعر من أحسن ما قاله متقدم أو متأخر في عموم وصف المرأة وأجمعه وأطبعه إن شاء الله تعالى، على أن هذا الوصف معدوم.

### باب النظر إلى الوجه الحسن

قال الله عز وجل "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم"، "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن".

ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس وهو رديفه، عام حجة الوداع، من النظر إلى الخنعمية، وصرف وجهه عنها.

ومنع بعض أصحابه الدخول عليه من أجل صفة زوجته، وقال لهم: إنها صفة.

ومنه امرأتين من نسائه من النظر إلى ابن أم مكتوم، فقالتا: أليس أعمى؟ فقال: أفعميا وان أنتما؟.

قال عقيل بن علفة: لأن ينظر إلى ابنتي مائة رجل خير من أن تنظر هي إلى رجل واحد.

نظر أبو حازم بن دينار إلى امرأة حسناء ترمى الجمار أو تطوف بالبيت، وقد شغلت الناس بالنظر إليها لبراعة حسننها، فقال لها: أمة الله! حمري وجهك، فقد فتنت الناس، فهذا موضع رغبة ورهبة. فقالت له:

إحرامي في وجهي أصلحك الله يا أبا حازم، وأنا من اللواتي قال فيهن العرجي:

ولكن ليقتلن التقى المغفلاً

من اللاء لم يحججن يبيغين حسبة

فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله ألا يعذب هذه الصورة الحسنة بالنار، فقيل له: أفتنتك يا أبا

حازم، فقال: لا، ولكن الحسن مرحوم.

هكذا روينا هذا الخبر عن أبي حازم من وجوه بألفاظ مختلفة ومعنى متقارب.

وذكر المدائني عن عبد الله بن عمر العمري، قال: خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفثت

فيه، فأدريت ناقتي منها، وقلت: يا أمة الله! ألسنت حاجة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسنا، ثم قالت: تأمل يا عمري، فيني ممن عناه العرجي بقوله:

أماطت كساءَ الخزّ عن حرٍّ وجهها  
وأذنت على الخدين برداً مهلهلاً  
من اللآءِ لم يحججنَ يبيغين حِسبَةً  
ولكن ليقتلنَ البريءَ المغفلاً  
وترمى بعينيها القلوبَ ولحظها  
إذا ما رمّت لم تُخطِ منهن مَقْتلاً

قال: فقلت: فأنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار، قال: وبلغ ذلك سعيد بن المسيب؛ فقال: أما والله لو كان من أهل العراق، لقال: اغربي قبحك الله، ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز. قال عبد الله بن طاهر:

وجه يدل الناظرين  
عليه في الليل البهيم  
فكأنه روح الحيا  
ة يهب مسكي النسيم  
في خده ورد الجمأ  
ل يُعل من ماء النعيم  
سقم الصّحيح المُستقل  
وصحة الرجل السقيم

نظر رجلان إلى جارية حسناء في بعض طرق مكة فمالا إليها فاستسقىها ماء، لسقتهما فجعلتا يشربانه ولا يسيغانه فعرفت ما بهما فجعلت تقول:

هما استسقىا ماءً على غير ظمأة  
ليستمتعا باللحظ ممن سقاها  
وكنت متى أرسلت طرفك رائداً  
فعبجا من ذلك ودفعنا الإناء إليها فمرت وهي تقول:  
رأيت الذي لا كله أنت قادر  
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال آخر:

خليلي للبغضاء عين مبينة  
والحب آيات ترى ومعارف  
ألا إنما العينان للقلب رائد  
فما تألف العينان فالقلب يألف  
يحب ويذني من يقل خلافة  
وليس بمحبوب حبيب مخالف  
قال آخر:

ومالك منها غير أنك رائد  
بعينيك عينيها فهل ذاك نافع

دخل الشعبي على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا شعبي! بلغني أنه اختصم إليك رجلٌ وامرأته، فقضيتَ للمرأة على زوجها، فقال فيك شعراً، فأخبرني بقصتيهما وأنشدني الشعر إن كنت سمعته. فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسألني عن ذلك. فقال: عزمت عليك لتخبرني. قال: نعم، اختصمت إلى امرأة وبعلها، فقضيت للمرأة إذ توجه لها القضاء، فقام الرجل وهو يقول:

رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا	فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا
رَفَعَتْ مَأْكَمَتَيْهَا	بِفَتَاةٍ حِينَ قَامَتْ
ثُمَّ هَزَّتْ مِنْكَبَيْهَا	وَمَشَتْ مَشِيًّا رُوَيْدًا
وَبخَطَى حَاجِبَيْهَا	فَتَنَّتْهُ بِقَوَامِ
وَاسْوَدَّادِ مُقَلَّتَيْهَا	وَبَنَانِ كَالْمَدَارِي
هَآوِ أَحْضِرِ شَاهِدَيْهَا	قَالَ لِلجِلْوِازِ قَرَّبِ
ثُمَّ لَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا	فَقَضَى جَوْرًا عَلَيْنَا
نَحْرَهَا أَوْ سَاعِدَيْهَا	كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَ مِنْهَا
سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهَا	لِصَبَابٍ حَتَّى تَرَاهُ
ظَلَمَ الخَصْمُ لَدَيْهَا	بِنْتُ عَيْسَى بِنِ حِرَادٍ

قال عبد الملك: فما صنعت يا شعبي؟ قال: أوجعتُ ظهره حين جَوَّرتي في شعره. هذا ما رواه سفيان بن عيينة، عن سالم بن أبي حفصة، عن الشعبي، وهو أصح إسناد لهذا الخبر. وذكر الهيثم بن عدي، قال: خاصمت أم جعفر بين عيسى بن حراد زوجها إلى الشعبي، فلما قامت بين يديه، قيل لها: ما صنعت؟ قالت: سألتني البينة، ومن سأل البينة فقد فلج، ثم قضى لها، فقال هذيل الأشجعي:

فَنِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

وذكر الأبيات: وفي رواية الهيثم بن عدي: أن الشعر لهذيل الأشجعي فيها، فبلغ ذلك الشعبي، فقال: أبعد الله، ما قضينا إلا بحق. قال الهيثم: فحدثني ابن أبي ليلى، قال: خرجنا مع الشعبي من المسجد، وقد قام من مجلس القضاء، فمررنا بجارية تغسل في إجانة فلما رأت الشعبي قالت:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا

فقال الشعبي:

## رفع الطرف إليها

خاصم الوليد بن صريع، مولى عمرو بن حريث، أخته أم كلثوم ابنة صريع إلى عبد الملك بن عمير، قاضي الكوفة، وكان يقال له: القبطي، لفرس كان له فقضى لها على أخيها، فقال هذيل الأشجعي:

لقد عثرَ القبطيُّ أو زلَّ زلةً  
وما كان منه لا العثارُ ولا الزللُ  
أتاه وليدٌ بالشُّهودِ يقودُهُمُ  
على ما ادَّعى من صامتِ المالِ والخولِ  
يقودُ إليه كلُّنمًا وكلامها  
شفاءً من الدَّاءِ المخامرِ والخبلِ  
فأدلى وليدٌ عند ذاك بحجةٍ  
وكان وليدٌ ذا مرأٍ وذا جدلِ  
وكان لها دلٌّ وعينٌ كحيلةٍ  
فأدلتُ بحُسنِ الدلِّ منها وبالكحلِ  
فأفتنتَ القبطيَّ حتَّى قضى لها  
بغيرِ قضاءِ الله في مُحكمِ الطولِ  
فلو أن من في القصرِ يعلمُ علمه  
لما استعملَ القبطيُّ يوماً على عملِ  
له حين يقضى للنساءِ تخاوصُ  
وكان ومات فيه التخاوصُ والحولِ  
إذا ذاتُ دلُّ كلمتهُ بحاجةٍ  
فهمٌ بأن يقضى تتحنحُ أو سعلُ  
وبرقَ عينيه ولاك لسانهُ  
ويرى كل شيءٍ ما خلا شخصها خللُ

فبلغ ذلك عبد الملك بن عمير، فقال: ما لهذيل أخزاه الله؟ والله لربما جاءتني النحنحة أو السعلة وأنا في المتوضأ فأردتها مخافة ما قال.

لعبد الله بن سليمان النحوي المكفوف:

تقولُ من للعمى بالحُسنُ قلتُ لها  
كفى عن الله في تحقيقه الخبرُ  
القلبُ يدرك ما لا عين تدرُكهُ  
والحُسنُ ما استحسنته النفس لا البصرُ  
وما العيونُ التي تعمي إذا نظرتُ  
بل القلوبُ التي يعمي بها النظرُ  
وقال أيضاً ينقُضه:

ما إن يُمتعَّ بالمعشوقِ عاشقهُ  
سمعٌ إذا لم يمتعهُ به البصرُ  
وكل قلبٍ له حبُّ يقبله  
وأعذب الحبِّ ما أحباكه النظرُ

ولو تكافي الهوى مرأى ومستعمًا  
لما تباينت الأصواتُ والصورُ

أنشد إسحق بن إبراهيم لعمر بن أبي ربيعة في محمد بن عروة بن الزبير، وكان جميلاً:

إني امرؤٌ مَوْلَعٌ بالحسن أتبعه

وقال محمود الوراق:

من أطلق الطَّرْفَ اجتنى شَهْوَةً

والطَّرْفُ للقلبِ لسانٌ فإنْ

يُفْهَمُ بالعينِ عن العينِ ما في الـ

يَطْوِي لسانُ المرءِ أخبارَه

وقال آخر:

لا تكثرنَّ تأمُّلاً

فلربُّما أرسلته

وقال أعرابي:

نظرتُ إليها نظرةً ما يسرُّني

وإن كنت محتاجاً بها ألفُ درهمٍ

قال شيخ من بني نمير: نظرت إلى مولدةٍ باليمامة، فقالت: ملأت عينيك وملك غيرك.

وقال ذو الرمة:

على وجهِ مَيِّ مسحةٍ من مَلَاحةٍ

ألم ترَ أنَّ الماءَ يخبثُ طعمه

وتحتَ الثَّيابِ العارُ لو كان بادياً

ولو كان لونُ الماءِ أبيضَ صافياً

وقال بعض الأعراب:

جزى الله البراقعَ من ثيابِ

يوارينَ الملاحَ فلا أراها

عن الفتيانِ شراً ما بقينا

ويوهمنَ القباحَ فيزدھينا

وقال آخر:

لقد أعجبناُ أنفسها فتملَّحت

بأبيِّ جمالٍ ليتَ شعري تملَّحُ

وقال إسماعيل القراطيسي:

وقد أتاني خبرٌ راعني

أمثلُ هذا يبتغي وصلنا

من قولها في السرِّ واضيعةآه

أما يرى ذا وجهه في المرآة

وقال عباس بن الأحنف:

هَمَّتْ بِإِتْيَانِنَا حَتَّى إِذَا نَظَرْتُ

إلى المرآةِ نهاها وجهها الحسنُ

ما كان هذا جزائي من محاسنها أغرت بي الشوق حتى شفني الشجن

كان يقال: أربعة تزيد في البصر: النظر إلى الوجه الحسن، وإلى الخضرة وإلى الماء الجاري، والنظر في المصحف.

دخل الشعبي سوق الرقيق، فقيل له: هل من حاجة؟ فقال: حاجتي صورة حسنة، يتنعم فيها طريقي، ويلتذ بها قلبي، وتعيني على عبادة ربي.

أدام إبراهيم النظام النظر إلى جارية حسناء، فقال مولاها: أراك تدم النظر إليها، فقال: مالي لا أتأمل منها ما أحل الله، وفيه دليل على حكمة صنعة الله، ومعه اشتياق إلى ما وعد الله.

قال الحسن البصري: ينبغي للوجه الحسن ألا يشين وجهه بقبيح فعله وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين.

قال الشاعر:

جُ إلى حُسْنِ فِعَالٍ

ءِ إلى العَذْبِ الزَّلَالِ

إِنَّ حُسْنَ الْوَجْهِ يَحْتَا

حَاجَةَ الصَّادِي مِنَ الْمَا

### باب جامع ذكر النساء وتزويج الأكفاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".  
ويروى أن داود عليه السلام قال لابنه سليمان: يا بني! إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرأة كالضلع العوجاء؛ إن رفقت بها استمتعت منها" أخذها الشاعر فقال:

أَلَا إِنَّ تَقْوِيمَ الضُّلُوعِ انْكَسَارُهَا

هِيَ الضُّلْعُ الْعُوجَاءُ لَسْتَ تَقِيْمُهَا

قيل لبعض الأعراب: من تركت عند نسائك؟ فقال: حافظين: الجوع والعري، عرين فلا يظهرن، وجعن فلا يَأْشُرْنَ.

مما أوصى به محمد بن عبد الله بن حسين ابنه، فقال: واعلما أن لن تسقط امرأة واضبت على ثلاث خلال: الماء والسواك والكحل فعليكما بهن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وما خضراء الدمن؟ فقال: المرأة الحسناء في المنبت السوء". شبهها بنبات أخضر نضرت على دمنة، وهي الأبعاد والأبوال تبلبل بعضها

على بعض.

قال معاذ بن جبل: أخوف ما أخاف عليكم النساء، إذا تسورن الذهب، ولبسن عصب اليمين، ورباط الشام، فأتعين الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد.  
قال سمرة بن جندب: سمعت عمر بن الخطاب يقول: النساء ثلاث والرجال ثلاثة: امرأة عاقلة مسلمة عفيفة هينة لينة ودود ولود، تعين أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقليل ما تجدها. وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك، وأخرى غلٌ قملٌ يجعله الله في عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن يتزعه نزعه. وذكر الرجال بما قد ذكرته في باب ثلاثة.  
قال منصور الفقيه:

بعد الهدى والعافية

عفيفة موأتية

أفضل ما نال الفتى

قرينة مسلمة

ذكر ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: قالوا: النساء خلقن من ضعف، فداووا ضعفهن بالسكوت، وعوراهن بالبيوت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تتكح المرأة لما لها وحسبها وجمالها ودينها، فعليك بذوات الدين تربت يداك".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالأبكار؛ فإنهن أطيب أفواهاً، وأرتق أرحاماً، وإياكم والعجائز".

وروي عنه عليه السلام أنه قال: "أعظم النساء بركةً أحسنهن وجوهاً، وأرخصهن مهوراً".

وروي عنه عليه السلام أنه قال: "ترفقوا ولا تطلقوا، وانكحوا الأكفاء واختاروا لنطفكم، فإن العرق دساس".

كان يقال: إياكم ومناكحة الحمقاء، فإن صبحتها أذى ومناكحتها أذى".

قال أبو الأسود لبيد: يا بني! قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: التمست لكم من النساء الموضع الذي لا تعاون به.

وشوور بعض الحكماء في تزويج، فقال للمشاور: يا ابن أخي! إياك أن تزوج لأهل دناءة أصابوا من الدنيا، فإنك تشركهم في دناءتهم، ويستأثرون عليك بدنياهم. قال: فقامت عنه وقد اكتفيت بما قال لي.

كان يقال: لا تسترضعوا الحمقاء؛ فإن اللبن يتزع بالشبه إليها.

قال عمر بن الخطاب: لا تسكنوا نساءكم الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهن بالعرى.  
 قال عمر بن الخطاب رحمه الله: استعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر.  
 وقال أيضاً: عليكم بالسراري؛ فإننا رأيناهن يأخذن بعز العرب وملك العجم.  
 قال علي بن أبي طالب: خيرُ نساءكم الطيبة الرائحة، الطيبة الطعام، التي إن أنفقت أنفقت قصداً، وإن أمسكت أمسكت قصداً، فتلك من عمال الله، وعامل الله لا يخيب.  
 قال علي بن أبي طالب: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليخفف الرداء، وليباكر الغداء، وليقل بمجامعة النساء. قيل له: وما خفة الرداء؟ قال: الدين. ثم قال: المرء بجده والسيف بجده، والثاء بعد البلاء.  
 قال عمرو بن العاص: الناكح مغترس، فلينظر امرؤ حيث يقع غرسه.  
 قال المغيرة بن شعبة: صاحب المرأة الواحدة امرأة مثلها، إن بانت بان معها، وإن حاضت حاض معها، وإن مرضت مرض معها، وصاحب المرأتين على جمرتين، وصاحب الثلاث على رستاق، وصاحب الأربعة كل ليلة عروس، أخذه الشاعر فقال:

كما قد قيل بين الجمرتين

وصاحبُ ضرتين على الليالي

فما يعرَى من إحدى السُّخَطَيْنِ

رضاً هذى يهيجُ سُخْطَ هَذِي

دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول: لا تكمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده، فانصرف الأعرابي فباع متاع بيته، وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه منهن واحدة، خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرجة، والثالثة فارك أو قال فروك، والرابعة مذكرة، فدخل على الحجاج فقال: أصلح الله الأمير، سمعت منك كلاماً أردت أن تتم لي به قرّة عين؛ فبعت جميع ما أملك، حتى تزوجت أربع نسوة، فلم توافقي منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعراً، فاسمع مني، قال: قل. فقال:

فياليت أني لم أكن أتزوجُ

تزوجتُ أبغي قرّة العينِ أربعا

تزوجتُ بل ياليت أني مُخَدِّجُ

وياليتني أعمى أصمُّ ولم أكنُ

ولا ما التقي تدري ولا ما التَّحْرُجُ

فواحدة ما تعرفُ الله ربّها

مذكّرة مشهورة تتبرجُ

وثانية ما إن تقرَّ ببيتها

فكل الذي تأتي من الأمر أعوجُ

وثالثة حمقاء رعناً سخيفةً

فليست بها نفسي مدى الدهر تبهجُ

ورابعة مفروكة ذات شرّة

ثلاثاً ثلاثاً فاسهّدوا لا تلجلجوا

فهنّ طلاقُ كلهنّ بوائنُ



فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره، ثم قال له: كم مهرهن؟ قال: أربعة آلاف درهم. فأمر له بثمانية آلاف درهم.

قال أكثم بن صيفي لبنيه: يا بني لا ينكبكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف.

روى أسامة بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر: أن عبد الله بن رواحة وقع على جارية له، فاهتمته امرأته، فقال: ما فعلت. فقالت: فاقراً القرآن إذاً. فقال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه

كما انشق مشهوراً من الصبح ساطعاً

أتانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

إذا استتقلت بالهاجعين المضاجع

يببت يجافى جنبه عن فراشه

فقالت: أولى لك. وفي رواية أخرى في هذه القصة أنها لما قالت له: فاقراً إذاً شيئاً من القرآن، قال:

وأن النار مثوى الكافرينا

سمعت بأن وعد الله حقاً

وفوق العرش رب العالمينا

وأن العرش فوق الماعق

قالت: ما شاء الله! كذبت عيني، وأنت الصادق. أو نحو هذا.

قال المغيرة بن شعبة: إذا كان الرجل مذكراً والمرأة مذكرة تصادما العيش، وإذا كان الرجل مؤنثاً والمرأة مؤنثة ماتا هزلاً، وإذا كان الرجل مؤنثاً والمرأة مذكرة كان الرجل هو المرأة، والمرأة هي الرجل، وإذا كان الرجل مذكراً والمرأة مؤنثة طاب عيشهما.

قال الحسن: إياكم وسمنة البنات، فإن كنتم لابد فاعلين، فاحفظوهن.

قال إياس بن معاوية: من يمن المرأة الولد، ومن بركتها مياسرتها في المهر.

كان يقال: لا تزوج كريمتك إلا من عاقل، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها أنصفها.

قال غيره: لا تزوج وليتك إلا من ذي دين، فإن أحبها أحسن إليها، وإن أبغضها لم يظلمها.

روى أبو العباس عن الأصمعي قال: قال أعرابي لامرأته: صفييني بما تعلمني مني ولا تكتمي. فقالت: أما

والله إن كنت لخفيفاً على ظهر الفرس، ثقيلاً على العدو، ضحوكاً مقبلاً، كسوباً مدبراً، لا تشيع ليلة

تضاف، ولا تنام ليلة تخاف.

وعن الأصمعي أيضاً، قال: هلك رجل من العرب، فقيل لامرأته: صفي بعلك، فقالت: والله إن كان -

فيما علمت - لضحوكاً إذ ولج، كسوباً إذا خرج، أكلاً ما وجد، غير سائل ما فقد.

قال الأصمعي، قال الحسن: كان أهل الجاهلية إذا خطب الرجل المرأة تقول: ما حسبه، وما حسبها؟ فلما

جاء الإسلام، قالوا: ما دينه، وما دينها؟ وأنتم اليوم تقولون: ما ماله، وما مالها؟  
قال الشاعر:

لا يَأْمَنَنَّ عَلَى النِّسَاءِ أَحٌ أَخَا  
ما فِي الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ أَمِينٌ  
إِنِ الأَمِينِ وَإِنْ تَحَفَّظَ جَهْدَهُ  
لأَبَدًا أَنْ بِنظَرَةٍ سِيخُونُ

قيل لبعضهم: ما تقول في الباه؟ قال: عندي ما يقطع حاجتها، ولا يقضي حاجتها.  
قيل لمديني: ما عندك من هذا الأمر؟ قال: إن منعت غضبت، وإن تركت عجزت.  
قيل لآخر: ما عندك للنساء؟ قال: أطيل الظمأ، ثم أرد فلا أشرب.  
مرت بعبسى بن موسى جارية، فقام إليها فصرعها، فلما رامها عجز عنها فقال:

القلبُ يطمعُ والأسبابُ عاجزةٌ  
والنفسُ تهلكُ بين العجزِ والطمعِ  
كان يقال: لعن كل فاجر عند الجماع!!  
قالوا: لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرها على قدر محبتها.

تزوج رجل - وهو روح بن زنباع - أم جعفر بنت النعمان بن بشير، زوجها له عبد الملك بن مروان،  
وقال: إنها جارية حسناء، فاصبر على بذاء لسانها، فصحبها ثم أبغضها. فمن قوله فيها:

ريحُ الكرائمِ معروفٌ لها أَرَجٌ  
وريحُها ريحُ كلبٍ مسَّهٌ مطرُ  
وقد هجته هي أيضاً، فمن قولها فيه:  
بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنكرَ جلدَهُ  
وعجَّت عجبياً من جُدَامِ المطارِفِ  
قال بعض الأعراب:

من منزلي قد أخرجتني زوجتي  
تهرُّ في وجهي هَرِيرِ الكلبةِ  
زُوجتُها فقيرةٌ من حِرْفَتِي  
قلتُ لها لما أراقتُ جِرَّتِي

أم هلالٍ أبشري بالحسرةِ  
وأبشري مني بوقعِ الضرةِ

خطب النوار بنت أعين بن ضبيعة الجاشعية رجل من قيس، فجعلت العقد عليها إلى الفرزدق، وكان أبوها  
قتلته الخوارج أيام الحكمين، وكان علي رضي الله عنه بعثه إلى البصرة، فقال لها الفرزدق: أشهدي لي  
أنك جعلت أمرك إلى فإني أخاف من هو أقرب إليك مني من أوليائك. فأشهدت له. فأنكحها الفرزدق  
من نفسه، وأشهدهم، فلم ترض النوار، فتنازعا. فخرجوا إلى عبد الله بن الزبير، وكان العراق والحجاز

يومئذ إليه. فتشفت النوار يومئذ بخولة بنت منظور بن زيان الفزاري، وتشفع الفرزدق بابنها حمزة بن عبد الله بن الزبير، فأنجحت خولة وشفعها زوجها ابن الزبير وقال الفرزدق: لا تقرها حتى تصير إلى البصرة فتحكم معها إلى عاملي بها، فقال الفرزدق:

أَمَا بِنُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ شَفَاعَتَهُمْ      وَشَفَعُوا بِنْتَ مَنْظُورِ بْنِ زَبَّانَا  
لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُنْتَزِرًا      مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانًا

خطب العريان بن الهذيل البرجمي امرأة، فكان أصم وكانت عوراء، فقالت: تسأل عنا ونسأل عنك، فقال:

فَإِنْ تَسَأَلِي عَنَّا وَعَنْكَ فَإِنَّا      كِلَانَا بِهِ دَاءٌ أَصَمٌّ وَأَعُورًا

فقالت: أمّا إذ عرفت الداء فاجلس، فبعثت إلى وليها فزوجها إياه.

قال الأصمعي: قيل لأعرابي: من لم يتزوج امرأتين لم يذق لذة العيش، فتزوج امرأتين ثم ندم، فقال:

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي      بِمَا يَشْقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ  
فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُمَا خَرُوفًا      أَنْعَمَ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعَجَتَيْنِ  
فَصَرْتُ كَنَعْجَةٍ تُمَسِّي وَتُضْحِي      تَرَدَّدُ بَيْنَ أَحْبَبِ ذَنْبَتَيْنِ  
رَضِيَ هَذِي يَهِيحُ سُخْطُ هَذِي      فَمَا أَعْرَى مِنْ إِحْدَى السَّخْطَتَيْنِ  
وَأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلِّ بُوسٍ      كَذَاكَ الْمَرْءُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ  
لَهَذِي لَيْلَةٌ وَلَتلكَ أُخْرَى      عِتَابٌ دَائِمٌ فِي اللَّيْلَتَيْنِ

وقال الغزال:

إِنِ الْفَتَاةَ وَإِنْ بَدَا لَكَ حُبُّهَا      فَبِقَلْبِهَا دَاءٌ عَلَيْكَ دَفِينٌ  
وَإِذَا ادَّعَيْنِ هَوَى الْكَبِيرِ فَإِنَّمَا      هُوَ لِلْكَبِيرِ خَدِيعَةٌ وَقُرُونٌ  
وَإِذَا رَأَيْتَ الشَّيْخَ يَهْوَى كَاعِبًا      فَعَلَيْهِ مِنْ دَرَكِ الْقُرُونِ دُيُونٌ

وقال الغزال أيضاً:

أَنَا شَيْخٌ وَقُلْتُ فِي الشَّيْخِ مَا يَعْ      لَمُّهُ كُلُّ أْبَلِهِ وَدَهِينِ  
كُلُّ شَيْخٍ تَرَاهُ يَكْثُرُ مِنْ كَسٍ      بَ الْجَوَارِي فَخَذَهُ لِي بِالْقُرُونِ

قال الأحنف بن قيس: إذا أردتم الحظوة عند النساء فأفحشوا في النكاح، وأحسنوا الأخلاق.

قيل لأعرابي: ما تقول في نساء طي؟ قال: إذا شئت. قيل: فما تقول في نساء ضبة؟ قال: نك ودحرج.

روى عن النبي عليه السلام أنه قال: "النساء حبائل الشيطان".  
قال معاوية: ما رأيت منهوماً في النساء إلا رأيت ذلك في ضعف منته.  
قال عبد الملك: من أراد النجابة فبنات فارس، ومن أراد النكاح فبنات البربر، ومن أراد الخدمة فالروميات.

قال سعيد بن المسيب: ما عرفنا أولادنا حتى عرفنا بنات فارس.  
قال أبو هلال الراسي: جاء رجل إلى أهله بجزر، فقال: يا هذه! اطبخيه أو اشويه وكليه، فإن المطبوخ جيد للبطن، والمشوي جيد للظهر، والتئ جيد للجماع، قالت: ليس عندنا نار فكله.  
غاضب رجل امرأته ثم ترضاها، فلجت فكابرها حتى جامعها، فقالت: أخزك الله، كلما وقع بيني وبينك شيء جئتني بشفيح لا يمكنني رده.  
قال الشاعر أيمن بن حريم:

لَقِيتُ مِنَ الْغَانِيَاتِ الْعُجَابَا      لَوْ أَدْرَكَ مِنِّي الْعَذَارَى الشَّبَابَا  
وَلَكِنْ جِمَاعُ الْعَذَارِي الْحِسَانِ      عَذَابٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا  
يُرَضَّنَ بِكُلِّ عَصَا رَائِضٍ      وَيُصْبِحَنَّ كُلَّ غَدَاةٍ صِعَابَا  
عَلَامٌ يَكْحَلُنْ حُورَ الْعَيْونِ      وَيُحَدِّثُنْ بَعْدَ خَضَابٍ خَضَابَا  
وَيَبْرُقْنَ إِلَّا لَمَّا تَعَلَّمُونَ      فَلَا تَحْرِمُوا الْغَانِيَاتِ الضَّرَابَا  
فَلَوْ كُنْتَ بِالْمُدِّ لِلْغَانِيَاتِ      وَظَاهَرْتَ بَعْدَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا

وَلَمْ تُتْلِهِنَّ مِنْ ذَاكَ قُرْبَا      كَأَنَّكَ حَدَّثْتَهُنَّ الْكَذَابَا  
إِذَا لَمْ يُخَالَطَنَّ كُلَّ الْخِلَا      طِ أَصْبَحَنَّ مُخْرَ نَطِمَاتٍ غِضَابَا  
يَمِيتُ الْعِتَابَ خِلَاطُ النِّسَاءِ      وَيُحْيِي اجْتِنَابُ الْخِلَاطِ السَّبَابَا

قضى سلمان بن ربيعة على رجل بأن يأتي امرأته في كل أربع ليلة، فرضى ذلك عمر، وجعله قاضياً بالكوفة، وخبره مشهور قد ذكرناه في مواضع.

وروى يعقوب بن طلحة، وإسحق بن محمد السني أن عمر بن الخطاب شكت إليه امرأة أن زوجها لا يأتيها إلا في كل طهر مرة، فقال لها: ليس لك غير ذلك ولا كرامة.

روى عن أبي هريرة، وبعضهم يرويه مرفوعاً: أنه قال: فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءاً من اللذة، أو قال من الشهوة، ولكن الله ألقى عليهن الحياء.

قال المأمون: النساء شر كلهن، وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن.

قال غيره: الصبر عنهن أهون من الصبر عليهن.

قال معاوية: هن يغلبن الكرام، ويغلبهن اللثام.

كان يقال: النكاح فرح شهر، وغم دهر، ووزن مهر، ودق ظهر.

ودخل معاوية بن أبي سفيان على ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد، ومعه خديج الخصى فاستترت منه،

فقال لها معاوية: إن هذا بمنزلة المرأة، فعلام تستترين منه. فقالت: كأنك ترى المثلى به أحلت له مني ما

حرم الله.

كان محمد بن حسين يقول: اللهم ارزقني امرأة تسرني إذا نظرت، وتطيعني إذا أمرت، وتحفظني إذا غبت.

قالت أسماء بنت أبي بكر: النكاح رق النساء، فلتنظر المرأة عند من تضع رقبها.

ضرب عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن، فأقاموا سنين، حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق، قال: والله

لأعسن الليلة مدينة دمشق، ولأسمعن ما يقول الناس في البعث الذي غربت فيه رجالهم، وغرمت فيه

أموالهم. فبينما هو في بعض أزقتها إذا هو بصوت امرأة قائمة تصلي، فتسمع إليها، فلما انصرفت إلى

مضجعها قالت: اللهم يا غليظ الحجب، ويا منزل الكتب، ويا معطي الرغب، ويا مؤدي الغرب. أسألك

أن ترد غائبي، فتكشف به همي، وتصفني به لذتي، وتقر به عيني، وأسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك

بن مروان الذي فعل بي هذا، فقد صير الرجل نازحاً عن وطنه، والمرأة مقلقةً على فراشها، ثم أنشأت

تقول:

وَأَرَقْنِي حُرْنِي وَقَلْبِي مَوْجِعُ

وَبَاتَ فُوَادِي هَامِدًا يَنْفَزِعُ

لَمَحْتُ بَعِينِي آخِرًا حِينَ يَطْلُعُ

وَجَدْتُ فُوَادِي لِلهُوَى يَنْقَطِعُ

يَرْجَى لِقَاءَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَطْمَعُ

فَأَنْتَ الَّذِي تَرَعَى أُمُورِي وَتَسْمَعُ

عَلَى غُلَّةِ بَيْنِ الشَّرَاشِيفِ تَلْدَعُ

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ فَالْعَيْنُ تَدْمَعُ

فَبِتَّ أَفَاسِي اللَّيْلِ أَرَعَى نَجُومَهُ

إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوْكَبٌ فِي مَغِيْبِهِ

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا

وَكُلُّ حَبِيبٍ ذَاكِرٌ لِحَبِيبِهِ

فَذَا الْعَرْشِ فُرْجٍ مَا تَرَى مِنْ صَبَابَتِي

دَعْوَتِكَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرِّ دَعْوَةٌ

فقال عبد الملك لحاجبه: تعرف لمن هذا المتزل؟ قال: نعم، هذا منزل زيد بن سنان. قال: فما المرأة منه؟

قال: زوجته. فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا: ستة أشهر. فأمر ألا يمكث العسكر

أكثر من ثلاثة أشهر.

قال سليمان بن داود صلى الله عليهما: يا بني! لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة، فترمى بالشتر من أجلك وإن كانت بريئة.

قال طفيل الغنوي:

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتَنَ مَعَاً  
مِنْهَا المُرَّارُ وَبَعْضُ المُرِّمَا كُولُ  
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَن خُلُقِ  
فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لِأَبَدٍ مَفْعُولُ

وجد صبي منبوذ في بعض مساجد أصفهان، ومعه صرة فيها مائة دينار، ورقة مكتوب فيها: هذا جزء من لا يزوج ابنته.

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف يحضر طعامه، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب، وأنه قد سمن، فكتبت إليه امرأته:

أَتُهُدِي لِي القُرطَاسَ وَالخَبزُ حَاجَتِي  
وَأَنْتَ عَلى بَابِ الأَمِيرِ بَطِينُ  
إِذَا غَبْتَ لَمْ تَذْكَرْ صَدِيقاً وَإِن تَقُمُ  
فَأَنْتَ ككَلْبِ السُّوءِ جَوَّعَ أَهْلَهُ  
فَأَنْتَ عَلى مَا فِي يَدِيكَ ضَنِينُ  
فِيهْزَلُ أَهْلُ البَيْتِ وَهُوَ سَمِينُ

لأبي عيينة المهلي في رجل من قومه، تزوج امرأة قد تزوجت قبلة مائة زوج فماتوا عنها:

رَأَيْتَ أَتَائِهَا فَرغِبْتَ فِيهِ  
وَكَمْ نَصَبْتَ لِغَيْرِكَ بِالأَثَاثِ  
إِلَى دَارِ المُنُونِ فَرَحَلْتَهُمْ  
بَأَجْنَحَةٍ تَطِيرُ بِهِم حِثَاثِ  
فَصَيَّرَ أَمْرَهَا بِيَدِي كَمِيَا  
أَبْتُ حِبَالَهَا لَكَ بِالثَّلَاثِ  
وَإِلَّا فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي  
سَأخُذُ مِنْ غَدٍ لَكَ فِي المَرَاثِي

قال إسحاق الموصلي، أنشدني ابن كناسة لنفسه:

لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلأَمَانَةِ مَوْضِعُ  
وَلِلسَّرِّ كَتْمَانٌ وَلِلعَيْنِ مَنظَرُ

فقلت: ما بقي؟ فقال: أين الموافقة.

قال ابن المقفع: وطء العجوز وأكل القديد يهرم.

قال الشاعر:

لَا تَتَكَبَّرَنَّ عَجُوزاً إِنْ دَعَاكَ لَهَا  
وَإِنْ أَتَاكَ فَقَالُوا: إِنَّهَا نَصَفُ  
وَلَوْ حَيَّوْكَ عَلى تَزْوِيجِهَا الذَّهَبَا  
فَإِنَّ أَطِيبَ نَصْفِهَا الَّذِي ذَهَبَا

كتب رجل إلى صديق له نكح عجوزاً:

أمسكتَ نفسكَ حتى إذا

تزوجتها شارفاً فخمَةً

فلا ذاتُ مالٍ تزوجتها

بِهَا أبداً فالتمسُ غيرها

قال دعبل، ويقال: إنها لأبي دلف:

تعجبتُ إذ رأْتُ شيبِي فقلتُ لها

شيبُ الرجالِ لهم زينٌ ومكرمةٌ

فينا لكنَّ وإن شيبُ بدا أربُ

ولبعض الأعراب:

عجوز تُرجِي أن تكونَ صبيةً

تَدُسُّ إلى العطارِ ميرةً أهلها

وقال امرؤ القيس:

أراهنَّ لا يُحبِّبَنَ من قلَّ ماله

وقال آخر:

كفَّاكَ بالشيبِ ذنباً عندَ غانيةٍ

وقال الأعشى:

وأرى الغواني لا يُواصلنَ امرءاً

وقال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساءِ فإنني

إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ ماله

يُردنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمنه

قال منصور الفقيه:

إذا ما استحرَّ ولم يتسعِ

أتيتَ على الخمسِ والأربعينَا

فَلَا بالرِّقَاءِ وَلَا بالبِنِينَا

وَلَا وَلدٍ تَرْتَجِي أن يكونَا

لعلَّكَ تُعْطَى بَغْثِ سَمِينَا

لا تعجبي، من يطل عمرُ به يُشِبُّ

وشيبُكُنَّ لكنَّ الويلُ فَاكْتَبِي

وليس فيكُنَّ بعدَ الشيبِ من أربُ

وقد شابَ منها الرأسُ واحدودب الظهر

وَهَلْ يصلحُ العطارُ ما أفسدَ الدهرُ؟

ولا مَنْ بدا في عارضِيهِ مشيبُ

وبالشَّبَابِ شفيحاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

فقد الشَّبَابَ وقد يَصِلنَ الامْرَدَا

بصيرٌ بأدواءِ النساءِ طيبُ

فليس له في وُدْهِنِ نصيبُ

وشرخُ الشَّبَابِ عندْهُنَّ عجيبُ

ولم يكُ رَطْباً وَلَا يابساً

فنبّه له جارك الناعساً

وحلّ وأمكن من نفسه

وقال منصور النمري:

إلا لها نبوة عنه ومرتدغ

ما واجه الشيب من عين وإن ومقت

وقال حبيب:

من كان أشبههم بهنّ خوداً

أحلى الرجال من النساءِ مواقعاً

وقال آخر:

بموقع شبيهنّ من الرجالِ

أرى شيب الرجال من الغواني

شاوّر رجلٌ رجلاً في النكاح، فقال له: إياك والجمال الفائق، فإن الشاعر قال:

إلا وجدت به آثاراً مأكولٍ

ولن تصادف مرعى مؤنقاً أبداً

قال آخر:

إن النساءِ وداهنّ مقسمّ

لا تأمننّ أنثى حبتك بوّدها

وغداً لغيرك كفها والمعصم

اليوم عندك دلها وحديثها

وقال ابن هبيرة:

إن القلاص إذا ما غاب راعيها

ياراعى الذود لا ترحل لمكرمة

تهمل قلوبك إمّا كنت تحميها

لم يئنّها أحدٌ دون الفحول فلا

لو شئت أرويتها إذ كنت ساقيةها

ولا تلمها على وردٍ وقد ظمئت

وارمّم مذهبها، تسلّم قواصبيها

احظر مشاربها، واحفف جوانبها

في كل بريّة فقر فيافيها

خليتها لفحول غير فاخرة

بكيت، أبكى إلهي عين مبكيها

حتى إذا أخذت في كل منزلة

### باب الأمثال السائرة في النساء

لا تحمد الحرة عام هدائها، ولا الأمة عام شرائها.

من ينكح الحسناء يعط مهرأ.

من يمدح العروس إلا أهلها؟.



لكل فتاة خاطب، ولكل أمر طالب.

كل ذات دل تحتال.

كاد العروس أن يكون أميراً.

وليس لمخضوب البنان يمينا.

لا تسد الثغور بالمحصنات.

قال الشاعر:

وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جِرُّ الذُّيُولِ

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا

وهذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان، وذلك أنه كانت عند المختار بن أبي عبيد امرأتان، إحداهما أم ثابت بنت سمرة بن جندب، والأخرى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري، فعرضهما مصعب على البراءة من المختار، فأما بنت سمرة فتبرأت منه فخلاها، وأما الأنصارية فامتعت فقتلها، فقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك:

قَتْلُ بِيضَاءِ حَرَّةٍ عُطْبُولِ

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي

إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ

قُتِلَتْ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ جُرْمِ

وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جِرُّ الذُّيُولِ

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا

النساء بالنساء أشبه من الماء بالماء، ومن الغراب بالغراب، ومن الذئب بالذئب. كل غانية هند. نعم هو المرأة المغزل.

البياض نصف الحسن، والعجيزة أحد الوجهين.

لا عطر بعد عروس. أخذه الشاعر فقال:

مِنْ طَوْلٍ وَجَدِ رَسِيسِ

مَنْ كَانَ يَبْكِي لِمَا بِي

لَا عَطْرَ بَعْدَ عَرُوسِ

فَالآنَ قَبْلَ وَفَاتِي

العوان لا تعلم الخمرة.

لما زوج أسماء بن خارجة ابنته، دخل عليها ليلة بنائها، فقال: يا بنية، إن كان النساء أحق بتأديك، ولا بد من تأديك، كوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً، ولا تقربي منه جداً فيملك أو تمليه، ولا تباعدي عنه فتثقل عليه، وكوني له كما قلت لأملك:

وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ

حُذِي الْعَفْوَ مَنَى تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغِيبُ

وَلَا تَنْقَرِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً

فإني رأيتُ الحبَّ في القلب والأذى إذا اجتمعَا لم يلبثُ الحبُّ يذهبُ

## باب اللباس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحريرُ حلالٌ لباسهُ لإناثِ أمي، حرامٌ على ذكورها".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما يلبس الحريرُ من لا خلاق له في الآخرة".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لبس ثوبَ شهرةٍ وعزّةٍ في الدنيا أكسبه الله ثوبَ مذلةٍ يوم القيامة".  
سئل عمر بن الخطاب عن لبس الحرير للنساء، فقال: هن لعبكم؛ فزينوهن بما شئتم.  
وروى مرفوعاً أيضاً: "من لبس منظوراً، وركب مشهوراً، لم يزل الله عنه معرضاً، وإن كان عليه كريماً".  
قال عبد الله بن عمر: من لبس ثوب شهرةٍ أعرض الله عنه وإن كان ولياً.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أزرّة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما أسفل من ذلك في النار، لا ينظر الله عزّ وجل إلى من جرّ ثوبه خيلاً".  
ولما ذكر الإزار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت أم سلمة: إذا ينكشف عنها. قال: "فذراعٌ لا تزيد عليه".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم من كاسيةٍ في الدنيا، عاريةٍ يوم القيامة".  
وقال صلى الله عليه وسلم: "كاسياتٌ عاريات، مائلاتٌ مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها" وريحها يوجد من مسيرة خمس مائة عام.  
كان يقال: كل من الطعام ما انتهيت، وألبس من الثياب ما اشتهى الناس.  
نظمه الشاعر، فقال:

وعليك من شهْرِ اللباسِ لباسُ  
واجعل لباسك ما اشتهاه الناسُ

إن العيونَ رَمَتْكَ مُذْ فَاجَأَتْهَا  
أما الطعامُ فكلْ لنفسك ما اشتهتْ

ويروى:

والبس لباساً يَشْتَهيه الناسُ

أما الطعامُ فكلْ لنفسك ما اشتهتْ

وقال هلال بن العلاء الرقي:

زينُ الرجالِ بها تُهابُ وتُكرَمُ

أجدُ الثيابَ إذا اكتسيتَ فإنها

فالله يعلم ما تجنُّ وتكتُمُ

عند الإله وأنت عبدٌ مُجرمٌ

تخشى الإله، وتتقى ما يحرمُ

ودع التواضع في اللباس تحرياً

فدنى ثوبك لا يزيدك زلفاً

وبهاء ثوبك لا يضرُّك بعد أن

كان بكر بن عبد الله المزني، يقول: البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية. وقال الحسن: إن قوماً جعلوا خشوعهم في لباسهم، وكبرهم في صدورهم، وشهروا أنفسهم بلباس هذا الصوف، حتى إن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبراً من صاحب المطرف بمطرفه. قال الوليد بن مزيد: كان الناس عندنا يلبسون الأردنية، وكان الأوزاعي يلبسها، فترك الناس لبسها ولبسوا السيجان، فرأيت الأوزاعي قد ترك لبس الأردنية ولبس الساج، فقلت له: يا أبا عمرو! كنت تلبس الأردنية فتركتها ولبست الساج، فما الذي دعاك إلى ذلك، فقال: يا ابن أخي! رأيت الناس يلبسون الأردنية فلبستها معهم، وتركوها فتركتها معهم، ولبسوا السيجان فلبست معهم، ولو عادوا إلى الأردنية لعدت معهم. قال سفيان بن حسين: قلت لإياس بن معاوية: ما المروءة؟ قال: أما في بلدك فالتقوى، وأما حيث لا تعرف فاللباس.

روى بقرعة عن الأوزاعي، قال: بلغني أن لباس الصوف في السفر سنة، وفي الحضر بدعة. كان النبي صلى الله عليه وسلم، يحب من الألوان الخضرة ويكره الحمرة، ويقول: "هي زينة السلطان". قال مالك بن الأشتر لعلي بن أبي طالب: تمام جمال المرأة في خفها، وتمام جمال الرجل في عمامته. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسامة بن زيد في بعض السرايا فعممه بيده وسدل طرف عمامته. قيل لأعرابي: إنك لتدبم لبس العمامة؟ قال: إن عضواً فيه السمع والبصر لحقيق أن يوقى من الحر والقر. روى عن النبي عليه السلام، أنه قال: "الشعر الحسن كسوة الله، فأكرموه". وقال عليه السلام لأبي قتادة: "رجل جمتك وأحسن إليها وأكرمها". قال أبو هريرة: إذا كان في الرجل ثلاث فهو الكامل، إذا فخر في المجلس وأحسن جوابات الكتب، وأحسن كور العمامة.

روى الرياشي وأبو حاتم عن الأصمعي، قال: ألا أدلك على لباس إن لبسته كان سرياً، وإن رفعته كان بهياً، وإن ذخرته كان طرياً؟ قال: نعم. قال: عليك بالتقوى. قال: ألا أدلك على خليل إن صحبته صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن تجرت به أربحك، وإن ترحلت به حملك؟ قال: نعم. قال: عليك بالأدب. ثم قال: ألا أدلك على بستان تكون منه في أكمل روضة، وميت يخبرك عن المتقدمين، ويذكرك

إذا نسيت، ويؤنسك إذا استوحشت، ويكف عنك إذا سئمت؟ قال: نعم. قال: عليك بالكتاب.  
قالت ابنة العوام أخت الزبير لزوجها حكيم بن حزام - وكان كثير المال - : مالك لا تلبس لباس الناس  
اليوم؟ قال: وما تنكرين من لباسي، وإزاري قطري، وردائي مغافري، وقميصي سابري، وعمامي  
خرقانية.

نظر بعض الأمراء إلى رجلٍ في أطماره فازدراه، فقال له: أصلحك الله، لا تنظر إلى هيئتي، ولكن انظر إلى  
همي، فأنا - والله - كما قال عبد الله بن زياد:

فإنَّ أكَّ قَصْدًا في الرجالِ فإنني إذا حلَّ امرؤٌ ساحتي لجسيمُ

وكما قال الآخر:

لا تنتظرنَّ إلى الثيابِ فإنني خَلَقُ الثَّيابَ، من المُرْوَةِ كَاسِي

أنشد ثعلب:

وإنما الشَّعرُ عقلٌ أنتَ تعرِّضه على المجالسِ إنَّ كَيْسًا وإنَّ حُمْقًا

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ بيتٌ يقالُ إذا أنشدته صدقًا

البسَ جديديكَ إنِّي لابسٌ خَلَقِي ولا جديدي لمن لا يلبسُ الخَلقا

قال عبد الله بن المبارك: مخامر الرجال في اللحى والأكمام، ومخامر النساء تحت القمص.  
وأنشد غير واحد للشافعي رحمه الله تعالى:

على ثيابٍ لو تباغُ جميعُها بَقَسُ لكان الفلَّسُ منهنَّ أكثرًا

وفيهنَّ نفسٌ لو يقاسُ ببعضها نفوسُ الوري كانت أجلَّ وأكبرًا

وأخذ هذا المعنى ابن أبي الفضل البصري الشاعر يحاطب المتنبّي، فقال:

لئن كان ثوبي فوقَ قيمته الفلَّسُ فلي فيه نفسٌ دونَ قيمتها الإنسُ

فتوبُك بدرٍ تحت أنواره دُجِّي وثوبي ليلٍ تحت أطماره شمسُ

وسبق إلى هذا المعنى ابن هرمة، فقال:

قد يدركُ الشرفُ الفتى ورداؤه خَلَقٌ وجيبٌ قميصه مرقوعُ

كان القاسم بن محمد يلبس الخنز، وسالم بن عبد الله يلبس الصوف، وكانا يتجالسان في المجلس ويتحدثان  
الدهر، لا ينكر واحد منهما لباس صاحبه.

نظر ابن المبارك ببغداد إلى رجل عليه ثياب صوف لا تخالطها غيرها، فقال من هذا؟ فقيل له: هذا أبو العتاهية الشاعر، فكتب إليه ابن المبارك:

أيُّها القارئ الذي لبس الصُّوف  
الزَّم الثَّغْرَ والتَّعَبْدَ فِيهِ  
إنَّ بَغْدَادَ لِلْمُلُوكِ مَحَلٌّ  
ف وأضحى يُعَدُّ فِي الْعِبَادِ  
ليس بَغْدَادُ مَوْضِعَ الزُّهَادِ  
ومناخَ لِلقَارِئِ الصَّيَّادِ

وقال محمود الوراق:

تصوَّفَ فَازِدَهَيِّ بِالصُّوفِ جَهْلًا  
يُرِيكَ مَهَانَةً وَيُجِنُّ كِبْرًا  
تصنِّعُ كَيْ يُقَالَ لَهُ أَمِينٌ  
ولم يردِ الإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ  
وبعضُ النَّاسِ يَلْبَسُهُ مَجَانَهُ  
وليس الكبر من شكل المهانه  
وما معنى التصنع للأمانه  
أراد به الطريق إلى الخيانة

وقال آخر:

وثياب المرء جلوا  
ز له بين يديه

وقال آخر:

لا يعجبك من بصون ثيابه  
ولربما افتقر الفتى فرأيتُه  
حذر الغبار وعرضه مبدول  
دنس الثياب وعرضه مغسول

أنشدني إبراهيم بن محمد، قال: أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي لنفسه في أبي مسلم ابن فهد الهذلي الإشبيلي، وذكر حكاية عرضت له معه:

أبا مُسْلِمَ إِنَّ الْفَتَى بَجَنَانِهِ  
وليس ثياب المرء تغني قلامه  
وليس يُفِيدُ العِلْمَ والحلمَ والتقى  
ولا تبتني العليا بكأس وقينة  
أعيرتني أن لم أفره مطيتي  
فرب ثياب رثة حشوها فتى  
وأخر براق الثياب وعرضه  
فإمّا تهولنك البغال فإنها  
ومقوله لا بالمرابك واللبس  
إذا كان مقصوراً على قصر النفس  
أبا مُسْلِمَ طوُلُ القُعودِ على الكُرسي  
وصهباء لم تتغر بها القدر كالورس  
وأن ثيابي غير بيض ولا مُس  
أجد مُمرٌ غيرُ فسَلٍ ولا نِكس  
من العارِ والتدنيسِ رجسٍ على رجس  
منوعه عند اليهودي والقس

قال رجل للحسن بن أبي الحسن: يا أبا سعيد! إنا قد وسع الله علينا أفنناك من كسوة وعطر ما لو شئنا اكتفينا بدونه، فما نقول؟ قال: أيها الرجل! إن الله قد أدب أهل الإيمان فأحسن أديهم، قال تعالى: "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ"، وإن الله ما عذب قوماً أعطاهم الدنيا فشكروه، وما عذر قوماً زوى عنهم الدنيا فعصوه.

روى عن لقمان الحكيم، أنه قال: التمتع بالليل ريبة، وبالنهار مذلة. وقد روى هذا عن نبيينا صلى الله عليه وسلم.

قال رجل لإبراهيم النخعي: ما ألبس من الثياب؟ فقال: مالا يشرك عند العلماء، ولا يحرك عند السفهاء.

### باب المراكب من الخيل وغيرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيْلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، الأجرُ والمغتم". وقد ذكرنا في الآثار الثابتة في الخيل وفضلها، وفضل رباطها، والأجر في اكتساب ذلك، في كتاب - التمهيد - ما فيه شفاء، وإشراف على المعنى والحمد لله.

كان يقال: لا تقودوا الخيل بنواصيها فتدلوها، ولا تجزوا أعرافها فإنها أذفاؤها، ولا تجزوا أذناها فإنها مذابها. وقد روى هذا الكلام مرفوعاً.

قال عمر بن الخطاب: عليكم بآناث الخيل، فإن بطونها كتر، وظهورها حرز. وقد روى هذا مرفوعاً أيضاً.

قال علي بن أبي طالب: الخيل المطلب والمهرب.

قال ابن عباس رضى الله عنه:

فإن العزَّ فيها والجمالا

أحبوا الخيل واصطبروا عليها

ربطناها فشاركنا العيالا

إذا ما الخيل ضيَّعها رجالاً

ونكسوها البراقع والجلالا

نقاسمها المعيشة كل يوم

قال الحسن البصري: الجفاء مع أذنا الإبل، والذلة مع أذنا البقر، والسكينة مع أذنا الغنم، والعز مع نواصي الخيل وقد روى بعض هذا مرفوعاً. قال خالد بن صفوان: الخيل للرغبة والرغبة، والبراذين للدعة، والبغال للسفر البعيد والأثقال، والإبل للتحمل، والحمير للزينة وخفة المؤونة.

ساير شبيب بن شيبه بعض الأمراء، وهو على بردون، والأمير على فرس، فقال له الأمير: سر، فقال: كيف أسايرك وأنت على فرس، إن تركته سار، وإن حركته طار، وأنا على بردون، إن تركته وقف، وإن ضربته قطف. فأمر له بفرس فاره.

قيل لأعرابي: صف لنا فرسك. قال: سوطه عنانه، وهمه أمامه، وما ضربته قط إلا ظالماً له. بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بفرس، وكتب إليه: قد وجهت إليك بفرس حسن المنظر، محمود المخير، أسيل الخد، رشيق القد.

قال بعض الحكماء: أكرم الخيل أجزعها من الضرب، وأكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها، وأكرم الإبل أشدها حنيناً إلى أوطانها، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها. للحسن بن يسار:

يا فارساً ترهبُ الفرسانُ صَوْلَتُهُ  
يا راكبَ الفرسِ السامي بغرَّتِهِ  
لا أنت تبقى على سيفٍ ولا فرسٍ  
وهو شعر جيد محكم، فيه مواظ وحكم، وأوله:

أما علمتَ بأنَّ النفسَ تُفترَسُ  
ولا بسَ السيفِ يحكي لونهُ القبسُ  
وليس يبقى عليك السيفُ والفرسُ

إِنَّ الحبيبَ من الأحبابِ مُخْتَلَسُ  
قال بعض البلغاء: البغل تواضع عن خيلاء الخيل، وارتفع عن ذلة العير، فهو وسط، وخير الأمور أوساطها.

قال ابن أبي طاهر: ما وصف بردون بأحسن من قول المسلمي من ولد مسلمة بن عبد الملك، واسمه محمد بن يزيد:

فإذا احتبى قربوسه بعنانه  
علك الشكيم إلى انصراف الزائر

## باب الطعام والأكل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعجبه الذراع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيد أدام الدنيا والآخرة، اللحم." قال سفينة: أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حباري، وقال في الضب: "لست بأكله ولا بمحرمه."

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فلا تأكلوا الثوم ولا

البصل، ومن أراد أكلهما فليمتهما طبخاً".  
والكرات والفجل في معنى الثوم والبصل.  
قال عمر بن الخطاب: إياكم واللحم، فإن له ضراوةً كضراوة الخمر.  
إنما كره الإدمان عليه، والله أعلم، لما فيه من التنعم والتشبه بالأعاجم، ألا ترى أنه كتب إلى عماله:  
اخشوشنوا، وإياكم والتنعم وزبي العجم.  
ذكر عند بعض العرب اللحم، فقال: إنه ليقتل السباع. يريد إدخال بعضه على بعض قبل تمام الهضم -  
والله أعلم.  
خطب عمر بن الخطاب يوماً، فقال: إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مؤذية للجسم. وعليكم  
بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من الأشر، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن امرءاً لن يهلك حتى يؤثر  
شهوته على دينه.  
مر علي بن أبي طالب بمجلس من مجالس الأنصار، فسلم عليهم، فقاموا له وحفوا به ورحبوا وقالوا: لو  
نزلت فأكلت من طعامنا، فقال لهم: إما حلفتُم علينا، وإما انصرفنا.  
قال علي بن أبي طالب: المعدة حوض البدن، والعروق واردة عليها وصادرة عنها، فإذا صحت صدرت  
العروق عنها بالصحة، وإذا سقمت صدرت العروق بالسقم.  
قال بعض الأطباء: اللحم ينبت اللحم، والشحم لا ينبت اللحم ولا الشحم.  
قال علي بن أبي طالب: الشحم يخرج مثله من المدا.  
أتى عمر بن عبد العزيز بيته يوماً، فقال: هل عندكم من طعام؟ فأصاب تمرًا وشرب من ماء، وقال: من  
أدخله بطنه النار فأبعده الله.  
قيل للشعبي: أي الطعام أحب إليك؟ قال: ما صنعه النساء، وقل فيه العناء.  
قال سلمان: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا نجد في التوراة أو قال في الإنجيل: البركة في الطعام  
غسل اليد قبله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البركة في الطعام غسل اليد قبله وبعده".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن للطعام حقاً. قيل: وما حقه يا رسول الله؟ قال: ذكر الله في أوله  
وحمده في آخره".  
ومن حديث علي بن ثابت، عن حمزة بن أبي حمزة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: "من نسي أن يُسم الله على طعامه، فليقرأ: قل هو الله أحد".  
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأكل بالشمال، والشرب بالشمال، وعن الاستنجاء باليمين.



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لربييه عمر بن أبي سلمة: يا بني: "قل بسم الله، وكل بييمينك، وكل مما يليك".

كان علي بن أبي طالب إذا دعى إلى طعام أكل شيئاً قبل أن يأتيه، ويقول: قبيح بالرجل أن يظهر نهمته في طعام غيره.

وقال رحمه الله: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقل غشيان النساء. قال منصور الفقيه:

تَ وَإِنْ شَرِبْتَ وَإِنْ غَشَيْتَا

قَارِبَ فِدَيْتِكَ إِنْ أَكَلُ

ةَ بَأَنْ تَعَاْفَى مَا حَبِيتَا

وَأَنَا الْكَفِيلُ لَكَ الْحَيَا

قال قيس بن أبي حازم: نزل بي أعرايي من أحمس، فلم آله تكراً، فقال لي: أكل الحي يجد مثل هذا الذي أرى عندك؟ فقلت: إن أحببهم عيشاً يشبع من الخبز والتمر، فقال: أقسم بالله لئن كنت صادقاً ليوشكن أن يقتلوا، فإن العرب - والله - ما زالت إذا شعبت اقتلت. قال قيس: فلم ألبث إلا أربعة أشهر حتى قتل عثمان، ثم كانت وقعة الحمل، ثم وقعة صفين والنهروان.

قال الشعبي: الناس في جنة الله تعالى ستة أشهر - يعني أيام الرطب.

ذكر أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت محمد بن مسلم الزجاج جارنا، قال: سمعت عباس الدوري، يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يمل الباذنجان عاقل.

وسمعت القاضي أبا عمرو، يقول: لو علم الثور الذي يحمل الباذنجان أنه عليه، تاه على الثيران.

قلت: هذا لمن استطابه، وعذب عنده، وأما من جهة الطب، فذمه عندهم أكثر من مدحه.

قال طريح بن إسماعيل الثقفي:

يَوْمًا سِيلْفِظَهَا إِذَا هُوَ لَآكَهَا

دَعَّ بَعْضَ الْمَتَّأَخِرِينَ فِي رَجُلٍ مَاتَ مِنْ أَكَلَةٍ أَكَلَهَا فِي شَعْرِ لَه فِيهِ:

يا مَنْ جَنَّتْ كَفَّهُ عَلَى جَسَدِهِ

يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا قَتِيلَ يَدِهِ

قال الفضيل بن عياض: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

قال حميد الأرقط:

بَيَانًا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ

أَتَانَا وَلَمْ يَعْدِلْهُ سَحْبَانُ وَإِنِّ

مِنَ الْعَيِّ لَمَا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلُ

فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّفْمُ حَتَّى كَانَهُ

دعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى غدائه، فقال له قد تغديت. قال عبد الملك: ما أقيح بالرجل أن يأكل حتى لا تكون فيه بقية للطعام! فقال: يا أمير المؤمنين! بي فضل، ولكني كرهت أن آكل فأصير إلى ما استقيح أمير المؤمنين.

قال إبراهيم النخعي: ما رأيت ركباً أحسن من زيدٍ على تمر.  
قال الشاعر:

**ألم تر أن الزُّبْدَ بالتمرِ طيبٌ**      **وأن الحُبَّارِي خالَةَ الكَرَوَانَ**

قال عمر بن بحر: العامة لاتشك بأن الكروان ابن الحباري.  
وقال آخر:

**ننَافِسُ في طيبِ الطَّعامِ وكلُّه**      **سواءً إذا ما جَاوَزَ اللِّهَوَاتِ**

دعا الحجاج رجلاً إلى غدائه، فقال: قد تغديت. قال: إنك لتباكر الغداء قال: لخلال ثلاث: إن ناجيتُ رجلاً لم يجد في خلوفها، وإن شربت ماء شربته على ثقل، وإن حضرت قوماً على طعام حضرتمهم ومعى بقية من غرض. فعجب منه.

قال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله، وقد رآه حسن السحنة: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته. قال له: وتشتهي؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه. قيل لأعرابي: أتحسن تأكل الرأس؟ قال: نعم. فقيل له: كيف تأكله؟ فقال: أبخص عينيه، وأسحي خديه، وأفك لحبيه، وأعفص أذنيه، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحق به مني. قيل لبعض العقلاء: أي الطعام أطيب؟ قال: الجوع أعلم. كان يقال: نعم الإمام الجوع، ما ألقيت إليه شيئاً إلا قبله وطاب عنده. روى معن بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: الخبيص يزيد في الدماغ. وروى عن جعفر بن محمد رحمه الله، أنه قال: الخلال بعد الطعام يشد اللثات، ويجلب الرزق، ويطيب نكهة الفم.

دخل جنادة بن أبي أمية على معاوية، وهو يأكل، فدعاه إلى الأكل، فقال: أنا صائم، قلم تنزل الألوان تختلف بين يدي معاوية حتى جئ بجدي منحوذ سمين، فقال جنادة: ليأمر لي أمير المؤمنين بماء أغسل يدي وأكل من هذا الجدي. فقال له: ألم تقل إنك صائم؟ قال: بلى. ولكني على رد يوم أقدر مني على رد مثل هذا الجدي. فضحك معاوية وأمر بالماء، فغسل يده وأكل معه.

قال الحسن البصري: غسل اليد قبل الطعام ينفي الفقر. وبعد الطعام ينفي اللحم.  
 كان يقال: أحب الطعام إلى الله عز وجل ما كثرت عليه الأيدي.  
 قال أبو بكر الهذلي: إذا جمع الطعام أربعاً كمل، إذا كان حلالاً، واجتمعت عليه الأيدي، وسمى الله في  
 أوله، وحمد في آخره.  
 كان يحيى بن معين يتمثل:

المال يُنفدُ حِلَّهُ وحرَامَهُ  
 ليسَ النقيُّ بُمُتَقٍ في دينِهِ  
 يوماً وَتَبَقَى في غدِ آثَامُهُ  
 حتى يَطِيبَ شَرَابَهُ وطعامُهُ

قال لقمان لابنه: يا بني! لا تأكل شيئاً على شبع، فإنك إن تركته للكلب خير لك من أن تأكله.  
 كان الحسن بن علي رضي الله عنه، يقول: ائتونا بالخوان نأتنس به حتى يأتي الطعام.  
 كان لكسرى جاماً فيه حب رمان يسف منه بين كل لونين ملعقة ليعرف اختلاف الألوان.  
 روى عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رجل من أهل الشام: أنعت لكم الأكل؟  
 قالوا: نعم. قال: إذا أكلت فابرك على ركبتيك. وافتح فاك، وأحدج عينيك، وفرج أصابعك، وعظم  
 لقمتك، واحتسب نفسك. قال عبد الله بن دينار: ما سمعت عبد الله بن عمر يحدث بهذا الحديث قط،  
 فبلغ قوله: واحتسب نفسك، إلا ضحك حتى بدت نواجذه.  
 قال أبو الهندي، وهو من ولد شيبث بن ربعي:

أكلت الضَّبَابَ فما عَفْتُهَا  
 وركبْتُ زُبْدًا على تمرَةٍ  
 وما في البُيُوضِ كبيض الدجاجِ  
 ومُكَّنُ الضَّبَابِ طعامَ العَرِيبِ  
 وإني لأهوى قديدَ الغنمِ  
 فنعم الطعامُ ونعم الأدمُ  
 وبيضُ الجرادِ شفاءُ القرمِ  
 ولا تشتهيهِ نفوسُ العجمِ

قال عمرو بن بجر: الجراد المأكول منه، ضروب: منه الأهوازي، وفيه المذنب، وأطيه الأعرابي، وأهل  
 خراسان لا يأكلونه. قال: والجراد الأعرابي لا يتقدمه في الطيب شيء، وما أحصى كم سمعت من  
 الأعراب من يقول: ما شبعت منه قط، وما أدعه إلا خوفاً من عاقبته، أو لأني أعيا فأترك. قال: والجراد  
 يطيب حاراً وبارداً ومشوياً ومطبوخاً، منظوماً في الخيط، أو مجموعاً في المسلة. قال: والبيض المقدم في  
 الطيب ثلاثة أحناس: بيض الأشبور، وبيض الدجاج، وبيض الجراد. - وبيض الجراد - فوق بيض  
 الأشبور في الطيب؛ وبيض الأشبور فوق بيض الدجاج. قال: والجراد يؤكل يابساً وغير يابس، ويجعل  
 إداماً ونقلاً. قال: وذكرت امرأة الجراد، فقالت لها أخرى: كيف حبك فيه؟ قالت: والله إنه لأحب إلى

من الحبل.

كان بشر بن المعتمر، خاصاً بالفضل بن يحيى، فقدم عليه رجل من مواليه - وهو أحد بني هلال - فجاء به يوماً إلى الفضل ليكرمه بذلك، وحضرت المائدة، وذكر الضب ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمه وتابعه القوم، ونظر الهلالي فلم ير على المائدة عربياً غيره، وغاظه كلامه، فلم يلبث أن أتى الفضل بصفحة ملامى من فراخ الزنابير ليتخذ له منها بزماورد، والدبر والنحل عند العرب أجناس من الذبان، فلم يشك الهلالي أن الذي رأى من ذبان البيوت والخشوش، وكان الفضل حين ولي خراسان، قد استطرف بها بزماورد الزنابير، فلما قدم العراق كان يتشهاها، فتطلب له وتساق من كل مكان، فشمته به وأصحابه لما رأى من ذلك، وخرج وهو يقول:

وبعض إدام العلج هام ذباب

وعلج يعاف الضب لوماً وبطنة

لقالوا له: أوتيت فصل خطاب

ولو أن ملكاً في الوري ناك أمه

قال الحسن بن هانئ:

فقل: عدّ عن ذاء، كيف أكلك للضب

إذا ما تميمي أذاك مُفاخراً

وبوئك يجري فوق ساقك والكعب

تفاخر أبناء الملوك سفاهة

وقال ابن المعتز:

وزين ما فيهن بالوشى والطرن

رأيت بيوتاً زينت بنمارق

بأحسن في بيت الكريم من الخبز

فلم أر ديباجاً ولم أر سندساً

وقال آخر:

بلذة ساعة أكلات دهر

فكم من أكلة منعت أخاها

وفيه هلاكة لو كان يدري

وكم من طالب يسعى لشيء

قال المأمون: سبعة أشياء لا تمل، أكل خبز البر، وشرب ماء العنب، وأكل لحم الضان، والثوب اللين، والرائحة الطيبة، والفراش الوطئ، والنظر إلى كل شيء حسن. فقال له الحسن ابن سهل: أين محادثة الإخوان يا أمير المؤمنين؟ قال: هن ثمان وهي أولهن.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرويه عن علي، أنه قال: لا يقام عن الطعام حتى يرفع. قال ابن عباس: من السنة إذا دعوت أحداً إلى متلك أن تخرج معه حتى يخرج.

روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، أنه قال: رب البيت آخر من يغسل يديه.

وقال أبو الزناد: من إكرام الضيف وحسن الأدب في مؤاكلته، أن تغسل يديك قبله أولاً، وبعده آخراً.  
لعبد الله بن المبارك، وتمثل بها المأمون:

احضر طعامك وابذله لمن أكل  
ولا تكن سَابِرِيَّ العَرَضِ مُحْتَشِمًا  
واحلفِ على من أبي، واشكر لمن فعلاً  
مِنَ القليلِ، فلستَ الدَّهْرَ مُحْتَفِلاً  
وقال آخر في ذم الشراب:

لا تفتكن على الكؤوس بِشْرُبِهَا  
يكفيك منها أن عَقَلَ تَارَةً  
فهِيَ التي بكَ عن قليلٍ تَفْتِكُ  
يبكي عَلَيْكَ، وَأَنَّ جَهْلَكَ يضحكُ  
وقال آخر:

وإني لأستحيي أكيلي أن يرى  
أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا  
مکان يدي من جانب الزاد أقرعاً  
من الجوع أحشى الذم أن أتضلعاً  
وإنك إن أعطيت بطنك سُؤْلَهُ  
وفرجك نالا مُنتَهَى الذم أجمعاً  
وقال كعب بن سعد الغنوي:

وزاد رفعت الكف عنه تَجْمُلاً  
وما أنا للقول الذي ليس نافعِي  
لأوثر في زادي على أكيلي  
ويغضب منه صاحبي بقُولِ

### باب النوم وتصرف المعاني فيه

روى أن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما، النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب،  
والثالثة وهي العظمى: إعجاب الرجل بعلمه.  
قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفترق إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.  
قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضحجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت  
لم تصبر على حق.

كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل، وإن الشياطين لا تقيل.  
قال علي: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل.  
قال عبد الله بن مسعود: النوم - عند الموعظة من الشيطان -.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه، نوم خرق، ونوم خلق، ونوم حمق. فأما النوم  
الخرق، فنومة الضحى، يقضى الناس حوائجهم وهو نائم، وأما نوم الخلق، فنوم القائلة نصف النهار، وأما

نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات.

قال غيره: نوم أول النهار خرق، ونوم القائلة خلق، ونوم العشى حمق، والنوم بين العشاءين يحرم الرزق.

قيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نومه الضحى؟ قال: مبردة في الصيف، مسخنة في الشتاء.

قال بعض العلماء: النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه.

قال عبد الله بن شبرمة: نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف.

قال عباس بن الأحنف:

من أن أنامَ وعيني حشوها السُّهُدُ

قالوا: تتام، فقلت: الشوق يمنعني

حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

أبكي الذين أذاقوني مودتهم

للجب نحوهم من قربهم، بعدوا

هم قد دعوني فلما قمت مقتضيا

بين الجوانح لم يشعر به أحد

لأخرجن من الدنيا وحبهم

كان يقال: لإبليس لعوق وكحل وسعوط، فلعوقه الكذب، وكحله النعاس عند سماع الخير، وسعوطه الكبير.

قال علي بن الجهم، يهجو قوما:

الأكل والراحة والنوم

أكثر ما يعرفه القوم

أيام لم يعرف لهم يوم

نوكي مياسير إذا عدت ال

وقال آخر:

وقد كان قبل اليوم بينهما وصل

عجبت لطرفي والكرى إذ تنافرا

فلم يجتمع من بعده لهما شمل

كأن البكا أغراهما بتفرق

أنشد ابن دريد:

بأرض العدا من خشية الحدثن

ولذ كطعم الصرخدي تركته

دعوت وقد طال السري فدعاني

ومبد لي الشحناء بيني وبينه

وفسر اللذ فقال: اللذ: اللذيذ، وأراد به هنا النوم. والصرخدي: الخمر، وقيل العسل.

وللفرزدي، أو غيره:

ولكن من يبك من الشوق يسهر

يقولون طال الليل والليل لم يطل

وقال بشار:

ونَفَى عَنِّي الكَرَى طَيْفٌ أَلَمَّ

لم يطل ليلى ولكن لم أتم

قال أبو ملجم الأعرابي:

بناصيتي حَبْلٌ إِلَى النَّجْمِ مُوثِقٌ  
أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْأَمَانِي فَتَعَلَّقُ

أَبَيْتُ أُرَاعِي النَّجْمَ حَتَّى كَأَنَّي  
وما طال ليلى غير أنني أحبها

وقال علي بن بسام:

أَنَّ نَجُومَ السَّمَاءِ لَيْسَتْ تَغُورُ  
طَالَ، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ

لا أظلم الليل ولا أدعي  
ليلى كما شأته فإن لم تزُرْ

قال عدي بن الرقاع:

بَسَوَادٍ آخِرَ مِثْلَهُ مَوْصُولُ

وَكَأَنَّ لَيْلِي حِينَ تَغْرُبُ شَمْسُهُ

لأبي حنبل الهذلي، فيما ذكر المدائني:

عَلَى كُلِّ عَيْنٍ لَا تَنَامُ طَوِيلُ

تَعَالَوْا أَعِينُونِي عَلَى اللَّيْلِ إِنَّهُ

قال المدائني، وهو القائل أيضاً:

أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحَبُّ

أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيَحْكُمُ هُبُّوَا

قال: وهو القائل:

قَلِّ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخَمَارِ الْأَسْوَدِ

وذكر الأبيات، وليس هذا موضعها، وغير المدائني ينشد قوله: ألا أيها النوام... لجميل بن معمر، وينشد:

قَلِّ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخَمَارِ الْأَسْوَدِ... للدارمي.

قال صالح بن حسان يوماً لجلسائه: أيكم ينشد بيتاً نصفه لمخنت يتفكك بالعقيق، ونصفه لأعرابي في شملة بالبادية؟ قالوا: ما نعرفه. قال: هو قول ابن معمر:

أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحَبُّ؟

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ النَّيَامُ أَلَا هَبُّوَا

ولعباس بن الأحنف:

نِي عَلَى اللَّيْلِ حَسْبَةٌ وَأَنْتِجَارَا  
أَوْصَفُوهُ فَقَدْ نَسِيتُ النَّهَارَا

أَيُّهَا النَّائِمُونَ حَوْلِي أَعِينُوا  
حَدِّثُونِي عَنِ النَّهَارِ حَدِيثًا

وقال خالد الكاتب:

وَلَيْلَ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ  
مَا فَعَلَ الدَّمْعَ بِالنَّظِيرِ

رَقَدْتَ وَلَمْ تَرْتِ لِلسَّاهِرِ  
وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ الرَّقَادِ

وقال سعيد بن حميد:

أَنَا نَمُّ عَنكَ غَدُ  
أَلْقَى بِهَا أَوْ تَجْدُ  
ضُعْفَ مَنْكَ الْجَدُ

يَا لَيْلُ بَلْ يَا أَبَدُ  
يَا لَيْلُ لَوْ تَلَقَى الَّذِي  
قُصِّرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ

ولبعض أهل عصرنا:

وَاللَّيْلُ يَقْطَعُ صَبْرِي كُلَّهُ طَوْلًا  
مِنْ غَمَّتِي فَرَجَاءَ عَادَتِ لِي الْأَوْلَى

إِلْفِي قَرِيبٌ وَأُنْسِي مَا يَنْتَمُ بِهِ  
إِذَا كَوَاكِبُهُ الْأُخْرَى أُرِدْتُ بِهَا

وللمنتصر بالله:

وَأَطْوَعَ مِنْكَ فِي غَيْرِ الْمَنَامِ  
وَلَيْتَ اللَّيْلُ أُخْرَى أَلْفَ عَامٍ  
لَأَغْلِيْتُ النُّعَاسَ عَلَى النَّيَامِ

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ أَقَلَّ بَخْلًا  
فَلَيْتَ الصُّبْحُ زَالَ فَلَا تَرَاهُ  
فَلَوْ أَنَّ النُّعَاسَ يُبَاعُ بِيَعًا

## باب الحمام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ الشَّامَ، فَتَجِدُونَ فِيهَا بِيوتًا تُدْعَى الْحَمَامَاتِ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيضَةٌ أَوْ نَفْسَاءٌ، وَلَا يَحِلُّ دُخُولُهَا لِرَجُلٍ إِلَّا بِمَمْتَزَرٍ".  
قال أبو هريرة: بئس البيت الحمام، يكشف العورة، ويذهب الحياء.  
قال أبو الدرداء: نعم البيت الحمام، يذهب الدرن، ويذكر النار.

قال ابن القاسم: سئل مالك عن القراءة في الحمام. فقال: القراءة بكل مكان حسنة، وليس الحمام بموضع قراءة، فمن قرأ الآية والآيتين فليس بذلك بأس، وليس الحمام من بيوت الناس الأول.  
كان الحسن إذا دخل الحمام أغمض مخافة أن تقع عينه على عورة أحد، وربما قادة غلامه.  
ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قومًا لا مآزر لهم، فأغلق عينيه، وجعل يتهدي بيديه. فقال له أحدهم: متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ قال: منذ انكشفت عورتكم.



كان يقال: إذا جمع الحمام خمس خصال فقد كمل: أن يكون قديم البناء، عذب الماء، كثير الضياء، مرتفع الهواء، وأفضل ذلك كله: أن يكون الحوض نقياً معتدلاً الحر.

قال أصبغ: سألت ابن القاسم عن دخول الحمام، فقال: ما أن وجدته خالياً، أو كنت تدخل مع قوم يستترون ويتحفظون فلا أرى بذلك بأساً، وإن كان يدخله من لا يبالي ولا يتحفظ لم أر أن تدخله، وإن كنت متحفظاً.

قال أصبغ: وأدرت ابن وهب يدخله مع العامة متحفظاً، ثم ترك ذلك، وكان لا يدخله إلا محتلياً.  
قال شمس المعالي:

فَ عَلَى قَلْبِي وَسَمْعِي

كُونْتُ مِنْ بَعْضِ طَبْعِي

سِي وَفِيضِ الْمَاءِ دَمْعِي

أَنْتَ فِي الْحَمَّامِ مَوْقُو

فَتَأْمَلُهَا تَجْدُهَا

حَرَّهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَا

ودخل أعرابي البصرة، قدمها من البادية فتزل على قريب له، فلما رآه أشعث الرأس عزم عليه في دخول الحمام، وقال له: إنه يوم جمعة تطهر في الحمام وتنظف، فلما دخل الأعرابي الحمام، زلقت رجله وسقط، فأصابته شجة فوق حاجبه، فخرج وهو يقول:

فَأُبْتُ مِنَ الْحَمَّامِ غَيْرَ مَطْهَرٍ

بِغَيْرِ جِهَادٍ بئسَ مَا كَانَ مِتْجَرِي

بِهِ لَا تَلَبَّثُ، بِالصَّرِيمَةِ أَعْقَرِ

فَكَيْفَ بَبَيْتِ ذِي رِخَامٍ وَمَرْمَرِ

وَقَالُوا: تَطَهَّرْ إِنَّهُ يَوْمَ جُمُعَةٍ

تَزَوَّدْتُ مِنْهُ شَجَّةً فَوْقَ حَاجِبِي

تَقُولُ لِي الْأَعْرَابُ لِمَا رَأَوْنِي

فَمَا تَعْرِفُ الْأَعْرَابُ فِي السُّوقِ مِشِيَةً

### باب في البراغيث والبق والبعوض

في الحديث المرفوع: لا تلعنوا البرغوث فإنه نبه نبياً من الأنبياء لصلاة الصبح، حديث ليس بقوي الإسناد. انفرد به سويد أبو حاتم، يباع الطعام عن قتادة، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم.  
قال أعرابي بالبصرة:

ظَلَلْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي مِرَاشِ

وَفِي بَرَاغِيثَ أَذَاهَا فَأَشِي

مِنْ نَافِرٍ مِنْهَا وَذِي خِرَاشِ

يَرْفَعُ جَنْبِيَّ عَنِ الْفِرَاشِ  
فَأَنَا فِي حَرْبٍ وَفِي تَخْرَاشِ  
يَتْرِكُ فِي جَنْبِيَّ كَالْحَوَاشِي  
وَزَوْجَةً دَائِمَةَ الْهَرَّاشِ  
تَغْلِي كَغْلِي الْمَرْجَلِ النَّشْنَاشِ

وقال رجلٌ من بني حمان، وقع في جند الشام، مندوباً في بعض حصون الساحل:

أَنْصُرُ أَهْلَ الشَّامِ مِمَّنْ يَكِيدُهُمْ وَأَهْلِي بِنَجْدِ ذَاتِ حِرْصٍ عَلَى النَّصْرِ  
بِرَاغِيثُ تُؤَذِّنِي إِذَا النَّاسُ نَوَّمُوا وَبِقُ أَفَاسِيهِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ

تضيف عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، رجلاً من الأعراب كان يأتيه يتصيد عنده، ففرش له في بيت حال من ناحية داره، فبات فيه، ثم غدا عليه فقال: يا أبا عثمان! ماذا رأيت هذه الليلة! قال: وما ذاك؟ قال: سود حذب زرق آذيني، وقد قلت فيهن شعراً، قال: وما هو؟ قال: قلت:

اللَّيْلُ نَصْفَانِ نَصْفٌ لِلْهَمِّ وَمَا أَقْضَى رِقَاداً وَنَصْفٌ لِلْبِرَاغِيثِ  
أَبَيْتُ حَيْثُ تَسَامِينِي أَوَائِلُهَا أَنْزَرُوا وَأَخْلَطُ تَسْبِيحاً بِتَغْوِيثِ  
سُودٌ مَدَالِيحٌ فِي الظُّلْمَاءِ مُؤَذِيَةٌ وَليْسَ مَلْتَمَسٌ مِنْهَا بِمَشْبُوثِ  
كَأَنَّهُنَّ وَجَلْدِي إِذْ خَلُونِ بِهِ أَيْتَامٌ سُوءِ أَغَارُوا فِي مَوَارِيثِ  
لَيْلُ الْبِرَاغِيثِ أَنْكَانِي وَأَرْقَنِي لَا بَارِكَ اللهُ فِي لَيْلِ الْبِرَاغِيثِ

قال أعرابي:

إِنَّ الْبِرَاغِيثَ لَهْنٌ عَضٌ وَحِكْمَةٌ وَأَلْمٌ مَمْضٌ  
كَأَنَّمَا تَتَّبِثْنِ الْأَرْضُ

وذكرت البراغيث عند أعرابي من قيس، فقال: ليلها ناصب ومددها دائب.  
وذكرت البراغيث عند رجل من كلب، فقال: أخزأها الله، ما أدناً صغارها، وما أشر كبارها، وأخفى أنظارها، وأقبح آثارها.  
قال أحمد بن إسحاق:

مَا لِلْبِرَاغِيثِ أَفْنَى اللهُ جَمَلَتِهَا حَتَّى يَقُومَ بِرَغُوثٍ بِدِينَارٍ

لروضة من رياض الحزن معشبة

أشهى لقلبي من درب به نبط

وقال آخر:

ما للبراغيث أذى الله ليلتها

كأنهن وجلدي إذ ظفرن به

قال أعرابي:

لم أر كالיום ولا مذ قط

كأنما نجومه في ربط

من البعوض، ومن التغطي

وكن مني بمكان القرط

وقال آخر، يصف بعوضة وخرطومها:

مثل السفاة دائم طنينها

ولأبي إسحق الصابي، وهو إبراهيم بن هلال الكاتب في البعوض قال:

ألحت صروف الدهر من كل جانب

وأخرجني من موطن كان جنتي

وعوضني من ذلك الظل والجنبي

محل خسيس لا يطيب مساؤه

بليت ببق ذي مناسر طعمه

وقد كنت في بغداد أشكو بغائه

أجاور في جنح الدجى كل جحفل

إذا سفكت كفى دماً من بغوضة

له وخزة في السمع قبل وقوعه

فكم مستغيث ساهر العين صائح

وكم غائص في النوم يصفح نفسه

بها الطباء تراعي غب أمطار

ومنزل بين حجامٍ وجزار

من يلق منهن ما لاقيت لم ينم

وضمني مضجعي، يطلبنني بدم

أطول من ليلي بنهر بط

أبيت بين خطتي مشتط

إذا تغنين غناء الزط

وخزني وخزاً كوخز الشرط

ركب في خرطومها سكينها

على بأصناف الأذى والجوائح

لحسن مرابعه وحسن الروائح

على الرغم من أنفي بسكني البطائح

لثاويه والإصباح ليس بصباح

لحوم صنناديد الرجال الججاج

فكيف اصطباري للبزاة الجوارح

يجالطني أبطاله بالصفائح

فذلك جزء من دم لي طائح

على الجسم من تغريد نشوان صباح

إلى مثله من شاهر العين صائح

لنبله رام أو لطعنة رامح

لسويد بن منجوف العبدي، وكان قديماً جاهلياً:

وإن قيل عيش بالسدير غرير  
وعمرو بن هند يعتدي ويجور

أبي القلب أن يأتي السدير وأهله  
به البق والحمى وأسد خفية  
ولأعرابي من بني جفنة مازحاً:

الزم طريقك لا تولع بإفساد  
أنا على سفرٍ لابد من زاد

مر الجراد على زرعي فقلت له:  
فقال منهم خطيب فوق سنبله  
ولا بن المعتز في البعوض أيضاً:

لجرجس كالزئبر المنتف  
يعذب المهجة إن لم تتلف  
حتى يرى فيه كشكل المصحف

بت ليلي كله لم أطرف  
يلسعننا بالسعر المخوف  
ويثقب الجلد وراء المطرف

ولي أصف ما لاقيت من البعوض ياشبيلية في الشرف، وفي مدينة قبتور ومدينة قبطل، وذلك حين مبيني  
بها، وما منه تلقي المدينة أيضاً:

قد آذنت بذهاب النفس والتلف  
وآخرٍ مختفٍ في الثوب ملتف  
بالبيت من طرفٍ فيه إلى طرف  
ينصب مثل عقابٍ جاع مختطف  
وكالمنادي بأخذ الهارب النطف  
ثوب مثى ولو قد كان من خزف  
إلا بلطم على الأعضاء منصرف  
على البحيرة في غرب من الشرف  
يغشى المدينة في الأبيات والغرف  
أو حيلةٍ قد أعدوها بمنحرف

بعوض قبتور والقبطيل والشرف  
فمن مثير دخانٍ يستجير به  
قد غيب الرأس والرجلين مستتراً  
ويلي من الجرجس المثى عقربه  
يؤم أذني هجماً كالمهدد لي  
خرطومه كسنان لا يقوم له  
يا ويله من عدو لست تدفعه  
نفي البعوض أناساً من مساكنهم  
وساحل البحر طولاً أصل منبته  
وليس عنهم بستر أو مدافعةٍ

ولغيري في البعوض ببلنسية:

وذاد عنها غموضي

ضاقت بلنسية بي

## باب في السجن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر".  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه حبس رجلاً في تهمته.

سجن عمر بن الخطاب الخطيئة في قوله في الزبرقان بن بدر:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

دع المكارم لا ترحل لبغيها

بعد أن سأل حساناً وليبداً فقالا: إنه هجاء له وضعة منه، فأمر به فحبس، وقيل إنه رماه في بئر لا ماء فيها، فقال الخطيئة:

زغب الحواصل لا ماءً ولا شجر

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

ألقت إليك مقاليد النهى البشر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه

لكن لأنفسهم كانت بك الإثر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها

بين الأباطح يغشاهم بها القدر

فامنن على صبية في الرمل مسكنهم

من عرض داويةٍ يعمى بها الخير

أهلي فداؤك كم بيني وبينهم

فكلمه فيه عبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، واسترضياه حتى أخرجته من السجن، ثم دعاه فهدده بقطع لسانه إن عاد يهجو أحداً.

كتب على باب سجن بالعراق: هاهناتلين الصعاب، وتختبر الأحباب.

مكتوب على باب سجن كبير من سجون الملوك: هذه منازل البلوي، وقبور الأحياء، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء.

ولأعرابي مسجون:

وقالوا: أبو ليلى الغداة حزين

ولما دخلت السجن كبر أهله

بأنك تنزو ثم سوف تلين

وفي الباب مكتوب على صفحاته

وقال علي بن الجهم في السجن في شعر له:

خرجنا من الدنيا من أهلها  
فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى  
إذا جاءنا السجن يوماً لحاجةٍ  
فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا  
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا  
إذ انحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا  
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت  
وإن هي ساءت بكرت وأنت عجلي  
ولبعض السجنان:

ما يدخل السجن إنسان فتسأله  
ما بال سجنك إلا قال مظلوم  
وقال آخر:

أسجن وقيد واغتراب وعبرة  
وفقد حبيب إن ذاك عظيم  
وإن امرءاً تبقى موثيق عهده  
على كل هذا إنه لكريم  
كتب أبو العتاهية من السجن إلى الرشيد يستعطفه ويسترحمه، فوقع له في رقعة: لا بأس عليك. فأعاد عليه أبو العتاهية رقعةً أخرى فيها:

أرقت وطار عن عيني النعاس  
ونام السامرون ولم يواسوا  
أمين الله أمنك خير أمنٍ  
عليك من التقى فيه لباس  
تساس من السماء بكلب بر  
وأنت به تسوس كما تساس  
كأن الخلق ركب فيه روح  
له جسد وأنت عليه راس  
أمين الله إن الحبس باس  
وقد وقعت ليس عليك باس

لما سجن عضد الدولة فناخسرو أبا إسحق الصابي وقبض عليه، واستصفى أمواله، وذلك في حين قتله عز الدولة بختيار بن أحمد بن بويه الديلمي، وكان الصابي كاتب بختيار على ديوان الإنشاء، فزار أبو الفرج البيهقي الشاعر أبا إسحق الصابي في السجن ثم قطعه، فكتب إليه الصابي:

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل  
يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص  
مضت مدة تستام ودي غالباً  
فأرخصته والبيع غالٍ ومرتخص  
وآنستني في محبسي بزيارةٍ  
شفت كمداً من صاحب لك قد خلص  
ولكنها كانت كحسوة طائرٍ  
فواقاً كما يستقرص السارق الفرص  
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسٍ  
وَأوجست خوفاً من تذكرك الققص  
تحوشيت يا قس الطيور فصاحةً  
إذا نثر المنظوم أو درس الققص

من المنسر الأشغى ومن حزة المدى  
ومن صعدة فيها من الدبق لهزم  
فهبذي دواهي الطير وقيت شرها  
فأجابه أبو الفرج البيغاء:  
ويا ماجداً في حلبة المجد ما نقص  
ويا كاملاً في رتبة الفضل ما نقص

ستخلص من هذا السرار وأيما  
بدولة تاج الملة الملك الذي  
تقنصت إطفافي وما كنت قبل ذا  
فأصبحت لا أخشى أذية جارح  
هلالٍ تواري في السرار وما خلص  
له في أعالي قبة المشتري حصص  
أظن بأن المرء بالبر يقتنص  
ورأيك لي وكر وقلبك لي قفص

### باب الوكلاء

قال بعض الحكماء: لا مال لمن لا صبر له على خيانة الوكلاء وإضاعة الكفاة.  
قال نصر بن سيار: لا تتخذ الوكيل داهيةً أريباً، ولا ذا عشيرة منيعة، فإنك إن قاومته أيام حياتك، عجز عنه ولدك بعد وفاتك.  
كان عمر بن مهران يكتب في نهاية اسمه: اللهم احفظه ممن يحفظه.  
لما مرض يعقوب بن حميد التاجر، قال له بعض ولده: أي شيء تشتهي؟ قال: كبد وكييل.  
قال نصر بن سيار: لعن الله وكييل الضيعة، إن عشت أكلها دونك، وإن مت ادعاها بعدك، وإن كان عاجزاً جاهلاً استهلكها، وإن كان قوياً ذا عارض أعملها فيك ولم يعملها لك.  
ذكر أن القحذمي مات وله ضيعة في يد وكييل، فكابر عليها.  
قال شقران العلامي:

ذكرت أبا أروى فبت كأني  
برد الأمور الماضيات وكييل

### باب العادة وما لا ينسى

قال أكثم بن صيفي: ما يسرنني أبي مكفي أمر الدنيا. قيل: ولم؟ قال: أخاف عادة العجز.  
قال العرب: العادة أملك بالإنسان من الأدب.

وقالوا: العادة طبيعة ثانية.

كان يقال: ما دخل باللبن لم يخرج إلا مع الروح.

قالوا: الخير عادة، والشر لحاجة.

قال الراجز:

تدعو إلى الغبطة والسعادة

تعود الخير فالخير عادة

قال الشاعر:

إن الخلائق تأبى دونها الخلق

ما إن تخلقت إلا شيمتي خلقاً

قال الشاعر:

وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

كل امرئ صائرٌ يوماً لشيمته

وقال آخر:

وإن كانت معتقاً عقارا

فإن يشرب أبو عثمان أشرب

وإن كانت خانيفاً صغارا

وإن يأكل أبو عثمان أكل

وقال آخر:

ذا عفافٍ وحياءٍ وكرم

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً

وإذا قلت نعم قال نعم

قوله للشيء لا إن قلت لا

وقال آخر:

صحبتهم وشيمتي الوفاء

وكنت إذا علقت حبال قومٍ

وأجتنب الإساءة إن أساءوا

فأحسن حين يحسن محسنوهم

مشيئتهم وأترك ما أشاء

أشاء سوى مشيئتهم فأتى

## باب في المنجمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم باباً من النجوم، فقد تعلم باباً من السحر، ما زاد زاد".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت

النجوم فأمسكوا".



قال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا.  
قال الخليل بن أحمد:

كافر بالذي قضته الكواكب      أبلغا عني المنجم أني  
زار على المقادير كاذب      شاهد أن من تكهن أو نجم  
قضاء من المهيمن واجب      عالم أن ما يكون وما كان  
وقال آخر:

وطلاب شيء لا ينال وبال      علم النجوم على العقول وبال  
يدري متى الأرزاق والآجال      هيهات ما أحد مضى ذو فطنة  
ولوجهه الإعظام والإجلال      إلا الذي هو فوق سبع سمائه  
وقال أبو العباس الناشئ:

أؤمل براً عليها وبحرا      سألت المنجم عن رحلة  
فإنك إن سرت لاقيت شرا      فقال المنجم لي: لا تسر  
فقد جاء بالنهاي لغواً وهجرا      فإن كان يعلم أني أسير  
تراني إذا سرت لاقيت ضرا      وإن كان يجهل سيرتي فكيف  
وقال أبو تمام الطائي:

بين الخميسين لاقى السبعة الشهب      والعلم في شهب الأرماع لامعة  
ما كان في فلك منها وفي قطب      يقضون بالأمر عنها وهي غافلة  
وفيها يقول أبو الطيب المتنبّي:

ومن يدعى أنها تعقل      فتبا لدين عبيد النجوم  
وقال منصور الفقيه:

دعا إليه التوهم      قول المنجم شيء

مما يقول المنجم      فلا تصدق بشيء  
وله أيضاً:

تضر وتنفع من تحتها      إذا كنت تزعم أن النجوم

فلا تتكرن على من يقول

وله أيضاً:

لو أن نجماً تكلم

لأنه قال جهلاً

وقال أيضاً:

قالوا أعد فلان

زادا كثيراً وداراً

فقلت بات فلان

هلا استعان على ما

بمن وقاه وليداً

ومن غذاه جنيناً

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه:

فأين الزيج والقانو

وأين السند هند البأ

سوى الإفك على الله

إذا كان أخو النجم

فلم ذا يطلب الرزق

وهذي الأرض قد وارت

فلا والله ما لل

بأنك بالله أشركتها

لقال: صكوا المنجم

بالغيب ما ليس يعلم

لخوف هذا القران

وثيقة البنيان

يرجو النجاة بزان

يخشى من الحدثان

مكروه كل زمان

في ضيق ذاك المكان

ن والأركند والكمه

طل الجدول هل ثمه

تعالى منشر الرمه

يرى الغيب بما ضمه

طلاب العاجز الهمه

كنوزاً عدة جمه

ه وخلق يحتوي علمه

أخبرني عبد الله بن محمد بن يوسف، قال أخبرنا أحمد بن مالك بن عابد، قال: أخبرني أحمد ابن محمد بن عبد ربه أبو عمر الشاعر، قال: دخلت على الوزير جهور بن الضيف، وكان القحط قد ألح، والغيث قد احتبس واغتم الناس لذلك، وتحدث المنجمون بتأخر الغيث مدة طويلة، فوجدت عنده ابن عزر المنجم وجماعة من أصحابه، وقد أقاموا الطالع وعدلوا، وقضوا بتأخير الماء شهراً. فقلت للوزير: إن هذا من أمور الله المغيبة، وأرجو أن يكذبهم الله بفضله، ثم خرجت عنه وأتيت داري، فجاء أول الليل والسماء قد

تغيّمت، ونمت ساعة، فما أيقظني إلا نزول الماء، فقمّت وقربت مني المصباح، ودعوت بالدواة والقلم،  
فما رفعت يدي حتى نسخت هذه الأبيات، ثم صابحت بها الوزير، فسر بها واستحسنها. وهي:

ما قدر الله هو الغالب  
ليس الذي يحسبه الحاسب  
قد صدق الله رجاء الورى  
وما رجاء عنده خائب  
وأنزل الغيث على راغب  
رحمته إذ فنت الراغب  
قل لابن عزرا السخيف الحجا  
زري عليك الكوكب الثاقب  
ما يعلم الشاهد من حكمنا  
كيف بأمرٍ حكمه غائب  
وقل لعباس وأشياعه  
كيف ترى؟ قولكم الكاذب  
خانكم كيوان في قوسه  
وغركم في لونه الكائب  
فكلكم يكذب في علمه  
وعلمكم في أصله كاذب  
ما أنتم شيءٌ ولا علمكم  
قد ضعف المطلوب والطالب  
تغالبون الله في حكمه  
والله لا يغلبه غالب  
محبوب الحبر الذي ماله  
في فهمه ند ولا صاحب  
قد أشهد الله على نفسه  
بأنه من جهلكم تائب

وأنشدني عباس بن يحيى بن قزمان لعمه عيسى بن قزمان:

هذا بإذن الله ما شاء قدره  
وليس فيما قضى كيوان والقمر  
لو كان عند النجوم السابحات بما  
يجري على الخلق من أنبائهم خبر  
لم يحتل بذراهم ريب حادثة  
بل كان ينجيهم الإنذار والحذر  
ما كان ينجل منهم عالم ولدًا  
في ساعة ما بها نحس ولا كدر  
تقيه أنجمه صرف الزمان فلا  
يأتي عليه ولا يفني له عمر  
هيهات ذلك أمر لا يطاق ول  
كن الفتى ينتهي حيث انتهى القدر

وللقرشي سعيد بن العاص المرواني:

مستحيل أن تدرك الأوهام  
علم غيب تغيب عنه الأنام  
كيف يحتاز علمه بشري  
وهو علم قد حازه العلام

ما يقول الكندي والنظام  
لم يجز فاعلمن عليه السلام

لست ممن يقول فيه جهل  
كل من قال إن للنجم حكما

ر ولم يلهموا الرشاد فهاموا

سطر الأولون فيه أساطي

إذا أرادوا بالسند هند وبالأركند والزيج روم مالا يرام

ء حين ضلت في كنهها الأوهام

خبطوا في أمورها خبط عشوا

هذيان آثاره البرسام

والذي هينموا به من قريب

م ولكن لا تعقل الأجرام

إنما السبعة الدراري أجرا

ما لديها فهم ولا إفهام

وصفوها بالفهم وهي شخوص

لم والعالمون عن ذا نيام

وحكوا أنها تؤثر في العا

في جميع الورى ولا إبرام

كذبوا ليس للكواكب نقض

فهو مالا يقوله الإسلام

والذي قاله الأوائل فيها

ها إلى أن يحين منه انصرام

إنما سخرت بقدرة باري

ها ولا يستحيل فيها النظام

فهي تجري في رتبة ليس تعدو

ب سراعاً كما تساق السوام

كل يوم تساق فيه إلى الغر

لواء، ولا المشتري ولا بهرام

ليس يقضي كيوان أمراً كما قا

ر الذي ينجلي به الإظلام

لا ولا الشمس في البروج ولا البد

ق وتمضي بعزمه الأحكام

إنما الأمر الذي خلق الخل

### باب ثلاثة من الحكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: "يا علي! ثلاثة لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت، والجنائز إذا حضرت، والأمم إذا وجدت كفوًّا".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فالعدل في الرضى والغضب، وحشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر. وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه".

وروى عنه عليه السلام، أنه قال: "ثلاثة من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، وثلاث من شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء".  
وفي الخبر المأثور: "الخير كله في ثلاث: السكوت والكلام والنظر، فطوبى لمن كان سكوته فكره، وكلامه حكمة، ونظره عبرة".

كان الحسن يقول: أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد والكبر، فالكبر منع إبليس من السجود لآدم، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد حمل ابن آدم على قتل أخيه.  
قال ابن عجلان: ثلاثة لا يصلح العمل إلا بهن: التقوى، والنية الحسنة، والإصابة.  
روى سفيان، عن جامع بن أبي راشد، عن ميمون بن مهران، قال: ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر، الأمانة تؤدي إلى البر والفاجر والعهد يوفي به للبر والفاجر، والرحم توصل برّة كانت أو فاجرة.  
ثلاثة لا شيء أقلّ منهن، ولا يزيدن إلا قلة: درهم حلال تنفقه في حلال وأخ في الله تسكن إليه، وأمين تستريح إلى الثقة به.

قال عمر بن الخطاب: الفواقير في ثلاث: جار سوء في دار مقام، إن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها. وامرأة سوء إن دخلت لستنتك، وإن غبت عنها لم تأمنها. وسلطان جائر إن أحسنت لم يحمذك، وإن أسأت قتلك.

قال الحسن: لولا ثلاث ما وضع ابن آدم رأسه: المرض والفقر والموت.  
قال الضحّاك أو غيره من الحكماء: إذا ظفر إبليس من ابن آدم بثلاث لم يطلبه بغيرهن: إذا أعجب بنفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنوبه.

قال مسلمة بن عبد الملك: العيش في ثلاث: سعة المنزل، وكثرة الخدم، وموافقة الأهل.  
قال الخليل بن أحمد: ثلاث ينسين المصائب: مر الليالي، والمرأة حسناء، ومحادثة الإخوان.  
وقال غيره: ليس لثلاث حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يداخلها حسد، ومرض يداخله هرم.  
وقال غيره: ثلاثة تجب مداراتهم: الملك السليط، والمرأة، والمريض.  
ثلاثة يعذرون في سوء الخلق: المريض، والمسافر، والصائم.  
ثلاثة لا يستخف بهم: عامل السلطان، والعالم، والصدّيق: لأن من استخف بالسلطان أفسد نية ومن استخف بالعالم أفسد دينه ومن استخف بالصدّيق أفسد مروءته.  
ثلاثة أشياء تخلق العقل، وتفسد الذهن: طول النظر في المرأة، والاستغراق في الضحك، ودوام النظر في البحر.

ومما يفسد الذهن ثلاثة: الهم والوحدة والفكر.

ثلاثة تهرم وربما قتلت صاحبها: الجماع على الامتلاء، ودخول الحمام على البطن، وأكل القديد اليابس.

ثلاثة يفرح بهن الجسد ويربو: الطيب، والثوب اللين، وشرب العسل.

ثلاثة تورث الهزال: شرب الماء البارد على الريق، والنوم من غير وطاء، وكثرة الكلام برفع الصوت.

قال سليمان بن موسى: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: حليم من سفيه، وبر من فاجر، وشريف من دنيء.

قال أبو الدرداء: ثلاث لا يجبهن غيري: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي،

وأحب الفقر تواضعاً لربي، فذكر ذلك لابن شيرمة، فقال: ولكني لا أحب واحدة من الثلاث، أما الفقر

فو الله للغني أحب إلى منه، لأن الغني به توصل الرحم، ويحج البيت، وتعتق الرقاب، وتبسط اليد

بالصدقة. وأما المرض فو الله لأن أعافي فأشكر أحب إلى من أن أبتلي فأصبر، وأما الموت فو الله ما يمنعنا

من حبه إلا ما قدمناه وسلف من أعمالنا، فنستغفر الله.

يقال: ثلاث موبقات: الحرص، وهو أخرج آدم من الجنة: والحسد دعا ابن آدم إلى قتل أخيه، والكبر حط

إبليس عن مرتبته.

قال سفيان الثوري: دخلت على جعفر بن محمد، فقال لي: يا سفيان! إذا أنعم الله عليك نعمَةً فاحمد الله

، وإذا استبطأت رزقاً فاستغفر الله، وإذا حزبك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال لي: يا سفيان!

ثلاث وأي ثلاث.

ثلاث خصال من حقائق الإيمان: الاقتصاد في الإنفاق، والإنصاف من نفسك، والابتداء بالسلام.

ثلاث من لم تكن فيه لم يطعم الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري

به الناس.

ثلاث لا يعرفون إلا في ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة.

قال ابن مسعود: ثلاث من كن فيه، ملاً الله قلبه إيماناً: صحبة الفقيه، وتلاوة القرآن، والصيام.

قال عمر بن الخطاب: الرجال ثلاثة: رجل عاقل عفيف مسلم ينظر في الأمور فيوردها مواردنا ويصدرها

مصادرها إذا أشكلت على عجز الرجال وضعفتهم، ورجل يلبس عليه رأيه، فيأتي ذوي الرأي والمقدرة

فيستشيرهم، ويتزل عند ما يأمرونه به، ورجل جاهل لا يهتدي لرشد، ولا يشاور مرشداً.

قال: والنساء ثلاث. وقد ذكرتها في باب النساء.

من فقد ثلاثاً ساء عيشه: النساء، والمال، والإخوان.

ثلاث لا يأنف الكريم من القيام عليهن: أبوه، وضيغه، ودابته.

ثلاث يسهرون: قرض فأر، وأنين مريض، ووكف بيت.

ثلاثة لا راحة منها إلا بالمفارقة لها: السن المتأكلة والمتحركة، العبد الفاسد على مولاه، والمرأة الناشز عن زوجها.

ثلاث إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله: إذا حمده جاره، ورفيقه، وقرابته.

كدر العيش في ثلاث: الجار السوء، والولد العاق، والمرأة السيئة الخلق.

ثلاث الإقدام عليهن غرر: شرب السم على التجربة، وركوب البحر للغناء، وإفشاء السر إلى النساء.  
قال الشاعر:

**مدلا بترياقٍ لديه مجرب**

**ولن يشرب السم الزعاف أخو الحجا**

ثلاثة من عازهم عادت عزته ذلة: السلطان، والوالد، والعالم. وقد قيل: السلطان والوالد، والغريم.  
ثلاثة تبنو الموعظة عن قلوبهم كنبو الماء عن الصفاة: امرأة مغرمة برجل، وشيخ مغرم بشرب الخمر، وملك فاجر.

ثلاث لا يستحيا منهن: طلب العلم، ومرض البدن، وذو القرابة الفقير.

ثلاث من أحسن شيء فيمن كن فيه: جود لغير ثواب، ونصب لغير دنيا، وتواضع لغير ذل.

قال سفيان الثوري: ما بقي لي من نعيم الدنيا إلا ثلاث: أخ ثقة في الله أكتسب في صحبته خيراً، إن رأيت زائغاً قومياً، أو مستقيماً رغيباً، ورزق واسع حلال ليست لله على فيه تبعة، ولا لمخلوق على فيه منة، وصلاة في جماعة أكفى سهوها وأرزق أحرها.

قال بزرجمهر: ثلاث نواطق وإن كن خرساً: كسوف البال دليل على رقة الحال، وحسن البشر دليل على سلامة الصدر، والهمة الدنية دليل على العزيزة الردية.

قال الشاعر:

**لتحدو إن حذوت على مثال**

**وما ضربوا لك الأمثال إلا**

### **باب أربعة**

أربع خصال من السعادة، وأربع من الشقاوة، فأما التي من السعادة: فالمركب الهني. أو قال: الوطي، والزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح. وأما التي من الشقاوة: فالمركب الصعب، والزوجة السوء، والمسكن الضيق، والجار السوء.  
أربع تعرف بمن الأخوة: الصفح قبل الاستقالة، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، ومخرج العذر قبل العتب، وبذل الود قبل المسألة.

وقال الحسن: أربع من كن فيه ألقى الله عليه محبته، ونشر عليه رحمته. من بر والديه، ورفق بمملوكه. وكفل اليتيم. وأغاث الضعيف.

أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والختان.  
أربع لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن: قيامه عن مجلسه لأبيه، وحديثه ضيقه، وقيامه على فرسه - وإن كان له مائة عبد -، وخدمته العالم ليأخذ من علمه.  
ذكر بعض قريش عبد الملك بن مروان، فقال: كان آخذاً لأربع، تاركا لأربع: يأخذ بأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حدث، وبأيسر المثونة إذا حولف، وبأحسن البشر إذا لقي، وكان تاركاً لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، وممارسة السفية، ومصاحبة المأفون.

قال الحسن البصري: لما هبط آدم آوحى الله إليه: أربع فيهن جماع الأمر لك ولولدك من بعدك، أما واحدة فلي، والثانية فلك، وأما الثالثة فبيني وبينك، وأما الرابعة فبينك وبين الناس. أما التي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فعملك أجزيكه أفقر ما تكون إليه، وأما التي بيبي وبينك: فعليك الدعاء وعلى الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فتصاحبهم بما تحب أن يصاحبوك به.  
أربعة تحتاج إلى أربعة: الحسب إلى الأدب، والسرور إلى الأمن، والقراة إلى المودة، والعقل إلى التجربة. أربعة لا بقاء لها: مودة الأشرار، والبيت الذي ليس فيه تقدير، والمال الحرام، والكسب الذي ليس معه تقدير.

أربع من حصل عليها واجتمعت عنده، اجتمع له خير الدنيا والآخرة: امرأة عفيفة، وخدين موافق، ومال واسع، وعمل صالح، قال منصور الفقيه:

**بعد الهدى والعافية**

**أفضل ما نال الفتى**

**عفيفة مواتية**

**امرأة جميلة**

قال عبد الله بن عمر: أربع من كن فيه بؤى بمن بيتاً في الجنة: شهادة ألا إله إلا الله، وإن أصاب ذنباً استغفر الله، وإن جرت عليه نعمة، قال: الحمد لله، وإن أصابته مصيبة استرجع فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

أربع تفسد العقل وتؤثر فيه: الإكثار من أكل البصل، ومن أكل الباقلاء، ومن الجماع، ومن السكر. أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صلحاء قومه: دين يرشده، وعقل



يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده.  
قال منصور الفقيه:

فضل اليسار والحسب

فضل التقى افضل من

إلى العفاف والأدب

إذا هما لم يجمعا

أربع من سلم منهن سلم من مكاره الدنيا والآخرة في الأغلب: العجلة، والتواني، واللجاجة، والعجب.  
أربعة تقبح وهي في أربعة أقبح البخل في الأغنياء والفحش في النساء والكذب في القضاة والظلم في الحكام.

أربعة قالها جعفر بن محمد، لا تستقل القليل منها: الدين، والنار، والعداوة، والمرض.  
قال الشاعر:

يجهلها ذو مرة حاسره

أربعة يعجب منها النهي

ليست له من خلفه آخره

فواحد دنياه قدامه

من خلفه آخره وافره

وآخر دنياه منقوصة

قد جمع الدنيا مع الآخرة

وثالث فاز بكلتيهما

ليست له دنيا ولا آخره

ورابع مطرح بينهم

الأذلاء أربعة: النمام، والكذاب، والمديان، والفقير.

قالوا: أربعة تشدد معاشرتهم: الرجل المتواني، والرجل العالم، والفرس المرح، والملك الشديد المملكة.

أربعة تشدد مؤونتهم، النديم المعربد، والجليس الأحمق، والمغني التائه، والسفلة إذا أثرى.

أربعة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والذاكر حتى يفتر، والإمام العدل، ودعوة المظلوم.

أربعة لا يقدرن على أن يشبعن: النار من الحطب، والبحر من الماء، والموت من الأرواح، والشره من

المال.

أربعة يهدمن الجسم وربما قتلن: دخول الحمام على البطنة، وأكل القديد الجاف، والغشيان على الامتلاء،  
ومجامعة العجوز.

أربع لا يشبعن من أربع: عين من نظر، وأذن من خبر، وأنتى من ذكر، وأرض من مطر.

أربع إذا كن في الرجل أهلكنه: حب النساء، وحب الصيد، وحب الفخار، وحب الخمر.

قال عمر بن عبد العزيز: أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصد عند الجدة، والعفو عند المقدرة، والحلم عند

الغضب، والرفق بعباد الله في كل حال.

قال المأمون: الناس في تصرفهم ومعايشهم بين أربعة أمور، من لم يكن منها كان عيالا عليها وكلاً:  
الإمارة، والتجارة، والزراعة، والصناعة.

أربعة لا يستحيا من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لأمن البدل، والدواء للاحتياط، والطب للصيانة.

قال العتيبي: اجتمعت الحكماء على أربع كلمات، وهي: لا تحملن على قلبك مالا تطيق، ولا تعمل عملا ليس لك فيه منفعة، ولا تثقن بامرأة، ولا تغتر بالمال وإن كثر.

### باب خمسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس... الحديث.  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: "يا عبد الله! اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".  
قال بعض الحكماء: خمسة أشياء من أعطيها فقد كمل عيشه: صحة البدن، وهو الجزء الأكبر، والسعة في الرزق، وهو الثاني، والأمن وهو الثالث، والأنيس الموافق وهو الرابع، والدعة، فمن حرمها فقد حرم العيش.

واجتمع الحكماء أنه لا ينبغي للمرء أن يتزل بلدةً ليس فيها خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جارٍ.

روى الأصمعي، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك بن أبي شهبة، قال: قال الأحنف: لا ينبغي أن تتزل بلدًا حتى يكون فيه خمس خصال، فذكرها سواء.

ذكر الشافعي عن مالك، عن الزهري، قال: الذل في خمسة أشياء: حضور المجلس بلا نسخة، وعبور المعبر بلا قطعة، ودخول الحمام بلا خادم، وتذلل الشريف للذني لينال منه، والتذلل للمرأة لينال من مالها. خمسة لا يستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

خمس أشياء تقبح في خمسة أصناف: الحدة في السلطان، وقلة الحياء في ذوي الأحساب، والبخل في ذوي الأموال، والفتوة في الشيوخ، والحرص في العلماء والقراء.

قال وبرة بن خدّاش: أوصابي عبد الله بن عباس بخمس كلمات هي أحب إلي من الدهم الموقوفة في السبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعينك أو في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضعه قد عنت، ولا تمار سفيهاً ولا فقيهاً، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب

عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافئ بالإحرام.

قال عمر بن الخطاب: من لم يكن فيه خمس فلا ترجوه لشيء من الدنيا والآخرة: من لم يعرف بالوثيقة في أرومته، والكرم في طبيعته، وبالدمائة في خلقه، وبالنبيل في نفسه، وبالمخافة لربه. خمس من طبيعة الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وإتعايب البدن في الباطل، وقلة معرفة الرجل لصديقه من عدوه، وتضييعه لسره. خمسة أشياء أضيع شيء في الدنيا: سراج يوقد في الشمس، ومطر وابل في أرض سيخة، وامرأة حسناء تزف إلى عينين، وطعام يستجاد ثم يقدم إلى سكران أو شبعان، ومعروف تصنعه عند من لا يشكره. خمس لا يشبعن من خمس: أذن من خير، وعين من نظر، وأنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعالم من أثر. خمس يزدن في النسيان: إلقاء القملة، وأكل التفاح، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل سؤر الفأرة.

ومما يدخل في هذا الباب قول الأحنف: لا راحة لحسود، ولا مروءة لبخيل، ولا إحاء لكذوب، ولا وفاء لمول، ولا سؤدد لسيء الخلق.

قال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

### باب نوادر من الرؤيا مختصرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللبن فطرة، والقيد ثبات في الدين، والغرق نار؛ لقوله تعالى: "أغرقتوا فأدخلوا ناراً"، ومن رأيي فقد رأيي، فإن الشيطان لا يتشبه بي. قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أرى كأني أطأ في عذرات الناس، قال: لتلين أمور الناس قال: ورأيت في صدري كالرقتين. قال: سنتين. قال: ورأيت كأن على حلة حبرة، قال: ولد تحبر به، وفي رواية أخرى: قال له: يا رسول الله! ورأيت كأن في صدري كبتين، قال النبي عليه السلام: "على أمر الناس سنتين".

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه: أنه دخل الجنة، وأنه رأى فيها عذقاً مدلى فأعجبه وقال:

"لمن هذا! فقيل: لأبي جهل. فشق ذلك عليه صلى الله عليه وقال: ما لأبي جهل والجنة؟ والله لا يدخلها أبداً، فإنها لا يدخلها إلا نفس مؤمنة. فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به، وقام إليه، وتناول ذلك العذق عكرمة ابنه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت أني دخلت الجنة فسقيت لنا فشربت حتى رأيت الري - أو قال: اللبن - خرج من أظفاري، قالوا: فما تأولته يا رسول الله؟ قال: العلم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رأيت كأن يتبعني غنم سود يتبعها غنم عفر" قال أبو بكر: يا رسول الله تلك العرب تتبعها العجم، قال: "كذلك عبرها الملك".

مر صهيب بأبي بكر الصديق، فأعرض عنه، فقال أبو بكر: مالك؟ أبلغك عني شيء؟ فقال: لا. إلا رؤيا رأيتها لك كرهتها. قال: وما هي؟ قال: رأيتك بمجموع اليمين إلى عنقك على باب أبي الحشر الأنصاري. قال: نعم ما رأيت جمع لي ديني إلى الحشر.

قالت عائشة لأبي بكر الصديق: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجري، فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض، فلما دفن النبي عليه السلام في بيتها، قال أبو بكر: هذا أحد أقمارك وهو خيرها.

جاء رجل إلى أبي بكر فقال: رأيت كأنني أبول دماً، قال: أنت رجل تأتي امرأتك وهي حائض، فاتق الله ولا تفعل.

جاء رجل إلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فقال: رأيت كأنني أحدث ثعلباً، قال: أنت رجل كذاب، فاتق الله ولا تفعل.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا، فقصها على أبي بكر، فقال: "يا أبا بكر! رأيت كأنني أنا وأنت نرقي درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف" قال: يا رسول الله! يقبضك الله إلى مغفرته ورحمته فأعيش بعدك سنتين ونصفاً.

قالت عائشة لأبي بكر: رأيت كأن بقراً نحرن حولي. قال: إن صدقت رؤياك قتل حولك فتنة.

قال رجل لأبي بكر الصديق: إني رأيت الليلة في المنام نوراً عظيماً يخرج من جحر صغير فجعلت أتعجب من صغر الجحر وعظم النور، ثم إن النور أراد أن يعود في الجحر فلم يقدر. فقال أبو بكر: هي الكلمة العظيمة تخرج من الرجل يريد أن يردها فلا يستطيع.

رأى رجل في المنام كأنه يطلب بطة معها ثلاثة فراخ، فأدرك البطة وفاته الفراخ فسئل فقيل: هذا رجل صلى العتمة، ونام عن الوتر حتى أصبح، فقال الرجل: ما تركت الوتر منذ ثلاثين سنة إلا البارحة.

قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أب يقتل بأيام، فقال: إني رأيت ديكاً نقرني نقرتين أو ثلاثاً.

فوجأه أبو لؤلؤه غلام المغيرة وجتتين أو ثلاثا فقتله.

قال بعض أمراء الشام لعمر: يا أمير المؤمنين! رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فريق من النجوم. قال: مع أيهما كنت؟ قال مع القمر. قال: مع الآية المحوطة، لا عملت لي أبداً. فعزله وقتل مع معاوية بصفين.

قال علي بن أبي طالب: لا رؤيا لخائف. إلا أن يرى ما يجب.

رأى عامر بن عبد الله بن الزبير في النوم، امرأةً تأثرة الشعر بين الركن والمقام، وهي تقول:

**أذنت زينة الحياة ببين وانقضاء من أهلها وفناء**

فتأول الناس من رؤيا عامر الدنيا.

قال رجل لابن سيرين: رأيت كأني آكل خبيصاً في الصلاة. قال: الخبيص حلال طيب، ولا يجل الأكل في الصلاة، أنت رجل تقبل امرأتك وأنت صائم. قال: نعم. قال: فلا تعد.

كان ابن سيرين يعبر الأذان في النوم عملاً صالحاً فيه شهرة.

وقال ابن سيرين في جنازة يتبعها الناس: هذا قائد له أتباع.

أتى رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت البارحة امرأة من جبراني كأنها ذبحت في بيت من دارها. فقال: هذه المرأة نكحت الليلة في ذلك البيت. فعز على السائل ما ذكره؛ لأن زوج المرأة كان غائباً عنها، فلما انصرف قال له أهله: رأيت فلاناً؟ -يعنون الغائب جاره - فقال: وهل أتى؟ قالوا: نعم. وفي داره بات البارحة. فقصدته وسأله، فكان كما قال ابن سيرين.

قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن قرداً يأكل معي على مائدة. فقال: هذا غلام أمرد اتخذ بعض نسائك.

قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن في حجري صبيلاً يصيح. فقال له ابن سيرين: اتق الله ولا تضرب العود.

قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأنني أطير بين السماء والأرض. فقال: أراك تكثر الأمانى.

قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأن لحيتي بلغت سرتي، وأنا أنظر إليها. فقال له: أنت رجل مؤذن تنظر في دور الجيران.

كان ابن سيرين يستحب الطيب في النوم، يقول: هو ثناء حسن. وكان يعجبه الطيب الأسود كالمسك والغالية وشبه ذلك، ويقول: يتبعه عيش وثناء حسن.

سئل ابن سيرين عن الغيل في النوم، فقال: أمر جسيم قليل المنفعة.

قال رجل لابن سيرين: ما تقول يا أبا بكر في امرأة كانت ترى في المنام كأنها تأكل رأس جزور؟ فقال: تتقي الله ولا تبغض العرب.

كان ابن سيرين يستحب الزيت في النوم، ويقول: هو بركة كله، إن أكلته أو أدخلته بيتك أو شربته أو أدهنت به أو تلطخت، لأنه من شجرة مباركة.

كان ابن سيرين يقول: الماء في لا نوم فتنه، وبلاء في الدين، وأمر شديد؛ لأن الله تعالى يقول: "إنَّ الله مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ". وقال: "ماءٌ غدقاً، لنفتنهم فيه".

قال ابن سيرين: ومن عبر نهرًا، قطع بلاءً وفتنة ومشقة، ونجا من ذلك.

أتى رجل ابن سيرين، فقال له: خطبت امرأة فرأيتها في المنام. فقال له ابن سيرين: كيف رأيتها؟ قال: رأيتها سوداء قصيرة مكسورة الفم. فقال ابن سيرين: أما الذي رأيت من سوادها فإنها امرأة لها مال، وأما ما رأيت من كسر فمها فإنها امرأة فظيعة اللسان، وأما ما رأيت من قصرها، فإنها امرأة قصيرة العمر، وتوشك أن تموت عاجلاً، فذهب فتزوجها.

كان ابن سيرين يعبر الرجل إذا رأى أنه حل إزاره أو انحل، قال: هذا رجل يرزق امرأة.

وكان ابن سيرين لا يعبر الخاتم في المنام إلا امرأة يستفيدها. وكذلك كان هشام بن حسان: لا يعبر الفص في الخاتم: إلا أنه يقول: امرأة فيها قسوة.

قال هشام بن حسان: كان ابن سيرين يسأل عن مائة رؤيا، فلا يجيب فيها بشيء إلا أنه يقول: اتق الله وأحسن في اليقظة، فإنه لا يضررك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك، ويقول: إنما أجيب بالظن، والظن يخطئ ويصيب.

قيل لابن سيرين: إنك تستقبل الرجل بما يكره، قال: إنه علم أكره كتمانته.

رأى الرشيد رؤيا فهمته، فوجه في الكرمانى بريدًا، فلما أتاه ومثل بين يديه خلا به وقال: بعثت فيك لرؤيا رأيتها. فقال: وما هي؟ قال: رأيت كلبين ينهشان قبل جارية من جوارى. فقال له الكرمانى: ما رأيت إلا خيرًا يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: قل ما تراه وهات ما عندك، فقال له: هذه جارية دعوتها لتجامعها، وكان لا عهد لك معها بذلك، وكانت ذات شعر، فكرهت أن تخلق فتجد أثر الموسيقى، وكرهت أن تبقى على هيئتها، فأخذت جلمًا فحلقت بعض الشعر وتركت بعضه، فأشار الرشيد إليه بالعودة، وقام فدخل إلى نساته، ودعا بتلك الجارية فسارها مستفهمًا منها عن ذلك، فأقرت به وصدقت الكرمانى، فخرج إليه الرشيد، فقال له: أصبت وسررتني، وأمر له بصلة سنوية، ثم قال له: إياك أن تحدث بها ما كنت حيًّا. قال: فو الله ما حدثت بها ما دام الرشيد حيًّا.

قال الزبير: حدثني أبو ضمرة أنس بن عياض، قال: قيل لجعفر بن محمد: كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن كلباً أبقع يلغ في دمه، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين رضى الله عنه، وكان أبرص، فكان تأويل الرؤيا بعد خمسين سنة.

ذكر ابن المنتاب القاضي المالكي، قال: حدثنا بن أبي خيثمة، قال: حدثنا خالد بن خدّاش قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: وجه إلى جعفر بن سليمان ليلاً، وهو أمير البصرة، فدخلت عليه، فقبلت يده فقبل يدي، وإذا هو مروع، فقال: رأيت البارحة مالك بن أنس في النوم وهو يقول: بيني وبينك الله. فقلت له: مالك بن أنس من العلم بمكان، وإنه لا يطالبك إلا بما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والنسب. قال: فما ترى؟ قلت له: تعتق. فأعتق عن كل سوط رقبة. قال القاضي ابن المنتاب: وكان عدد الأسواط نيفاً وثلاثين سوطاً.

### باب من نوار الأخبار

أخبرنا أحمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا علي بن عمرو، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن إبراهيم الكاتب الحكمي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، قال: حدثنا محمد ابن يزيد بن سنان الزيادي، قال: حدثنا شرقي بن قطامي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: فيكم أحد من إباد؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل لكم علم بقس بن ساعدة الإيادي؟ قالوا: هلك يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس على جمل أحمر، يقول: أيها الناس! اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، أما بعد: فإن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لغيراً، نجوم تغور وتغور، ونجوم تغور ولا تمور، وسقف ومرفوع، ومهاد موضوع، أقسم قس قسماً، ما كذب ولا أثم، لئن كان في الأمر رضا، ليكونن بعده سخط، وما هذا بلعب، وإن من وراء هذا لعجبا، أقسم قس قسماً، فما كذب ولا أثم، إن لله ديناً هو أرضى من دين نحن عليه، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا. قال النبي عليه السلام: وسمعت يمشى شعراً فأيكم يحفظه؟ فقال بعضهم: أنا. فأنشده يا رسول الله؟ قال: نعم. فقال:

ن من القرون لنا بصائر

للموت ليس لها مصادر

في الذاهبين الأولي

لما رأيت موارداً

ورأيت قومي نحوها

يمضي الأكابر والأصاغر

لا يرجع الماضي إلى

ولا من الباقيين غابر

أيقنت أنني لامحا

له حيث صار القوم صائر

بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالس مع أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم علي بن أبي طالب وجماعة من المهاجرين، فالتفت إليهم، فقال: إني سأتلکم عن خصال فأخبروني بها، أخبروني عن الرجل بينما هو يذكر الشيء إذ نسيه، وعن الرجل يحب الرجل ولم يلقه، وعن الرؤيين إحداهما حق، والأخرى أضغاث أحلام، وعن ساعة من الليل ليس أحد إلا وهو فيها مروع، وعن الرائحة الطيبة مع الفجر، فسكت القوم. فقال: ولا أنت يا أبا الحسن؟ فقال: بلى والله. إن عندي من ذلك لعلماً، أما الرجل بينما هو يذكر الشيء إذ نسيه، فإن على القلب طخاءً كطخاء القمر، فإذا سرى عنه ذكر، وإذا أعيد عليه نسى وغفل. وأما الرجل يحب الرجل ولم يلقه فإن الأرواح أجناد مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. وأما الرؤيا إحداهما حق والأخرى أضغاث؛ فإن في ابن آدم روحين، فإذا نام خرجت روح الحميم والصديق، والبعيد والقريب والعدو، فما كان منها في ملكون السموات فهي الرؤيا الصادقة، وما كان منها في الهواء فهي الأضغاث، وأما الروح الأخرى فللنفس والنقلب، وأما الساعة من الليل التي ليس أحد إلا وهو فيها مروع، فإن تلك هي الساعة التي يرتفع فيها البحر يستأذن في تغريق أهل الأرض، فتحسه الأرواح فترتاع له، وأما الرائحة الطيبة مع الفجر، فإن الفجر إذا طلع خرجت ريح من تحت العرش حركت الأشجار في الجنة فهي الرائحة الطيبة. خذها يا عمر، قال: صدقت.

قال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: دخلت على عمر بن عبد العزيز، وعنده رجل من النصاري، فقال له: من تجدون الخليفة بعد سليمان قال النصاري: أنت. قال: فأقبل عمر بن عبد العزيز علي فقال: دمي في ثيابك يا أبا عبد الله، قال: فقلت: سبحان الله! المجالس بالأمانة. قال محمد بن علي: فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصاري من بالي، فرأيت يوماً فأمرت غلامي أن يجبسه علي، وذهبت به إلى منزلي، وسألته عما يكون، وقلت: عد لي خلفاء بني مروان واحداً واحداً. فعد لي خلفاء بني مروان واحداً واحداً. وتجاوز عن مروان بن محمد، قال محمد بن علي، فقلت له: ثم من؟ قال: ثم ابنك من الحارثية، وهو اليوم حمل.

كتب صاحب الروم إلى معاوية يسأله عن أفضل الكلام وما هو؟ والثاني والثالث والرابع؟ وكتب إليه



يسأله عن أكرم الخلق على الله، وعن أكرم الإمام على الله، وعن أربعة من الخلق لم يركضوا في رحم، وعن قبر سار بصاحبه، وعن الحجر، وعن القوس، وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع فيه قبل ذلك ولا بعده. فلما قرأ معاوية الكتاب قال: أخزاه الله! وما علمي بما ها هنا؟ فقيل: اكتب إلى ابن عباس، فكتب إليه ابن عباس: أفضل الكلام لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص لا عمل إلا بها، والتي تليها سبحان الله وبحمده، صلاة الخلق، والتي تليها الحمد لله، كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر، فاتحة الصلوات والركوع والسجود. وأكرم الخلق على الله آدم عليه السلام، وأكرم إماء الله مريم عليها السلام. وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم: فآدم وحواء والكبش الذي فدى به إسماعيل، وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعباناً مبيناً، وأما القبر الذي سار بصاحبه فالخوت الذي التقم يونس، وأما الحجر فباب السماء، وأما القوس فإنها أمان لأهل الأرض من الغرق بعد نوح، وأما المكان الذي طلعت عليه الشمس، لم تطلع فيه قبله ولا بعده، فالمكان الذي انفرج من البحر لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام. فلما قدم عليه الكتاب أرسله إلى ملك الروم، فقال: لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم، وما أصاب هذا إلا من أهل بيت النبوة.

وجه ملك الروم إلى معاوية بقارورة، فقال: ابعث إلى فيها من كل شيء حي، فبعث بها إلى ابن عباس، فقال: تملأ له ماء. فلما ورد به على ملك الروم، قال له أخوه: ما أدهاه! فقيل لابن عباس: كيف اخترت ذلك؟ قال: يقول الله عز وجل: "وجعلنا من الماء كل شيء حي". قال المسيب بن واضح: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: حصر حصن بخراسان فأصابوا فيه رأس إنسان، فوزنوا سنناً من أسنانه فوجدوها قدر منيين، فأنشأ عبد الله يقول:

أنتيت بسنين قد رمتا	من الحصن لما أثاروا الدفينا
على وزن منيين إحداهما	تقل به الكف شيئاً رزينا
ثلاثون أخرى على قدرها	تباركت يا أحسن الخالقينا
فماذا يقوم لأفواههم	وما كان يملأ تلك البطونا
إذا ما تذكرت أجسامهم	تقاصرت النفس حتى تهونا
وكل على ذلك ذاق الردى	وبادوا جميعاً فهل خالدونا

روى أسامة بن زيد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أخبرني عمر بن الخطاب قال: خرجت مع أناس من قريش في الجاهلية في تجارة إلى الشام، فبينما أنا في سوق من أسواقها بدمشق إذ أنا بطريق قد جاءني

فأخذ بعنقي، فذهبت أنازعه نفسي، فقيل لي: لا تفعل فليس لك منه النصف، قال: فخرجت معه فأدخلني كنيسةً فإذا تراب كثير متراكم بعضه على بعض، فدفعت إلى بحجرة وفأساً وزنبيلاً، فقال لي: انقل هذا التراب واحفر لي هاهنا بئراً، قال: فجلست أفكر في أمري كيف أصنع، قال: فأتاني في الهاجرة وعليه سبينة قصب، أرى سائر جسده منها، ولم أحرك شيئاً، فقال لي: وإنك على ما أرى ما حركت شيئاً، ثم ضم كفه وأصابعه يضرب بها وسط رأسي، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا عمر، أو قد بلغت ما أرى! قال: فقممت إليه بالحجرة فضربت بها رأسه فشرت دماغه وخر ميتاً، وخرجت إلى الطريق، وأنا لا أدري أين أسلك من بلاد الله تعالى، فمشيت بقية يومي وليلي من الغد حتى أصبحت، ثم انتهيت إلى ديرٍ فاستظلت بظله، فخرج إلى رجل من أهل الدير، فقال: يا عبد الله! ما يقعدك ها هنا؟: فقلت: أضللت أصحابي. قال: والله ما أنت على طريق، وإنك لتنظر بعين خائف، قم فادخل الدير فأصب من الطعام والشراب، وأقم ما بدا لك، قال: فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطف لي، ثم صعد في النظر وخفضه، ثم قال: يا هذا! لقد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض رجل أعلم مني اليوم، وإني أجد صفتك، إنك الذي تخرجنا من هذا الدير، وتغلب على هذا البلاد. فقلت: أيها الرجل! ذهبت من الأمر في غير مذهب. قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب. قال: أنت والله الذي لا إله إلا هو صاحبنا من غير شك، فاكتب لي على ديري هذا وأهله وما فيه أماناً، قال: قلت: أيها الرجل! قد صنعت معروفاً فلا تكدره، قال: إنما هو كتاب في رق، وليس عليك فيه مؤونة ولا شيء، فإن كنت صاحبنا فهو الذي أريد، وإن تكن الأخرى فأني شيء يضرك؟ قلت: هات، فكتبت له أماناً ثم ختمته ودفعته إليه. قال: فدعا بنفقة وثوب فدفعها إلي، ثم دعا بأتان قد أو كفت، فقال: أسمع؟ قلت: نعم. قال: اخرج على هذه الأتان فإنها لا تمر بقوم ولا أهل دير إلا علفوها، حتى إذا بلغت مأمنا فخل عنها واضرب وجهها مدبرة، فإنها تغلف وتسقي حتى تصل. قال: فركبتها ثم سرت عليها حتى أدركت أصحابي وهم متوجهون، فلم أمر بقوم إلا سقوها وعلفوها حتى لحقت أصحابي، فزلت عنها، وضربت وجهها مدبرة، ثم سرت معهم حتى قدمت على أهلي. قال أسلم: فلما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه ذلك الراهب في خلافته، وهو صاحب دير العدس بذلك الكتاب، فلما قرأه عمر عرفه، فقال له الراهب: ف لي بشرطي، فقال له عمر: جاء أمر غير ذلك، جاء ما ليس لعمر ولا لأي عمر فيه شيء، فاستشار فيه عمر المسلمين، فقالوا: نرى أن تفي له يا أمير المؤمنين، قال عمر: هل عندك للمسلمين منفعة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره، ثم قال عمر للراهب: إن أضفتم المسلمين، وأرشدتموهم الطريق، وهديتهم الضال، ومرضتكم المرضى ممن يمر بكم من المسلمين فعلنا، قال: نعم يا أمير المؤمنين نفعل. قال: فوفي له عمر.

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، قال: خرجت في الجاهلية بتجارة إلى الشام فزلت في بعض الطريق لقضاء حاجة، وتقدمتني القافلة، فإني لكذلك إذ أقبل إلى راهب على أتان له قد خرج في بعض الزيارات يريد فلسطين وهو يذهب عطشاً، وكان يوماً صائفاً، فسلم على واستسقاني ماء. ولم يكن معي غير فضلة في إداوة معلقة على كفل الفرس، فأثرته بها، وتبين له ذلك، فشكر لي فعلى، وشكاً تبعاً لحقه، وأنه يريد التزول والراحة قليلاً، وهو خائف من الوحدة وفساد الطريق، وكأنه أراد الأُنس بي. فقلت له: انزل فإني أونسك ولا أتركك. وكنت عارفاً بالطريق، فخرجنا إلى ظل شجرة أرز فعرسنا تحتها، وقلت: أعينه، ثم ألحق القافلة بعد تعريسيها بساعة، وكان له غلام ورحل قد تأخرا عنه، فكان مع ذلك ينتظر، فلما نزلنا استلقى على جنبه ونام، وركبت فرسي أطلب بعض الحياض التي كنت أعرفها لأملاً إداوتي منها، فوجدت واحداً منها فمألت الإداوة، ورجعت والراهب نائم بحاله، وإذا بثعبان عظيم يسير إليه لينهشه، فاخترطت سيفي ونزلت إليه فلحقته، وقد كاد ينقره فقتلته، وجلست أخضر الراهب إلى أن قام وقد استراح من تعبته، فعرضت عليه الماء فشرب، ونظر إلى الثعبان فهاله أمره، فعرفته أنه قصده وأني قتلته فشكر، وقال: قد أحيتني مرتين، ووجب حقك علي، قد حبست نفسك علي، ونزلت معي حتى استرحت، وآنستني من الوحدة ووحشة الطريق، وأنا مع ذلك في غربة. ولا أدري بماذا أكافئك، ثم ركبنا وسرنا فما لحقنا القافلة إلا مساءً، وطلبت رحلي وغلاماً كان معي إلى أن وجدته، فأنزلت الراهب معي إلى أن أصبحنا، فجاءه غلامه ورحله، فقال لي: أين تريد؟ فعرفته أي أريد دمشق بتجارة معي، فسألني عنها فأخبرته، فقال لي: أي تريد؟ تدخل معي إلى مصر فإن لي بها حالا جميلة وجاهاً عريضاً، ولعلي أكافئك على ما أوليتني، فإن يدي تقصر هاهنا عن مكافأتك، وعلي أن أربحك في تجارتك ضعف ما تأمله من الربح منها، فوقع كلامه بقلبي، فقلت له: على أن تخرج معي من يكفلي ويحملي في طريقي، أو تضيفني إلى من يبلغني هذا هذا المكان، فإني إذا بلغته عرفت الطريق إلى موضعي. قال: بل أردك إليه من طريق هو أقرب من طريقك هذا. فسرت معه فرأيت رجلاً جميلاً بالصحة والمرافقة، وكان فيه مع ذلك فهم وعلم، وكان من أبناء القبط الأولين، وكان يخبرني عن مصر وأهلها في القديم، وعن عجائبها وطلسماتها وملوكها، وخبر بخت نصر وكيف دخل البلد وأخذه بالحيلة التي تمت له حتى وصل إليه وما كان بعد ذلك، ولم نزل في أنس إلى أن دخلنا مصر، فلم نكن نمر بموضع ولا ديرٍ إلا تلقونا بالإكرام والجميل، وعدينا النيل، وسرنا حتى دخلنا الإسكندرية، فأنزلني عنده وأتاه جماعة من أهله وذوي قرابته وجماعة من وجوه أهل البلد، وكان مقدماً عندهم، فسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وقضوا حوائجه وأكرموه وأتخفوه، ولم يكن يدخل إليه أحد من أهله وغيرهم إلا أخبرهم بخبري، وأني خلصته من العطش

بما كان معي من الماء، وأني آثرته على نفسي، وخبرهم بما كان من أمر الثعبان. فما منهم أحد إلا برني وأكرمني. واجتمعت لي دنائير كثيرة، ووجه أقاربه وباع منهم ومن غيرهم البضاعة التي كانت معي، وأفضلت فيها فضلاً كثيراً، وأقمت أكثر من شهر وأنا أطوف بالإسكندرية، وأنظر إلى عجائبها ومنارها ثم استأذنته للخروج، فقال لي: إن لنا عيداً وقد حضر، فأقم عندي حتى تشاهده وأوجه معك من يخفرك إلى حدود أرض الحجاز، فأجبتة إلى ذلك، وحضر العمدة، وزينت كنائس الإسكندرية، وخصوا منها كنيسة مرخمة عظيمة كانوا يجتمعون إليها بأحدث الزي، وكان خارج الكنيسة أسطوان كبير واسع مفروش بالبسط، وقد جلس عليه رؤساؤهم وبطارقتهم، وكان من عاداتهم أن يضربوا خارج الأسطوان في فسيح هناك بصولجان وكرة تطير إلى ذلك الأسطوان، فمن وقعت في حجره الكرة من أولئك البطارقة والرؤساء، حكم له بولاية مصر، قال عمرو: فأجلسني وسط أولئك الوجوه والبطارقة فإني لمشغول بالنظر إليهم وإلى زيبهم، وأولئك خارج الأسطوان يضربون تلك الكرة إذ طارت إلى فسقطت في حجري فأكبروا ذلك، وجعلوا يتأملوني ويعجبون مني، ومن سقوط الكرة في حجري، ثم ردوا الكرة إلى خارج، وضربوها أيضاً مرة أخرى، فطارت حتى سقطت ثانية، فزادوا عجباً، وجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويمزمون بكلامهم، وأنا لا أعرف ما يقولون. ثم

أخوجوا الكرة وضربوها مرة ثالثة فسقطت في حجري ودخلت في كمي، فزاد تعجبهم وقالوا: إن هذا الأمر يراد أو بطل فعل الكرة. وأقمت حتى انقضت أيام عيدهم، فسألته أن يأذن لي في الخروج إلى الحجاز، فأذن لي في ذلك، بعد أن شرط على أن لا أترك زيارته في كل وقتٍ يمكنني، وأنفذي مع غلام له وجهزي بطريفٍ من ثياب الوشي التي كانت تعمل بالإسكندرية، وثياب من دبيق دمياط، وأكسية رقيقة من صوف، وفصوص وغير ذلك، فانصرفت إلى أهل بوفر حال، وأخرجني الغلام من ناحية أستغني فيها عن الخفير، وكان الغلام الذي وجهه به معي يدري أمرهم، فسألته عن أمرة الكرة فعرفني أن من عادتهما ذلك اليوم، ألا يقع في حجر أحدٍ إلا ولي مصر، وأنهم عجبوا من ذلك، وقالوا: هذا رجل عربي وغريب. وكيف يلي هذا مصر؟! وصرخوا الأمر إلى فساد فعل الكرة، قال عمرو: فوقع في نفسي من ذلك أمر لم أعرف الوجه فيه، وسرت إلى منزلي وأنا أوفر التجار الذين خرجت معهم إلى الشام وأحسنهم حالا،

وعرض في نفسي شيء من أمر مصر، فقلت: أحمل تجارة إلى بلد الروم، وأدخل إلى الملك ولعله أن يقلدني أمر مصر، ثم قلت: إن هذا النظر فاسد، وهل يترك الملك بطارقتة وأصحابه ويوليني أنا وأنا عربي على غير دينه؟ فسمعت قائلاً يقول: لا بد لفلان من ذلك ويصير منه إلى ما يجب. فزاد ذلك في قوة أمني في الولاية على مصر إلى أن كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان، وجاءته هدية المقوقس، وقال: "إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بالقبض خيراً، وجازوا أهلها بالجميل، فإنهم خؤولة إبراهيم"، فلما سمعت ذلك

تحققت أنه سيكون لي يد على مصر.

روى ابن جريج، قال: حدثني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير، أنه قال: سمعته يقول: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ، فإذا بلغ "بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأسٍ شديد" بكى وفاضت عيناه، ثم يطبق المصحف. فعل ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي رب! أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأرى في المنام مسكيناً سائلاً يقال له: بخت نصر بابل، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلاً موسراً، فقيل له: أين تريد؟ فقال: أريد التجارة. فنهض حتى نزل بابل فاكترى بها متزلاً ليس فيه أحد غيره، وجعل يدعو المساكين ويعطيهم ويلطف بهم حتى لم يبق أحد منهم إلا جاء، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفتح آل فلان مريض يقال له: بخت نصر. فقال لغلمته: انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه، فقال له: ما اسمك؟ قال: بخت نصر، قال لغلمته: احتملوه. فنقله إليه فمرضه حتى برأ، وكساه وأعطاه نفقةً، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بخت نصر، فقال له الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجزيك به. قال: بل شيئاً يسيراً إن ملكت أطعني. فجعل بخت نصر يلتوي ويقول: تستهزئ بي؟ ولا يمنعني أن يعطيه ما سأل إلا أنه يستهزئ به، وأبي عليه. فبكى الإسرائيلي وقال: لقد علمت أنه ما يمنعك أن تعطيني ما سألت إلا أن الله تعالى يريد أن ينفذ ما قضى وما قد كتبه عنده في كتابه، ثم ضرب الدهر ضرباته، فقال سيحون وهو ملك فارس ببابل: إنا لو بعثنا طليعةً إلى الشام كان حسناً. قالوا: وما يمنعك؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان. فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف، فخرج وخرج بخت نصر في مطبخه لا يخرج إلا أن يأكل، لا همة له غير شبع بطنه، فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أرضاً أكثر أرض الله خيلاً ورجلاً وسلاحاً، فكسر ذلك في ذرعه، فلم يسأل ولحقه جزع، وجعل بخت نصر يمشي في مجالس أهل الشام فلا يدع مجلساً إلا وهو يقول لأهله: ما يمنعكم أن تغزوا بابل مع كثرة ما أرى معكم من الخيل والرجل، فلو غزو تموها لأصبتنم بما المال والعيال. قالوا: فلا نحسن القتال ولا نعرفه، حتى استنفد مجالس أهل الشام، ثم رجع إلى الطليعة ولم ينل منهم كثير نيل لما رأى، وجعل بخت نصر يقول لمن يلج على الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما يخبره فلان - يعني الطليعة - فرفع ذلك إليه، فدعاه، فأخبره الخبر، وقال: إن فلاناً لما رآها أكثر أرض الله خيلاً ورجلاً حسبهم أجدد الناس، فكسر ذلك في ذرعه، ولم يسألهم عن شيء، وإن لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله، فقلت لهم كذا فقالوا لي كذا، فقال الطليعة لبخت نصر بعد خروجه من عند الملك: فضحتني أيها الرجل، فهل لك في مائة ألف تأخذها وتترع عما قلت؟ قال: لو أعطيتني بيت مال بابل لما نرعت. ثم أن الدهر ضرب ضربه، وقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساعاً ساغوا، وإلا انهبوا ما

قدروا عليه؟ قالوا: فما ضرك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان أو فلان. قال لهم: بل الرجل الذي أخبرني بما أخبر. فدعا بخت نصر، فأرسله وأرسل معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاءوا وحربوا ولم يقتلوا، ورمى في جنازة سيحون فمات، فقالوا: استخلفوا رجلاً. فقالوا: على رسلكم حتى يأتي أصحابكم من وجهتهم، فأملهوا حتى جاء بخت نصر فقسم ما جاء به في الناس، فقالوا: ما رأينا أحق بالملك من هذا؟ فملكوه. فلم ضرب له ملكه بجرانه، قال لهم يوماً: موعدكم ثلاثة فمن استأخر بعدها منكم فليمش إلى خشبته، فغزا الشام، فذلك حين قتل، وخرّب بيت المقدس وانتزع حليته وحملها، وجعل يشرب فيها الخمر وخواناً يأكل عليها الخنازير، وحمل التوراة معه ثم ألقاها في النار، وقدم فيما قدم بمائة وصيف منهم دانييل وعزير، وكان يقال له عزيريا، وحنانيا وميشائيل، فقال لإنسان: أصلح لي أجسام هؤلاء، لعلني أختار منهم أربعة يخدموني. فقال دانييل لأصحابه: اعلموا أنهم إنما نصروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم. لا تأكلوا لحم الخنزير، ولا تشربوا الخمر. فقالوا للذي يصلح أجسامهم: هل لك أن تطعمنا طعاماً هو أهون عليك في المؤونة مما تطعم أصحابنا، فإن لم نسمن قبلهم أكثر من سمنهم رأيت رأيك؟ قال: ماذا؟ قالوا: خبز الشعير والكراث. ففعل، فسمنوا قبل أصحابهم. فأخذهم بخت نصر يخدمونه. قال: فبينما هو كذلك إذ رأى بخت نصر رؤيا، فجلس ثم نسيها، ثم عاد فرآها، ففزع فقام من نومه، ثم عاد فرقد فرآها، فخرج إلى الحجر فنسيها، فلما أصبح. دعا العلماء والكهان، فقال: أخبروني بشيء رأيت البارحة، وإذا أخبرتموني بما رأيت. فأولوا لي رؤياي، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته، موعدكم ثلاث. فقالوا: هذا خبر قد أظننا منه بلاء، فكيف بالنجاة منه، فجعل دانييل يقول كلما مر به رجل من رجاله: لو دعاني الملك لأخبرته بما رأى وأولت ذلك. فجعلوا يقولون: ما أحق هذا الغلام الإسرائيلي! إلى أن مر به كهل فقال ذلك له، فرفعه إلى الملك وقال له: ماذا رأيت؟ قال: رأيت تمثالاً. قال: إيه. قال: ورأسه من ذهب. قال: إيه، قال: وعنقه من فضة، قال: إيه: قال و صدره من حديد. قال: إيه. قال وبطنه من صفر. قال: إيه: قال ورجلاه من أنك. قال: إيه. قال: وقدماه من فخر. قال: نعم، هذا الذي رأيت. قال: فجاءت حصاة فوقعت في رأسه ثم في عنقه ثم في صدره ثم في بطنه ثم في رجله ثم في قدميه فأهلكته، قال: نعم، فما تأويل هذا؟ قال: أما الذهب فملكك، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ثم ملك ابن ابنك، وأما الفخار فملك النساء. فكساه جبة سبئية وسوره وأحازه وأمر أن يطاف به في القرية، وأخبر أن خاتمة جائر على ما ختم، فلما رأت ذلك فارس، قالوا: ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي فكيف نهدمه؟ قالوا: اتتوه من نحو الفتية الثلاثة أصحابه، ولا تذكروا له دانييل فإنه لا يصدقكم عليه، فأتوه، فقالوا: إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك، وهم يكرهون ما تستحسنه، وآية ذلك أنك إذا قربت إليهم لحم

الختير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا، فأمر بحطب كثير فوضع، ثم أوقدت النار ورماهم فيها، فلما كان من آخر الليل أمر بالنظر إليهم فإذا هم يتحدثون، وإذا معهم رابع يروح عليهم ودانييل يصلي، قال: من هذا يا دانييل؟ قال: هذا جبريل، ظلمت القوم. فأمر بهم فأنزلوا. قال: ومسح الله عز وجل بخت نصر من الدواب كلها، فجعله من كل صنف من الدواب رأسه من السباع الأسد، ومن الطير النسور، وملك ابنه بعده، وكان دانييل يسدده، وكان معه ثم رماه عنه وأقصاه، ثم أنه رأى كفاً فرجت بين لوحين مكتوب فيها سطران، فدعا الكهان والعلماء، فلم يجد عندهم منه علماً، فقالت أمه: إنك لو دعوت دانييل وأعدت إليه منزلته ومنك ومن أبيك عرفك، فدعاه فقال: إني معيد إليك منزلتك من أبي، فأخبرني ما هذان السطران؟ قال: أما معيد لي منزلي من أبيك فلا حاجة لي بذلك، وأما السطران فإنك تقتل الليلة. قال: فأمر أن يخرج كل من في القصر، فأخرجوا أجمعين، وأمر بقفل أبوابه فغلقت الأبواب، وأدخل معه رجلاً وضع بيده سيفاً، وقال له: كل من جاءك من خلق الله الليلة فاقتله، ولو قال: أنا فلان - يعني نفسه - وبعث الله عليه البطن، فجعل يمشي والآخر نائم، فبينما هو كذلك إذ استيقظ ونهض إليه، فقال: أنا فلان. فضربه بالسيف فقتله؟ قال الله تعالى: "وإن عدتم عدنا". قال: فبعث الله عليهم العرب، فلم يزالوا يسوموهم سوء العذاب، ولا يزالون إلى يوم القيامة في ذلة وصغار. قال ابن جريج: فبلغني أن سعيد بن جبير كان يحدث بهذا الحديث، فلما بلغ هذا الموضوع أخذه رسول الحجاج بن يوسف.

وروى حماد، عن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس: أن رجلاً من علماء أهل الشام وجد نعت بخت نصر وأنه غلام يتيم، وله والدة، وله ذؤابة في رأسه من أهل بابل، وأنه تقدم فسأل عنه وعن أمه حتى عرفهما بالنعته، فنزل عليهما وكان وهو غلام يسوق العجاجيل والدجاج، فقال له ذات يوم: إنك ستملك فارس والشام، فاكتب لي أماناً ولقومي. قال: ما أدري ما هذا الذي يذكر، فلم يزل به حتى قال له: اكتب أنت ما شئت، وكتب له ولقومه أماناً، فأراد أن يختمه، فلم يكن لبخت نصر خاتم فأخذ خاتم حديد من نطاق أمه فختمه، ثم أنه دخل الشام، فأثاه الرجل فحيل بينه وبينه، فقال لمقدمته: إن للملك ودخل عليه، فقال: ما تعرفني؟ قال: ما أعرفك. فقص عليه القصة وذكره، ودفع إليه الأمان. فقال: ما أدري ما هذا الذي تذكر، ورثت هذا كابرًا عن كابر عن آبائي. فلم يزل به حتى أقر. فوفي له وأمنه، وقال: لا يسمع هذا منك أحد. ولما ظهر على الشام، إذ هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فقال: لأقتلن على هذا الدم حتى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً، فجاء قاتله فقال: إن هذا الدم لا يسكن أبداً حتى تقتلني فأنا قتلته وفتلته وسكن الدم، وظهر على الشام وخرّب بيت المقدس وحرّق التوراة، وجاء معه دانييل وميخائيل وعزير وحزقيايل ودفعهم إلى صاحب مطبخه، ثم ذكر الرؤيا وزاد

فيها فيجىء بي من العرب فيغلب وينقض تلك الأوثان كلها ويكون الدين كله لله.  
وقال ابن الكلبي: كان سنمار الرومي من أصنع الناس للبنيان، فبنى لبعض ملوك العرب بنياناً سر به  
وأعجبه، وخاف إن استبقى سنمار بني بعده مثل ذلك البنيان، لغيره من الملوك، فأمر به فرمى من فوق  
القصر فمات، فضربت به العرب الأمثال في سوء الجزاء، حتى قال بعضهم:

جزاني جزاء الله شر جزائه  
سوى رصه البنيان سبعين حجة  
جزاء سنمار وما كان عن ذنب  
فلما رأى البنيان تم سحقه  
يعلى عليه بالقراميد والسكب  
وظن سنمار به كل حظوة  
وأض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب  
وفاز لديه بالمودعة والقرب  
فقال اذفوا بالعلاج من رأس شاهق  
فذاك لعمر الله من أعظم الخطب

كتب ملك الروم إلى معاوية: إن الملوك لم تنزل تراسل بعضهم بعضاً، وتجتهد أن يغرب بعضهم على  
بعض، أفتأذن في ذلك؟ فأذن له. فوجه إليه رجلين أحدهما طويل والآخر أيد، فقال معاوية لعمرو: أما  
الطويل فقد أصبنا كفوؤاً له وهو قيس بن سعد بن عبادة، وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه.  
فقال: هاهنا رجلان كلاهما إليك بغيض: محمد بن الحنفية، وعبد الله بن الزبير. قال معاوية: الذي هو  
أقرب إلينا منهما فلما دخل الرجلان وجه إلى قيس ابن سعد فدخل، فلما مثل بين يديه معاوية نزع  
سراويله فرمى بها إليه فلبسها فبلغت ثنودته، فأطرق مغلوباً. وقيل لقيس في ذلك: لم تبذلت في حضرة  
معاوية؟ هلا فعلت غير ذلك؟ فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنها  
وإني من القوم اليمانيين سيد  
سراويل قيس والوفود شهود  
وبّ جميع الناس أصلي ومنصبي  
سراويل عادي نمته ثمود  
وما الناس إلا سيد ومسود  
وجسم به أعلو الرجال مديد

ثم وجه إلى محمد بن الحنفية، فدخل فخبير بما دعى إليه، فقال: قولوا له: إن شاء فليجلس وليعطني يده  
حتى أقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد، فاختر الرومي الجلوس، فأقامته، فانصرف  
الطويل والأيد مغلوبين.

قلت: أما هذا الخبر فمفكر ليس بصحيح، ولا له أصل لأنه يخالف أخلاق قيس ومحمد، وليس فيه كبير  
فائدة لمزلتهمما.



## باب جامع من المذكرات

### مما لم يذكر في الأبواب المتقدمة

كان يقال: المتقون سادة، والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة - يعني في الخير.  
قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه: حلق القفا مما يزيد في الحفظ.  
وقال عبد الله بن عباس أيضاً: حلق الرأس لا يصح في العقوبة، لأن الله عز وجل جعل حلق الرأس نسكاً لمرضاته.  
قال عمر بن عبد العزيز: إياكم والمثلة في العقوبة: حز الرأس واللحية.

وقال عبد الله بن عباس: إني لأسمع بالحكم من حكام المسلمين يعدل فأفرح به، ولعلي لا أتحاكم أبداً،  
وإني لأسمع بالغيث يصيب البلدان فأفرح ومالي فيها سائمة، وإني لآتي على الآية فأود أن الناس يعملون  
بها، ويعلمون منها ما أعلم.

سأل رجل مطرف بن الشخير عن شيء، فقال: يا ابن أخي لا تحمل سعة الإسلام على ضيق صدرك.  
كان يقال: لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة الحياء الضعف، وآفة اللب  
العجب، وآفة الظرف الصلف، وآفة الجود الشرف، وآفة الجمال التيه، وآفة السؤدد الكبر، وآفة الحلم  
الذل.

كان يقال: العجب ممن يخاف العقاب ولم يكفن ورجا الثواب ولم يعمل.  
قال حارثة بن بدر الغداني:

طربت بقانونٍ وما كنت أطرب

سفاها وقد جربت فيمن يجرب

وما اليوم إلا مثل أمس الذي مضى

ومثل الغد الجائي وكل سيذهب

ومن وصايا إبليس، من النوادر أبيات أنس بن إياس يخاطب حارثة بن بدر الغداني هذا:

أحار بن بدرٍ قد وليت ولايةً

فكن جرذاً فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئاً وجدته

فحظك من ملك العراقين سرق

وباه تميماً بالغني إن للغنى

لساناً به المرء الهيبوبة ينطق

فإن جميع الناس إما مكذب

يقول بما يهوى وإما مصدق

يقولون أقوالاً ولا يعرفونها

فإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

فأجابه حارثة:

فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً

جزاك إله الناس خير جزائه

لألفيتني فيه لذلك عاصياً

أشرت بشيءٍ لو أشرت بغيره

امتنحني يحيى بن أكثم رجلاً أرادته للقضاء، فقال: ما تقول في رجلين أنكح كل واحد منهما الآخر أمه، فولد لكل واحد منهما ولد، فما قرابة ما بين الولدين؟ فلم يعرف. فسئل عن ذلك، فقال: كل واحدٍ منهما عم الآخر لأمه.

دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقال له: إني تزوجت امرأةً وزوجت ابني أمها، ولا غناء بنا عن رفقك، فقال له عبد الملك: إن أخبرتني ما قرابة أولادكما إذا ولدتما، فعلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! هذا حميد بن بحدل، قد قلدته سيفك ووليتته ما وراء بابك، سله عنهما، فإن أصاب لزمي الحرمان، وإن أخطأ اتسع لي العذر. فدعا به فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين! إنك ما قدمتي على العلم بالأنساب، ولكن على الطعن بالرماح. أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

لو تزوج رجل امرأة، وزوج ابنه ابنتها، ثم ولد لهما، كان أحد المولودين عم الآخر، والآخر ابن أخيه. كان يقال: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم؛ الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها، وطالب الفضل من اللثام، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخله فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغي إليه.

ذكر الخشني عن أبي حاتم عن الأصمعي، قال: تذاكر نفر من الجن عيافة بني أسد، فقالوا: لو نظرنا إلى بعض ذلك فأتوهم، وقالوا: إنا ضلت لنا ناقة، فلو أرسلتم معنا بعض من يقفو لنا أثرها، فقالوا لغيليم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم ثم ساروا، فلقبهم عقاب كاسر إحدى جناحيها، فاقشعر الغلام فبكى، فقالوا: ما بالك؟ فقال: كسرت جناحاً ورفعت جناحاً، حلفت بالله صراحاً ما أنت بإنسي ولا تبغي لقاهاً.

قال الخشني: الجناح يؤنث ويذكر.

نذرت امرأة أن تكسو ثوباً غزله فأتقنته أفضل رجل بالبصرة، فقيل لها: الحسن، فأنت به الحسن فأرسل بها إلى أبي قلابة، فردها أبو قلابة، وقال: إن الناس أصابوا فيك وأخطأت في.

قال أبو عبيد: العارضة كناية عن الندى، فإذا قيل: فلان شديد العارضة فذاك كناية عن سفه الكف بالعطاء. وإذا قيل: فلان يقتصد، فذلك كناية عن البخل. وإذا قيل العامل مستقص، فذلك كناية عن الجور. وأما قولهم في المثل: هذا أجل من الحرش، فإن الأصمعي ذكر في تفسيره ذلك، أن الضب قال

لابنه: إذا سمعت صوت الحرش فلا تخرجن، قال: وذلك أنهم يزعمون: أن الحرش تحريك اليد عند حجر الضب ليخرج إذا ظن أنها حية. قال: وسمع ابنه يوماً صوت الحفر، فقال: يا أبت! هذا الحرش؟ فقال: يا بني! هذا أجل من الحرش، فأرسلهما مثلاً وأنشد:

أعدله عند الناس عقرباً

وأفطن من ضب إذا خاف حارثاً

وفي المثل: تعلمني بالضب وأنا حرشته.

لأبي البلاد الطهوي، وكان من شياطين العرب:

من الروعات يوم رحى بطن

لهان على جهينة ما ألقى

بسهب كالعباية صححان

لقيت الغول تسري في ظلام

أخو سفرٍ فصدي عن مكاني

فقلت لها: كلانا نقض أرض

حسامٍ غير مؤتسبٍ يماني

فصدت وانتحيت لها بعضب

فخرت لليدين وللجران

فقد سراتها والبرك منها

على أمثالها ثبت الجنان

فقال: زد، فقلت: رويد إني

لأنظر غدوةً ماذا دهاني

شددت عقالها وحطت عنها

كوجه الهر، مشقوق اللسان

إذا عينان في وجه قبيح

وجلدٍ من فراءٍ أو شنان

ورجلا مخدجٍ ولسان كلب

أما قوله: فقلت: زد. فإنهم يزعمون - فيما ذكر عمرو بن بحر الجاحظ -: إن الغول يستزيد بعد الضربة الأولى، لأنها تموت من ضربة وتعيش من ضربتين إلى ألف، يقول: إذا ضربت ضربة ماتت، إلا أن يعيد عليها الضارب قبل أن تقضي ضربة أخرى، فإنه إن فعل ذلك لم تمت، ولذلك قال شاعرهم:

فليت يميني قبل ذلك شلت

فتنيت والمقدار يحرس أهله

وهذا عندي من أكاذيب الأعراب، وحماقات عمرو بن بحر ومجونه.

ومن ذلك قول مدرج الرياح، وهو عامر الجنون، وإنما قيل له مدرج الرياح بشعر قاله في امرأة من الجن، زعم أنه كان يهواها وتراءى له، فمن شعره يقول:

دارس الآيات عافٍ كالخلل

لابنة الجني في الجو طلل

وجنوبٍ درجت حيناً وطل

درسته الرياح من بين صبا

وكان مدرج الرياح محمقاً، وأما قول عبيد بن أيوب العنبري:

فلله در الغول أي رفيقة  
لصاحب قفر خائف ينقفر  
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت  
حوالي نيراناً تبوخ وتزهر

فإن العرب تذكر أن الغيلان توقد النيران بالليل للعب والتخييل وإضلال أبناء السبيل.  
قلت: والدليل على أن الشياطين تضل الناس في الطريق، وتحيدهم عن سبيلهم، قوله الله تعالى: "كالذي  
استهوته الشياطين في الأرض حيراناً" ومن الدليل على صحة الغيلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية التي يقول فيها:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً  
وما مواعيده إلا الأباطيل  
فما تدوم على حال تكون بها  
كما تلون في أثوابها الغول

فلم ينكره.

قال أبو عمر: وكان عبيد بن أيوب هذا جوالاً في مجهول الأرض، فلما اشتد خوفه وطال ترده، أمعن في  
المهرب، فقال:

لقد خفت حتى لو تمر حمامة  
فإن قيل: أمن قلت: هذي خديعة  
وختت خليلي ذا الصفاء ورايني  
وقيل فلان أو فلانة فاحذر  
فلله در الغول أي رفيقة  
لصاحب قفر خائف منتفر

في أبيات كثيرة، وأما قول أمية بن أبي الصلت:

والحية الذكر الرقشاء أخرجها  
من خلفها حمة لولا الذي سمعت  
ناب حديد وكف غير وادعة  
إذا دعين بأسماء أجبن لها  
لولا مخافة لآب كان عذبها  
وقد بلته فذاقت بعض مصدقه  
فكيف يأمنها أم كيف تألفه  
من جحرها أمناث الله والقسم  
ذات الإله أتت في مشيها رزم  
قد كان بيتها في جحرها الحمم  
والخلق مختلف واللون والشيم  
لنافث يفتديه الله والكلم  
عرجاء تظلع في أنيابها عسم  
فليس في سمعها من رهبة صمم  
وليس بينهما قربي ولا رحم

فإنه يقول: إنها خرجت لاستحلافه إياها، لا لرحمٍ بينها ولا نسب، وقد أوضحنا في كتاب "التمهيد" أن من الحيات صنفان من الجن، وأن منهم من أسلم، فغير نكير أن يخضع لذكر الله وأسمائه.

ومن عجائب الدنيا، صنم قادم في غرب الأندلس على البحر من كورة شذونة، وقد ذكره الأوائل، ونقل أهل الأخبار خبره، ومن أحسن ما قيل في وصفه من النظم ما أنشده غير واحد لأبي عثمان الشذوني العروضي، يخاطب بعض قواد شذونة، إذ أدخله إليه فرآه على قرب في تلك الجزيرة، فقال:

يا سيدي أبصرت عيني به عجباً  
لله ما أبصرته في شذونة من  
آثار مملكة دلت على ملك  
وأسود واقف في رأس صومعة  
مقدماً رجله اليمنى ليرفعها  
يمد يمينه بالمفتاح تحسبه  
وصكه في اليد اليسرى قد انقبضت  
يومي إلى البحر نحو الغرب وجهته  
لا بد والله من قفل سيفتحة  
وسائل لي عما ضل جوهره  
أجبتة إن في أخباره عجباً  
فما أبالي يقول الناس عن رهبي  
عجائب كنت في إبصارها سببا  
أذل بالملك أعناق الورى حقبا  
كأنه فوقها بالروح قد صلبا  
كأنه يشتكي من طول ما تعبنا  
مناولا غيره عجلان مكتئبا  
كأنه سائر عنا لما كتبنا  
مستقبلاً لغروب الشمس منتصبنا  
مفتاحه بعد الميقات أو قربا  
والذهن في فك معناه قد انتشبا  
فلاتسل عنه صفراً كان أو ذهبنا

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما خلق الله خلقاً أشرف من الخزر، ما بعث منهم نبي ولا صديق.  
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن: يا بني! كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع.  
قال: وكيف؟ قال: الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا، واليقين ما رأيناه بأعيننا فتيقنا، وبين السمع والبصر أربع أصابع. قال: أشهد أنك ابن رسول الله.  
قال الحكماء: شيئان أعيت الحكماء الحيلة فيهما، إذا أقبل الأمر أعيت الحيلة فيه أن يدبر، وإذا أدبر أعيت الحيلة فيه أن يقبل.

قال خالد بن صفوان: احترس من العين فو الله هي أتم من اللسان.  
كان يقال: من أحبك هناك، ومن أبغضك أغراك.

كان يقال: مثلت الدنيا بطائر، فالبصرة ومصر جناحان، والشام والعراق والجزيرة وما والاها الجوف، واليمن الذنب.

تقول العرب: مضر رحاها خندف، وهامتها تميم، وفرسانها قيس، وأئمتها كنانة، ولسانها أسد. قال الخشني: لا تكرم ولا تعظم إلا من يرجى خيره، أو يخاف شره، أو يقتبس من علمه، أو من بركة دعائه.

خطب أرسطو طاليس يوماً فأطال، وعنده شاب مطرق، فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: إن الله خلق الإنسان أذنين اثنين ولساناً واحداً ليسمع أكثر مما يقول.

من أمثال العرب: من يجمع بين الأروى والنعام! لأن الأروى لا تسهل، وإنما تسكن الجبال، والنعام يسكن السهل، ولا ترقى الجبال.

ومن قولهم: بيضة البلد؛ فمدح وذم، فمن المدح قول علي رضي الله عنه: أنا بيضة الإسلام، ومن المدح قول حسان:

#### وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يعني نفسه. وأما الذم فقول الراعي في عدي بن الرقاع:

لو كنت من أحد يهجي هجوتكم  
يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد  
تأبى قضاة أن تدري لكم نسباً  
وابنا نزارٍ فأنتم بيضة البلد

ابنا نزار: ربيعة ومضر.

قال قبيصة بن جابر الأسدي، يوم صفين:

قد حافظت في حربها بنو أسد  
ما مثلها تحت العجاج من أحد

لسنا بأوباش ولا بيض البلد قيل للأموية: أي شيء أحسن؟ قالت: القصور والبيض في الحدائق الخضراء. قال أبو ليبيد الرياحي: سألت شيخاً لنا: أي شيء أحسن؟ قال: بيضة في روضة.

تقول العرب: لا شيء أظلم من حجر، ولا أفيأ من شجر.

قال الشاعر:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى  
فأبعدكن الله من شجرات

وقال آخر:

فلا تجزعن على أيكّة  
أبت أن تظلك أغصانها

وقال آخر، هو الحسن بن هانئ:

## لا أدود الطير عن شجرٍ

## قد بلوت المر من ثمره

كلم الحجاج امرأة من الخوارج، وهي معرضة عنه، فقيل لها: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت:  
إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

قال رجل من بني كلاب من الخوارج، يخاطب معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:

## قد سرت سير كليب في عشيرته

## لو كان فيهم غلام مثل جساس

## الطاعن الطعنة النجلاء عاندها

## كطرة البرد أعيا فتقها الآسى

قال عمر بن الخطاب: ما أبالي على أي حال أصبحت؟ أعلى ما أحب أم على ما أكره، لأني لا أدري فيم  
الخيرة، أفيما أحب أم فيما أكره. وما أبالي إذا استخرت الله في الأمر أكان أو لم يكن.  
وأما قول الشاعر:

## طلب الأبلق العقوق فلما

## لم ينله أراد بيض الأنوق

فالأبلق لا يكون عقوقاً أبداً، يقال: أعقت الدابة إذا عظم بطنها للحمل، والذكر لا يكون عقوقاً،  
والأنوق الرحم لا يكاد يرى بيضة ولا يوجد لأنه في صدوع الصخر من الجبال الشامخة، ولا منفعة فيه،  
ولا يصاب إلا بمشقة ونيل مكروه.  
وأما الزجر بالغراب عندهم فلاشتقاق اسمه من الغربة والاعتراب، ومنه أخذ الغريب. وقيل له: حاتم بن  
بحير لهذا، ويشتقون من الصرد: التصريد والصرد، والصرد هو البرد، قال الشاعر:

## دعا صرد يوماً على غصن شوحطٍ

## وصاح بذات البين فيها غرابها

## فقلت: أتصريد وشحط وغربة

## فهذا لعمرى نأبها واغترابها

وقال آخر:

## تغني الطائران ببين سلمى

## على غصنين من غرب وبان

## فكان البين أن باننت سليمانى

## وبالغرب اغتراب غير دان

وقال سلامة بن جندل:

## ومن تعرض للغربان يزجرها

## على سلامته لابد مشئوم

وقال آخر:

## ولست أبالي حين أغدو مسافراً

## أصاح غراب أم تعرض ثعلب

وقد أوضحنا هذا المعنى بالآثار المرفوعة، والأخبار والأشعار في كتاب "التمهيد"، والحمد لله تعالى.

## باب من منثور الحكم والأمثال

### منتقى من نتائج عقول الرجال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حليم إلا ذو عشرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة".  
خير المقال ما صدقه الفعال.  
رأس الدين صحة اليقين.  
كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم.  
من الفساد إضاعة الزاد.  
محض أحاك النصيحة، وإن كانت عنده قبيحة.  
التجارب ليس لها غاية، والعاقل يستزيد منها إلى غير نهاية.  
من بذل لك مودته، أجزل لك عطيته.  
الأحمق لا يبالي ما قال، والعاقل يتعاهد المقال.  
من غلب عليه العجب، ترك مشورة الرجال.  
جانب مودة الحسود، وإن زعم أنه ودود.  
إذا جهل عليك الأحمق، فالبس له سلاح الرفق.  
من طلب إلى لئيم حاجةً، فهو كمن طلب صيد السمك في المفاوز.  
مؤمل النفع من اللئام، كزارع السمسم في الحمام.  
إذا صادقت الوزير، لم تخف الأمير.  
لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير.  
من كان السلطان يطلبه، ضاق عليه بلده.  
الزائر لمن يستثقله مذل لنفسه.  
صديقي درهمي، إذا سرحته فرج همي وقضى حاجتي.  
من جالس عدوه فليحترس من منطقه.  
من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.  
من عرف من نفسه الكذب، لم يصدق الصادق.  
كثرة الذنوب مفسدة للقلوب.  
من بذل لك نصحه، فاحتمل غضبه.



من بذل لك ماله، فاصبر على ما يأتي منه.  
لن يذهب من مالك ما وعظك.  
من قل خيره على أهله، فلا ترج خيره.  
قتل أرضاً عالمها، وقتلت أرض جاهلها.  
الإكثار من الملامة يولد القطيعة.  
صاحب الزلل موكل به الندم.  
الشجاعة لمن كانت له الدولة.  
لا ترسل الكسلان في حاجتك فيتكاهن عليك.  
عناء في غير منفعة خسارة حاضرة.  
من ألح في المسألة على غير الله، استحق الحرمان.  
صحبة الفاسق شين، وصحبة الفاضل زين.  
من أكثر الكلام على المائدة غش بطنه، واستثقله إخوانه.  
الكريم يواسي إخوانه في دولته.  
من حفظ سره ركب أمره.  
من جرى في ميدان أمله، عثر في عنان أجله.  
من أحبك هناك، ومن أبغضك أغراك.  
من لم تقدر على مكافأته، فانصح له.  
من لم يصبر على البلاء، لم يرض بالقضاء.  
من استهوته الخمر والنساء، أسرع إليه البلاء.  
إذا احترق الفؤاد، ذهب الرقاد.  
من تسلط على الناس بغير سلطان، لم يسلم ممن الهوان.  
الغريب الناصح خير من القريب الغاش.  
من نسى إخوانه في الولاية، أسلموه في العزل والشدة.  
من لم ينل البر في حياته، لم تبك عينك على وفاته.  
من لم يقنع برزقه، عذب نفسه.  
من اجترأ على السلطان، تعرض للهوان.  
إذا لم يواتك البازي في صيده، فاتنف ريشه.

المهم ظلمة جلاؤها الفرج.

فقد الصبر، أعظم مصائب الدهر.

ساعات السرور جالبة للمحذور.

فكر في المعاد، تنس أمور العباد.

الصعود إلى السماء، أيسر من صرف القضاء.

من مدحك بما لا يعلم منك جهراً، ذمك بما لا يعلم منك سرا.

أمسك لسانك يسلم جنانك.

الحجة تدعو إلى المذهب الصحيح، والشبهة تدعو إلى المذهب الفاسد.

إن قدرت ألا تسمع أذنك سرك فافعل؛ فإن الدهر إذا عرف لذة كذرها.

لقاء الأحبة مسلاة للهموم.

حسن التدبير مع الكفاف، خير من التبذير مع الإيسار.

أشد الأشياء تأييداً للعقل مشاورة العلماء، والأناة في الأمور، والاعتبار بالتجارب. وأشدّها إضراراً بالعقل

الاستبداد والتهاون والعجلة.

أصعب من السلو التذلل للعدو قليل مهناً، خير من كثير مكدر.

كلب شاكر، خير من صاحب غادر.

روضة العلم أزين من روضة الرياحين.

الكتاب مفيد علم من سلف، باق لمن خلف.

القلم لسان الغائب.

رب خير جديد ألد من مال عتيد.

السلام وحسن البشر، ربما زرعا المودة في القلوب.

الحسود مغتاز على من لا ذنب له عنده.

المرأة العفيفة الحميلة المواتية حنة الدنيا.

موت الولد العاق والزوجة المهارشة نعمة سابعة.

في الوجوه تظهر المودات.

القلوب تجازي، وبضميرك تستدل.

من الآفات كثرة الالتفات.

ومن كلام أكثر بن صيفي: مع كل حبرة عبرة، مع كل فرحة ترحة.  
لا جماعة لمن اختلف عليه.  
الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والإفراط في الأُنس مكسبة لقرناء السوء.  
رب عجلة تعقب ريثاً.  
العجز والتواني سبب الفاقة.  
من مأمنه يؤتى الحذر.  
اسع بجداً أو فذر.  
جدك لا كدك.  
ستساق إلى ما أنت لاق.  
من جهل شيئاً عاداه، ومن أحب شيئاً استعبده.  
ويل عالم من امرئ جاهل.  
إن قدرت أن ترى عدوك أنك صديقه فافعل.  
كم بين روعة الفراق، وفرح التلاق.  
من أشد العذاب فرقه الأحباب.  
احذر من وترته وإن أحسنت إليه.  
سوقي نفيس، خير من قرشي خسيس.  
العقل كالزجاج إن يصدع لم يرقع.  
موت مريح خير من فقرٍ صريح.  
خير القريض والكلام ما إذا فرغ منشده وقائله، أحب إعادته سامعه.  
إذا لم تقبل الحجة منك فالسكوت أولى بك.  
من وعظه اليسير استغنى عن الكثير.  
إذا جاء القدر عمى البصر.  
إذا جاء الحين غطى العين.  
إن غلبت على القول لم تغلب على السكوت.  
في الإنصاف للعلماء زيادة، وفي الإنصاف للجهال سلامة.  
من نظر أبصر، ومن فكر اعتبر.  
العيال سوس المال.

حسبك من المال ما نفعك، ومن الدين ما ورعك.  
لا ينطق لسانك إلا على ما يتسع به بنانك.  
من حكم فليعدل، ومن قضى فليفصل.  
إذا صدق العيان لم يحتج إلى برهان.  
إذا خان البرهان فزعت إلى العيال.  
شفاء الصدور في التسليم للمقدور.  
شدة الحاجة ربما بعثت الحيلة.  
ويح ابن آدم كيف ينهي ولا يرعوي، أم كيف يأمر ولا ينتهي.  
الكذب عار وربما نفع.  
الحلف لؤم، وربما افتقر إليه.  
العذر قبيح، وربما حسن.  
البخل مذموم وربما حمد.  
لا شيء تراه العين، أحلى من اجتماع إلفين.  
حفظك ما في يدك خير من طلبك ما في يد غيرك.  
من التواني ما يكون سبباً للحرمان.  
من حلم ساد، ومن تعلم ازداد.  
العجب من ورثة الموتى، كيف لا يزهدون في الدنيا؟!  
من أيقن بالأجر، رغب في الصبر.  
الإفراط في العتاب، يدعو إلى الاجتناب.  
من نم عندك، نم بك.  
من سعى إليك سعى عليك.  
رب أخ لك لم تجمعك به ولادة.  
لا يرتفع الرجل فوق قدره إلا لذلِّ يجده في نفسه.  
مدح الغائب تعريض بالحاضر.  
أخر الشر إذا شئت تعجيله.  
ما أحق من غدر بألا يوفى له.  
الحق أبلج، والباطل لجلج.

الخط صورة فأحسنها أئينها.  
ذم الإنسان لنفسه في الملاء، مدح منه لها في الخلاء.  
بطن جائع خير من ظلم شائع.  
الثقيل عذاب وبيل.  
رب بزة ظاهرة، تحتها حلة باطنة.  
علم الرجل، ابنه الباقي بعده.  
من عالته امرأة، لم يفقد ذلاً.  
شهود الزور كلاب القبور.  
العيان رائد الاستحسان.  
الاشتياق يذهب بالعناق.  
ليس بالتحفظ في الأمور يسلم من المقدور.  
من تردى بثوب السخاء غاب عن الناس عيبه.  
من يفرغ للشر يطلبه، أتيح له من يغلبه.  
من أمل أحداً هابه، ومن لم يدرك الشيء عابه.  
لا يضر السحاب نباح الكلاب.  
قال حسان:

أم لحاني بظهر غيب لئيمُ

ما أبالي أنب بالحزن تيسُ

وقال الأخطل:

أم بلت حيث تناطح البحران

ما ضر تغلب وائلٍ أهجوتها

وقال آخر:

أن رمى فيه غلام بحجر

ما يضر البحر أمسى زاخراً

وقال جرير:

أبشر بطول سلامة يا مربع

زعم الفرزدق أن سيقنل مربعاً

وقال آخر:

متى قتلت نمير من هجاها

تهددني لتقتلني نمير

## باب من نوادر الفلاسفة مختصرة

قيل لأرسطو طاليس: ما الفلسفة؟ قال: فقر وصبر، وعفاف وكفاف، وهمة وفكرة.  
قيل لسقراط: بم فضلت أهل زمانك؟ قال: لأن غرضي في الأكل الحياة، وغرضهم في الحياة أن يأكلوا.  
قيل لسقراط: ما أتعب فلاناً بخضاب لحيته؟ فقال: لخوف المطالبة بالحكمة، ولا تطلب إلا من المشايخ.  
قال بقراط: أعظم آفة الحيوان الصامت من صمته، وأعظم آفة الحيوان الناطق من نطقه.  
قيل لجالينوس: بم فقت أصحابك في علم الطب؟ فقال: لأنني أنفقت في زيت السراج لدرس الكتب مثل ما أنفقوا في شرب الخمر.

كتب فيلسوف إلى طبيب: صناعتي أقرب الصناعات من صناعتك؛ لأنك تصلح الأبدان وأنا أصلح النفوس.

قيل لفيلسوف: أين بلغت بك الحكمة؟ قال: إلى الوقوف على القصور عنها.  
قال أنوشروان لبزر جمهر: من أدبك؟ قال: قريحتي، نظرت إلى ما استحسنت من غيري فاستعملته، وما استقبحتته اجتنبتته، ولقد تفقدت من كل شيء محاسنه، فأخذت من الخنزير قناعته، ومن الكلب محافظته، ومن القرد مساعدته، ومن الحمار صبره، ومن الغراب بكوره، ومن السنور لطافة المسألة عند الخوان.  
قيل لرجل من الحكماء: لمن أنت أرحم؟ قال: لعالمٍ جاز عليه حكم جاهل.  
وقيل له: متى يكون البليغ عيباً، والعيُّ بليغاً؟ فقال: إذا وصف حبيباً، وإذا احتج البليغ على محبوب.  
قيل للإسكندر: رأيك تعظم معلمك، أكثر من تعظيمك لأبيك؟ فقال: لأن أبي سبب موتي، ومعلمي سبب حياتي.

نظر حكيم إلى قوم يرمون ولا يصيبون ويسبون الرمي، فجلس في الهدف إلى الغرض، فقيل له: جلست هناك! قال: لأني لم أر موضعاً أوقى من هذا.

قيل لبعض الحكماء: متى أثرت فيك الحكمة؟ قال: مذ بدا لي عيب نفسي.  
رأى أفلاطون رجلاً معجباً بنفسه، فقال: وددت أن أعدائي مثلك في الحقيقة، وأنا مثلك في ظنك.  
كان رجل مصوراً فترك التصوير وتطيب، فقيل له في ذلك، فقال: الخطأ في التصوير تدركه العيون، وخطأ الطبيب تواريه القبور.

سعى إلى الإسكندر بعض رجاله برجاله من أصحابه فقال له: أتحب أن أقبل قولك فيه، على أن أقبل قوله فيك؟ قال: لا. قال: فكف إذاً عن الشر ليكف الشر عنك.

قال الإسكندر لجلسائه: ينبغي للرجل أن يستحي من أن يأتي قبيحاً في منزله من أهله؛ وفي غير منزله ممن

يلقاه.

أتى الإسكندر يوماً جاسوس يخبره عن عسكر دارا الفارسي، وأخبره أن فيه خلقةً كثيراً، فقال له: إن الذئب وإن كان واحداً لا تهو له كثرة الغنم.  
كان في أصحاب الإسكندر رجل يسمى الإسكندر لا يزال يهزم في الحرب، فقال له: إما غيرت اسمك، وإما غيرت فعلك.  
قيل للإسكندر: قد بسط الله لك في الملك، فأكثر من النساء ليكثر ولدك ونسلك، فقال لا يصح لمن غلب الرجال أن تغلب عليه النساء.  
سأل الإسكندر رجلاً من خاصته أن يحكم بينهما، فقال: الحكم يرضي أحدهما ويسخط الآخر، فاستعملا الحق ليرضيكما جميعاً.  
وقال له أصحابه: قد بسط الله ملكك وعظم سلطانتك، فبأي الأشياء أنت أسر: بما نلت من أعدائك، أم بما بلغت من سلطانتك؟ قال: كلاهما يسير، وأعظم ما أسر به ما سننت في الرعية من السنن الجميلة والشرائع الحسنة.  
قال الإسكندر: ينبغي للرجل إذا صافى مصافياً أن يتوقى مباشرته، ولا يسترسل إليه فيما يشينه.  
قال بعض الحكماء لتلاميذه: استعملوا الكذب عند الضرورة كما تستعملون الدواء.  
ولما مات الإسكندر قال نادبه: حركنا الإسكندر بسكونه.  
أخذه أبو العتاهية فقال:

صاحب جل فقده يوم بنتنا

يا علي بن ثابت بان مني

ت وحركتني لها وسكنتنا

قد لعمرى حكيت لي غصص الموم

قال الموبذ بوم مات قباد: كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى، فقال:

وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكانت في حياتك لي عطات

يقال: إن الإسكندر مات وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، هذا قول الفرس ومنهم من يقول: كان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وفي قول الفرس: إنه ملك أربع عشرة سنة. وأن قتله لدارا كان في السنة الثالثة من ملكه، وزعم الروم أن ملكه كان ثلاثاً وعشرين سنة وأنه مات وعمره ثلاث وأربعون سنة وهم أعلم به، وزعموا أنه مات بشهرزور، وأنه حمل إلى الإسكندرية ودفن بها، وأقامت عليه النوائح شهوراً. وقيل: بل

مات بالإسكندرية.

قال بعض الحكماء: لا تغترن بحسن الكلام وطيبه إذا كان الغرض المقصود منه ضاراً؛ فإن الذين يخذعون الناس إنما يخلطون السم بالحلو من الأطعمة والأشربة، ولا يصعب عليك الكلام الغليظ، إذا كان الغرض المقصود إليه نافعاً؛ فإن أكثر الأدوية الجالبة للصحة مرة مستبشعة.

قيل لبعض الحكماء: أي شيء أنفع الأشياء؟ قال: الاعتدال. قيل: وما الاعتدال؟ قال: هو الشيء الذي الزيادة فيه والنقص منه ضرر.

يروى أن المسيح عليه السلام قال: أمر لا تعلم متى يغشاك، ينبغي أن تستعد له قبل أن يفجأك.

### باب الرياء

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى مكاني وموضعي، وإني أتصدق وأعمل العمل وأحب أن يراه الناس. فأنزل الله عز وجل: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى بعمله، رأى الله به، ومن سمع بعمله سمع الله به بين خلقه وحقره وصغره".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو إلى غيري، ليس لي منه شيء، وأنا منه بريء".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة، يوم يجازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون فيهم خيراً".

وروى في الحديث المرفوع: "الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل".

روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: إن الملك ليصعد بعمل العبد مستفتحاً به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين، إني لم أرد بهذا. قال الأوزاعي: فما ظنك بما قد خفي عن الملك.

وروى عن النبي عليه السلام أنه قال: "أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية، حبك أن تحمد بما لم تفعل" وقيل: بما عملت من الخير. والأول أجود. لأنه قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال له رجل: يا رسول الله! أني أعمل العمل أريد به وجه الله، ثم يبلغني أن الناس يتحدثون به فيسريني.

قال: "ذلك عاجل بشري المؤمن".

قال الشاعر:



إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

ولا تحسبن الله يغفل ساعة

لهونا عن الأعمال حتى تتابع

فياليت أن الله يغفر ما مضى

وقال آخر:

كم من مصل لا يطبي

متلهياً إما خلا

يدعو وجل دعائه:

وقال الغزال:

ومراء أخذ الننا

وخشوع يشبه السق

قلت: هل تألم شيئاً

قلت: لا تعن بشيء

إنما تنبي عن الوث

ليس من يخفى عليه

قال محمود الوراق:

أيها المغرور مهلاً

كم إلى كم تحسن القو

ظاهر يجعل والباطن لا

وقال محمود الوراق:

تصنع كي يقال له أمين

ولم يرد الإله به ولكن

خلوت ولكن قل على رقيب

ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

علينا ذنوب بعدهن ذنوب

ويأذن لي في توبة فأتوب

ل صلاته لسوى الطمع

وإذا بصرت به ركع

ما للفريسة لا تقع

س بسمت وقطوب

م وضعف في الدبيب

قال أنقال الذنوب

أنت في قالب ذيب

بة في حال الوثوب

منك هذا بلبيب

فلقد أوتيت جهلاً

ل ولا تحسن فعلاً

يخفى على ربك كلا

وما يغني التصنع للأمانة

أراد به الطريق إلى الخيانة

## باب في الشيب ومدحه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شاب شيبه في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة".  
 قال جعفر الخواص: رأيت يحيى بن أكثم في النوم، فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فسألني  
 وناقشني، وقال: يا شيخ السوء! لولا شيبتك لأدخلتك النار - ردها ثلاثاً - فقلت: يا رب! ما هكذا  
 حدثني عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن أنس، عن نبيك، عن جبريل، عنك. قال: وما هو؟ قلت:  
 "حدث أنه من شاب شيبه في الإسلام لم تحرقه بالنار"، فقال الله عز وجل: "صدق عبد الرزاق، وصدق  
 معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبي، وصدق جبريل؟ انطلقوا به إلى الجنة".  
 وقال أبو موسى الزمن: رأيت أبا الوليد الطيالسي في النوم فقلت: يا أبا الوليد، أليس قدمت؟ قال: بلى.  
 قلت: فما فعل الله بك. قال: غفر لي ورحمني وطيبني بيده، وقال: هكذا أفعال أبناء الخمسين والسبعين.  
 وممن مدح الشيب من الشعراء الفرزدق، حيث يقول:

وما خير ليلٍ ليس فيه نجوم

تفاريق شيب في السواد لوامع

وقال أبو هفان:

لا تعجبي فبياض الصبح في السدف

تعجبت هند من شيبتي فقلت لها

وما درت هند أن الدر في الصدف

وزادها عجباً أن رحت في سملٍ

وقال دعبل:

سمة العفيف وحلية المتخرج

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه

في تاج ذي ملكٍ أغر متوج

وكان شيبتي نظم در زاهرٍ

وقال أيضاً:

لحبي للصيوف النازلينا

أحب الشيب لما قيل ضيف

لمحمد بن عبد الملك الزيات:

لم يعد لما ألم وقته

وعائب عابني بشيبي

يا عائب الشيب لا بلغته

فقلت غذ عابني بشيبي

وقال آخر:

فالشيب جلة ووقار

لا يرعك المشيب يا بنة عبد الله

ضحكت في خلالها الأنوار

إنما تحسن الرياض إذا ما

ولأبي الفتح البستي:

بعدهما عوج المشيب قناتي

ما استقامت قناة رأبي إلا

ولدعبل بن علي:

لا تعجبي من يطل عمر به يشب

تعجبت أن رأت شيببي فقلت لها:

وشيبكن لكن الويل فاكتئبي

شيب الرجال لهم زين وتكرمة

وليس فيكن بعد الشيب من أرب

فينا لكن وإن شيب بدا أرب

وقال أبو الحسن علي بن محمد السهواجي، وسهواج بلدة من أعمال مصر:

طلائع شيبتين ألمتابي

ومما زاد في طول اكتتابي

إلى المقرض من حب التصابي

فأما شيبية ففرغت منها

لتشهد بالبراء من الخصاب

وأما أختها فكففت عنها

أقمت به الدليل على الشباب

فيا عجباً لذلك من مشيب

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "أعمار أمي ما بين الستين والسبعين،

وأقلهم من تجاوز ذلك". قال أبو هريرة: وأنا من أقلهم، وقاله أبو سلمة ومحمد بن عمرو.

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "من تعظيم خلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم".

رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته، فقال: أرى الموت يطلبني، وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا رب من

فجأة الموت. يا بني سعد! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبتي.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من

تشبه بشبابكم". من حديث أنس.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن الله عز وجل ليكرم أبناء السبعين ويستحي من أبناء

الثمانين أن يعذبهم".

## باب في خصاب الشيب ونتفه

قال محمود الوراق:

فعاجله وغالط في الحساب

إذا ما الشيب جار على الشباب

وعذبه بأنواع العذاب

وقل لا مرحباً بك من نزيل

وأحياناً بمكروه الخضاب  
فقل في رحب دار واقتراب  
وإن عدي على شرخ الشباب  
وخل عنان رحلك للذهاب

يسير على مقدمة الركاب

فيخضبه طوراً وطوراً ينتف  
على الدهر إلا حيلة الشيب ألطف

وكل مقراضي فأعتقه  
وقلت في نفسي أفنيته  
كأنني قد كنت زملته  
أعياني الشيب فخليته

فإنما تدرجها في كفن  
تزيد في الرأس بنقص البدن

ليكون عند الغانيات وجيها  
فغضون وجهك كيف تصنع فيها  
فإذا خلت بك كنت صنو أبيها

تستراً عن حبيبي  
إلا بوجه مريب

بنتفٍ أو بقص كل يوم  
فإن هو لم يحر وأتى لوقته  
ولا تعرض له إلا بخيرٍ  
وخذ للشيب أهفته وبادر

فقد جد الرحيل وأنت ممن

وقال محمود الوراق:

وذي حيلة في الشيب ظل يحوطه  
وما لطف للشيب حيلة عالم

وقال محمود أيضاً:

اشتعل الشيب فأفنيته  
كنت إذا استقصيت قصي له  
عارضني من جانبٍ آخرٍ  
الشيب ما ليست له حيلة

وله أيضاً:

يا خاضب الشيبة نح فقدها  
أما تراها منذ عاينتها

أنشدي بعض شيوخه لابن محاسن في الخضاب:

يا من يغير شبيهه بخضابه  
هيك المشيب أحلته عن حاله  
هيهات توهمها بأنك تربها

ولمنصور الفقيه:

هيني سترت مثيبي  
فهل أروح وأغدو

وقال آخر:

كما غطى على الريب المريب  
ولا تحصى على الكبر العيوب  
ولا يتقوم العود الصليب

صبغت الرأس ختلاً للغواني  
أعلل مرةً وأساء أخرى  
يقوم بالثقاف العود لذنأ

وقال آخر:

إذا سألتك لحيتك الخضابا

فما منك الشباب ولست منه

ولا بن المعتز:

سنو شبابي وهذا الشيب قد وخطا  
فيصبح الشيب للسوداء ملتقطا

ماذا تريدين من جهلي وقد سلفت  
أروح للشعرة البيضاء ملتقطاً

وقد مدح ابن المعتز الخضاب فقال:

فقلت: الخضاب شباب جديد  
فإن عاد هذا فهذا يعود

وقالوا: النصول مشيب جديد  
إساءة هذا بإحسان ذا

ولحمود الوراق:

وقد وارىت بعضك في التراب

أتفرح أن ترى حسن الخضاب

ألم تعلم وفرط الجهل أولى بمثلك أنه كفن الشباب

وذلال لم يكن لك في الحساب

لقد ألزمت لهزمتيك هوناً

فغيره فزعت إلى الخضاب

أحين رمى سواد الرأس شيب

ففر من العذاب إلى العذاب

فكنت كمن أطل على عذاب

فقد أثبت رجلك في الركاب

تهى لنقلة لأبد منها

وقال آخر:

كيما يعد به من الشبان  
بيضاء ما عدت من الغربان

يا أيها الرجل المسود شبيهه  
أقصر فلو سودت كل حمامة

وقال ابن الرومي:

حداداً على شرخ الشبيبة يلبس

رأيت خضاب المرء عند مشبيه

أيطمع أن يخفي شباب مدلس  
وكل ثلاثٍ صبحه يتنفس  
وأين أديم للشبيبة أملس

وإلا فما يغني الفتى من خضابه  
فكيف بأن يخفي المشيب لخاضب  
وهبه يواري شبيهه أين ماؤه

وقال محمود الوراق:

بأقبح منه فافتضحت وما انطوى  
وقبلك ما أعيا الفلاسفة الألى

طويت عوار الشيب من فرط قبحه  
وأصبحت مرتاداً لنفسك ضلةً

وله أيضاً، ويروي لغيره:

في كل ثلاثة يعود  
فكأنه شيب جديد  
مكروها أبدأ عتيد  
د فلن يعود كما تريد

يا خاضب الشيب الذي  
إن النصول إذا بدا  
هذي بديهة روعة  
فدع المشيب لما أرا

كان عقبة بن عامر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالسواد، ويتمثل:

فياليت ما يسود منها هو الأصل

اسود أعلاها وتأبى أصولها

وقال آخر:

يلوح على من تحت السواد  
بأطراف الأسنة في فؤادي

نصول الشيب طوقني بطوق  
إذا أبصرته فكأن وخزاً

## باب جامع مختصر في الشيب والبكاء

### على فقد الشباب

قال منصور النمري:

إلا لها نبوة عنه ومرتدع  
توفي بقيمته الدنيا ولا تسع  
لولا يعزيك أن العيش منقطع  
حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

ما واجه الشيب من عين وإن ومقت  
أبكي شباباً سلبناه وكان وما  
قد كدت تقضي على فوت الشباب أسى  
ما كدت أوفي شبابي كنه عزته

قال المبرد: هذا من الشعر البديع في معناه، الذي ليس لأحد من المحدثين مثله، وقد أخذه الباهلي في قوله:

من الشباب بيومٍ واحدٍ بدل

أذهب إليك فما الدنيا بأجمعها

قال الفرزدق:

وعليك من سمة الكبير عذار

وتقول كيف يميل مثلك للصبأ

ليل يصيح بجانبه نهار

والشيب ينهض في الشباب كأنه

وقال الأخطل:

أم هل دواء يرد الشيب موجود

هل الشباب الذي قد فات مردود

عدل الشباب له ما أورك العود

لن يرجع الشيب شباناً ولن يجدوا

وقال أيضاً:

حتى تخلل رأسي الشيب واشتعلأ

لقد لبست لهذا الدهر أعصره

كأنما ضيفا نازلا رحلا

وبان مني شبابي بعد لذته

وقال منصور الفقيه:

يمشي على الأرض مشي هالك

من شاب قد مات وهو حي

كان له شبيهه فذلك

لو أن عمر الفتى حساب

وقال محمود الوراق:

فقد نعاها إلى الشيب والكبر

مني السلام على الدنيا وبهجتها

صرف الزمان وما يأتي به القدر

لم يبق لي لذة إلا التعجب من

لكان من حكمه أن يفلق الحجر

إحدى وسبعون لو مرت على حجر

وقال نفطويه:

عيناى حتى بوذنا بذهاب

شيئان لو بكت الدماء عليهما

فقد الشباب وفرقة الأحباب

لم يبلغا المعشأ من حقيهما

وقال آخر:

فقد تطاول فيه للبلأ خرق

كان الشباب رداءً قد بهجت به

كالليل ينهض في أعجازه الفلق

وبان منشمرأ عني ومنقبضأ

وقال يوسف بن هارون:

لما تمكن طرفها من مقتلي  
والشيب يغمزها بالألا تفعلي

وتتدب رسماً وانياً محيلاً  
وجر على مفرك الذيولا

يصاب ببعض الذي في يديه  
وبين معزٍ معذٍ إليه  
وليس يعزيه خلق عليه

يدب دبيب الصبح في غسق الظلم  
ولم أر مثل الشيب سقماً بلا ألم

من ابن ملجم عند الفاطميينا

وأنس شبابٍ رحل  
كذاك اختلاف الدول  
كفي بالمشيب العذل  
تحاماه حور المقل

لا خير في المرء بعد الشيب والكبر

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: للموت تقحم على الشيب كتقحم الشيب على الشباب.

وقال مسلم بن الوليد:

أعجب بشيءٍ على البغضاء مردود

وقال آخر:

نظرت إلى بعين من لم يعدل  
فجعلت أطلب وصلها بتلطفٍ

وقال محمود الوراق:

أمن بعد ستين تبكي الطلولا  
وقد نجم الشيب في عارضيك

وله أيضاً:

أليس عجباً بأن الفتى  
فمن بين باكٍ له موجع  
ويسلبه الشيب شرخ الشباب

وقال سهل الوراق:

أرى الشيب مذ جاوزت خمسين حجةً  
هو السقم إلا أنه غير مؤلم

وقال آخر:

والشيب أعظم جرماً عند غانيةٍ

وقال علي بن جبلة:

جلال مشيبٍ نزل  
طوى صاحب صاحباً  
أعاذلتي أقصري  
جلال ولكنه

وقال ابن مقبل:

قالت سليمة وقد كانت على مقةٍ

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: للموت تقحم على الشيب كتقحم الشيب على الشباب.

وقال مسلم بن الوليد:

الشيب كرهه وكرهه أن يفارقني

وقال آخر:



أن منعت وصلها نوار

عمن بدا شيبه ازورار

قد شاب صدغاي والعدار

زعمن أن المشيب عار

أحتى على رأسك الغبار

جانبك النوم والقرار

رأت مشيباً وفي الغواني

حتى إذا استيقنت بأني

ألوت بخدّ إلى اللواتي

تمسح رأسي وهي تنادي

نظر كسرى إلى رجلين من مرابته أحدهما قد شاب رأسه قبل لحيته، والآخر قد شابت لحيته قبل رأسه، فأراد أن يعرف جواب كل واحد منهما عن حاله تلك. فقال لأحدهما: لم شاب رأسك قبل لحيتك؟ قال: لأن شعر رأسي خلق قبل شعر لحيتي، والكبير يشيب قبل الصغير. وقال للآخر: لم شابت لحيتك قبل رأسك؟ قال: لأنها أقرب إلى الصدر موضع الهم والغم.  
قال حبيب:

رأس إلا من فضل شيب الفؤاد

شاب رأسي وما رأيت مشيب ال

قيل لعبد الملك بن مروان: أسرع إليك المشيب. قال: فكيف لا أشيب وأنا أعرض عقلي على الناس في كل أسبوع - يعني الخطبة.

روى عن ابن عباس رحمه الله، قال: شيب الناصية من الكرم، وشيب الصدغين من الروع، وشيب الشارب من الفحش، وشيب القفا من اللؤم.  
قال مكّي بن إبراهيم:

وشيب كبار الناس فوق المفارق

مشيب لثام الناس في ذروة القفا

قال قيس بن عاصم: الشيب خضاب المنية.

قال بعض الحكماء: الشيب موت الشعر.

قال معمر بن سليمان: الشيب مراحل الموت.

نظر بعض الأعاجم إلى شيب في رأسه أو لحيته، فجمع نساءه وقال: تعالين فاندبني إذا مات بعضي، لأبصر كيف تندبني إذا مات كلي.

## باب الكبر والهرم

قال الله تعالى: "ومن نعمه ننكسه في الخلق".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك أن أزدل إلى أزدل عمر".

وكان صلى الله عليه وسلم يستعيز بالله من الغم والحزن والكسل والهزم.

وفد عمرو بن مسعود السلمي على معاوية بن أبي سفيان، وكان صديقاً لأبي سفيان، فلما مثل بين يدي معاوية عرفه، فقال له: كيف أنت وحالك؟ فقال: ما يسأل أمير المؤمنين عمن سقطت ثمرته، وذبلت بشرته، وبيض شعره، وانحني ظهره، وكثر منه ما يجب أن يقل، وصعب منه ما كان يجب أن يذل، وترك المطعم وكان المنعم، وهجر النساء وكن الشفاء، وقصر خطوه، وذهب لهوه، وكثر سهوه، وثقل على الأرض، وقرب بعضه من بعض، فقل إبحاشه، وكثر ارتعاشه، فنومه سبات، وهمه تارات، وأنشد شعراً حسناً في معناه، تركته لطوله.

وقال أبو عبيدة: عاش أنس بن مدرك الحثعمي مائة سنة وأربعاً وخمسين سنة، وكان سيد حثعم في الجاهلية، وفارسها. وأدرك الإسلام فأسلم، وقال في كبره:

إذا ما امرؤ عاش الهنيدة سالماً  
وخمسين عاماً بعد ذاك وأربعا  
تبدل مر العيش من بعد عذبه  
وأوشك أن يبلي وأن يتسعسعا  
ونادي به الأدنى وترضى به العدا  
إذا صار مثل الدال أحذب أخضعا  
رهينة قعر البيت ليس يريمه  
لقي ثاويلاً لا يبرح البيت مضجعا  
يخبر عمن مات حتى كأنما  
رأى الصعب ذا القرنين أو راء تبعا

قال أبو عبيدة: عمر نصر بن دهمان الأشجعي مائة وتسعين سنة، واعتدل بعد ذلك وصار شاباً، واسود شعره، وكان أعجوبة غطفان في سائر العرب وفيه قال الشاعر:

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها  
وتسعين حولاً ثم قوم فانصاتا  
وعاد سواد الرأس بعد بياضه  
ولكنه من بعد ذا كله ماتا

روى سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، قال: دخل عمرو بن حريث على أبي العريان الهيثم بن الاسود النخعي يعوده ويزوره، فقال: كيف تجدك يا أبا العريان؟ قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، ولأن مني ما كنت أحب أن يشتد، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين. وزاد غيره في هذا الخبر: وأجدني يسبقني من بين يدي، ويدركني من خلفي، وأنسي الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملاء، وأسهر في الخلاء، وإذا قمت قربت الأرض مني، وإذا قعدت بعدت عني. ثم اتفقت الرواية:

فاسمع أنبئك بآيات الكبر  
تقارب الخطو وضعف في البصر  
وقلة الطعم إذا الزاد حضر  
وكثرة النسيان ما بي مدكر  
وقلة النوم إذا الليل اعتكر  
أوله نوم وتلثاه سهر  
وسعلة تعتادني مع السحر  
وتركي الحسناء في حين الظهر  
وحذراً أزداده إلى حذر  
والناس يبيلون كما يبلي الشجر  
وقال يحيى بن الحكم الغزال:

تسألني عن حالتي أم عمر وهي ترى ما حل بي من الغير

وما الذي تسأل عنه من خبر  
وما تكون حالتي مع الكبر  
وصار رأسي شهرة من الشهر  
ونقص السمع بنقصان البصر  
لو ضامني من ضامني لم أنتصر  
فإن للحلوم في معتبر  
وقد كفاها الكشف عن ذاك النظر  
اربد مني الوجه وابيض الشعر  
ويبست نضرة وجهي واقشعر  
وصرت لا أنهض إلا بعد شر  
فانظر إلى واعتبر ثم اعتبر

قال معاوية بن أبي سفيان: من أخطأه سهم المنية قيده الهرم.  
مر شيخ قد انحنى بفتى شاب، فقال له: أتبيع القوس يا شيخ؟ فقال له: إن كبرت أخذتها بلا ثمن.  
لأعرابي في الصلح:

قد ترك الدهر صفاتي صفصفا  
فصار رأسي جبهةً إلى القفا

كأنه قد كان ربعاً فعفا

أمسى وأضحى للمنايا هدفا

وقال تميم بن مقبل العجلاني:

فقد فرغت إلى حاجاتي الآخر

فلست منها على عينٍ ولا أثر

شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر

ريب الزمات فإني غير معتذر

حسن المقادة أني فانتني بصري

لا خير في العيش بعد الشيب والكبر

كان الشباب لحاجاتٍ وكن له

يا حر أمست بشاشات الصبا ذهبت

يا حر أمسى سواد الرأس خالطه

يا حر من يعتذر من أن يلم به

قد كنت أهدي ولا أهدي فعلمني

قالت سليمي لأختيها وقد صدقت

قالت امرأة لرجل عهدته شابا ثم رأته شاخ: أين شبابك؟ قال: أودى به خصال من طال أمده، وكثر ولده، وضعف جلده، وذهب عدده.

قال منصور الفقيه:

عماً وقد كان شبا

فصرت ورداً مربا

يا من دعت الغواني

قد كنت ورداً جنيناً

مر أعرابي وهو شيخ كبير ببعض الغلمان، فقال له: من قيدك أيها الشيخ؟ قال: الذي هو دائب في فتل قيدك، وأنشده:

والدهر غيرني وما يتغير

فمشيت فيه وكل يوم يقصر

الدهر أبلاني وما أبليته

والدهر قيدني بقيد مبرم

وقال آخر:

كأني خائل أدنو لصيد

ولست مقيداً أني بقيد

حننتي حانيات الدهر حتى

قريب الخطو يحسب من رأني

قال عبد الرحمن بن أبي بكرة: من طالت أيامه، كانت مصيبته في أحبابه، ومن قصرت أيامه كانت مصيبته في نفسه.

قال محمود الوراق:

بعيد الرجاء قوي الطمع

الأرب ذي أملٍ كاذب

تمني البقاء تمادي به  
أجاب القضاء فماذا صنع  
تجرد أكثر جثمانه  
و فرق ما كان منه جمع  
ودل المشيب على رأسه  
وأعقب من بعد شيب صلح  
وقوس متنيه بعد اعتدال  
وأثبت في الرجل منه الظلع  
فمن ذا يسر بطول البقاء  
إذا كان يبدع هذي البدع

سأل الحجاج رجلاً من بني ليث، قد بلغ سنّاً كبيرة، قال: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. قال: فكيف نكاحك؟ قال: إذا بذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. قال: كيف نومك؟ قال أنام في المجمع، وأسهر في المضجع. قال: كيف قيامك وعودك؟ قال: إذا أردت الأرض تباعدت مني، وإذا أردت القيام لزممتني. قال: فكيف مشيتك؟ قال: تعقني الشعرة، وأعثر بالبعرة. وذكر المبرد قال: نظر محمد بن عبد الله بن طاهر إلى حاجب له قد رفع حاجبه عن عينيه بعصابة من الكبر، فقال له: كم أتى لك من السنين يا أبا المجد؟ فقال مجيباً له:

يا ابن الذي دان له المشرقاً  
ن من بعد أن دان له المغربان  
إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان  
وبدلنتني بالشطاط انحنأ  
وقاربت مني خطأ لم تكن  
وكننت كالصعدة تحت السنان  
وأنشأت بيني وبين الورى  
مقاربات وثنت لي العنان  
لم تبق لي عظماً ولا مفصلاً  
إلا لساني وكفاني اللسان  
أدعو به الله وأثنى به  
على الأمير الطاهري الجنان  
فقرباني بأبي أنتما  
من وطني قبل اصفرار البنان

وقبل منعاي إلى نسوة  
أوطانها حران والرقتان  
قال عبد الرحمن بن أبي بكرة: من تمنى طول العمر، فليوطن نفسه على المصائب، وأقلها فقد الأحبة  
والقربات.  
قال لبيد:

المرء يأمل أن يعي  
ش وطول عيشٍ قد يضره

بعد حلو العيش مره  
لا يرى شيئاً يسره

تفني بشاشته ويبقى  
وتخونه الأيام حتى

قال التيمي:

لدائك إلا أن تموت طبيب  
إلى منهلٍ من ورده لقريب  
وخلفت في قرنٍ فأنت غريب

إذا كانت السبعون سنك لم يكن  
وإن امرءاً قد سار سبعين حجةً  
إذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم

قام أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغب، فوجد في ظهره ما يجد الكبير، فأنشأ يقول:

ثم نادى بي الحوادث طاط  
بعد تعديل قامةٍ وشطاط  
فتغشى الأديم بعد انبساط

ولقد كنت كالفنأة قديماً  
فتضويت للحوادث رغباً  
وأديم قد كان يبرق حسناً

قال محمود الوراق:

ودعا المشيب شبيبتى لنفاد  
وكفى بذاك علامة لحصادي

ابيض مني الرأس بعد سواده  
واستحصد القوم الذي أنا منهم

كان أبو بكر بن عياش قد بلغ ثمانين سنة، فكان يتمثل:

فماذا أوئل أو أنتظر

بلغت ثمانين أو جزتها

ومما ينسب إلى بلعام بن راشد السكسكي:

حميمك فاعلم أنها ستعود  
رجوع غضارات الشباب بعيد

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت  
ولما رأيك الشيب أيقنت أنه

وقال منصور النمري:

إذا ادكرت شباباً ليس يرتجع  
حتى مضى فإذا الدنيا له تبع

ما تنقضي خسارة مني ولا جزع  
ما كدت أوفي شبابي كنه عزته

وقال محمود الوراق:

كنت تجفوه مرةً وتعقه  
لم تكن باكياً بما يستحقه

أيها النادب الشباب الذي قد  
لو بكيت الشباب عمر الليالي

قال أبو العتاهية:

فعند الله أحتسب الشبابا  
وإن نصوله فضح الخضابا  
لمن خلقت شبيبته وشابا

مضى عني الشباب بغير أمري  
فزعت إلى خضاب الشيب منه  
وما من غايةٍ إلا المنايا

وقال محمود الوراق:

أحسن ما كانت صروف الزمن  
يحسن فيه منك غير الحسن  
لليوم والساعة منه ثمن

سقىاً لأيامٍ تولت بها  
إذ أنت في شرخ الشباب الذي  
ولي وما الدنيا بأفطارها

ولحمود الوراق أيضاً:

وحسبك مدحا للفتى قول يا فتى  
وأيامنا في الشيب بالفقر والغنى

إذا ما دعوت الشيخ شيخاً هجوته  
أشبه أيام الشباب التي مضت

وقال آخر:

وحدباً بعد اعتدال القامه  
فايئس من الصحة والسلامه

إذا رأيت صلماً في الهامه  
وصار شعر الرأس كالثغامه

وقال النمر بن تولب:

فكيف ترى طول السلامة يفعل  
ينوء إذا رام القيام ويحمل

يحب الفنى طول السلامة والبقا  
يرد الفنى بعد اعتدالٍ وصحة

وكان النضر بن شميل ينشد:

لبست شبابي كله ومشبيبي  
وبانت لداتي منهم وضروبي

يحب بقائي المشفقون ومدتيالى أجل لو يعلمونقريب  
وما إن أرى في أرذل العمر بعدما  
وأصبحت في قومٍ كأن لست منهم

وقال رجل ليزيد بن هرون: يا أبا خالد! كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحت لا يحمل بعضي بعضا  
كأنما كان شبابي قرصا

فاستؤدي القرض فكان فرضاً

وصرت عوداً نخرأ مرفضاً

وقال حميد بن ثور:

وحسبك داءً أن تصح وتسلما

إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

أرى بصري قد رابني بعد صحة

ولن يلبث العصران يوماً وليلة

وقال لبيد بن ربيعة:

فألانها الإصباح والإمساء

ليصحني فإذا السلامة داء

كانت قناتي لا تلين لعامز

ودعوت ربي في السلامة جاهداً

وقال لبيد أيضاً:

لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

أدب كأبي كلما قمت راع

أليس ورائي إن تراخت منيتي

أخبر أخبار القرون التي مضت

وقال أبو النجم العجلي:

إن الفتى يصبح للأسقام

كالغرض المنصوب للسهام

أخطأ رام وأصاب رام

وأظنه أخذه من قول زهير:

تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

وقال آخر:

وخانه ثقتاه السمع والبصر

من عاش أخلقت الأيام جدته

وقال أعرابي:

واضطربت من كبر أعضاها

فهي زروع قددنا حصادها

إذا الرجال ولدت أولادها

وجعلت أسقامها تعتادها

وقال عروة بن الورد:

فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي

أليس ورائي أن أدب على العصا



رهينة قعر البيت كل عشية  
يطيف بي الوالدان أهدج كالرأل  
شبه همدجان الشيخ الضعيف في مشيه بهمدجان الرأل، والرأل: ولد النعام والجميع: رئال ورتلان.  
قال أبو الرحف:

أشكو إليك وجعاً بركبتي  
وهمدجاناً لم يكن بمشييتي  
كهدجان الرأل خلف الهيقت  
وقال أبو حية النميري:

وقد جعلت إذا ما قمت يوجعني  
وكننت أمشي على رجلي معتدلاً  
ظهري فقامت قيام الشارب السكر  
فصرت أمشي على أخرى من الشجر  
وقال آخر:

إن الأمور إذا الأحداث دبرها  
وإن أنت للشباب الغر نادرة  
دون الشيوخ يرى في بعضها الخلل  
فإن أكثر ما يأتي لها الخطل  
قال أبو العتاهية:

أسرع في نقص امرئٍ تمامه  
وقال أيضاً:

من يعيش يكبر ومن يكبر يمت  
وقال محمود الوراق:

يحب الفتى طول البقاء وإنه  
زيادته في الجسم نقص حياته  
على ثقة أن البقاء فناء  
وليس على نقص الحياة نماء  
ويطويه إن جن المساء مساء  
ولا لهما بعد الجميع بقاء  
جديدان لا يبقى الجميع عليهما

قال محمد بن نصر: كنت بأرض الطفاوة، إذ سمعت امرأةً تكلم أخرى من طاقٍ إلى طاقٍ فقالت لها: ما تقولين في ابن العشرين؟ قالت ريحانة تشمين. قالت فما تقولين في ابن الثلاثين؟ قالت قرّة عين الناظرين. قالت فما تقولين في ابن الأربعين؟ قالت: قوى الظهر في ماء مكين. قالت: فما تقولين في ابن الخمسين؟ قالت: تعرفين وتنكرين. قالت: فما تقولين في ابن الستين؟ قالت: كثير السعال والأنين. قالت: فما

تقولين في ابن السبعين؟ قالت: اكتبه في الضارطين.  
ذكر ابن الأنباري، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: كان العرب تقول: الرجل يزداد قوةً إلى الأربعين،  
فإذا بلغ الأربعين اصله إلى الستين، فإذا جاوز الستين أدبر. وقال: اصله بقي على حال واحدة.  
وأنشد:

وفيت ستين واستكملت عدتها

فما بقاؤك إذ وفيت ستينا

فاحتل لنفسك يا حسان في مهل

فكل يوم ترى ناساً يموتونا

وذكر أبو الحسن الأحفش، قال: أنشدني أبو العباس ثعلب لبعض حكماء العرب:

ابن عشرٍ من السنين غلام

همه اللعب مولع بالغرام

وابن عشرين مولع بالغواني

لا يبالي ملامة اللوام

والذي يبلغ الثلاثين عاماً

فضروب لدى الوغى بالحسام

فإذا جازها بعشر سنين

كان أقوى من كل قرن مسام

وابن خمسين للنوائب يرجى ولنقض الأمور والإبرام

وابن ستين حازم الرأي طب

كامل العقل ضابط للكلام

وابن سبعين قد تولى وأودى

وتنتى فما له من قوام

والذي يبلغ الثمانين عاماً

ذاهب الذهن دائب الأسقام

وابن تسعين تائه قد تناهى

إن تسعين غاية الأعوام

فإذا جازها بعشر فحي

مثل ميتٍ مودع بالسلام

### باب الوصايا الموجزة

قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بأيام يقول: "لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله".

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصني يا رسول الله، وأقلل في القول لعلي أحفظه. قال: "لا تغضب".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء

المستسقي، أو تلقى أحاك ووجهك منبسط إليه".  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة".  
أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال: "هيب جهازك وقدم زادك، وكن وصي نفسك؛ فإنه لا خلف من التقوى، ولا عوض من الله عز وجل".  
قال أبو هريرة: أوصاني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن أبداً؛ بالوتر قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام في كل شهر، وركعتي الضحى.  
وقال لي: أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن حوار من جاورك تكن مسلماً.  
قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أوصني. فقال: "أوصيك بالدعاء؛ فإن معه الإجابة، وعليك بالشكر؛ فإن معه الزيادة، وأماك عن المكر؛ فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وعن البغي؛ فإنه من بغي عليه نصره الله، وإياك أن تبغض مؤمناً أو تعين عليه".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم بالله فأجيبوه، ومن استغاثكم بالله فأغيثوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فأتنوا عليه".  
أوصى النبي عليه السلام رجلاً، فقال: "عليك بذكر الموت؛ فإنه يشغلك عما سواه، وعليك بكثرة الدعاء؛ فإنك لا تدري متى يستجاب لك، وأكثر من الشكر؛ فإنه زيادة".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والفحش؛ فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش؛ وإياكم والشح؛ فإنه دعا من قبلكم فقطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، وإياكم والظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة".  
قال عبد الله بن عباس: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: "يا غلام، احفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت استعن بالله...".  
وذكر الحديث.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوصاني ربي بتسع بالإخلاص في السر والعلانية، وبالعدل في الرضا والغضب، وبالقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمي، وأصل من قطعني، وأن يكون صميتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرة".  
قال الأعشى:

نبي الهدى في حين أوصى وأشهدا

أجدك لم تسمع وصاة محمد

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى

ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثلته

وترصد للموت الذي كان أرسدا

قال موسى بن عمران للخضر عليهما السلام: إني قد حرمت صحبتك؛ فأوصني. قال: إياك واللحاجة، والمشى في غير حاجة، والضحك من غير عجب.

قال أبو بكر لعمر رضى اله عنهما في وصيته إياه: إذا جنيت جنيّ فكف يدك، أو يشع من جنيت له. من نازعتك نفسك إلى شركتهم، فكن فيهم كأحدهم، ولا تستأثر عليهم، وأعلم أن ذخيرة الإمام تملك دينه وتسفك دمه.

وأوصى أبو الدرداء رجلاً، فقال له: اعتقد لنفسك ما يدوم، واستدل بما كان على ما يكون. كان جندب بن عبد الله الأنصاري صديقاً لعبد الله بن عباس، فقال له حين ودعه: أوصني يا ابن عباس، فإني لا أدري ألتجمع بعدها أم لا. فقال: أوصيك يا جندب ونفسي بتوحيد الله، وإخلاص العمل لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فإن كل خير أتيت بعد هذه الخصال مقبول، وإلى الله مرفوع، ومن لم يكمل هذه الأعمال رد عليه ما سواها. وكن في الدنيا كالغريب المسافر، واذكر الموت، ولتهن الدنيا عليك، فكأنك قد فارقتها وصرت إلى غيرها، واحتجت إلى ما قدمت، ولم تنتفع بشيء مما خلقت. فم افترقا. كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله: أوصيك بتقوى الله، فإنه من اتقاه كفاه ووقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، فاجعل التقوى عماد بصرك، ونور قلبك، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا جديد لمن لا خلق له، ولا إيمان لمن لا أمانة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا أجر لمن لا حسنة له.

كان علي بن أبي طالب إذا أراد أن يستعمل رجلاً دعاه فأوصاه، وقال: عليك بتقوى الله الذي لا بد من لقائه، ولا تنتهى لك دونه، فإنه يملك الدنيا والآخرة، وعليك فيما أمرك به بما يقربك من الله، فإن ما عنده خلف من الدنيا.

دخل عثمان بن عفان على العباس بن عبد المطلب في مرضه الذي مات فيه، فقال: أوصني. قال: أوصيك بالصدق؛ فإنه يعرف في ثلاث: في حفظ اللسان، وترك المصانعة، واستواء السر والعلانية. وروى عاصم بن بهدلة، عن أبي العديس الأسدي، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: فرقوا بين المنية؛ واجعلوا الرأس رأسين، ولا تلبثوا بدار معجزة، وأصلحوا مثاويكم، وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم، واخشوشنوا وتمعددوا وانتعلوا.

أوصى أعرابي ابنه فقال: يا بني؟ اغتتم مسالمة من لا يدان لك بمحاربتة، وليكن هربك من السلطان إلى

الوحش في الفيافي وأطراف البلدان، حيث تأمن سعاية الساعي، وطمع الطامع منك، ولا تغرنك بشاشة امرئ حتى تعلم ما وراءها؛ فإن دفائن الناس في صدورهم، وخذعهم في وجوههم، ولتكن شكاتك الدهر، إلى رب الدهر، واعلم أن الله إذا أراد بك خيراً أو شراً أمضاه فيك على ما أحب العباد أو كرهوا، وأرح نفسك من التعب بقبول القيل والقال، فإن كلمة سوء حبة القلب، كما أن الحنطة حبة الأرض، إذا أصابها الماء نبتت، وكذلك الكلمة السوء إذا زرعت في صدرك نبتت منها الضغائن والبغضاء والعداوة.  
قال أبو العتاهية:

### رضيت ببعض الذل خوف جميعه وليس لمثلي بالملوك يدان

قال شبيب بن شيبه: قال لي أبو جعفر المنصور - وكنت من سماره - عظني وأوجز. قال: فقلت يا أمير المؤمنين! إن الله لم يجعل فوقك أحداً من خلقه؛ فلا ترض من نفسك بأن يكون عبد هو أشكر منك. قال: والله لقد أوجزت وما قصرت. قلت: والله لئن كنت قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك. قال سعد بن أبي وقاص لسلمان: أوصني. فقال له: اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند لسانك إذا تكلمت، وعند حكمتك إذا حكمت، وعند يدل إذا بطشت.

دخل محمد بن علي بن حسين على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أوصني. فقال: أوصيك أن تتخذ صغار المسلمين ولداً، وأوسطهم أحماً، وأكبرهم أباً، فارحم ولدك، وصل أحاك، وبر أباك. أوصى رجل ابنه، فقال: أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل؛ فإنه جنب أولياء الله محارمه، وألزم قلوبهم طاعته، فكذب الأمل، ولاحظ الأجل.

لما التقى هرم بن حيان بأويس القرني، كان فيما أوصاه ووعظه به أن قال: يا هرم! توسد الموت إذا بت، واجعله أمامك إذا قمت، ولا تنظر إلى صغر ذنبك، ولكن انظر من عصيت، ومن عظم أمر الله فقد عظم الله. يا هرم! ادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فإنك لم تعالج شيئاً هو أشد عليك منهما، بينما قلبك مقبل إذ أدبر، فاغتنم إقباله قبل إداره.

قال وبرة: أوصاني عبد الله بن عباس بكلماتٍ لهي أحب إلى من الدهم الموقفة في سبيل الله. قال: إياك والكلام فيما لا يعينك، فإنه إثم ولا آمن عليك فيه الوزر، وإياك والكلام فيما يعينك في غير موضعه، فرب مسلم تقي تكلم بما يعنيه في غير موضعه فعنت. فلا تمار سفيهاً ولا فقيهاً. فأما السفية فيوذك، وأما الفقيه فيغلبك، واذكر أحاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، واعمل عمل رجل يعلم أنه مكافأ بالإحسان، مجازي بالإجرام.

أوصى صالح بن علي بن عبد الله بن عباس أمير سرية أتت، فقال: تاجر الله بعباده، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحاً تجر، وإلا احتفظ برأس المال، لا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة، وكن من احتيالك على عدوك، أشد حذراً من احتيال عدوك عليك.

كان المهلب بن أبي صفرة يقول لبنيه: إياكم أن تروا في الأسواق: فإن كنتم لابد فاعلين، ففي سوق الدواب والسلاح، فإنها من صناعة الفرسان.

قال زياد بن ظبيان لابنه عبد الله وهو يجود بنفسه: ألا أوصى بك الأمير؟ قال: إذا لم تكن للحي إلا وصية الميت، فالحن هو الميت أخذه الشاعر فقال:

**فذاك العظم حي وهو ميت**

**إذا ما الحي عاش بعظم ميت**

قال نافع بن خليفة العبدي: جمعنا أبونا فقال: يا بني! اتقوا الله بتقاته، واتقوا السلطان بحقه، واتقوا الناس بالمعروف. فقام وقد جمع لنا أمر الدنيا والآخرة.

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه وهو خليفة، كيف كانت طاعتي لك؟ قال: ما كان أطوعك! فقال: فقد وجبت طاعتي عليك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن قميصك حتى يبدو كعباك.

أوصى رجل بنيه فقال: يا بني! عليكم بالنسك، فإنه إذا ابتلى أحدكم بالبخل.. قيل: مقتصد لا يرى الإسراف، وإن ابتلى بالعي، قيل: يكره الكلام فيما لا يعينه، وإن ابتلى بالجبن، قيل: لا يقدم على شبهة. قال محمد بن علي لابنه: أد النوائب ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى ما مضرته عليك أكثر من منفعته.

قال معاوية بن أبي سفيان لسفيان بن عوف الأزدي: كل قليلاً، تعمل طويلاً، والزم العفاف تسلم من القول، واجتنب الرياء يشتد ظهرك عند الخصوم.

قال يوسف بن أسباط: أتيت سفيان الثوري رحمه الله، فقلت: يا أبا عبد الله! أوصني. قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: زدني يرحمك الله، قال: أنكر من عرفت. قلت: زدني يرحمك الله. قال:

**وتوسمن أمورهم وتقصد**

**ابل الرجال إذا أردت إخاءهم**

**فبه اليبدين قرير عين فاشدد**

**وإذا ظفرت بذي الأمانة والتقى**

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب بنيه: إنه -والله- ما يخفى علي ما تعلمهم وتلقيه إليهم، فاحفظ عني ما أوصيك به: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وعلمهم الشعر يسمحوا ويمجدوا وينجدوا، وجنبهم شعر عروة بن الورد، فإنه يحمل على البخل، وأطعمهم اللحم يقووا

ويشجعوا، وجز شعورهم تغلظ رقابهم، وجالس بهم أشرف الناس وأهل العلم منهم، فإنهم أحسن الناس أدباً وهدياً، ومرهم فليستا كوا، وليمصوا الماء مصاً، ولا يعبوه عباً، ووقرهم في العلانية، وأدبهم في السر، واضربهم على الكذب كما تضربهم على القرآن، فإن الكذب يدعو إلى الفجور، والفجور يدعو إلى النار، وجنبهم شتم أعراض الرجال، فإن الحر لا يجد من شتم عرضه عوضاً، وإذا ولوا أمراً فامنعهم من ضرب الأيثار؛ فإنه على صاحبه عار باق ووتر مطلوب، واحتشهم على صلة الرحم. واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب.

كان يقال: صن عقلك بالحلم، ودينك بالعلم، ومروءتك بالعفاف، وجمالك بترك الخيلاء، ووجهك بالإجمال في الطلب.

أوصى معروف الكرخي رجلاً فقال: توكل على الله حتى يكون أنسك وموضع شكوك، واجعل ذكر الموت جليسك، واعلم أن الفرغ من كل بلاء كتمانته، فإن الناس لن يعطوك ولن يمنعوك، ولن ينفعوك، ولن يضروك إلا بما شاء الله لك، وقضاه عليك.

أوصى بعض الأكاسرة رجلاً وجهه أميراً، فكان فيما قال: واعلم أنه ليس من العدو أحد مكالبة ولا أصدق مخالبة من مستنصر في ملة، أو غيران على حرمة، أو ممتعض من ذلة. ومن قضاياهم: احلح سربال الاتكال، وتنكب عشرات الاسترسال، وتدرع جلباب الاجتهاد، وتحرز من نكبات الانقياد.

ومما خرج من أشعار الحكماء مخرج الوصايا الموجزة، ما أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير الكاتب - رحمه الله - لنفسه:

ودع عنك مشتبهات السبل

فأكثرهم راصد للزلل

لعمرك يردي الشجاع البطل

بالسنة وقعها كالأسل

مريدك بالضر حيناً عقل

فمن جار أكثر ممن عدل

تخير سبيل الهدى جاهداً

وأصبح من الناس مستوفزاً

وأجبن من قد ترى منهم

وتصمي المقاتل أقوالهم

ولا تحسبن إن تكن عاقلاً

ومن حكم الناس في عرضه

وقال أبو العتاهية:

فالمرء يدرك في سكونه

في الناس محمداً بليته

كن في أمورك ساكناً

وألن جناحك تعتقد

واعمد إلى صدق الحدي  
والصمت أجمل بالفتى  
لا خير في حشو الكلام  
رب امرئ متيقن  
فأزاله عن رأيه  
وقال أبو العتاهية أيضاً:

خفف على إخوانك المؤمنا  
لا تغترر بدنو ذي لطف  
واعلم جزاك الله صالحاً  
أولا فلست إذا لهم سكنا  
يوماً إليك وإن دنا ودنا  
أن ابن آدم لم يزل أذنا

مستسرفاً شرس الطباع له  
وقال أيضاً:

اكره لغيرك ما لنفسك تكره  
وكل السفية إلى السفاهة وانتصف  
ودع الفكاهة بالمزاح فإنها  
وقال محمود الوراق:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا  
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا  
وقال آخر:

تصاون عن الأنذال ما عشت واكتسب  
وما للفتى بر كمثل عفافه  
إذا النفس لم تقنع يكسب مليكها  
ولأبي العتاهية في ابن السماك الواعظ:  
يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً  
لنفسك كسباً من خلال تصونها  
إذا نفسه اختارت لها ما يزينها  
على ما أتى منه، فما تم دينها  
إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها



للناس بادية ما إن يواريتها  
في كل نفسٍ عماها عن مساويتها  
منهم، ولا تبصر العيب الذي فيها

منالاً من الدنيا ينال به حمدا  
وحسن فعال حيث أحضر أو أبدى  
ويورث في الدارين صاحبه مجدا

واعتقب الحزن والندامة  
وكان في حيز السلامة

من لم يصن نفسه يهنأها  
فاليأس منها غناك عنها

واتق الله لعلك  
للمنايا فكأناك  
واقعاً دونك أو بك

وأخا الدهر إن غدر  
ت على غاية الحذر

ولا تأس لما فاتك  
أما تذكر أمواتك

كالملبس الثوب من عريٍ وعورته  
وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه  
عرفانها بعيوب الناس تبصرها  
وقال أمية بن أبي الصلت:

خصال إذا لم يحوها المرء لم ينل  
يكون له جاه وعز وثروة  
وتقوى فإن الفوز يدرك بالتقى

وقال آخر:

من طالب الناس طالبوه  
من سالم الناس سالموه  
وقال منصور الفقيه:

نفسك رأس الغني فصنها  
إن صعبت حالة فدعها

وقال محمود الوراق:

كن مع الله يكن لك  
لا تكن إلا معداً  
إن للموت لسهماً

وقال منصور الفقيه:

يا أخا الدهر إن وفي  
كن من الدهر كيف شي

وقال آخر:

تغنم كل ما ياتك  
ولا نغتر بالدنيا

وقال آخر:

اسعد بمالك في الحياة فإنما  
فإذا تركت لمفسدٍ لم يبقه  
فإن استطعت فكن لنفسك وارثاً  
وقال منصور الفقيه:

يبقى خلافاك مصلح أو مفسد  
وأخو الصلاح قليله يتزايد  
إن المورث نفسه لمسدد

تخل عن القبيح ولا ترده  
ستكفي من عدوك كل كيدٍ  
وقال آخر:

ومن أوليته حسناً فزده  
إذا كاد العدو ولم تكده

أحسن الظن بمن قد عودك  
إن رباً كان يكفيك الذي  
وقال محمود الوراق:

حسناً أمس وسوى أودك  
كان بالأمس سيكفيك غدك

قدم لنفسك توبةً مرجوةً  
بادر بها علق النفوس فإنها  
وقال منصور الفقيه:

قبل الممات وقبل حبس الألسن  
ذخر وغنم للمنيب المحسن

لا تلتفين خليطاً

لفاسقٍ أو كفورٍ  
على الفتى المستور

فالقرب من ذين عار

وقال محمود الوراق:

لا تسألن المرء عما عنده

واستمل ما في قلبه من قلبكا  
أو كان حياً فاز منك بحبكا

إن كان بغضاً كان عندك مثله

وقال منصور الفقيه:

اسمع فهذا كلام

ما فيه والله عله

أقل من كل شيءٍ

من لا يرى الناس قلبه

وقال آخر:

اغتنم في الفراغ فضل ركوعٍ

فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقمٍ

ذهبت نفسه العزيزة فلتته

وقال محمود الوراق:

قل لهرون إن حلل

ت به قول ذي مقه

أطبق الموت والنفو

س على اللهو مطبقه

كيف يلهو من ليس من

عشر يوم على ثقه

وقال منصور الفقيه:

خذ من زمانك ما صفا

ودع الذي فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا

تبه الزمان على الغير

وقال محمود الوراق:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله

ويعددهم داء الفساد إذا فسد

ويشرف في الدنيا بفضل صلاحه

ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

وقال منصور الفقيه:

لا تعرضن عن النصي

ح للؤمه يا ابن الكريمة

فالنصح أولى ما قبل

ت وإن أتاك به بهيمه

وقال محمود الوراق:

إن القلوب على القلوب شواهد

فبغيضها لك بين وحببها

وإذا تلاحظت العيون تفاوضت

وتحادتت عما تجن قلوبها

ينطقن والأفواه صامتة فما

يخفي عليك صحيحها ومريبها

وقال منصور الفقيه:

هبك نلت المنى وفوق الأمانى

وتجاوزت حالة الإنسان

هل ترى ذلك باقياً لك والده

ر سريع الهجوم بالحدثان

وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته

من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

إن العدو وإن أبدي مسالمة

إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

وقال آخر:

ولا تك للأحداث خدناً محادثاً

جالس كهول الناس واحفظ حديثهم

وقال سهل الوراق، وتنسب إلى الشافعي رحمه الله ولا تصح له:

إذا المرء جاء بها يستراب

إذا لم تكن تاركاً زينةً

وتهوي إليك السهام الصياب

تقع في مواقع تردي بها

فإن زمانك هذا عذاب

تبين زمانك ذا واقتصد

يعاتب حين يحق العتاب

وأقل عتاباً فما فيه من

أراذل عنهم تجل الكلاب

مضى الناس طرا وبادوا سوى

وتسليم من رق منهم سباب

يلاقبك بالبشر دهماؤهم

صيان له عنهم واجتناب

فأحسن وما الحر مستحسن

وإلا فذاك البلاء العجاب

فإن يغنه الله عنهم يفر

ولم تدر فيما الخطا والصواب

إذا حار أمرك في معنيين

يقود النفوس إلى ما يعاب

فدع ما هويت فإن الهوى

وقال آخر:

موارده ضاقت عليك المصادر

وإياك والأمر الذي إن توسعت

وليس له من سائر الناس عاذر

فما حسن أن يعذر المرء نفسه

وقال آخر:

فرب العباد رحيم رعوف

فلا تقنطن من عظيم الذنوب

فإن الطريق مخوف مخوف

ولا تمضين على غير زادٍ

وقال عدي بن زيد:

وقام بناء الشر للشر فاقعد

إذا ما رأيت الشر يبعث أهله

وقال يزيد بن الحكم:

ربها لذي اللب الحكيم

يا بدر والأمثال يض

ما خير ود لا يدوم

دم للخليل بوده

والحق يعرفه الكريم

واعرف لجارك حقه

مأ سوف يحمد أو يلوم  
مود البناية أو ذميم  
بالعلم ينتفع العليم  
مما يهاج به العظيم  
ضاه وقد يلوي العزيم  
والظلم مرتعه وخيم  
ب أخاً ويقطعك الحميم  
ويهان للعدم العديم  
ويكثر الحمق الأثيم  
هذا فأيهما المضيم  
ن وريبها غرض رجم  
همدوا كما همد الهشيم  
بؤس يدوم ولا نعيم

ه العرس أو منها يثيم  
كله أم الولد اليتيم  
ب على تلاتلها العزوم  
ولدى الحقيقة لا يخيم  
يسطيعها المرح السؤوم

ولا تشركن سواه معه  
لراج ولا خائف منفعه

واعلم بأن الضيف يو  
والناس مبتتيان مح  
واعلم بني فإنه  
أن الأمور دقيقتها  
والتبل مثل الدين تق  
والبغي يصرع أهله  
ولقد يكون لك الغري  
والمرء يكرم للغنى  
قد يقتتر الحول التقى  
يملي لذاك ويبتلي  
ما بخل من هو للمنو  
ويرى القرون أمامه  
وستخرب الدنيا فلا

كل امرئ ستنيم من  
ما علم ذي ولد أيث  
والحرب صاحبها الصلي  
من لا يمل ضراسها  
واعلم بأن الحرب لا

وقال منصور الفقيه:

توكل على الله فيما اعتراك  
فما في سواه تعالى اسمه

## باب نمع من الدعاء

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: علمني ما ينفعني. فقال: "عليك بالدعاء فإنك لا تدري متى يستجاب لك، وأكثر من ذكر الموت يشغلك عما سواه".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الدعاء هو العبادة، ثم تلا: "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي...". الآية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع، وعلم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، أعوذ بك من شر هؤلاء الأربع".

ومن دعائه عليه السلام: "اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة، والقلة والذلة، ومن موقف الخزي في الدنيا والآخرة".

ومن دعائه عليه السلام: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعافية والغنى، وأعوذ بك من درك الشقاء، ومن جهد البلاء، ومن سوء القضاء، ومن شماتة الأعداء".

ودعاؤه صلى الله عليه وسلم كثير قد جمعه جماعة من العلماء.

دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة، والقلة والذلة، ومن مواقف الخزي في الدنيا والآخرة، قال: بينا أنا أصلى إذ سمعت متكلمًا يقول: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، ويبدك الخير وكله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، أهل الحمد أنت، لا إله إلا أنت، إنك على كل شيء قدير. اللهم اغفر لي جميع ما سلف من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وأعني على عمل ترضى به عني. قال: فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ملك أتاك يعلمك تحميد ربك".

كان رجل مظلوم في سجن الحجاج مغمومًا، فأتاه آت، فقال له: ادع الله. قال: وبم أَدعُو؟ قال: يا من لا يعلم كيف هو إلا هو، ولا يعلم قدرته إلا هو، فرج عني ما أنا فيه. فقالها فأطلق الله سبيله.

ومن الدعاء الحسن المرجوة إجابته: يا من لا يشغله شيء عن سماع الدعاء، يا فعال لما يشاء، يا من لا يغالطه السائلون، ولا يبرمه الملحون، اغفر لي وارحمني، يا من لا يغفر الذنوب غيره.

ومثله: يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا تغيبه الظلمات، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا عظيم الشأن، يا واضح البرهان، يا شديد السلطان، يا من هو كل يوم في شأن، اغفر لي ذنوبي. وادع بهذا الدعاء فيما شئت: من دين أو دنيا، يستجب لك إن شاء الله تعالى.

ومثله من الدعاء: يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا قريب الرحمة، يا ذا الجلال والإكرام، هب لي العافية في الدنيا والآخرة.

ومن الدعاء الحسن: اللهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما قد تكفلت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك.

قال أعرابي في دعائه: تظاهرت يا رب على منك النعم، وتكاثفت مني عندك الذنوب، فأحمدك على النعم التي لا يحصيها أحد غيرك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها إلا عفوك.

قال سفيان، قال مسعر: كنا إذا لقينا طلق بن حبيب، لا نكاد نفترق حتى يقول: اللهم أبرم للمسلمين أمراً رشداً، يعز فيه وليك، ويذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، ويتناهى فيه عن سخطك. ومن دعاء بعض الأعراب: اللهم إني أعوذ بك من شهادة الزور، وركوب الفجور، وعذاب القبور، ومنكر ونكير.

كان من دعاء شريح: اللهم إني أسألك الجنة بلا عملٍ عملته، وأعوذ بك من النار بلا ذنب ركبته. سأل أعرابي رجلاً فأعطاه، فقال: جعل الله المعروف عليك دليلاً، والخير شاهداً، ولا جعل حظ السائل منك عذراً صادقاً.

من دعاء معروف الكرخي: اللهم اجعلنا ممن يؤمن بقلائك، ويرضى بقضائك، ويقنع بعطاياك، ويخشاك حق خشيتك.

كان عمر بن هبيرة أمير العراق يدعو فيقول: اللهم إني أعوذ بك من صديق يطري، وجليس يغدي، وعدو يسري.

دعا أعرابي لرجل فقال: جنبك الله الأمرين، وكفاك شر الأجوفين.

الأمران: الجوع والعري، والأجوفان: الفم والفرج.

دعا أعرابي فقال: اللهم أمسك قلبي عن كل شيء لا أتزود به إليك ولا أنتفع به يوم ألقاك.

دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من الذل إلا لك، ومن الفقر إلا إليك.

دعا أعرابي فقال: اللهم اجعل رزقي رغداً، ولا تشمت بي أحداً.

دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من السلطان والشيطان والإنسان.

دعا علي بن أبي طالب يوماً فقال: يا خير من رفعت إليه الأيدي، وسمت إليه الأبصار، وتحاكم إليه العباد، نشكو إليك فقد نبينا، واختلافنا بيننا.

وقف شيخ أعرابي عند باب الكعبة، فقال: يا رب! سائلك عند بابك، مضت أيامه، وبقيت آثامه،

وانقطعت شهوته، وبقيت تبعته، فارض عنه يا رب، وإن لم ترض عنه فاعف عنه، فقد يعفو السيد عن عبده وهو عنه غير راضٍ، اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، اللهم هب لي حقلك، وأرض عني حقلك.

وقف محمد بن سليمان عند قبر أبيه، فقال: اللهم إني أرجوك له، وأخافك عليه، فحقق رجائي له، وآمن

خوفي عليه.

قال سعيد بن المسيب لصلة بن أشيم: ادع الله لي. فقال: رغبتك الله فيما ييقى، وزهدك فيما يفنى،  
ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.  
وقف أعرابي بالموسم فقال: اللهم إن لك حقوقاً فتصدق بما علي، وللناس عندي تبعات فتحملها عني،  
وقد أوجبت لكل ضيفٍ قرى، وأنا ضيفك، فاجعل قراري في هذه الليلة الجنة.  
قال الأصمعي: سمعت أعرابية تقول في دعائها: يا من ليس له رب يدعى، ويا من ليس فوقه خالق يخشى،  
ويا من ليس دونه إله ييقى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ويا من ليس له صاحب يرشي، ولا بواب ينادي،  
ويا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا كرمًا وجوداً، وعلى كثرة الذنوب إلا رحمةً وعفوًا.  
قال العتيبي: سمعت أعرابياً وهو يدعو في الصلاة ويقول: اللهم ارزقني عمل الخائفين، وخوف العاملين،  
وحتى أنعم بترك النعيم طمعاً فيما وعدت، وخوفاً مما أوعدت.  
هنأ رجل رجلاً بولاية فقال: إن النعم ثلاث، فنعمة هي في حال كونها، ونعمة ترجى مستقبلة، ونعمة  
تأتي غير محتسبة، فأبقى الله لك ما أنت فيه، وحقق طمعك فيما ترجوه، وتفضل عليك بما لم تحتسبه.  
ويروى عن الأحنف، أنه كتب بذلك إلى صديق له.  
دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك من حلول النقم، وزوال النعم، وتحول العافية، اللهم هب لي بنين  
أتقوى بهم على عشيرتي، ومالاً أرغم به حسادي، واجعلني ملياً من العقل والدين، يا أرحم الراحمين.  
أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام: هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع،  
ومن عينك الدموع، وادعني فأني قريب مجيب.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة مخلصون، فإن الله لا يقبل دعاءً من  
قلبٍ لاه".  
كان يقال: إنما يستجاب لمخلص أو مظلوم.  
ولامرئ القيس بن عانس الكندي:

### والبر خير حقيبة الرجل

### الله أنحج ما طلبت به

ذكر الحميدي، عن سفيان، قال: سمعت أعرابياً يقول عند مقام إبراهيم عليه السلام: اللهم لا تحرمني خير  
ما عندك لشر ما عندي، اللهم إن كنت لا تقبل تعبي ولا نصبي، فأعطني أجر المصاب على مصيبيته. اللهم  
إن لك عندي حقوقاً فلتهبها لي، وللناس على تبعات، فأسألك أن تحملها لهم، وقد أوجبت لكل ضيف  
قري، وأنا ضيفك، فاجعل قراري في هذه العشية الجنة.



قال سفيان بن عيينة: وسمعت أعرابياً يقول في الموقف: اللهم إن ذنوبي لن تضرك، ورحمتك إياي لن تنقصك، فلا تمنعني مالا ينقصك، واغفر لي مالا يضرك.  
قال: وسمعت إعرابياً في الموقف جاثياً على ركبتيه يقول: يا رب! عجت إليك الأصوات بأنواع اللغات لطلب الحاجات، وحاجتي أن تذكرني بعد طول البلاء إذ نسيني أهل الأرض.  
قال بعض أهل العلم: بينا أنا أمشي بين منى وعرفات ليلاً، إذ أنا بأعرابي قد أقبل على قعود له، رافعاً صوته، يقول:

يا ذا المعارج أنت الله أسأله  
وأنت يا رب مدعو ومسؤول  
أدعوك في ليلة حرم وفي حرم  
وكل داعٍ بحلو النوم مشغول  
تعطي إذا شئت من يسألك من سعة  
والخير منك لمن ناداك مبذول  
فاجمع بعفوك شمالاً أنت جامع  
إن شئت ذاك وما حاولت مفعول

قيل لعلي: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. قيل: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس. من قال غير هذا فقد كذب.  
سألت هند بنت النعمان سعيد بن العاص حاجةً فقضاها، فدعت له فقالت: لا أزال الله عنك نعمةً، ولا أحوجك إلى لثام الناس عند حاجة، وإذا زالت عن كريمٍ نعمة يجعلك الله سبباً لردها عليه.  
ودعا رجل لرجل فقال: لا جعلك الله آخراً تتكل على أول.  
كان يقال: أربعة لا ترد لهم دعوة: الصائم حتى يفطر، والذاكر حتى يفتر، والإمام العدل، ودعوة المظلوم.  
دعاء لي: اللهم اجعلني أكثراً لذكرك، مؤدياً لحقك، حافظاً لأمرك، راجياً لوعدك، راضياً في كل حالاتي عنك، راغباً في كل أموري إليك، مؤملاً لفضلك، شاكراً لنعمك، يا من تحب العفو والإحسان وتأمراً بهما، اعف عني وأحسن إلي، فإنك بالذي أنت له أهل من عفوك، أحق مني بالذي أنا له أهل من عقوبتك، اللهم ثبت رجاءك في قلبي، واقطعه عن سواك حتى لا أرجو غيرك، ولا أستعين إلا إياك.  
ودعاء لي أيضاً: اللهم هب لي اليقين والعافية، وإخلاص التوكل عليك، والاستغناء عن خلقك، واجعل خير عملي ما قارب أجلي، رب! ظلمت نفسي فاغفر لي يا خير الغافرين، ويا أرحم الراحمين.  
قال بعض الأعراب، في وصف دعوة:

وسارية لم تسر في الليل تبتغي  
محلاً ولم يقطع بها البيد قاطع  
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنتخ  
لوردٍ ولم يقصر لها القيد مانع

بأرواقه فيه سمير وهاجع  
إذا قرع الأبواب منهن قارع  
على أهلها والله راءٍ وسامع  
أرى بجميل الظن ما الله صانع

تحل وراء الليل والليل ساقط  
تفتح أبواب السماوات دونها  
إذا أوفدت لم يردد الله وفدها  
وإني لأرجو الله حتى كأنما

أمر المنصور أبو جعفر بأشخاص سوار بن عبد الله القاضي إليه من البصرة بعد قتل إبراهيم ابن عبد الله بن حسن، فلما قدم عليه قال له: يا سوار! ضربني أهل البصرة بمائة ألف سيف من غير جناية، لأفعلن بهم ولأفعلن. فقال له سوار: يا أمير المؤمنين! إن لأهل البصرة سلاحاً لا تطيقه. قال: أسلحهم تخوفي لا أم لك يا أمير المؤمنين: إنه دعاء بالأسحار.

ووقف أعرابي على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أوصيتنا فقبلنا منك، وحفظنا عنك مما وعيت عن ربك: "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً"، وقد ظلمنا أنفسنا فاستغفر الله لذنوبنا، وقد أتيناك فاستغفر لنا. ثم بكى.

ومما جاء من الدعاء منظوماً عن الحكماء، قال محمود الوراق:

بالحفظ حتى أطيعك  
فقد حمدت صنيعك  
أحب فيك مطيعك

يا رب كن لي ولياً  
فإن ذممت صنيعي  
أو كنت أعصيك إني

قال منصور الفقيه:

يتولى أمورنا  
ووقاهم شرورنا

أصلح الله كل من  
ووقانا شرورهم

وقال آخر:

على فما ينفك أن يتفرجا  
أصاب لها في دعوة الله مخرجا

وإني لأدعو الله والأمر ضيق  
ورب فتى سدت عليه وجوهه

وقال آخر:

ج إذا تضايقت المذاهب

بالله تنتسج الفجا

وقال آخر:

أيا من لا يخيب لديه راج  
ويا ثقني على ظلمي وجرمي  
أقلني عثرتي وتلاف أمري  
فما لي غير إقرارى بذنبي  
ولم يبرمه إلحاح المناجي  
وايثاري التماذي في اللجاج  
وهب لي منك عفواً واقض حاجي  
لنفسي دون عذرٍ واحتجاج

قال صحار بن عابد، رأيت حسن البصري بطريق مكة، وهو يحدو:

يا فالق الإصباح أنت ربي  
وأنت مولاي وأنت حسبي  
فأصلحن باليقين قلبي  
ونجني من كرب يوم الكرب

كان يقال: عليكم بالدعاء في أوقات الصلوات، فإنها اختيرت في أفضل الأوقات.  
ولمنصور الفقيه أو الشافعي:

يا سميع الدعاء كن عند ظني  
وأعني على رضاك وخر لي  
واكفني من كفيته الشر مني  
في أموري، وعافني واعف عني

### باب ذكر الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر".

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته احبني الله وأحبني الناس. قال: "أزهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: "يا عبد الله! كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع إليه".  
وقال عليه السلام: "مثل الدنيا كركبٍ رفعت لهم شجرة في يوم صائف، فقالوا تحتها ساعةً من نهار ثم راحوا".

وقال عليه السلام: "إن الدنيا حلوة حلوة، وإن الله مستخفلكم فيها، فانظروا كيف تعملون، ألا فاتقوا الهوى، واتقوا النساء".

ذكر الميرد أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه سئل عن الدنيا والآخرة، فقال: هما كالمشرق والمغرب، بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد عن الآخر.

وروى عبد خبير عن علي رضى الله عنه قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، وإن أحسنت حمدت الله عز وجل، وإن أسأت استغفرت، ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبته، ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع تقوى الله وكيف يقل ما يتقبل.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الدنيا حلوة حلوة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ومن أخذها بغير حقها كان كالذي يأكل ولا يشبع، ورب منحوضٍ من مال الله ورسوله له النار يوم القيامة". وروى عنه عليه السلام أنه قال: "حب الدنيا رأس كل خطيئة". وروى أن ذلك من كلام المسيح عليه السلام.

قال الأصمعي: ذكر لنا أن أنوشروان لما ضرب عنق بزرجمهر، وجد في منطقتة كتاباً لطيفاً فيه ثلاث كلمات: إن كان القدر حقاً فالحرص باطل، وإن كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز، وإن كان الموت لكل أحد راصداً، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق.

ووعظ أعرابي ابنه، فقال: يا بني! إن الدنيا تسعى على من يسعى لها، فالهرب قبل العطب. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الدنيا؛ فنعمة مطية المؤمن يبلغ عليها الخير، وبها ينجو من الشر".

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومساجد أنبيائه، ومتاجر أوليائه، رجوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها، وقد أذنت بينها، ونادت بفراقها، فيا أيها الدام لها، بم خدعتك الدنيا؟ أم بماذا استدمت إليك؟ أمصارع أمهاتك في الثرى؟ أم بمضاجع آباءك للبللى، لقد تطلب علينا الشفاء، واستوصف الأطباء حين لا يغني عنه دواؤه، ولا ينفعه بكاؤه.

قيل لنوح عليه السلام - حين حضرته الوفاة -: يا نبي الله! لقد بلغت من العمر ما بلغت، فصفت لنا الدنيا. فقال: ما وجدت الدنيا مع طول عمري فيها إلا كبيتٍ له بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

قال المسيح عليه السلام: حلوا الدنيا مر الآخرة، ومر الدنيا حلوا الآخرة، ومن حزن على دنياه سخط على

الله.

وعن المسيح عليه السلام أنه قال: الدنيا لإبليس مزرعة، وأهلها لها حراث. كان يقال: مثل صاحب الدنيا كخائض الماء، هل يستطيع ألا تبتل قدماه. قال عمر بن الخطاب: يا معشر القراء! لا تلقوا كلكم على إخوانكم، ولا تدعوا دنياكم لآخرتكم، ولا آخرتكم لدنياكم، واستعينوا بهذه على هذه. قال علي بن أبي طالب: الدنيا دار ممر إلى دار قرار، والناس فيها رجالان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاعها فأعتقها. وعن علي رضي الله عنه، أنه قال: إن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، وقد يجمعهما الله لأقوام. وقد روى هذا الكلام مرفوعاً عن النبي عليه السلام. أكثر قوم من ذم الدنيا عند رابعة القيسية، فقال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره. وقال سفیان الثوري: من أحب الدنيا وسرته، نزع خوف الآخرة من قلبه. قال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصي إلا فيها، ولا ينال ما عند إلا بتركها. قال حذيفة بن اليمان: ليس خياركم الذين تركوا الدنيا للآخرة، ولا الذين تركوا الآخرة للدنيا، ولكن خياركم الذين أخذوا من هذه وهذه. قال الشاعر:

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه  
فما تعدل الدنيا جناح بعوضة  
فما رضى الدنيا ثواباً لمؤمن  
فمهما زوت عنه فليس بضائر  
لدى الله أو مقدار زغبة طائر  
ولا رضى الدنيا عقاباً لكافر  
قال أبو العتاهية:

ويا دنياي مالي لا أراني  
ومالي لا ألح عليك إلا  
أراك وإن طلبت بكل وجه  
وكالأمس الذي ولى مريراً  
وهذا الخلق منك على مسير  
وموعد كل ذي سعي وفعل  
أسومك منزلاً إلا نبا بي  
نصبت الهم لي من كل باب  
كحلم النوم أو ظل السحاب  
وكالحدثان أو لمع السراب  
وأرجلهم جميعاً في الركاب  
بما يبدو غداً يوم الحساب

قال ابن مسعود: الدنيا كلها غموم، فما كان منها سرور فهو ربح.  
وقال الشاعر:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره  
فسوف لعمري عن قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً  
وإن أقبلت كانت قليلاً نعيمها

وقال آخر:

إنما الدنيا وإن سر  
لبس يخلو أن تراءى  
ثم ترميك من المأ  
ت قليل من قليل  
لك في زي جميل  
من بالخطب الجليل

قال بعض الحكماء: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.  
قال الخليل بن أحمد: الدنيا أمد، والآخرة أمد.  
وصف الحسن البصري الدنيا، فقال: أما اليوم فعمل، وأما أمس فأجل، وأما غد فأمل.  
قال محمود الوراق:

تأذنت في الدنيا بك لطريقة  
وتأمل جنات الخلود لبئسما  
لئن كان حكم الله يخرج هكذا  
إذا قيل: من يقضي بهذا فقل له  
على أنها أيضاً حرام محرم  
تقدر، من يقضي بهذا ويحكم؟  
فإنك من يحيي على الله أكرم  
ومد له في الصوت: يحلم يحلم

وقال منصور الفقيه:

دنيا تروح بأهلها  
فغدوها لتجمع  
وقال آخر:

إنما الدنيا شتات  
واجعل الدنيا كيبوم  
واجعل الفطر إذا ما  
وقال آخر:

أنت في دار شتاتٍ  
فاغتم وقت حياتك

فيها ودعها لعدائك  
ه لأزواج بنائك  
ت عيون بوفائك  
بعدك تحبوه بذاتك  
فانتبه من غفلاتك

اترك الدنيا وما  
تجمع المال وتوعي  
أو لكناتٍ قريرا  
أو لبعل العرس من  
إنما الدنيا كحلم

وقال آخر:

وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب  
وما كنت فيها فهو شيء محبب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره  
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها

قال الخاسر: أشعر الجن والإنس أبو العتاهية في قوله:

ما بهذا يؤذن الزمن  
عن بلاها ناطق لسن  
لامرئٍ فيها ولا حزن  
كلنا بالموت مرتين  
حظها من مالها الكفن  
منه إلا ذكره الحسن

سكن يبقى له سكن  
نحن في دارٍ يخبرنا  
دار سوءٍ لم يدم فرح  
في سبيل الله أنفسنا  
كل نفسٍ عند ميبتها  
إن مال المرء ليس له

كان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يتمثل:

من الله في دار الحياة نصيب  
متاع قليل والزوال قريب

ولا خير في عيش امرئٍ لم يكن له  
فإن تعجب الدنيا أناساً فإنها

وقال الغزال:

بها من ليس ذا شجن  
بط الملفوف في الكفن

لقد فسدت فما تلقى  
وصار الحي منا يغ

وقال سابق البربري:

وقلبك فيها للسان مباين  
لها منك ود في فؤادك كامن

لسانك للدنيا عدو مشاحن  
وما ضرها ما قلت فيها وقد صفا

قال ابن الحنفية: من كرمت عليه نفسه، هانت عليه الدنيا.  
قال الشعبي: ما أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا كما قال كثير عزة:

أسئني بنا أو أحسن لا ملومةً  
للدنيا ولا مقليةً إن تقلت  
وقال أبو العتاهية:

أصبحت الدنيا لنا عبرةً  
قد أجمع الناس على ذمها  
والحمد لله على ذلكا  
وما أرى منهم لها تاركا  
وقال لسابق البربري:

جمعنا لها أكلاً وذماً بالسن  
أليس عجباً ذمها واحنلتها  
قال أبو الطيب:

تفاني الرجال على حبها  
ولا يحصلون على طائلٍ  
وقال أيضاً:

ومن لم يعشق الدنيا قديماً  
ولكن لا سبيل إلى الوصال  
وقال آخر:

يذمون دنياهم وهم يحلبونها  
ولم أر كالدنيا تدم وتحلب  
وقال سعيد بن حميد:

ولم أر كالدنيا تدم صروفها  
ونوسعها شتماً ونحن عبيدها  
وقال منصور الفقيه:

ضحكت دنياك يا إن  
مع تمنيك على ربك  
سان من نهيك عنها  
ما لم تؤت منها

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، في خطبة له: أيها الناس! إنما الدنيا أجل محترم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله من فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس! قد علمتم أن أباكم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيراً، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل.  
قال بعض الحكماء: إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر.  
قال محمود الوراق:



جداً، وما أفضح الدنيا لأهلها  
فعدزها لك بادٍ في مساويها  
إلا وقد بينته في معانيها  
ونستتيم إليها لا نعادها  
ولا العداوة إلا رغبةً فيها

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها  
لا ترجعن على الدنيا بلائمةٍ  
لم تبق في غيبها شيئاً لصاحبها  
تفني البنين وتفني الأهل دائبةً  
فما يزيدكم قتل الذي قتلت

قال أبو حفص عمر بن علي الفلاس: كتبت إلى صديق لي أشاوره في شيء من أمر الدنيا، فكتب إلى رقة فيها سطران، أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: اطلب الدنيا على قدر مكنك فيها، واطلب الآخرة على قدر حاجتك إليها.  
كان صالح المري يتمثل:

فمات المؤمل قبل الأمل  
فعاش الفسيل ومات الرجل

مؤمل دنيا لتبقى له  
وبات يروي أصول الفسيل

وقال آخر:

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع  
وجاد بدنياه لما يتوقع

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا  
فطوبى لعبدٍ أثر الله ربه

وقال آخر:

بمنزلة ما بعدها متحول  
وراضٍ بأمرٍ غيره سيبدل  
ومختلج من دون ما كان يأمل

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا  
فساخط أمرٍ لا يبدل غيره  
وبالغ أمرٍ كان يأمل غيره

وقال آخر:

كم إلى كم غررتني فدعيني  
دِوكم ذا الخداع ويك ذريني  
ويح نفسي عن رأيها المغبون  
كسلاً سعي عاجزٍ مأفون  
ش تقضى سنين بعد سنين  
لاح شيب بعارضي وقروني

ويح دنيا غرورها يضنيني  
كم تسوميني خداعاً عن الرش  
ألمي زائد وعمرى يفني  
همتي تعتلي السماء وسعيي  
ويح نفسي أما كفاها من العي  
ليت شعري وما انتظاري وقد

## ويا ابن ستين ما اعتذارك من بع

## د بلوغ الأشد والستين

قيل لراهب: كيف سخت نفسك بالخروج عن الدنيا؟ قال: أيقنت أني خارجها منها كارهاً، فأحببت أن أخرج منها طائعاً.

قال بزجمهر: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق، إما زادته وإما نقصته.

لما قدم سعد بن أي وقاص القادسية أميراً عليها من عند عمر بن الخطاب أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر في خدمتها ووصائفها، فلما وقفن بين يديه قال: أيكن حرقة بنت النعمان؟ قالت: هأنأذه، فما أردت بتكرارك الاستفهام، إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال، تنتقل بهم انتقال الظلال، وتعقبهم حالاً بعد حال، إنا كنا ملوك هذا المصر قبلك، يجي إلينا خراجة ويطيعنا أهله مدة من الدهر، فلما أدبر عنا الأمر صاح بنا صائح الأيام، فصدع شملنا، وشتت ملأنا، وكذلك الدهر يا سعد، فلا تغتر بحال الدنيا، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك. ثم سألته حوائجها فقضاها، فدعت: لا أزال الله عنك نعمة أتمها عليك.

كتب أبي بن كعب إلى أخ له: أما بعد، فإن الدنيا دار فناء، ومزل قطيعة، رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فغناها فقر، والعلم بها جهل.

كان يقال: الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحدهما أسخطت الأخرى.

كان يقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة، مثل عبد له ربان فلا يدري أيهما يطيع.

حج سليمان بن عبد الملك فلما أشرف في انصرفه على قديد، نظر من عسكره فأعجبه ما رأى من كثرتة، ومعه عمر بن عبد العزيز، فقال له: كيف ترى يا أبا حفص؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين دنيا تأكل بعضها، أنت المبتلي بها والمسؤول عنها.

وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: الدنيا دول، ليس إلى أحد دون الله إدالتها، فما كان منها لأحد أتاه على ضعفه، وما كان منها على أحد لم يدفعه بقوته.

قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيتين: شيئاً لي وشيئاً لغيري، فما كان لي منها لم ينله غيري، ولو رامه بحيلة السموات والأرض، فقيم العناء والغم والتعب.

ذكرت الدنيا لأبي حازم فقال أبو حازم: الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على مهارشة الكلاب.

قال أبو حازم: تكدرت الدنيا وتعدرت، ما تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاسقاً قد سبقك إليه.

كان سفيان الثوري يقول: الدنيا داء التواء لا دار استواء، ومترل ترح لا مترل فرح، من عرفها لم يفرح  
برحائها، ولم يحزن لشقائها.  
قال وهيب بن الورد: من أراد الدنيا فليتها للذل.  
سمع المسعودي رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون فيما عند الله. قال: اقلب المعنى وضع يدك  
على من شئت.  
كان سفيان الثوري يتمثل:

على أنهم فيها عراةٌ وجوع  
سحابة صيفٍ عن قليلٍ نقشع

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها  
أراها وإن كانت تحب فإنها

وقال أبو العتاهية:

وأمنتها عجباً وكيف أمنتها  
وشغلت نفسك بالهوى وقتنتها

يا ساكن الدنيا لقد أوطنتها  
وشغلت قلبك عن معادك بالمنى

وأشعار أبي العتاهية في ذم الدنيا كثيرة جداً، وقد جمعها شعراً على حروف العجم مما قاله في المواعظ  
والحكم.  
وقال آخر:

والدهر لا تتقضي عجائبه  
بالت على رأسه ثعالبه

ما أعجب الدهر في تصرفه  
كم رأينا للدهر من أسدٍ

قال محمد بن عبد الملك الزيات:

كأنه ما تريك العين في النوم  
دنيا تنقل من قومٍ إلى قوم  
تحوم حولك حوماً أيما حوم

هي السبيل فمن يومٍ إلى يومٍ  
لا تعجلن رويداً إنها دول  
إن المنايا وإن أصبحت في شغلٍ

وقال آخر:

ولا تأس لما فاتك  
أما تذكر أمواتك

تقنع بالذي فاتك  
ولا تغتر بالدنيا

قال بعض الحكماء: استودقت الدنيا فأنعظ الناس.  
لأيوب بن حول الشاري:

فلم أر كالدنيا بها اغتر أهلها  
وقال محمود الوراق:

ولا كاليقين استوحش الدهر صاحبه

أيها الشيخ كم تروم وتبني

ليس منك الدنيا ولا أنت منها

لا تروميها؛ فأنت وإن كن

ت مقيماً بها كمن زال عنها

قيل لعامر بن عبد قيس: لقد رضيت من الدنيا باليسير. قال: أخبرك بمن رضى بدون ما رضيت. قيل: من؟ قال: من رضى بالدنيا حظاً عن الآخرة.

قال المأمون: لو سئلت الدنيا عن نفسها ما زادت في وصفها عن وصف أبي نواس حيث يقول:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت

له عن عدو في ثياب صديق

قلت: وأظنه أخذه من قول أبو العتاهية:

ولم أر كالدنيا وكشفي لأهلها

فما انكشفوا لي عن صفاء وعن صدق

وأول هذا:

طلبت أخواً في الله في الغرب والشرق

فأعوزني هذا على كثرة الخلق

وقلت أنا: ولأبي نواس في صفة الدنيا بيت غاية أيضاً وهو قوله:

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض

على الماء خائته فروج الأصابع

قال عمر بن الخطاب: والله ما الدنيا في الآخرة إلا كنفخة أرنب، وتمثل:

لا شيء فيما ترى إلا بشاشته

يبقى الإله ويفنى الأهل والولد

وقال آخر:

وإن امرءاً دنياه أكثر همه

لمستمسك منها بحبل غرور

وقال أبو العتاهية:

يا من ترفع بالدنيا وزينتها

ليس الترفع رفع الطين بالطين

إذا أردت شريف الناس كلهم

فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي شرفت في الناس همته

وذاك يصلح للدنيا وللدين

وقال أبو العتاهية:

كفاك عن الدنيا الدنية مخبراً

غنى باخليها وافتقار كرامها

وأن رجال النفع تحت مداسها

وأن رجال الضر فوق سنامها

وقال آخر:

الفقر في زمن اللئام

م لكل ذي كرمٍ علامه

قال نبطويه: يروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال، قرصاً أو تمثلاً:

ولا خير في عيشٍ إذا لم يكن له

من الله في يوم الحساب نصيب

قال الفتح بن شخرف:

كم يكون الشتاء ثم المصيف

وربيع يمضي ويأتي خريف

وانتقال من الحرور إلى الظ

ل وسيف الردى عليك منيف

يا قليل البقاء في هذه الدا

ر إلى كم يغرك التسويف

قال أبو العتاهية:

إن الشقي لمن غرته دنياه

وقال محمد بن عبد الملك الزيات:

سل ديار الحي من غيرها

وعفاها وعفى منظرها

وكذا الدنيا إذا ما انقلبت

جعلت معروفها منكرها

إنما الدنيا كظل زائل

أحمد الله كذا قدرها

وقال محمود الوراق:

كفلت لطالب الدنيا بهم

طويل لا يؤول إلى انقطاع

وذلاً في الحياة بغير عز

وفقر لا يدل على اتساع

وشغل ليس يعقبه فراغ

وسعي دائم مع كل ساعي

وحرص لا يزال عليه عبدا

وعبد الحرص ليس بذئ ارتفاع

قال الحسن البصري، لست أعجب ممن هلك كيف هلك، إنما أعجب ممن نجا كيف ونجا، شيطان مرید يجرس منه السماء، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا مزينة.

قال عبد الله بن الأرقم لعمر بن الخطاب: قد اجتمع عندي في بيت المال حلي كثير ومناطق من أموال فارس أفلا تقسمه؟ قال: بلى، فأتني به، فنقلته إليه في القفاف، فلما نظر إليه رأى شيئاً عجباً، فقال: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نحب ما حبيت إلينا، ثم تلا هذه الآية: "زين للناس حب الشهوات من النساء".

الآية. ثم قال: اللهم قني شره، وارزقني أن أنفقه في حقه.  
قال يحيى بن خالد بن برمك: دخلنا في الدنيا دخولاً أخرجنا عنها.  
قال منصور الفقيه:

قد صرف البواب والحاجب  
وأصبح الصاحب من بينهم  
واعتاضت الناهد من بعده  
وجد في تفريق ما لم يزل  
فكن من الدنيا على أهبة  
فإنها أم لأبنائها

وقهرمان الدار والكاتب  
بحيث لا جار ولا صاحب  
إلغاً سواه وكذا الكاعب  
يجمعه وارثه اللاعب  
يا زاهداً فيها ويا راغب  
منها عدو قاتل سالب

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي:

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة  
على كل حال أقبلت أو تولت

قال رجل لداود الطائي: عطني. فقال له: أرض من الدنيا إذا سلم لك دينك بما رضى به أهل الدنيا من  
الآخرة حين سلمت لهم دنياهم، وأنشد في ذلك شعراً، ذكر أن سليمان الأعمش تمثل به:

أرى رجالاً بدون الدين قد قنعوا  
ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اس  
تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

لابن أبي عيينة، أو لمحمد بن يسير:

ما راح يوم على حيٍّ ولا ابتكرا  
ولا أتت ساعة في الدهر وانصرفت

والإراى عبرةً فيه إن اعتبارا  
حتى تؤثر في قوم لها أثرا

وأن الليالي والأيام أنفستها  
عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

قال بكر بن حماد:

الناس حرصي على الدنيا وقد فسدت  
فمن مكب عليها لا تساعده

فصفوها لك ممزوج بتكدير  
وعاجز نال ديباه بتقصير

لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمت  
لو كان عن قوةٍ أو عن مغالبة

وإنما أدركوها بالمقادير  
طار البزاة بأرزاق العصافير

ويقال: إنها مكتوبة على قائم سيف الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

## باب الزهد والقناعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قل وكفي، خير مما كثر وأهني".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القناعة مال لا ينفد، وما عال من اقتصد".  
وقال عليه السلام: "خير الرزق ما يكفي، وأفضل الذكر الخفي".  
وقال عليه السلام: "إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم".  
قال أبو هريرة، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقنع بما رزقت تكن أغنى الناس".  
قال علي بن أبي طالب: الزاهدون في الدنيا قوم وعظوا فاتعظوا، وأيقنوا فعملوا، إن نالهم يسر شكروا، وإن نالهم عسر صبروا.  
وفي الخبر المرفوع: "عز المؤمن استغناؤه بربه عن الناس".  
قال سعيد بن المسيب: من استغنى بالله افتقر الناس إليه.  
قال الحطيئة:

### استغن عن كل ذي قربي وذي رحم إن الغنى من استغنى عن الناس

قال أوس بن حارثة لابنه: يا بني! خير الغنى القناعة، وشر الفقر الخضوع.  
قال الحسن وعكرمة في قول الله عز وجل: "فلنحيينه حياة طيبة"، قالوا: القناعة.  
أبلغ شيء جاء في القناعة، قول علي رضى الله عنه: لا تحمل قوت غدك الذي لم يأت، على يومك الذي قد أتى، فإنه إن يكن من أيام حياتك جاءك وفيه رزقك، وأعلم أنك لم تدخر أكثر من قوت يومك إلا كنت فيه خازناً لغيرك.  
قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحوارين! بحق ما أقول لكم: ما زهد في الدنيا من جزع على المصيبة فيها.

وقيل له: يا روح الله! لو اتخذت حماراً تركبه؟ قال: أنا أعز على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به.  
قال أكثم بن صيفي: من لم يأس على ما فاته أراح نفسه.  
سئل ابن شهاب عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد ألا يغلب الحرام صبرك، ولا الحلال شكرك.  
قال مالك بن أنس، وسفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل.

قال بعض الحكماء: إذا كان سعيك إنما هو لطلب الراحة في الدنيا، ثم سعيت لأكثر مما يكفيك لم تزد من الراحة والدعة إلا بعداً.

قال سفيان أو إبراهيم بن أدهم: الزهد زهدان؛ فزهد فرض، وزهد فضل. فالزهد في الحرام فرض، و الزهد في الحلال فضل. والورع ورعان، فالورع عن المعاصي فرض، والورع عن الشبهات حذر وفضل. سئل الخليل بن أحمد عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد ألا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود. قال إبراهيم بن أدهم: إذا بات الملوك على اختيارهم لأنفسهم، فبت على اختيار الله لك وارض به. أصيب مكتوباً على صخرة: لست مدركاً أملك، ولا فائتاً أجلك، ولا آخذاً ما ليس لك. وفي موضع آخر: القضاء غالب، والأجل طالب، والمقدور كائن، والهـم فضل. قال بعض الحكماء: القفاعة. ثوب لا يبلى، وهي شعار الأنبياء. ولاين المبارك:

كم من وضيع به قد ارتفعا

الله در القنوع من خلق

ومن تأسى بدونه اتسعا

يضيق صدر الفتى بحاجته

قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني! أظهروا الزهد والنسك، فإن رأى الناس أحدكم بخيلاً قالوا: مقتصد لا يجب الإسراف، وإن رأوه عيباً قالوا: يكره الكلام فيما لا يعنيه، ويؤثر الصمت خير من مقال يرديه، وإن رأوه جباناً قالوا: لا يقدم على الشبهات. قال العتي، كان يقال: من عدم القناعة، لم تزده الثروة إلا عناءً. قال أبو العتاهية:

يكفيك منها مثل زاد الراكب

تبغي من الدنيا الكثير وإنما

قد زال عنك زوال أمس الذاهب

لا تعجب بما ترى فكأنه

قال منصور الفقيه:

يا من الناس ذليل

كل من في هذه الدن

يرضه منها القليل

وأذل الناس من لم

وقال آخر:

تزداد أضعافاً على كفره

كم كافر بالله أمواله

يزداد إيماناً على فقره

ومؤمن ليس له درهم



لا خير فيمن لم يكن عاقلاً

وقال منصور الفقيه:

منافسة الفتى فيما يزول

ومختار القليل أقل منه

وله أيضاً:

إذا قال لي قائل كيف أن

لأشياء منها الرضى بالكفاف

وقال أيضاً:

ألا إن رزق الله ليس يفوت

رضيت بقسم الله حظاً لأنه

سأفنع بالمال القليل لأنني

وقال الحسين بن الضحاك:

يا روح من حسمت قناعته

من لم يكن لله متهماً

ويروى لأبي العتاهية أو العطوي:

عندي من الناس أنباء وتجربة

حسبي بظل جدارٍ من مهادهم

كم قد أهابت بي الدنيا فقلت لها: إليك عني ففي أذني كالصمم

إني قنعت بقوتٍ لا أجازه

ولست أذخر فضل القوت عن أحدٍ

لعبد الله بن المبارك وقيل إنها لغيره:

ومن البلاء وللبلاء علامة

العبد عبد النفس في شهواتها

وقال آخر:

يمد رجليه على قدره

على نقصان همته دليل

وكل فوائد الدنيا قليل

ت أقول له: أنا في عافيه

وما كل نفسٍ به راضيه

فلا ترعن إن القليل يقوت

تكفل رزقي من له الملكوت

رأيت أبا المال الكثير يموت

سبب المطامع من غدٍ وغد

لم يمس محتاجاً إلى أحد

على اختلافهم في العقل والشيم

ومن مياهم ما أستقي بقم

وصون وجهي عن لالا وعن نعم

في كل يوم يجيء الله بالطعم

ألا يرى لك عن هواك نزوع

والحر يشبع مرة ويجوع

بوجهي من ذل السؤال كدوح  
وطمران أغدو فيهما وأروح  
ولا مالك أمري على شحيح  
سوى دين سياح عليه مسوح

إذا لم يهن عرضي على ولم يكن  
فقوت بلا ذمّ وبيت يكتني  
هو العيش لا ظل انتظار لموعده  
ولي أمل في الناس ليس شقاوة

وقال آخر:

أودى ولم يقض من لذاته الوطرا  
ولا ترى قانعاً ما عشت مفقرا

يارب ساع له في سعيه أمل  
ما ذاق طعم الغني من لا قنوع له

وقال منصور الفقيه:

فكن راضياً بالقوت واجتنب الفضلا  
وقل لهم إما لقيتهم أهلا  
ولو جاد بالدنيا نسائله بذلا  
بأدنى الورى بيتاً إلى المنزل الأعلى  
فبع بالغني فقراً وبالعزة الذلا

إذا شئت أن تحيا بلا عائب أصلا  
وكاف ذوي الإجرام بالصفح عنهم  
ولا تلق خلقاً سائلاً وزن ذرة  
فما وضع المرء الحسيب ولا ارتقى  
سوى صبر هذا عن سواه وحرص ذا

وقال آخر:

ما سرني أن نفسي غير قانعة  
وأن أرزاق هذا الخلق تحت يدي  
وقف أعرابي على الحسن، وهو يعظ جلساءه، فقال: يا أعرابي! ما أظنك تعلم شيئاً مما نحن فيه، فأنشأ  
يقول:

ت بأنني بشر أموت  
وغناهم من ذاك قوت  
دوا والقبور هي البيوت

مهما جهلت فقد علم  
والناس في طلب الغنى  
شادوا لغيرهم وبا

وقال أبو العتاهية:

واشتغالي بكل ما يلهيني  
كان رزقي هو الذي يبغيني  
منير لناظر المستبين

طال همي بغير ما يعنيني  
ولو أني قنعت لم أبغ رزقي  
ولعمري إن الطريق إلى الحق

أحمد الله حمد عبد شكور

ما عليها إلا ضعيف اليقين

وقول أبي العتاهية: كان رزقي هو الذي يبغيني، مأخوذ - والله أعلم - من قول ابن أذينة:

أسعى له فيعنيني تطلبه

ولو قعدت أتانى لا يعنيني

وقد ذكرت هذه الأبيات في باب الرزق.

قال العطوي:

إن القناعة من يحل بساحتها

لم يلق في دهره همأ يورقه

قال الأضبط بن قريع:

اقنع من الدهر ما أتاك به

من قر عيناً بعيشه نفعه

قد يجمع المال غير آكله

ويأكل المال غير من جمعه

قال سليمان بن داود عليه السلام: كل العيش قد جربناه، لينه وشديده، وبلوناه فوجدناه يكفي منه أدناه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسمه، معه قوت يومه،

فكأنما حيزت له الدنيا".

قال منصور الفقيه:

إذا القوت تأتي لك

والصحة والأمن

وعف الفم والفرج

تقي الله والبطن

وأصبحت أبا حزن

فلا فارقك الحزن

وقال آخر:

إذا ما كسالك الله سربال صحة

ولم تخل من قوتٍ يحل ويعذب

فلا تحسدن الكمثرين فإنهم

على قدر ما يكسوهم الدهر يسلب

وقال هلال بن خثعم في أبيات له، ونسبت إلى بشار بن بشر الجاشعي:

إن قراب البطن يكفيك ملؤه

ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها

قال يحيى بن خالد: دخلت على الرشيد يوماً فأصبته متكماً يسطر في ورقةٍ فيها كتابة بالذهب، فلما رأيته

تبسم، فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية،

وقد أضفت إليهما ثالثاً، وأنشدني:

إذا سد باب عنك من دون حاجة

فدعه لأخرى يفتح لك بابها

فإن قراب البطن يكفيك ملؤه  
ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها  
ولا تك مبدالاً لعرضك واجتنب  
ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وعن أبي محمد اليزيدي، قال: دخلت على الرشيد.. فذكر مثله حرفاً بحرف.  
روى أبو خليفة الفضل بن حباب، عن محمد بن سلام، قال: قال حماد الراوية: أفضل بيت روى من  
أشعار العرب، قول الحطئية:

يقولون يستغني ووالله ما الغنى  
من المال إلا ما يكف وما يكفي  
وقال محمود الوراق:

إن القناعة ما علمت غنى  
والحرص يورث ذا الغنى فقرا  
وقال منصور الفقيه:

إذا قنعت بقوت  
ولم يكن لي عيال  
ولا بنون صغار  
ولا صديق مصاف  
وقد عزفت عن الله  
وكان لله نسكي  
ولبس ثوب مرقع  
نفسي لهم تتفجع  
قلبي لهم ينتقع  
فراقه أتوقع  
و والغنى والتمتع  
فما بي الدهر يصنع

وقال آخر:

قنع النفس بالكفاف وإلا  
قال الأصمعي: أحكم بيت قالته العرب، بيت أبي ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها  
وقال محمد بن أبي حازم:

لعمرك للقليل أصون وجهي  
أحب إلى من طلبي كثيراً  
فعش بالقوت يوماً بعد يوم  
ولا ترغب إلى أحدٍ بحرصٍ  
به في الأوحدين وفي الجميع  
تمد إليه أعناق الخضوع  
كمص الطفل فيقات الضروع  
رفيع في الأمور ولا وضع

قال الخليل بن أحمد:

كفاك خبز وزيت  
فكسرة ثم بيت  
حتى يجيئك موت  
فلا تغرنك لبت

وصنت عرضي عن الهوان  
فضل فلان على فلان  
رأيتَه مثل ما يراني  
وأقطع الوصل إن جفاني  
وعن فلان وعن فلان

ولا أراهم رضوا في العيش بالدون  
تغنى الملوك بدياهم عن الدين

فتعوذوا من كل نفسٍ تشره  
نال الغنى إلا رأى ما يكره

ف يوماً كذب الشهوه  
عن المرة والحلوه  
عن الحسناء والذروه  
ه فعل الشيء لم تهوه

ه رغيغ يغتذيه  
ه وثوب يكتسيه

إن لم يكن لك لحم  
أو لم يكن لك هذا  
تظل فيه وتأوى  
هذا كفاف وأمن

وقال ابن بسام أو غيره:

رضيت بالقوت من زماني  
مخافةً أن يقول قوم  
من كنت عن ماله غنياً  
أزوره إن أراد وصلي  
فاستغن بالله عن فلان

ولعبد الله بن المبارك:

أرى رجالاً بدون الذين قد قنعوا  
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اس

لعمر بن محمد بن عبد الملك الزيات:

شره النفوس على النفوس بلية  
ما من فتى شرهت له نفس وإن

وقال آخر:

إذا ما شئت أن تعر  
فكل ما شئت يغنيك  
وطا ما شئت يغنيك  
فكم أسلاك ما تهوا

وقال منصور الفقيه:

من كفاه من مساعي  
وله بيت يوارى

ض لنذلٍ أو سفيه

بر أيدي باذليه

ر على مكتسبيه

فلماذا يبذل العر

كل مالٍ منعه ال

فهو للوارث والوز

وقال محمود الوراق:

يقدر في معيشته ويمسك

يروح ويغتدى جم التملك

سقاء النفس عما ليس تملك

مروءة معسر عف قنوع

تزيد على مروءة كل مثر

وأكثر من سخاتك بالعطايا

وقال سهل الوراق:

وراحته لو صح فيها يقينه

من الرزق إلا ما الإله ضمينه

ومن سوانا، فلسنا نحن نرتزق

ترى المرء مشغولاً بدياه متعبا

صباحاً مساءً في طلاب وماله

وقال كعب بن زهير:

إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا

وقد مضى في باب الرزق أشياء من معاني هذا الباب.

وقال محمود الوراق:

وليس بمغنيك الكثير من الحرص

وقلة هم المرء يدعو إلى النقص

يقنع فذاك الموسر المعسر

كان مقلا فهو المكثر

وفي غنى النفس الغنى الأكبر

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعاً

وإن اعتقاد الهم للمرء جامع

ولحمود الوراق أيضاً:

من كان ذا مالٍ كثير ولم

وكل من كان قنوعاً وإن

الفقر في النفس وفيها الغنى

وقال منصور الفقيه:

م على من يقول: أنت حرام؟

ت عتيق محرر يا غلام

ة عن شبهة، وكيف الكلام؟

ليس هذا زمان قولك ما الحك

والحقى بانناً بأهلك أو أن

ومتى تتكح المصانة في العد

في حرام أصاب سن غزالٍ  
إنما ذا زمان كدَّ إلى المو  
لأبي العتاهية رحمه الله:

أتدري أي ذل في السؤال  
يعز على التنزه من بغاه  
إذا كان النوال ببذل وجهي  
معاذ الله من خلق دنىً  
توق يداً تكون عليك فضلاً  
يد تعلق يداً بجميل فعل  
وجوه العيش في سعة وضيق  
أنتكر أن تكون أبا نعيم  
وأنت تصيب قوتك في عفاف  
متى تسمى وتصبح مستريحاً  
تكابد جمع شيء بعد شيء  
وقد يجري قليل المال مجرى  
إذا كان القليل بسد فقرى  
هي الدنيا رأيت الحب فيها  
تسر إذا نظرت إلى هلال  
تعالى الله يا سلم بن عمرو  
هب الدنيا تساق إليك عفواً  
فما ترجو بشيء ليس يبقى

فتولى وللغزال بغام  
ت، وقوت مبلغ والسلام  
وفي بذل الوجوه إلى الرجال  
ويستغنى العفيف بغير مال  
فلا قربت من ذلك النوال  
يكون الفضل فيه على لالي  
فصانعها إليك عليك غال  
كما علت اليمين على الشمال  
وحسبك والتوسع في الحلال  
وأنت تصيف في الظل الظلال  
ورياً إن ظمئت من الزلال  
وأنت الدهر لا ترضى بحال  
وتبغى أن تكون رخي بال  
كثير المال في سد الخلال  
ولم أجد الكثير فلا أبالي  
عواقبه التفرق عن تقال  
ونقصك إن نظرت إلى الهلال  
أذل الحرص أعناق الرجال  
أليس مصير ذلك إلى زوال  
وشيكاً ما تفرقه الليالي

فلما اتصل بسلم الخاسر، وهو سلم بن عمرو، قول أبي العتاهية، كتبت إليه:

ما قبح التزهيد من واعظٍ  
يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزيده صادقاً  
أضحى وأمسى بيته المسجد  
إن رفض الدنيا فما باله  
يستكثر المال ويسترفد  
يخاف أن تنفد أرزاقه  
والرزق عند الله لا ينفد  
الرزق مقسوم على من ترى  
يسعى له الأبيض والأسود

وقد قيل: إن الأبيات التي فيها ذكر سلم بن عمرو، ليست في الشعر المذكور، وإنما هي في قول أبي العتاهية:

نعى نفسي إلى من الليلي  
تصرفهن حالاً بعد حال  
فما لي لست مشغولاً بنفسي  
ومالي لا أخاف الموت مالي  
لقد أيقنت أني غير باقي  
ولكني أراني لا أبالي  
تعالى الله يا سلم بن عمرو  
أذل الحرص أعناق الرجال

### باب من المواعظ الموجزة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب". قال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: "يا عبد الله! لا تكثر همك ما يقدر يكن، وما ترزق يأتيك". قال عليه السلام لعبد الله بن عمر يعظه: "يا عبد الله! اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك". أخذه محمود الوراق، والله أعلم، فقال:

بادر شبابك أن تهتما  
وصحة جسمك أن تسقما  
وأيام عيشك قبل الممات  
فما قصر من عاش أن يسلما  
ووقت فراغك بادر به  
ليالي شغلك في بعض ما  
فقدر فكل امرئٍ قادم  
على علم ما كان قد قدما

سئل علي عليه السلام: من الزاهد في الدنيا؟ قال: من لم ينس المقابر والبلى وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، وعد نفسه في الموتى.  
قال عليه السلام: "ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مقيداً، أو



موتاً مجهزاً، والدجال شر غائب، تنتظره الساعة، والساعة أدهى وأمر".  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم أر كالنار نام هاربها، ولم أر كالجنة نام طالبها".  
 قال جعفر بن محمد: الناقص من الناس من لا ينتفع من المواعظ إلا بما آلمه أو لزمه.  
 كان يقال: اجعل عمرك كنفقة رفعت إليك، فأنت لا تحب أن يذهب ما ينفق منها ضياعاً، فلا يذهب  
 عمرك ضياعاً.

قال أبو عمرو بن العلاء: أول شعر قيل في ذم الدنيا، قول يزيد بن خذاق العبدي:

هل للفتى من بنات الدهر من راق      أم هل له من حسام الموت من واق  
 قد رجلوني وما بالشعر من شعث      وألبسوني ثياباً غير أخلاق  
 ورفعوني وقالوا أيما رجل      وأدرجوني كأني طي مخراق  
 وأرسلوا فتيةً من خيرهم حسباً      ليسندوا في ضريح القبر أطباقي  
 وقسموا المال وارفضت عوائدهم      وقال قائلهم مات ابن خذاق  
 هون عليك ولا تولع بإشفاق      فإنما مالنا للوارث الباقي

قال ابن عباس: ما انتفعت بشيء بعد وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم منفعي بشيء كتب به إلى  
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يدركه، فليكن سرورك بما نلت من  
 أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فات منها، وليكن همك لما بعد الموت.  
 قال أبو سليمان الداراني: رأيت على باب دمشق:

وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً      وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

قال أعرابي لابنه: يا بني! من خاف الموت بادر الفوت، ومن لم يصبر على الشهوات، أسرعت به إلى  
 الهلكات.

ووعظ أعرابي أخاه فقال: يا أخي! أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته،  
 فكأن ما قد غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، يا أخي! كأنك لم تر حريصاً محروماً،  
 ولا زاهداً مرزوقاً.

كتب علي بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد، فإنك أعز ما تكون بالله، أحوج ما تكون إليه،  
 فإذا عززت به فاعف له، فإنك به تقدر، وإليه ترجع والسلام.  
 وفي الحديث المرفوع: "عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك  
 ملاقيه".

كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء: أما بعد، فإنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تأمل، إلا بالصبر على ما تكره، فليكن قولك ذكراً، وصمتك فكراً، ونظرك عبرة، واعلم أن أعجز الناس من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله، وأن أكيسهم من أتعب نفسه وعمل لما بعد الموت.  
قال الحسن البصري: يا معشر الشيوخ! الزرع إذا بلغ ما يصنع به؟ قالوا: يحصد. قال: يا معشر الشباب! كم زرع لم يبلغ قد أدركته آفة.  
قال مسلم بن الوليد:

كم رأينا من أناسٍ هلكوا  
تركوا الدنيا لمن بعدهم  
كم رأينا من ملوكٍ سوقةٍ  
ورأينا سوقةً قد ملكوا  
وقال آخر:

رب قوم غبروا من عيشتهم  
سكت الدهر زمانا عنهم  
في نعيمٍ وسرورٍ وغدق  
ثم أبكاهم دماً حين نطق  
وقال آخر:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم  
غلب الرجال فلم تمنعهم القلل  
وقال محمود الوراق:

أبقيت مالك ميراثاً لو ارثه  
القوم بعدك في حال تسرهم  
فليت شعري ما أبقى لك المال؟  
ملوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ  
واستحكم القيل في الميراث والقال  
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم  
وأدبرت عنك والأيام أحوال  
وقال تميم بن مقبل:

ما أنعم العيش لو أن الفتى حجر  
وكل حصن وإن طالت سلامته  
تنبو الحوادث عنه وهو ملموم  
ومن تعرض للغربان يزجرها  
على دعائمه لابد مهدوم  
وقال كعب بن زهير:

كل ابن أنتى وإن طالت سلامته

كان عمر بن عبد العزيز يتمثل:

من كان حين تصيب الشمس جبهته

ويألف الظل كي تبقى بشاشته

في قعر مظلمة غبراء موحشة يطيل فيها ولا يختارها اللبثا

تجهزي بجهازٍ تبلغين به

وكان يتمثل أيضاً - رحمه الله -:

يوماً على آلة حدياء محمول

أو الغبار يخاف الشين والشعثا

فسوف يسكن يوماً راعماً جدثا

يا نفس واقتصدي لم تخلقي عبثا

وكيف يطيق النوم حيران هائم

مدامع عينيك الدموع السواجم

ونومك ليل والردى لك لازم

كما غر باللذات في النوم حالم

كذلك في الدنيا تعيش البهائم

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت

نهارك يا مغرور سهو وغفلة

يغرك ما يفني وتشغل بالمنى

وتشغل فيما سوف تكره غبه

وقال محمود الوراق:

أيها الشيخ المعل

والليل يطوي لا يفتر

اعلم بأنك نائم

يتعاقبان بك الردى

ل نفسه والشيب شامل

والنهار بك المنازل

فوق الفراش وأنت راحل

لا يغفلان وأنت غافل

وقال ابن الكلبي، عن أبيه: خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد، ومعه عدي بن زيد، فمر بشجرة، فقال له:

أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا. قال: تقول:

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا

عصف الدهر بهم فانقرضوا

يشربون الخمر بالماء الزلال

وكذاك الدهر حالاً بعد حال

قال: ثم مر بمقبرة، فقال له عدي: أتدري أيها الملك ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا. قال: تقول:

أيها الركب المخبون

كما أنتم كنا

على الأرض المجدون

كما نحن تكونون

فقال النعمان: قد علمت أن الشجرة والمقبرة لم يتكلما، وإنما أردت موعظتي، فما السبيل الذي تدرك به النجاة؟ قال: تدع عبادة الأوثان، وتعبد الله، وتدين بدين المسيح. قال: فتنصر يومئذ. ولعدي بن زيد:

كفى واعظاً للمرء أيام دهره  
تزوج له بالواعظات وتغتدي  
قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم المدني: عطني. فقال: عظم ربك أن يراك حيث هناك، أو يفقدك حيث أمرك.

ومن مواعظ بعض العرب: كل من ازداد نقص، وكل من أقام ظعن وشخص، ولو كان يميت الناس الداء أعاشهم الدواء. وأنشد أبو العباس المبرد:

تصرفت طورا كي أرى كل عبرة  
وكان الصبا مني جديداً فأخلقا  
فما ازداد شيء قط إلا لنقصه  
وما اجتمع الإلفان إلا تفرقا  
وقال محمود الوراق:

أراني في انتقاص كل يوم  
ولا يبقى مع النقصان شيء  
طوى العصران ما نشراه مني  
فأخلق جدتي نشر وطبي  
فإن أك قد فنيت ومات بعضي  
فإن الحرص باقٍ في حي  
عصيت الرشد إذ أدعى إليه  
وملك طاعتي ضعف وعي  
وقال عمرو بن هند:

نعلل والأيام تنقص عمرنا  
كما تنقص النيران من طرف الوقد  
وقال محمود الوراق:

إن عيشاً إلى الممات مصيره  
لحقيق ألا يدوم سروره  
وسرور يكون آخره المو  
ت سواء قليله وكثيره  
ويروي: طويلة وقصيرة.

كان يزيد الرقاشي يتمثل كثيراً بهذا البيت:  
إننا لنفرح بالأيام نقطعها  
وكل يوم مضى يدني من الأجل

روى من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: ما من أهل بيتٍ إلا وملك الموت يأتيهم، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه، فإذا بكى أهله قال: لم تكون، ولم تجزعون؟ والله ما نقصت لكم عمرا، ولا حبست عنكم رزقا، ومالي ذنب، وإن لي فيكم لعودة ثم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد.

قال أبو الدرداء في خطبة خطبها بدمشق: مالي أراكم تجمعون مالا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأمّلون مالا تدركون، إن من كان قبلكم جمعوا كثيراً ونوا شديداً وأملوا بعيداً، فأصبح جميعهم بوراً ومنازلهم قبوراً، وأملهم غروراً، هذه منازل عاد وثمود بين قطري الأرض ما يسرني أنهما لي بدرهمين. وجد مكتوباً في حجر: ابن آدم! لو رأيت يسير ما بقى من أجلك؛ لزهدت في طول ما ترجوه من أملك، وإنما يلقاك ندمك، لو قد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وانصرف عنك القريب وودعك الحبيب، ثم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت في عملك بزائد، ولا إلى أهلك بعائد؛ فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة.

قال محمود الوراق:

يا ناظراً يرنو يعيني رافد  
ومشاهداً للأمر غير مشاهد  
منتك نفسك ضلة فأجبتها  
طرق السفاهة فعل غير الراشد  
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى  
فوز الجنان ونيل أجر العابد  
ونسيت أن الله أخرج آدم  
منها إلى الدنيا بذنب واحد

وجد حجر في بئر باليمامة، وهي بئر طسم وجديس، في قرية يقال لها معتق مكتوب فيه:

يا أيها الناس سيروا إن قصركم  
أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا  
حنوا المطى وأرخوا في أزمتها  
قبل الممات وقضوا ما تقضونا  
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا  
دهر، فأنتم كما كنا تكونونا

قال عبد الله بن ثعلبة: أمسك مذموم منك، ويومك غير محمود لك، وغدك غير مأمون عليك. ومما أنشده ابن أبي الدنيا - رحمه الله -:

قل للمؤمل إن الموت في أترك  
وليس يخفي عليك الموت في نظرك  
فيمضى لك إن فكرت معتبر  
ومن يموت كل يوم فهو من نذرك  
دار تسافر منها في غد سافراً  
ولا تؤوب إذا سافرت من سفرك

تضحى غدا سمرًا للذاكرين كما كان الذين مضوا بالأمس من سمرك

قال علي بن أبي طالب: يا ابن آدم! لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أن، فإنه إن يكن من أجلك أتى الله فيه برزقك، واعلم أنك إن تكسب شيئاً فوق قوتك إلا كنت خازناً لغيرك. قال بعض الحكماء: الأيام ثلاثة، فأمس صديق مؤدب، أبقى لك عظةً وترك فيك عبرة، واليوم صديق مودع، أتاك ولم تأته، كان عنك طويل الغيبة، وهو عنك سريع الظعن، فخذ لنفسك فيه، وغد لا تدري ما يحدث الله فيه، أمن أهله أنت أم لا. لأسقف نجران، ويروى لتبع الحميري:

وظلوعها من حيث لا تسمى

وغروبها صفراء كالورس

منع البقاء تصرف الشمس

وظلوعها بيضاء صافيةً

ومضى بفصل قضائه أمس

ويسعدها القمر

لهم المهابة والأثر

ركم الجنادل والمدر

ء وهز أجنحة السحر

وكان قلبك من حجر

دك كل يوم يعتصر

اليوم تعلم ما يجيء به

وقال أبو العتاهية:

الشمس تنعي ساكن الدنيا

أين الذين عهدتهم

أودوا وصار عليهم

أفناهم غلس العشا

ما للقلوب رقيقةً

ولقلما تبقى وعو

وقال أبو العتاهية:

مخضت صبيحتها بيوم الموقف

يوم الحساب تمثلاً لم تطرف

أم كيف يجده الجاحد

وفي كل تسكينة شاهد

تدل على أنه الواحد

سبحان ذي الملكوت أية ليلة

لو أن عيناً أوهمتها نفسها

وقال أبو العتاهية أيضاً:

أيا عجباً كيف يعصى الإله

والله في كل تحريكة

وفي كل شيء له آية

وقال آخر:

ومنتظرٍ للموت في كل ساعةٍ  
له حين تبلوه حقيقة موقنٍ  
عيان كإنكارٍ وكالجهل علمه

وقال العطوي:

نحن أهل اليقين بالموت والبع  
ثم لا نرعوي وقد أمهل الل  
أي شيء تركت يا عارفاً

مكتوب في التوراة: البر لا يبلي، والذنب لا ينسى، والمال يفنى، والخير يبقى، والديان حي لا يموت، فكن  
كما شئت، كما تدين تدان.

وجد حجر مكتوب فيه: ما أكلنا نلنا، وما قدمنا وجدنا، وما تركنا ندمنا.

وخير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس للإنسان من ماله إلا ما أكل فأفنى، أو لبس  
فأبلى، أو تصدق فأمضى، وغير ذلك فيلى وارثه".  
ولأعرابي من بني أسد:

يقولون ثمر ما استطعت وإنما  
فكله وأطعمه وجنبه وارثاً

وقال آخر:

وللمنايا تربي كل مرضعةٍ  
وللخراب يجد الناس عمراناً

وقال آخر:

فإن يكن الموت أفناهم  
فللموت ما تلد الوالده

وقال أبو العتاهية:

لدوا للموت وابنوا للخراب  
لمن نبني ونحن إلى ترابٍ  
ألا يا موت لم تقبل فداءً  
كأنك قد هجمت على مشيبي

فكلكم يصير إلى تباب  
نصير كما خلقنا للتراب  
أتيت فما تحيف ولا تحابي  
كما هجم المشيب على شبابي

وقال آخر:

ناحت عليه وقد كانت تغنيه

كم من مصيخٍ إلى أوتار مسمعةٍ

وقال منصور الفقيه:

وتغدو عليه وتخشى البلاء

تراوح ما ليس يرضى الإله

فعاتبتهن أطلن البكاء

كفعل النساء إذا ما أسأن

بترك الذنوب جمعت الدواء

ولو كنت داويت قرح الذنوب

وقال عروة بن أذينة:

ويحزننا بكاء الباقيات

نراع إذا الجنائز قابلتنا

فلما غاب عادت راتعات

كروعة تلة لمغار سبع

وقال أبو العتاهية:

وإن لم تروا ملتم إلى صبواتها

إذا ما رأيتم ميئين جزعتم

قال علي بن أبي طالب: لا وجع إلا وجع القلوب من الذنوب، ولا شيء أشد من الموت، وكفى بما سلف تفكرا، وكفى بالموت واعظاً.

قال عبد الله بن المبارك:

وقد يورث الذل إيمانها

رأيت الذنوب تميت القلوب

وخير لنفسك عصيانها

وترك الذنوب حياة القلوب

وأخبار سوء ورهبانها

وهل بدل الدين غير الملوك

قال أبو العتاهية:

مالي أراك بغير نفسك لا أبالك تشتغل

ة بحظها قبل الأجل

خذ للوفاة من الحيا

ليس بغافلٍ عن غفل

واعلم بأن الموت

جحة البطارقة الأول

أين المرازبة الجحا

لس والترفل في الحلل

وذوو النفاضل في المجا



قال عمر بن عبيد للمنصور: إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها.  
 كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: خف ما خوفك الله يكفك ما خوفك الناس، وخذ مما في  
 يدك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين.  
 قال الحسن بن أبي الحسن، وقد نظر إلى الناس يلعبون ويضحكون في يوم العيد: إن الله قد جعل شهر  
 رمضان مضمراً للخلق، يستبقون فيه لطاعته إلى مرضاته، فالعجب من الضاحك واللاعب في اليوم الذي  
 يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبتلون، أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته  
 عن تحديد ثوب أو ترجيل شعر.  
 وقال منصور الفقيه:

أتلوه وقد ذهب الأطيبان وأنذرك الشيب قرب الأجل

كأنك لم تر حياً يموت ولم تر ميتاً على مغتسل

كان بعض الحكماء يقول: لئن كانت الحظوظ بالجدود فما الحرص، وإن كانت الأيام ليست بدائمة فما  
 السرور، وإن كانت الدنيا غرارة فما الطمأنينة.  
 قال أحمد بن زهير: سمعت مصعب بن عبد الله الزبيري يقول: أبو العتاهية أشعر الناس، فقلت: بأي شيء  
 استحق ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تعلقت بآمالٍ طوالٍ أي آمالٍ

وأقبلت على الدنيا ملحاً أي إقبال

أيا هذا تجهز ل فراق الأهل والمال

فلا بد من الموت على حالٍ من الحال

ثم قال مصعب: هذا كلام حق لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل، ويقر به الجاهل.

قال عمر بن عبد العزيز: خلقنا لأمر إن كنا نؤمن به إنا لحمقى، وإن كنا تكفر به إنا لهلكي.

قال أبو العتاهية:

أتطمع أن تخلد لا أباً لك أمنت قوى المنية أن تتالك

أما والله إن لها رسولا أقسم لو أتاك لما أقالك

توقع حيث كنت نزول يومٍ يشنت بعد جمعهم عيالك

كأني بالتراب عليك يحثي وبالباكين يقتسمون مالك

ولست بحاملٍ منه نقيراً

ولا متزوداً إلا فعالك

قال داود الطائي: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله.

وقال سابق البربري:

أين الملوك التي عن خطبها غفلت

حتى سقاها بكاس الموت ساقبها

نرجو ونأمل أياماً تعد لنا

سريعو المر تطوينا ونطويها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها

ودارنا لخراب الدهر نبنبها

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز يوماً، وعنده سابق البربري ينشده شعراً، فكان مما حفظت منه:

فكم من صحيحٍ بات للموت آمناً

أنته المنايا بغتةً بعد ما هجع

فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتةً

فراراً ولا منه بحيلةٍ امتنع

ولا يترك الموت الغنى لماله

ولا معدماً في المال ذا حاجةٍ يدع

وقال مصبح الأسدي:

كفى خيبةً بالمرء يا أم مالك

ركوب المعاصي عامداً واحتقارها

وقال محمود الوراق:

دب في السقام سفلاً وعلوا

وأراني أموت عضواً فعضوا

لهف نفسي على ليالٍ وأيا

مِ تمليتهاً لعباً ولهوا

بليت جدتي بطاعة نفسي

وتذكرت طاعة الله نضوا

ويروى لمنصور الفقيه:

إذا لم يكن لك في المحكمات

وفي الموت ناه عن المنكرات

فلا تغدون إلي واعظٍ

فلست بمنتفعٍ بالعظات

وقال أيضاً:

من لم تعظه المنايا

ولم يعظه الكتاب

فليس ينجع فيه

فلا تعن عتاب

الحسن بن هانئ، ويروى لأبي العتاهية:

وعظتك أجدات صمت

ونعتك أزمنة خفت

ر وأنت حي لم تمت  
تبلي وعن صورٍ شنتت

وأرتك قبرك في القبو  
وتكلمت عن أوجهٍ

وقال محمود الوراق:

مضى نفس منها انتقصت به جزءا  
وما لك معقول تحس به رزءا

حياتك أنفاس تعد وكلما  
فتصبح في نقصٍ وتمسى بمثله

ويحدوك حادٍ ما يريد بك الهزءا

يميتك ما يحيبك في كل ساعةٍ

وقال منصور الفقيه:

جور قولي لابن سعد  
كيف سألت فوق خدي  
ما هناك العيش بعدي

يا رسوم الجدث الممه  
لو رأيت عيناك عيني  
بعد دفني بثلاثٍ

وقال آخر:

وطئ التراب بصفحة الخد  
شبران فهو بغاية البعد  
لم يعرف المولى من العبد

من كان لا يطأ التراب بنعله  
من كان بينك في التراب وبينه  
لو كشفت للناس أغطية الثرى

خرج النعمان بن المنذر يتره بظاهر الحيرة ومعه عدي بن زيد العبادي، فمرا على المقابر فقال له عدي:  
أبيت اللعن! أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا. قال: فإنها تقول:

أنه موفٍ على قرن الزوال  
ولما تأتي به صم الجبال  
يشربون الخمر بالماء الزلال  
وجياد الخيل تردي في الجلال  
آمني دهرهم غير عجال  
وكذاك الدهر حالاً بعد حال

من رآنا فليحدث نفسه  
وصروف الدهر لا تبقى لها  
رب ركبٍ قد أناخوا عندنا  
والأباريق عليها قدم  
عمرؤا الدهر بعيشٍ حسنٍ  
ثم أضحوا عصف الدهر بهم

كان عمر بن الخطاب يتمثل:

يبقى الإله ويودي المال والولد  
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا  
والإنس والجن فيما بينها ترد  
من كل أوبٍ إليها وافد يقد  
لأبد من ورده يوماً كما وردوا

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته  
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه  
ولا سليمان إذ تجري الرياح له  
أين الملوك التي كانت لعزتها  
حوض هنالك مورود بلا كذبٍ

وقال آخر:

خمسون وهو إلى التقى لم يجنح  
أرضيتنا فأقم كذا لا تبرح  
حياً، وقال: فدبت من لم يفلح

وإذا مضت للمرء من أعوامه  
عقدت عليه النابحات وقلن قد  
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه

نظر مالك من ملوك الفرس يوماً إلى ملكه فأعجبه، فقال: إن هذا هو الملك لو لم يكن بعده هلك، وإنه لسرور لولا أنه غرور، وإنه ليوم، لو كان يوثق له بغد.

قال مالك بن أنس: سكن القبور رجل مجاوراً لها ملازماً، فعوتب في ذلك، فقال: إنهم جيران صدق لا يؤذونني، ولي فيهم عبرة.

قال ابن المعتز:

على قرب بعض في التجاور من بعض  
فليس لها حتى القيامة من فض

وجيران صدق لا تراور بينهم  
كأن خواتيماً من الطين فوقهم

وقال الخليل بن أحمد:

لا مزحل عنه ولا فوت  
زال الغنى وتقوض البيت

كن كيف شئت فقصرك الموت  
بيننا غنى بيتٍ وبهجته

وقال آخر:

إن لم تبادر فهو الفوت  
آخر هذا كله الموت

اسمع فقد أسمعك الصوت  
كل كل ما شئت وعش ناعماً

وقال آخر:

فلم يعرفوها أنزلوها على هجر  
ولا تعظ الحمقى على ذلك القدر

إذا ما وعظت الجاهلين بحكمة  
فعظ كل ذي عقلٍ على قدر عقله

## باب العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعملوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن".

وقال عليه السلام: "لا تعمل شيئاً رياءً ولا تتركه حياءً".

قال أبو ذر: قلت يا رسول الله! الرجل يعمل العمل لنفسه ويحبه الناس عليه؟ قال: "ذلك عاجل بشري المؤمن".

قال أبو الدرداء: اعملوا ما شئتم أن تعملوا، فإنه لن يأجركم الله حتى تعملوا.

قال القاسم بن محمد: أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل.

قيل لمحمد بن المنكدر: أي الأعمال أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن.

قال بعض العلماء: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا

أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء عند المكاره، وكثرة الخطا إلى

المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط".

لما قدم عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون من العراق، وسئل عن أهلها، قال:

ولكن الوفاء بها قليل

بها ما شئت من رجل نبيل

ولكن ليس يفعل ما يقول

يقول فلا ترى إلا جميلاً

وقال دعبل:

خفيف عليه قول ما ليس يفعل

ولي صاحب أسترزق الله قوته

قيل لسفيان الثوري: ما العمل الصالح؟ قال: ما لا تحب أن يحمذك عليه أحد.

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: دلي على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبي الناس. قال:

"ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس".

قال المأمون: نحن إلى أن نوعظ بالأعمال، أحوج منا إلى أن نوعظ بالأقوال.

كان أبو معاوية الأسود يقول: الله أكرم من أن ينعم بنعمة إلا يتمها، ويستعمل بعمل إلا يقبله.

قال بعض الحكماء: لو ثقل الكلام على الواعظين كما ثقل على العاملين، قل كلامهم.

قال ابن السماك: قليل من توفيق، أحب إلى من كثير من عمل.

كان يقال: العمل قرين لا يستطيع فراقه، فمن استطاع أن يكون قرينه صالحاً فليعمل، فإنه لا يصحبه في

آخرتة غير عمله.

قال الشاعر:

**الموت داء لا دواء له إلا التقى والعمل الصالح**

رأى أعرابي جنازة حمزة الزيات وقد حشد لها الناس، فقال: ما رأيت أرفع لخصاسة من عمل صالح. قال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً، واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً. كان يقال: اعمل وأنت مشفق، ودع العمل وأنت تحبه. قيل لرابعة القيسية: هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافة أن يرد علي. قال أبو بكر المزني: رحم الله من كان قوياً فأعمل قوته في طاعة، أو كان ضعيفاً فكف عن معصية الله. كان أبو حنيفة رحمة الله يتمثل:

**ولا عمل يرضى به الله صالح**

**كفى حزناً ألا حياة هنية**

وقال آخر:

أعجلني من بلوغه الأجل

يا أيها الناس كان لي أمل

أمكنه في حياته العمل

فليتق الله ربه رجل

وقال محمود الوراق:

ر ثواباً عجبت من كبره حذ

لقد رأيت الصغير من عمل الخي

جزاء أشفقت من خدره

وقد رأيت الحقير من عمل الشر

وقال أيضاً:

وأعار السهو أيام الأجل

قطع الدهر بأسباب العلل

واشتهى الراحة واستوطا الكسل

ألف اللذة حتى اعتادها

ولعل الموت في طي الأمل

فهو الدهر يقضي أملاً

يتحرى حسناً فيما فعل

يحسن القول إذ قال ولا

ثم أجراه على مجرى العمل

صير القول بجهل عملاً

يقطع الأيام إلا بالجدل

ليته كان كما قال ولا

### باب مختصر من التعازي في المصائب

## والصبر على النوائب

روى عن النبي عليه السلام، من حديث ابن عمر، أنه قال: "من كنوز البر كتمان المصائب".  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي".  
وفي حديث آخر: "من عظمت مصيبته فليذكر مصيبي، فإنها ستهون عليه مصيبته".  
كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا عزى قومًا، قال: ليس مع العزاء مصيبة، وليس مع الجزع فائدة،  
والموت أشد مما قبله، وأهون مما بعده، اذكروا فقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسهل عليكم  
مصيبتكم.  
قال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجد  
وأعلم بأن المرء غير مخذ  
أو ما ترى أن المصائب جمة  
وترى المنية للعباد بمرصد  
من لم يصب ممن ترى بمصيبةٍ؟  
هذا قبيل لست فيه بأوحد  
وإذا أتتك مصيبة تشجي بها  
فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال منصور الفقيه:

ألا أيها النفس السئوم تنبهي  
وألقي إلى السمع إلقاء حازمه  
ضلال لأذهان وظن مكذب  
رجاؤك أن تبقى على الدهر سالمه  
وقد غص بالكأس الكريهة أحمد  
ومات فمات الحق إلا معالمه  
عليه سلام الله ما فصل الندى  
وصدق ذو الشح المطاع لوائمه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تنزل المعونة على قدر المثونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة".

وقال عليه السلام: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى".

وقال عليه السلام: "ثلاث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة؛ الدعاء في الرخاء، والرضا بالقضاء،  
والصبر عند البلاء".

قال علي رضى الله عنه: الصبر من الإيمان بمتزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

قال محمد بن علي بن الحسين: الصبر صبران؛ فصبر عند المصيبة حسن جميل، والصبر عما حرم الله أفضل.  
ومات ابن لداود عليه السلام، فجزع عليه جزعاً شديداً، فأوحى الله إليه: أتفرح إذ جعلته فتنة، وتجزع إذ

جعلته صلاة ورحمة.

مات ابن خالد بن عبد الله القسري، فقامت الخطباء تعزیه فأطنبت، فقام دهقان فقال: أيها الأمير! إن رأيت أن تقدم ما أخرجت من الصبر، وتؤخر ما قدمت من الجزع فافعل. فلم يحفظ إلا كلامه.  
مات ابن لعمر بن عبد العزيز، فكتب إليه بعض إخوانه يعزیه عنه، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإن هذا أمر كنا نعرفه، فلما وقع لم ننكره، والسلام.  
عزى ابن عباس عمر عن ابن له، فقال له: عوضك الله منه ما عوضه منك.  
عزى عبد الله بن عباس عبد الله بن جعفر، فقال: لا أعدمك الله الأجر على الرزية، ولا الخلف من الفقيد، وثقل به ميزانك.  
قال العتي:

وحزني يجده الأبد

كل حزن يبلي على قدم الدهر

إلا ليالٍ ليست لها عدد

فجعت باثنين ليس بينهما

شاء من لم يميت له ولد

ما عالج الحزن والحرارة في الأح

قال سهم بن عبد الحميد: شهدت يونس بن عبيد وقد عزاه عمرو بن عبيد على ابن له هلك، فقال: إن أباك كان أصلك، وإن ابنك كان فرعك، وإن امرأاً ذهب أصله وفرعه لحرى أن يقل بقاؤه.  
قال عمر بن عبد العزيز: ما أحسن تعزية أهل اليمن، فكانت تعزيتهم: لا يجزنكم الله ولا يفتنكم، وأثابكم ما أثاب المتقين، وأوجب لكم الصلاة والرحمة.  
عزت امرأة المنصور عن أخيه أبي العباس، فقالت: أعظم الله أجرك، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك، وبارك الله لك فيما أتاك، فلا عوض أحسن من خلافتك.  
كتب بعض العلماء إلى المنصور يعزیه: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله من كان إماماً بعد الله، ولم يكن له إمام إلا الله.  
عزى الزبير عبد الرحمن بن عوف عن بعض نساءه فقام على قبرها، فقال: لا اصفر الله ربك، ولا أوحش بيتك، ولا أضاع أجرك، رحم الله متوفاك، وأحسن الخلافة عليك.  
مات لرجل بنون فترك كلام الناس حيناً ثم انبسط وضحك، فقيل له في ذلك، فقال: كان قرحاً فبرأ.  
قال حذيفة: إن الله لم يخلق شيئاً قط إلا صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنه خلقها كبيرةً ثم تصغر.  
قال الطائي:

ومهما يدم فالوجد ليس بدائم



وقال آخر:

فكذا يبلى عليهن الحزن

وكما تبلى وجوه في الثرى

خرجت امرأة من العرب تريد المقابر حتى جلست على قبر ابنها، فقالت بصوت لها ضعيف: هذا والله المنزل الحق، والوعد الصدق، والوعيد الشديد، والمسكن الذي ليس لأهل الدنيا عنه محيد، هذا والله المفرق بين الأحباب، والمقرب من الحساب، وبه يعرف الفريقان منازلهم، أهل السعادة وأهل الشقاء، لا أقول هجرًا، ولكني أحسب على الله مصابي بك يا بني، ففسح الله لك في ضريحك، وجمع بينك وبين نبيك، أما إني أقول علمي بك، كنت - والله عليم بباطنك - جوادًا، إن أتيت أتيت رشادًا، وإن اعتمدت وجدت عمادًا. ثم أنشأت تقول:

يا ليت شعري كيف غيرك الردى      أم كيف صار جمال وجهك في الثرى  
لله درك أي كهل غيبوا      تحت الجنادل لا يحس ولا يرى  
لبأ وحلمًا بعد حزم زانه      بأس وجود حين يطرق للقرى  
لما نقلت إلى المقابر والبلى      دنت الهموم فغاب عن عيني الكرى

قال: ثم لم تنزل تبكي وتشهق وتضرب على قرنيها حتى ماتت.

كان خالد بن برمك يقول: التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة.

دخل عبد الله بن عمر بن عتبة على المهدي يعزيه بالمنصور، فقال: آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين، وبارك له فيما خلفه فيه، فلا مصيبة أعظم من المصيبة بإمام، ولا عقبي أفضل من خلافة الله على أمة نبيه عليه السلام، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عنده أفضل الرزية. قال عبد الصمد بن المعذل، أو صالح بن عبد القدوس:

إن يكن ما به أصبت جليلا

فذهاب العزاء فيه أجل

وقال محمود الوراق:

تعز بحسن الصبر عن كل هالك      ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم  
إذا أنت لم تسل اصطباراً وحسبة      سلوت على الأيام مثل البهائم  
وليس يذود النفس عن شهواتها      من الناس إلا كل ماضي العزائم

وقال أيضاً:

مصائبه قبل أن تنزلا

لما كان في نفسه مثلاً

فصير آخره أولاً

وينسى مصارع من قد خلا

ببعض مصائبه أعولاً

لعلمه الصبر عند البلا

يمثل ذو العقل في نفسه

فإن نزلت لم تكن بغتة

رأى الهم يفضي إلى آخر

وذو الجهل يأمن أيامه

فإن بدهته صروف الزمان

ولو قدم الحزم في رأيه

وقال أبو تمام الطائي:

فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

أتصبر في البلوى عزاءً وحسباً

كتب رجل إلى صديق: أما بعد، فإن الصبر سحبة المؤمن، وعزيمة المتوكل، وسبب درك النجح في الحوائج، وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب: أصيب الأحنف بمصيبة فلم يجزع لها، فقيل له: إنك لصبور! فقال: الجزع شر الحالين، يباعد المطلوب، ويورث الحسرة، ويوقع على صاحبه العار. وقيل لامرأة أصيبت بولدها: كيف أنت والجزع؟ فقالت: لو رأيت فيه دركاً ما اخترت عليه، ولو دام لي لدمت عليه.

جزع أعرابي على موت ابنه؟ فليم على ذلك، فقال: أعلى قدر الله أتجلد؟ والله للجزع من قدر الله أحب إلي، لأن الجزع استكانة، والصبر قساوة.

سئل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن الرجل المسلم تموت له أم نصرانية كيف يعزى فيها؟ فقال: تقول: الحمد لله على ما قضى، قد كنا نحب أن تموت على الإسلام ويسرك الله بذلك. وسئل أيضاً عن الجار النصراني يموت وله ولي من النصراني، كيف نعزيه؟ قال: تقول: إن الله كتب الموت على خلقه، والموت حتم على الخلق كلهم. عزى أعرابي عمر بن عبد العزيز في ابنه، فقال:

لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

تعز أمير المؤمنين فإنه

لما قطعت رجل عروة بن الزبير تمثل بأبيات معن بن أوس:

ولا حملتني فوق فاحشة رجلي

لعمرك ما أهديت كفى لربية

ولا دلني رأبي عليها ولا عقلي

ولا قاذني سمعي ولا بصري لها

من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وأعلم أنني لم تصبني مصيبة

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك حين دويت رجله، فقيل له: اقطعها. فقال: إني لأكره أن أقطع مني طائفة، فارتفعت إلى الركبة، فقيل: إن وقعت في ركبتيك قتلناك فقطعها، فلم يقبض وجهه ولا تأوه. ويقال: إنه لم يترك حزيه في تلك الليلة. وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواءً لا تجد لها ألماً؟ قال: ما يسريني أن هذا الحائط وقاني أذاها. فلما كان بعد أيام قام ابنه محمد بن عروة ليلاً فسقط من أحد الأسطح في اصطبل دواب الوليد، فضربتة بقوائمها حتى قتلتها. فأتى رجل عروة يعزيه، فقال له عروة: إن كنت جئت تعزي برجلي فقد احتسبتها. فقال: بل أعزيك في محمد ابنك. قال: وماله؟ فخره بشأنه، فقال:

### وكننت إذا الأيام أحدثن نكبة أقول شوى، ما لم يصبن صميمي

اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، ولئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت.

ولما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق، فأثاه محمد بن المنكدر، فقال له: كيف كنت؟ قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. وجاءه عيسى بن طلحة، فقال لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها، ففعل. فقال عيسى بن طلحة: أما والله يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقي الله لنا ما كنا نحتاج إليه منك، رأيك وعلمك، فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

قال سهل بن هارون: التهنته على أجل الثواب أولى من التعرية على عاجل المصيبة. قال عيينة بن حصن الفزاري، وقد قدم من سفر، وقد أصابه مصيبة، فأثاه قومه فقال لهم: اجعلوا لقاءكم سلاماً، ولا يأتي أحدكم معزياً، فإن التعزية تهيج التذكرة، ومن أراد أن يدعو بخير في الرزية فليظهر العتب.

أصيب محمود الوراق بجارية يقال لها نشوى، كان علمها وخرجها وأعطى فيها مالا كثيراً فأبى، فأتى بعض إخوانه يعزيه عنها، وهو عنده أنه شامت، فجعل يعذله على ما كان يحمل إليه من ثمنها ويذكر حاله، ويطنب في وصفها، فأنشأ محمود يقول:

على عمدٍ لبيعت لي اكتبابا

ومنتصح يكرر ذكر نشوى

فقلت وعد ما كانت تساوي سيحسب ذاك من خلق الحسابا

وإن أخذ الذي أعطى أثابا

عطيته إذا أعطى سرور

وأحمد في عواقبها إيابا

فأبي النعمتين أعم فضلا

أم الأخرى التي أهدت ثواباً  
أحق بشكر من صبر  
احتساباً

أنعمته التي أهدت سروراً  
بل الأخرى وإن نزلت بكره

وقال محمود أيضاً في نشوى:

نشوى لقد غال نفساً حبيبه

لعمري لئن غال صرف الزمان

عند المصيبة ينسى المصيبة

ولكن علمي بما في الثواب

روى يحيى القطان، عن خالد بن أبي عثمان، قال: أتاني سعيد بن جبير يعزيني عن أبي، فرآني مستكيناً، فقال لي: أما علمت أن الاستكانة من الجزع.

كان علي رحمه الله إذا عزى قوماً قال: عليكم بالصبر؛ فبه يأخذ الحازم، وإليه منصرف الجزع. ولما دفن علي فاطمة رضی الله عنهما تمثل على قبرها بهذين البيتين:

وكل الذي دون الممات قليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة

دليل على ألا يدوم خليل

وإن افتقادي واحداً بعد واحد

يقال: إنها له، وقال ابن الأعرابي: هي أبيات لسقران السلاماني.

كان يقال: جزعك على مصيبة أخيك أحمد من صبرك، وصبرك على مصيبتك أحمد من جزعك. ومن أبيات لضابي بن الحارث البرجمي:

على نائبات الدهر حين تنوب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه

عزى رجل رجلاً فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها. قال بعض تميم:

عليها مثل يومك لا يعود

لقد عزى ربيعة أن يوماً

على عمد، وهن له جنود

ومن عجب قصدن له المنايا

أخذه يعقوب بن الربيع في رثائه جاريته، فقال:

لبعدك أصبح لي أنفعا

لئن كان قربك لي نافعاً

وإن جل خطب فلن أجزعا

لأنني أمنت رزايا الدهور

وقال محمود الوراق:

فقلما يجدي عليك الحزن

لا تطل الحزن على فانت

ومظهر حزنٍ لما لم يكن

سيان محزون لما قد مضى

وقال أخو ذي الرمة:

عزاءً وجفن العين ملآن مترع

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده

ولكن نكء القرع بالقرح أوجع

ولم تنسني أوفى المصائب بعده

وقال آخر:

ولله عز وجل البقاء

أترجو البقاء وهذا محال

لما مات من خلقه الأنبياء

فلو كان للفضل يبقى كريم

وعند الحساب يكون الجزاء

تموت النفوس وتبقى الشخوص

دخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعريه بابنه العباس، فقال: الحمد لله الذي جعلنا نعريك عنه، ولم يجعلنا نعريه عنك. فدعا الفضل بالطعام فأكل، وقد كان قبل ذلك امتنع من الأكل. ومن أحسن ما قيل في رثاء النبيين قول العتي:

يبقى البنات ويفنى البنينا

ألا يزجر الدهر عنا المنونا

فلم يبق لي فوق جفنٍ جفونا

وأخنى على بلا رحمةٍ

أفقي بهم أعين الكاشحينا

وكنت أبا صبية كالبدور

كمر الدراهم بالناقدينا

فمروا على حادثات الزمان

حتى أماتهم أجمعينا

وما زال ذلك دأب الزمان

وقد أقرحوا بالدموع العيونا

وحتى بكى لي حسادهم

ترى حاسديه له راحمينا

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ

فصاروا إلى بطنها ينقلونا

رأيت بني على ظهرها

فحزني تجدده لي السنونا

فمن كان يسليه مر الزمان

بأن المنون ستلقى المنونا

ومما يسكن وجدي بهم

وقال آخر:

وإن تجرعا فالأمر ما تريان

فإن تصبرا فالصبر خير مغبةٍ

قال يونس بن حبيب: أشعر بيت قالته العرب، قول دريد بن الصمة:

قليل التشكي للمصيبات ذاكراً

وقال آخر:

من اليوم أعقاب الأحاديث من غد

وما كثرة الشكوى بأمرٍ حزامه

وقال منصور الفقيه:

ولا بد من شكوى إذا لم يكن حرم

ماذا جنته الليالي

فيما جلبن إلينا

وفي كل يوم نعزى

فيمن يعز علينا

وقال آخر:

غز امرؤ منته نف

س أن تدوم له السلامه

هيهات أعيا الأولي

ن دواء دائك يا دعامه

عزى رجل رجلاً ماتت امرأته من نفاسها، فقال: أعظم الله أجرك فيما أباد، وبارك لك فيما أفاد.  
قال جرير:

وأهون مفقود إذا الموت غاله

على المرء من أحبابه من تقنعا

وقال آخر:

ولم أر نعمة شملت كريماً

كنعمة عورة سترت بقبر

وقد مضى من هذا المعنى ذكر في باب الولد.

ومن شعر جرير في رثاء امرأته:

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا

ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا

والطيبون عليك والأبرار

قال عمر بن الخطاب: أفضل الصبر التصبر.

قال يونس بن عبيد: لو أمرنا بالجزع لصبرنا.

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر: اصبر إذا عضك الزمان، ومن أصبر عند الزمان.

وقال محمود الوراق:

أئن فات ما كنت أملتته

جزعت وماذا يرد الجزع

ففوض إلى الله كل الأمور

فليس يكون سوى ما صنع

ولا يخدعك صرف الرمان

فإن الرمان كثير الخدع

وقال آخر:

إذا ضيقت أمراً زاد ضيقاً  
فلا تهلك لشيءٍ فات حرنأً  
وإن هونت ما قد عز هانا  
فكم أمرٍ تصعب ثم لانا

وقال آخر:

فإذا أنتك مصيبة فاصبر لها  
وأنشد ابن عائشة:  
عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

يعزى المعزى ساعةً ثم ينقضى  
لأن المعزى إلفه في مكانه  
ونفس المعزى في أحر من الجمر  
وإلف المعزى في ضريح من القبر  
وأنشد ابن عائشة أيضاً:

خليلي إني للثريا لحاسد  
أجمع منها شملها وهي سبعة  
وإني على صرف الزمان لو اجد  
وأفقد من أحببته وهو واحد  
وقال ربيعة الرقي:

أليس الزمان كما قد علمت  
وعندك علم به ثاقب  
فمالك تجزع من صرفه  
وعين تدل على وصفه  
وأيامه دول والنفوس  
فأين المعافى من النائبات  
ومن صاحب الدهر لاقى الذي  
فكن حازم الرأي واصبر له  
وقال أبو العتاهية:

ليس لمن ليست له حيلة  
وقال آخر:

رمن لم يسلم للنوائب أصبحت  
وقال آخر:

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى  
نوائب هذا الدهر أم كيف يحذر

يرى الشيء مما يتقى فيخافه

وقال أبو العتاهية:

وما لا يرى مما يقى الله أكثر

حيلة من ليست له حيلة

لضايئ بن الحارث البرجمي:

حسن عزاء النفس بالصبر

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى

ورب أمور لا تضيرك ضيرةً

رشاداً ولا عن ريثهن يخيب

وللقلب من مخشاتهم وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه

على نائبات الدهر حين تتوب

وفي الشك تقريط وفي الحزم قوة

ويخطيء في الظن الفتى ويصيب

وقال آخر:

كم نعمة مطوية

لك بين أثواب النوائب

ومسرة قد أقبلت

من حيث تنتظر المصائب

وقال آخر:

كم نعمة لا يستقل بشكرها

الله في طى المكاره كامنه

### باب من كلام المحتضرين

روى وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهمي مولى الزبير، عن عائشة رحمها الله، قالت: لما احتضر أبو بكر قالت:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال: يا بنية! لا تقولي هكذا، ولكن قولي: "وجاءت سكرة الحق بالموت، ذلك ما كنت منه تحيد". وكذلك كان يقرأها فيما زعموا. ثم قال: انظروا إلى ثوبي هذين، فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الحديد من الميت. وقد روى من وجوه في هذا الخبر أن أبا بكر - رحمه الله - قال لها: قولي: "وجاءت سكرة الموت بالحق" على ما في مصحف عثمان.

قيل لبعض الصالحين - وهو يوجد بنفسه - كيف تجدك؟ وكيف حالك؟ فقال: كيف حال من يريد سفيراً بعيداً بلا زاد، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس، وينطلق إلى رب ملك بلا حجة.



لما احتضر عمر بن الخطاب بكى، فكلّمه ابن عباس أو غيره بكلام فيه ثناء عليه، فقال: المغرور من غررتّموه، ليت أُمّي لم تلدني. ثم أوصى بوصايا حسان.  
لما احتضر معاوية، قيل له: قل: لا إله إلا الله، فضعف عنها حتى كررت عليه ثلاثاً، كل ذلك لا يقدر يقولها، ثم قال في آخر ذلك: أولست من أهلها؟!  
وفي خبر آخر: أن معاوية لما احتضر، قال لابنه: يا بني! كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أخذت من شعره بمشقص، وهو عندي في موضع كذا، فإذا أنا مت فخذوا ذلك الشعر واحشوا فمي ومنخري، ثم قال:

عذاباً لا حاق لي بالعذاب

عن مسيء ذنوبه كالتراب

إن تناقش يكن نقاشك يا رب

أو تجاوز وأنت رب رحيم

ثم أغمى عليه، ثم أفاق فقال:

وهل بالموت يا للناس عار

فهل من خالدٍ إما هلكنّا

ثم قال لأهله الذين حضروا: اتقوا الله؛ فإن الله يقى من اتقاه. ثم قضى.  
وفي خبر آخر: أن معاوية لما حضرته الوفاة احتوشه أهله، فجعلوا يقبلوا به. فقال: إنكم لتقبلون حولاً قلباً إن نجح من النار. ثم قال: لا يدفع ريب المنية الحيل.  
وفي خبر آخر: أنه لما احتضر معاوية، رفع يديه؛ وهو يجود بنفسه، وقال متمثلاً:

أحاذر بعد الموت أدهى وأفزع

هو الموت لا منجى من الموت والذي

ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وجد بجلّمك على من لا يرجو غيرك، ولا يثق إلا بك، فإنك واسع الرحمة، نغفو بقدرة، وما وراءك مذهب لذي خطيئة موبقة، يا أرحم الراحمين.  
وفي خبر آخر عن سعيد بن المسيب، قال: لما احتضر معاوية قال: أقعدوني. فأقعد. فجعل يذكر الله، وقال: يا رب! ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، وعزتك إن لم تغفر لي فقد هلكت، ثم غشى عليه فبكى أهله، ثم أفاق، فأنشأ يقول متمثلاً:

ودنت لي الدنيا بوقع البواتر

كلمح مضى في السالفات الغوابر

ولم أغن في لذات عيشٍ نواضر

من الدهر حتى زار ضيق المقابر

لعمرى لقد عمرت في الملك برهةً

وأضحى الذي قد كان منى يسرني

فاليئتي لم أغن في الملك ساعةً

وكننت كذي طمرين عاش ببلغةٍ

ثم مات رحمه الله: لما احتضر عمرو بن العاص قال: اللهم أمرتني فلم ائتمر، وزجرتني فلم أزدجر، ووضع يده في موضع الغل، فقال: اللهم لا قوى فأنتصر، ولا برئ فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت. فلم يزل يرددتها حتى مات. رحمه الله.

وفي خبر آخر، قيل لعمرو بن العاص في مرضه الذي مات فيه: كيف تجددك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب. فلما قربت نفسه من أن تفيض قال له ابنه: قد كنت تحب أن ترى عاقلاً فطناً قد احتضر؛ فتسأله عما يجد المحتضر وقد احتضرت، وأنا أحب أن تصف لي الموت. فقال: أجد كأن المساء منطبقة على الأرض، وكأني أتنفس من خرم إبرة.

لما نزل بهشام بن عبد الملك الموت، نظر إلى ولده يبكون حوله، فقال لهم: جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلبه إن لم يغفر الله له.

وقال معمر المتكلم صاحب المعاني: حضرت الوفاة رجلاً كان معي في الحبس، وكان داؤه البطن، فقلت له: كيف تجددك؟ قال: أجد تحرري أكثر من تبردي، وأجد روعي قد خرج من نصفي الأسفل، وكأن السماء قد دنت مني فلو شئت أن ألمسها بيدي لفعلت، ومهما شككت في شيء فلا تشك أن الموت برد وبيس، وأن الحياة رطوبة وحرارة. ليعقوب بن الربيع يرثي جاريتته:

للموت قد ذبلت ذبول النرجس

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت

وغدا الأنين تحته بتنفس

وتسهلت منها محاسن وجهها

رجع اليقين مطامع المتلمس

رجع اليقين مطامعي بأساً كما

لما احتضر سعيد بن المسيب، وجهه إلى القبلة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: وجهناك إلى القبلة. فقال: أولست على القبلة؛ أليس وجهي إلى الله حيث كان.

قال عطاء بن يسار: تبدي إبليس لرجل عند موته، فقال: نجوت قال ما أمنتك بعد.

لما احتضر عمرو بن عبيد، قال: جاءني الموت ولم أتأهب له، اللهم إنك تعلم أنه لم يسبح لي أمران لك في أحدهما رضى، ولي في الآخرة هوى، إلا اخترت رضاك على هواي، اللهم فاغفر لي.

قيل لبعضهم، وقد احتضر: أي شيء تشتهي؟ قال: تمام العدة، وانقضاء المدة.

قيل لأعرابي في مرضه: ما الذي تجدد؟ قال: أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد.

قال: لما احتضر الحجاج قال: والله لئن كنت على سبيل هدى فليس حين جزع، وإن كنت على سبيل

ضلالة فليس حين فرع.

قال عبد الأعلى بن حماد البرقي: دخلت على بشر بن منصور، وهو في الموت: فرأيتَه مستبشراً، فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتائبين، وأقدم على رب العالمين، ولا أفرح. لما مرض أمية بن أبي الصلت - اسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف من ثقيف - مرضه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة مني، وأنا أعلم أن الحنيفة حق، ولكن الشك يداخلني في محمد، فلما دنت وفاته أغمى عليه قليلاً، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما. لا مال فيقذيني ولا عشيرة فتنجيني. ثم أغمى عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظن من حضر من أهله أنه قد مضى، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما، لا برئ فأعتذر، ولا قوى فأنتصر. ثم إنه بقى يحدث من حضره ساعة، ثم أغمى عليه مثل المرتين الأوليين، حتى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما محفوف بالنعيم، محفوظ من الريب:

**وأي عبد لك لا ألما**

**إن تغفر الله تغفر جما**

ثم أقبل على القوم، فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أهبي، وحدثهم قليلاً، ثم يئس القوم من موته، وأنشأ يقول:

**قصره مرةً إلى أن يزولا**

**كل عيشٍ وإن تطاول دهرًا**

**في رؤوس الجبال أرعى الوعولا**

**لينتي كنت قبل ما إن بدا لي**

**غولة الدهر إن للدهر غولا**

**اجعل الموت نصب عينيك واحذر**

ثم قضى نحبه، ولم يؤمن بالنبي عليه السلام.

لما احتضر سيبويه، جعل رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على وجهه، فأفاق من غشيته، وقال:

**إلى المنزل الأقصى ومن يأمن الدهرا**

**أخيين كنا فرق الدهر بيننا**

قال محمد بن إبراهيم الكاتب، دخلنا على أبي نواس نعوذه في مرضه الذي مات فيه، ومعنا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أبا علي؛ فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هنات. فقال: أسندوني. فأسندوه، فقال: إياي تخوف الله؟ قد حدثني حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمي"، أتراني لا أكون منهم؟ وقد حدثني حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن

الجنة". ورآه بعض إخوانه بعد موته بأيام في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها، وهي الآن تحت وصادتي. فنظروا وإذا برقعة تحت وصادته في بيته فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة  
فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
إن كان لا يرجوك إلا محسن  
فمن الذي يدعو إليه المجرم

أدعوك رب كما أمرت تضرعاً  
فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم  
مالي إليك وسيلة إلا الرجا  
وجميل ظني ثم أني مسلم

حدث محمد بن يعقوب البزاز: كنت جارا لأبي نواس، فعدته في مرضه الذي مات فيه، ودخل عليه طبيب نصراني اسمه سعيد، فنظر إليه ووصف له دواء يعلله به، ثم خرج وخرجت بخروجه، فغمزني وقال: مرهم لا يعذبوه بالدواء؛ فإنه الساعة يموت، فرجعت إليه فقال: سألتك بالله ما قال لك النصراني، فإني رأيتك قد غمزك؟ فقلت: ما عسى أن يقول؟! فقال: أقسمت عليك لما أخبرتني. فأخبرته، فرفع عينيه إلى السماء، وسالت دموعه على خديه، وقال:

يا رب إنني لم أزل  
حين استلذوا بعري  
فأمنوا يوماً ففا  
ولم أزل مستشعر ال  
فاغفر فإني منك أو  
في مثل حال السحره  
الدين وكانوا كفره  
زوا بنواب البرره  
إيمان ياذا المقدره  
لي منهم بالمغفره

ويروى أن آخر بيت قاله محمود الوراق في مرضه الذي مات فيه:

إن ظني بحسن عفوك يا رب  
صنت سري عن القرابة والأهل  
ثقة بالذي لديك من السر  
يوم هتك الستور عن حجب الغيب  
جميل وأنت مالك أمري  
جميعاً وأنت موضع سري  
فلا تخزني به يوم نشري  
فلا تهتك للناس ستري

محمد بن مناذر من شعره المطول:

نحن للآفات أغراض فإن  
إنما أنفسنا عارية

www.alkottob.com

## الفهرس

2	المقدمة
3	باب أدب المجالسة وحق الجليس الصالح
10	باب حمد اللسان وفضل البيان
13	باب ذم العي وحشو الكلام
14	باب في اجتناب اللحن وتعلم الإعراب
14	وذم الغريب في الخطاب
18	باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة
19	باب من خطب فأريج عليه
21	باب حمد الصمت وذم المنطق
27	باب من مزدوج الكلام
29	باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة
37	باب الأدب
40	باب ترويح القلوب وتنبهها
41	باب قولهم في وصف العيش
41	وما تتمناه أنفس
46	باب اختلاف المهمم في أنواع المال
48	باب التجارة
50	باب الرزق
58	باب الحرص والأمل
62	باب الطمع واليأس
64	باب ذم السؤال
64	وحمد ما جاء عن غير مسألة من التوال
72	باب انتظار الفرج
77	باب الجد والحذ

82	باب المال حمداً وذمّاً
87	باب جامع القول في الغنى والفقير
92	باب الدين
93	باب الاقتصاد والرفق
95	باب السفر والاعتراب
105	باب التحول عن مواطن الذل
109	باب التوديع والفراق
115	باب الزيارة والعيادة
118	باب العيادة أيضاً
119	باب الحجاب
124	باب المصافحة وتقبيل اليد والقم
125	باب الرسول صلى الله عليه وسلم
127	باب الهدية
132	باب الجار
135	باب الضيف
138	باب المعروف
142	باب الشكر
147	باب في طلب الحاجات
154	باب السلطان والسياسة
165	من الأمثال في السلطان وصحبته
166	باب الكتاب والكتابة
168	باب الظلم والجور
173	باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ
175	باب الغضب
176	باب الرجاء والخوف
179	باب العافية والبلاء
180	باب المرض والطب

184.....	باب الطّاعة والمعصية.....
186.....	باب الغيبة والتّميمة.....
190.....	باب البغي والحسد.....
197.....	باب السّباب والمشاتمة.....
202.....	باب المرء والخصومة والملاحاة.....
205.....	باب الكبر والعجب والتّيه.....
208.....	باب التّواضع والإنصاف.....
210.....	باب الرّأى والمشورة.....
215.....	باب كتمان السّر وإفشائه.....
219.....	باب الحرب والشّجاعة والجبن.....
225.....	أشعار الجبناء.....
228.....	باب الاعتذار.....
232.....	باب المواعيد.....
235.....	باب عيونٍ من المدح.....
245.....	باب عيونٍ من الذّمّ.....
252.....	باب العقل والحمق.....
260.....	باب من أجوبة الحمقى.....
263.....	باب الملح وما به التّفنّس ترتاح.....
263.....	من مباح المزاح.....
267.....	باب المزاح إباحة وكراهة.....
271.....	باب مدح الصدق والأمانه ذم الكذب والخيانة.....
274.....	باب الحقّ والباطل.....
277.....	باب الحياء والوقار.....
279.....	باب حسن الخلق وسوئه.....
281.....	باب مكارم الأخلاق والسّؤدد.....
287.....	باب حمد الحلم وذمّ السّفه.....
291.....	باب مدح الجود والكرم وذم البخل واللّؤم.....



299.....	باب المروءة والفتوة
302.....	باب امتحان أخلاق الرجال
309.....	باب التودد إلى الناس
312.....	باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم
319.....	باب الصديق والعدو
327.....	باب جامع متخير في الإخوان
338.....	باب العتاب
341.....	باب الثقلاء والطفيليين
345.....	باب الشماتة
348.....	باب مؤاخاة من ليس على دينك
351.....	باب الولد والوالد
358.....	باب الأقارب والموالي
363.....	باب المملوك والمالك
365.....	باب الذكر والثناء
366.....	باب البكاء على ما مضى من الأزمان
366.....	والتلهف على صالح الإخوان، والحنين إلى الأوطان
372.....	باب مدح مغالبة الهوى وذم اتباعه
375.....	باب معنى عشق النساء والهوى فيهن
385.....	باب النظر إلى الوجه الحسن
390.....	باب جامع ذكر النساء وتزويج الأكفاء
400.....	باب الأمثال السائرة في النساء
402.....	باب اللباس
406.....	باب المراكب من الخيل وغيرها
407.....	باب الطعام والأكل
413.....	باب النوم وتصرف المعاني فيه
416.....	باب الحمام
417.....	باب في البراغيث والبق والبعوض

421.....	باب في السجن
423.....	باب الوكلاء
423.....	باب العادة ومالا ينسى
424.....	باب في المنجمين
428.....	باب ثلاثة من الحكم
431.....	باب أربعة
434.....	باب خمسة
435.....	باب نوادر من الرؤيا مختصرة
439.....	باب من نوادر الأخبار
449.....	باب جامع من المذكرات
449.....	مما لم يذكر في الأبواب المتقدّمة
456.....	باب من منشور الحكم والأمثال
456.....	منتقى من نتائج عقول الرجال
462.....	باب من نوادر الفلاسفة مختصرة
464.....	باب الرياء
465.....	باب في الشيب ومدحه
467.....	باب في خضاب الشيب ونتفه
470.....	باب جامع مختصر في الشيب والبكاء
470.....	على فقد الشباب
473.....	باب الكبير والمهرم
482.....	باب الوصايا الموجزة
493.....	باب لمع من الدعاء
499.....	باب ذكر الدنيا
511.....	باب الزهد والقناعة
520.....	باب من المواعظ الموجزة
533.....	باب العمل
534.....	باب مختصر من التعازي في المصائب

535.....والصبر على النوائب

544.....باب من كلام المختصرين

550.....الفهرس

To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)